ذاكرة الاعتقال السياسي

عبد السلام بنعيسي

المجلس الوطني لحقوق الإنسان
Conseil national des droits de l'Homme

EDITIONS
LA CROISEE DES CHEMINS

الإيداع القانوني : 2102/OM 0393
ردمك : 978-9954-1-0380-7
© CNDH : المجلس الوطني لحقوق الإنسان
منشورات : © Editions la croisée des chemins
البريد الإلكتروني : editionslacroiseedeschemins@gmail.com

عبدالسلام بنعيسي

ذاكرة الاعتقال السياسي
حوارات ومسارات

EDITIONS
LA CROISEE
DES CHEMINS

المجلس الوطني لحقوق الإنسان
Conseil national des droits de l'Homme

الفهرس

تقديم...7
أحمد بن جلون، اعتقالي في اسبانيا هو الذي أنقذ حياتي! 9
عبد القادر الشاوي، كنا نخطط لخوض حرب تحرير شعبية طويلة الأمد
من أجل تغيير النظام...22
صلاح الوديع الآسفي، دخلت درب مولاي الشريف وعمري 21 سنة......................40
أحمد حرزني، الله شاهد أنني أتحدث عن السجن بدون حقد أو نقمة على أي أحد........57
اليزيد البركة، جيل 23 مارس 1965 كان يناضل في إطار القانون.........................71
جمال شيشاوي، ينبغي أن تشكل تجربتنا نبراسا للأمل......................................87
فؤاد عبد المومني، كانت هذه هي المساهمة الممكنة من جانبي من أجل تقدم بلدي.........102
مصطفى الملحاوي، كنا نواجه بالقمع والاختطاف والقتل من طرف الكافرين بالديمقراطية117
عبد السلام الصدقاوي، كنت أتصرف في السجن وكأن لدي إذاعة حقيقية.....................131
علال الأزهر، كان جل المناضلين يؤمن بالكفاح المسلح وسيلة للتغيير.....................144
عبد الله بوهلال، لما أفرج عني انتابني شعور بأن صاحب الدكان
رجل أمن متخف في دكانه..159
أحمد الحبشي، لم أصدق أنني حوكمت بـ22 سنة سجنا نافذا..............................180
العربي خروج، التجويع كان واحدا من الأساليب الفتاكة للتعذيب.........................196
عبد الله زعزاع، كان الإنسان يصير شيوعيا دون قراءة كتب ماركس أو لينين...............209
فاطنة البيه، قلنا لهم بصوت مرتفع لسنا حريما أو جواري لكم 224
أحمد راكز، أعتبر بشكل عام أن تجربتنا كانت رائعة جدا..................................239
رشيد فكاك، هكذا حاول إدريس البصري تجنيدي لكي أصبح مخبرا سريا.....................254
عمر الزايدي، لهذه الأسباب حكم علي غيابيا بالمؤبد.....................................268
محمد كرم، كان المعارض يعتبر معارضا بفكره وبقلبه وبيده.................................284
سعد الله صالح، هكذا انتابنا الحنين إلى درب مولاي الشريف.............................299
إسماعيل عبد المومني، كنا مكدسين في الغرف والممرات وفي المراحيض.....................315

تقديم

إذا كان المغرب قد عرف، و سيعرف بالتأكيد في المستقبل، ظهور كتابات عن تجربة الاعتقال السياسي صُنفت ضمن ما يُعرف بأدب الاعتقال السياسي، أنجزها المعنيون أنفسهم أو أُنجزت بمبادرة منهم، فإن الحوارات التي يضمها هذا الكتاب بين دفتيه قد التقت فيها رغبة الصحفي في نشر هذه الحوارات وتجاوب المعنيين بالاعتقال، حيث أجابوا*بكل تلقائية وأريحية على أسئلة مدققة، تحفر في الذاكرة وفي تاريخ الأمكنة والأزمنة المقصودة.

وإن دعم المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان لنشر كتاب يضم سلسلة الحوارات التي أجراها السيد عبد السلام بنعيسي، في صيف سنة 2001، لفائدة جريدة "الأحداث المغربية"، مع معتقلين سياسيين سابقين، حول ظروف اعتقالهم وما قاسوه أثناء فترات الاعتقال ومحاكماتهم، التي امتدت خلال حقبتي الستينات والسبعينات، ليتوخى الجمع بين التوثيق والأرشفة وبين حفظ الذاكرة، من أجل ضمان إطلاع جمهور المهتمين والباحثين على فحواها. فهذه الحوارات تلقي الأضواء على جوانب كثيرة من تجارب الاعتقال السياسي بالمغرب، مما يضفي، بكل تأكيد، على الكتاب صبغة التوثيق لصفحات من التاريخ السياسي الراهن للمغرب.

ومما يمنح هذه الحوارات أهمية لا يمكن تجاهلها، أن مضامينها وصياغتها تجمع بين التوثيق والوصف والشهادة والاعتراف والرواية والتذكر والحوار... كما أنها توثق لجغرافيا المعتقلات التي مر منها المعتقلون المستجوبون، وتحفظ ذكرى من رحلوا إلى دار البقاء.

* تم دعم نشر هذا الكتاب من لدن المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان قبل أن يتم احداث المجلس الوطني لحقوق الإنسان بموجب ا لظهير الشريف رقم 1.11.19 الصادر بتاريخ فاتح مارس 2011.

وإذا كانت هيئة الإنصاف والمصالحة قد نظمت جلسات استماع عمومية ووثقتها بالصوت والصورة، فإننا بهذا الإصدار إزاء روايات شفوية حولها الصحفي إلى كتابة، لكن دون تدخل منه في مضامينها وتأريخيتها. لذا فإن هذا النوع من البوح الإرادي هو، في ذات الآن، توثيق ضد النسيان ومساهمة في المجهود الجماعي الرامي إلى توفير ضمانات عدم التكرار.

أحمد بن جلون

اعتقالي في اسبانيا هو الذي أنقذ حياتي !

س : الأستاذ أحمد بنجلون أود أن أفتتح معك هذا الحوار بالسؤال، عن اليوم والشهر والسنة التي تم اعتقالك فيها، هل تذكر هذه اللحظات الحرجة من عمرك، ومتى تم ذلك؟

ج : تعرضت في حياتي لعدة اعتقالات، ولكن الاعتقال الذي أعتبره أكبرهم جرى يوم 29 يناير سنة 1970، وذلك بالعاصمة الإسبانية مدريد، حيث اعتقلتني الشرطة الإسبانية من إحدى الشقق التي كنت نزيلا فيها وكان رقمها 14، فأنا مازلت أذكر هذا الرقم حتى اليوم. لقد كنت رفقة الرفيق محمد آزر المدعو سعيد بونعيلات، وتم اعتقالي حوالي الساعة 8 مساء، حيث جئت إلى الشقة بالعمارة التي كنت أقطن فيها، فوجدت الشرطة في انتظاري مدججة بالسلاح، وكانت قد طوقت العمارة، فتم اعتقالي، وكان رفيقي سعيد بونعيلات قد تم اعتقاله قبلي بحوالي ساعتين، ولم أكن على علم بذلك.

س : ماذا كنت تفعل في إسبانيا أنت وسعيد بونعيلات؟

ج : كانت للحركة الاتحادية أساليب نضالية مختلفة، وكانت لها أهداف لتصحيح الأوضاع بالمغرب، وكان سعيد بونعيلات لاجئا سياسيا في الجزائر، بعد أن حوكم غيابيا في المغرب بعدة سنوات، ولقد غادر الجزائر صوب إسبانيا عقب اتفاقيات للتعاون بين البلدين في مختلف المجالات، بما فيها الميدان الأمني. غير أن بعض المسؤولين الجزائريين الذين تذكروا الدور الذي قام به سعيد بونعيلات في دعم الثورة الجزائرية، نصحوه بمغادرة بلدهم، لكي لا يلقى عليه القبض، ويسلم إلى المغرب. وهكذا توجه إلى إسبانيا، وأنا أيضا كنت طالبا في الخارج وكنت في صفوف المقاومة الفلسطينية في سوريا وفي الأردن، وكنت عابر سبيل عبر إسبانيا للقيام بعدة مهام نضالية.

س : هل كنت مكلفا بأداء مهمة محددة أنت وسعيد بونعيلات، وعلى إثرها توجهت لملاقاته في إسبانيا؟

ج : لا، كنت مقيما معه في إسبانيا في الشقة التي كان يقيم فيها، فأنا كانت لي به سابق معرفة بالجزائر، وأحالني الإخوة المناضلون عليه لكي أقيم عنده على إثر مروري بإسبانيا، بدل أن أقيم في الفندق، فأنا لم تكن لدي مهمة مشتركة مع الأخ سعيد بونعيلات .

س : هل هذا يعني أن إقامتك معه بإسبانيا كانت إقامة مؤقتة؟

ج : نعم، كانت إقامة مؤقتة ومرتبطة بالمهام النضالية التي كنت مكلفا بإنجازها، والوقت الذي يتطلبه الإنجاز .

س : ما هي هذه المهام النضالية التي كنت مكلفا بالقيام بها؟

ج : ذلك ربما سيكشفه التاريخ فيما بعد، أو سنكشفه نحن، فالمهام النضالية هي تلك التي كنا نعتقد أنها تنسجم مع أفكارنا التحررية، وأهدافنا الاشتراكية وكذلك القومية، وعلى رأسها تحرير فلسطين. فلقد كانت لنا مهام نضالية، وكنا نعمل على إنجازها، سواء في الداخل أو في الخارج .

س : ولماذا لا تكشف للقارئ اليوم عن طبيعة تلك المهام ونوعيتها؟

ج : لا حاجة للحديث عن ذلك، فإذا عدت إلى ملف محاكمة مراكش يمكنك أن تجد بعض التفاصيل، فمثلا كنت أنا متهما بأنني سأقود سفينة محملة بالسلاح إلى الشواطئ المغربية، رغم أنه لم يعثر على هذه الباخرة قط، وكان المرحوم عبد الرحيم بوعبيد يرافع عنا أثناء المحاكمة، متسائلا أمام القاضي: أين هي هذه الباخرة؟ هل تبخرت؟ لم يعثر عليها أبدا .

س : هل هذا يعني أنكما، أنت وبونعيلات، كنتما متهمين بأنكما ستُدخلان باخرة مسلحة إلى المغرب؟

ج : هذه تهمة من جملة تهم أخرى وجهت لنا، قيل حسب مخابرات امبريالية وحتى صهيونية، أننا كنا نسعى إلى إدخال السلاح إلى لمغرب، فنحن كنا على علاقة مع المقاومة الفلسطينية، مما أدى إلى حدوث عدة التباسات حول الموضوع .

س : عندما ألقي القبض على بونعيلات قبلك بساعتين، هل مكث البوليس الإسباني معه في الغرفة ينتظرونك لأخذكما معا؟

ج : لا، أخذوه من الشقة إلى إدارة الأمن الوطني الإسباني، والشيء الذي ربما أنقذ حياتي في تلك الفترة هو أن زوجة سعيد بونعيلات كانت معه في ذلك الوقت بإسبانيا، فهي التي دقت ناقوس الخطر، وأشعرت المناضلين، وبالتالي الصحافة والرأي العام باعتقالنا. وفي الواقع فإن اعتقالنا كان اختطافا.

بالنسبة لي فإن العدد الهائل من رجال الشرطة الذين وجدتهم في العمارة وفي المصعد وأمام باب الشقة، جعلني أعتقد أنهم كانوا يظنون أنني مسلح، ويتعين الاحتياط الشديد مني، وأنني سأقاوم، وبطبيعة الحال لم يكن الأمر كذلك، فلقد تم اعتقالي بسهولة، وأتذكر أنني تأخرت في الدخول إلى الشقة، لأنني كنت في إحدى المقاهي، أكتب مقالا أرد فيه على مقال نشره حميد برادة في مجلة « أفريك آزي » آنذاك ...

س : حول ماذا كان يدور مقال حميد برادة؟

ج : كان يصف الحركة الاتحادية بأنها تضم مجموعة من البلانكيين والمغامرين ...

س : كان معروفا عن حميد برادة أنه اتحادي، فكيف يجوز له أن يصف الحركة الاتحادية بهذه الأوصاف؟

ج : كان بدأ ينفصل عنها ويدخل في تنظيمات الجماعات اليسراوية التي كانت قد بدأت تظهر والتي ستعطي 23 مارس فيما بعد، وعدة تنظيمات أخرى والتي انفصل عنها هي الأخرى بسرعة، إلى أن أخذ مسارا آخر، وأصبح اليوم مخرجا سينمائيا مختصا في إنجاز أشرطة عن كبار الشخصيات .

س : لنعد إلى لحظة اعتقالك أمام باب العمارة ...

ج : حين تم اعتقالي كان اختطاف المهدي بنبركة مازال طريا كحدث في ذهننا، فلما وضعوني في سيارة مموهة وشرطي إلى جانبي الأيمن، وآخر إلى جانبي الأيسر، وكنت مكبل اليدين، انتزع شرطي الكراس الذي كان فيه المقال الذي كنت أنوي نشره في مجلة أفريك آزي ردا على حميد برادة، وأخذ يقرأ المقال، وخاطبني قائلا: هل أنت مختص في المجال الفلسفي، فكل المصطلحات الواردة في المقال لها طابع فلسفي. وتذكرت ما قاله المهدي بنبركة لسوشون وفواتون، وهما الشرطيان اللذان اختطفاه، حين خاطبهما قائلا: لم أقم بأي شيء ضد فرنسا، واقتديت بشهيدنا وقلت للإسبانيين، أنا لم أفعل

شيئا ضد إسبانيا يستوجب اعتقالي، وتيقنت أن إلقاء القبض علي يدخل في إطار اتفاق أمني تم إبرامه بين إسبانيا والمغرب .

س : هل كنت تشعر قبل لحظة الاعتقال أنك مطارد، وأن بالإمكان اعتقالك في أي لحظة، وكنت مهيأ نفسيا لذلك، أم أن الاعتقال جاء هكذا، بشكل مفاجئ، وكان مباغتا؟

ج : بدأت فعلا أشعر بنوع من التضييق، وبأنني في وضعية غير سليمة، وكنت قد كاتبت في هذا الشأن بعض الرفاق بطريقة الحبر السري ...

س : من هم هؤلاء الرفاق الذين كاتبتهم؟

ج : لا داعي لذكر أسمائهم، سيتعرفون على أنفسهم إذا قرأوا هذا الحوار، لقد كتبت إليهم أنبههم إلى وضعنا غير السليم بإسبانيا، وبأن علينا أن نغادرها إلى جهة أخرى من العالم، وذلك 6 أو 7 أيام قبل اعتقالنا، وكان المرحوم الشهيد محمد بنونة معنا، ولقد سافر إلى باريس يوما واحد فقط قبل 29 يناير، اليوم الذي تم اعتقالنا فيه .

س : سافر قبل اعتقالكم عن طريق الصدفة؟

ج : نعم سافر عن طريق الصدفة في ذلك اليوم، وكان الهدف من سفره هو ربط الاتصال بالإخوان في فرنسا، حول هذه المواضيع كلها بما فيها قضية التنظيم.

س : ألم يكن الهدف من سفره تهييئ الأجواء لكما لمغادرة إسبانيا بعد شعوركما بأنكما مطاردان؟

ج : لا، لم يكن الهدف من سفره إعداد الأجواء لنا للانتقال إلى جهة أخرى، ولكن سافر من أجل تتميم المهام النضالية التي كنا منهمكين في إنجازها.

س : ألم تكن أنت و سعيد بونعيلات تتخذان الاحتياطات الضرورية لكي لا يتم اعتقالكما؟

ج : طبعا، الاحتياطات كانت واجبة وضرورية، ولكن مع ذلك، لم نعتقل أنا والأخ سعيد بونعيلات فقط، وإنما اعتقل معنا خمسة إخوان آخرين كانوا هم أيضا في إسبانيا، وكانوا ينتظرون التعليمات لإتمام المهام التي كانوا ملزمين بالقيام بها، فلقد اعتقلنا جميعا وفي نفس اليوم، لأن الإشارة جاءت من المغرب والتعاون كان قائما بينه وبين إسبانيا، والذي كان يشرف على العملية هو الجنرال أوفقير.

وإذ أذْكرُ اسم الجنرال أوفقير، فليس من أجل تحميله لوحده جميع أوزار مرحلة من تاريخ المغرب، ولكن لأنه كان المشرف بنفسه على اعتقالنا، فلقد كان في إسبانيا في ذلك الوقت نظام فاشيستي يقوده الجنرال فرانكو. وكان من السهل على أمن البلدين ضبطنا واعتقالنا، غير أن الإخوان الخمسة الآخرين كانوا يحملون جوازات سفر سورية، فتدخلت السفارة السورية وضغطت من أجل الإفراج عنهم، فتم إطلاق سراحهم، وأبعدوا إلى سوريا، أما أنا وسعيد بونعيلات، فكنا ما زلنا نحمل جوازات سفر مغربية .

س : من هم هؤلاء الإخوة الخمسة؟

ج : لا أذكر أسماءهم الحقيقية، لأنه كانت لهم أسماء حركية، وكانوا معنا في المقاومة الفلسطينية، وأنا ألتمس العذر إن لم أتذكر أسماءهم، خصوصا الروح الطاهرة لأحدهم الذي أعدم سنة 1973، لأنه دخل إلى المغرب فيما بعد، وألقي عليه القبض وحكم عليه بالإعدام، وتم تنفيذ الحكم فيه، وربما أنا حدث لي مثل ما حدث لرابح بيطاط سنة 1954 لما اعتقل بعد أول عملية فدائية، عقب اندلاع الثورة الجزائرية في نونبر 1954 وبقي في السجن إلى أن خرج منه بعد حصول الجزائر على الاستقلال، فاعتقالي في إسبانيا، رغم العذاب والسجن اللذين تعرضت لهما من جرائه، ربما أنقذ حياتي ...

س : كان من الممكن أن تكون من ضمن الذين أعدموا فيما بعد؟

ج : كان ذلك ممكنا، وكان واردا أن أستشهد كما استشهد محمد بنونة، أو أن أعدم، أو أن أواجه أي مصير آخر ..

س : ما هي التهمة التي وجهها إليك البوليس الإسباني بعد إلقاء القبض عليك؟

ج : في البداية لم يكن البوليس الإسباني يصدق أنني لا أعرف ولو كلمة واحدة بالإسبانية، وفعلا لم أكن وقتها أتكلم اللغة الإسبانية رغم أنني تعلمتها في ما بعد، وكان استنطاقي يتم باللغة الفرنسية، كانوا يعتقدون أنني من مدعمي حركة «إيتا» الباسكية التي كانت تحظى بدعم أممي ودولي، لأنها كانت تناضل ضد نظام فاشستي، ولقد كان البوليس الإسباني يعتقد أنني، وليس سعيد بونعيلات، موجود في إسبانيا بغرض مساندة حركة «إيتا»، وخاصة أنهم حجزوا كتبا رزينة ومهمة كانت في حوزتي، فذلك كان دليلا بالنسبة لهم على أن لي علاقة بحركة « إيتا» ، وشعرت أنهم يموهون علي بتوجيه هذا الاتهام لي، فما كان مني إلا أن طرحت عليهم نفس السؤال الذي طرحته علي : ما هي التهمة التي بسببها وقع اعتقالي؟

س : وماذا كان جوابهم؟

ج : قالوا لي أنت قائد خلية إرهابية، وأنت تقود تنظيما مسلحا وإرهابيا، وتخطط للسفر إلى المغرب لإثارة القلاقل. ولقد نفيت التهمة الموجهة لي، فأخرجوا أمامي مجموعة من الصور تضم رفاقا لي في المخيمات الفلسطينية، فأنكرت معرفتي بهؤلاء الرفاق، وفي الأخير وضعوا أمامي صورتي الشخصية بشكل فردي، وكان قد التقطها لي أحد «المناضلين» في الجزائر العاصمة، وكانت له آلة للتصوير، وقد اكتشفنا فيما بعد أنه كان عميلا للبوليس المغربي، فأنا أتذكر جيدا أنه هو الذي التقط لي تلك الصورة، فإذن هو الذي سلمها للبوليس.

س : هل يمكنك ذكر اسمه؟

ج : يدعى حميد اليوسفي، ولقد أصيب بالجنون فيما بعد، وكان أخوه لاجئا في الجزائر، والتحق بأخيه كطالب ليتابع دراسته هناك، ويبدو أن البوليس المغربي استقطبه ووظفه للاشتغال معه في التجسس علينا، ولقد وظف في السبعينيات في ديوان أحد الوزراء. ولما تم وضع صورتي الشخصية أمامي، سألني عميد الشرطة قائلا: وهذا ألا تعرفه؟ وساعتها فهمت أن الطوق محكم حول عنقي، وأضاف إذا رفضت الاعتراف لنا بما هو منسوب إليك، سنبعثك إلى أوفقير وهو الذي سيعرف كيف سينتزع منك الاعترافات ...

س : ألم يعنفك البوليس الإسباني، ألم يلجأ إلى التعذيب لإجبارك على الكلام؟

ج : شهادة للتاريخ، لم يسبق للبوليس الإسباني أن استعمل معي العنف ولو مرة واحدة حين كنت معتقلا في إسبانيا، فباستثناء أن أحد الذين كانوا يستنطقونني صرخ في وجهي بكلمة نابية، ووبخه عميد الشرطة ونهره على تلك الكلمة، باستثناء هذه الحالة، لم يمارس علي أي تعذيب، أو عنف من طرف الإسبانيين، بينما الإخوان الآخرون ربما تعرضوا لنوع من العنف.

س : كم كانت المدة الزمنية التي قضيتها محتجزا لدى الشرطة الإسبانية قبل أن يقع تسليمك إلى الأمن المغربي؟ وماذا كنت تتوقع أن يحدث لك وأنت في المعتقل الإسباني؟

ج : الشيء الذي لم أكن على علم به، وكان قاتلا وقتها بالنسبة لي، ولم أكن أتوقعه، هو أنه لم يتم إخباري خلال اعتقالي في إسبانيا، بأن هناك حملة من الاعتقالات قد وقعت في المغرب، وأن عددا مهما من الرفاق قد ألقي عليهم القبض، وأن الأشياء كانت قد توضحت لدى أجهزة الأمن. فأنا لم

أكن على علم بالاعتقالات، وكنت ما زلت معتقدا أن الأجهزة الأمنية ليست على علم بما كنا ننوي القيام به، وكان يتهيأ لي أنها ليست على علم حتى باسمي الحركي الذي كان هو عبد المومن ... المهم هو أنه أثناء وجودي لدى الأمن الإسباني شرع يستنطقني أحد رجال الشرطة الإسبانيين الذي كان يتقن اللغة الدارجة المغربية، ولقد سألني في نهاية الاستنطاق عن المنطقة التي يمكن أن تكون اللهجة التي يتكلم بها قريبة من لهجة سكانها، وأجبته بأن من المحتمل أن تكون لهجة أهل تطوان. فالتفت صوب رجال الأمن الآخرين وقال لهم عبارة فهمت منها أنه تأكد بشكل مطلق من أنني مغربي، لقد كانت السفارة السورية تطالب بإطلاق سراحي أنا وسعيد بونعيلات أيضا رفقة الإخوة الآخرين الذين كانوا يحملون جوازات سفر سورية، ولكن لما تأكد الإسبانيون بأننا مغربيان أحالونا إلى السجن، فاتصل بنا محام إسباني للدفاع عنا، ولقد أسر إلي أنه كان يدافع عن المقاومين الجزائريين.

س : هل تطوع للدفاع عنكم من تلقاء نفسه؟

ج : لا، لقد كلفه شخص كان اسمه الدكتور إبراهيم، وكان تونسي الأصل، والسيد عبد الرحمان اليوسفي هو الذي اتصل بالدكتور إبراهيم هذا، وطلب منه تكليف محام لمؤازرتنا، لقد كانا صديقين ويتعارفان منذ أيام المقاومة، لأن الدكتور إبراهيم كان يساعد المغاربة في الحصول على الأسلحة لمواجهة المستعمر. وبعد أن اطلع المحامي على ملفنا، وأجرى الاتصالات اللازمة، صارحنا بأن القرار متخذ وحاسم في إحالتنا على رجال الأمن المغاربة، لقد أفادنا بأنه سيتم تسليمنا لهم في أقرب الآجال، وفعلا هذا ما وقع.

س : كيف تمت عملية تسليمكما من طرف رجال الأمن الإسبانيين لنظرائهم المغاربة، هل ما زلت تذكر الطريقة التي تمت بها عملية التسليم؟

ج : ما زلت أذكرها جيدا وكأنها حدثت البارحة، فلقد وضعنا في سيارة فاركونيت، وكان يصطحبنا داخلها رجال شرطة إسبان، وكان أحدهم بدينا، ويشبه شانصوبانزا الشخصية التي كانت تلازم دونكيشوت في كل رحلاته، وجابت السيارة عدة شوارع في مدريد إلى أن وصلت بنا إلى المطار، ودخلت إلى مدرجه، وفي هذه اللحظة ظهرت لي طائرة عسكرية مغربية، فالتفتت صوب سعيد بونعيلات، وكنا نطلق عليه لقب «خالي موح» ، فقلت له «أمشينا في المزاح أخالي موح».

وبمجرد نزولنا من السيارة، تم وضع القيد في أيدينا، وغطاء فوق الرأس، ولما صعدت إلى الطائرة استبدل الغطاء بعصابة سوداء، وأمرت بالجلوس أرضا، وكانت يداي مقيدتين إلى الخلف، وتم ربطي

بسلسلة حديدية من رجلي، هذه السلسلة مكثت مقيدا بها لشهور عديدة، وكان لي الوقت الكافي لكي أعد عدد حلقات تلك السلسلة، وكانت 73 حلقة.

س : لماذا تقييدك بسلسلة من رجليك، فالقيد في اليدين كاف لوحده لكي لا تستطيع القيام بأي حركة؟

ج : كنا في الطائرة، وبالنسبة لهم ينبغي الاحتياط لكي لا أتحرك من مكاني، فحتى في دار المقري كنت أقضي معظم الوقت مقيدا بالسلسلة، لقد كانوا ربما يعتبرونني عنصرا خطيرا، وصرح لي بهذا فيما بعد، بعض رجال الشرطة، لقد قالوا لي إن التعليمات قد أعطيت لهم لكي يكونوا حذرين جدا معي ... ولما انطلقت الطائرة شعرت بالألم في يدي، فطلبت التخفيف من شدة ضغط القيد على يدي، فتطوع أحدهم واستجاب لطلبي، ثم خاطبني بلهجة أهل الشرق قائلا «ودروك راك غاية» ، فأجبته شكرا، ومن غير أن أشعر وُضعت سيجارة في فمي وأخذت أدخنها، لم أعلم من الذي وضع السيجارة في فمي ...

س : إلى حدود الساعة، لا يخاطبك ولا يتكلم معك أي أحد في الطائرة؟

ج : أبدا لم يكلمني أي أحد، فالكلمات التي سمعتها وأنا في الطائرة هي تلك التي صدرت عن صوت من أهل الشرق حين قال لي «دروك راك غاية»، واستمر الصمت القاتل ونحن في السماء إلى أن حطت الطائرة، وفي تقديري كان ذلك في مطار سلا، وأدخلت في كيس، وحملني أحدهم على كتفه من الطائرة إلى سيارة قطعت بي مسافة معينة لم تكن بالطويلة ثم توقفت، وأدخلتُ إلى مكان مجهول .

س : أليس لك علم بهذا المكان إلى اليوم؟

ج : المكان الأول الذي وضعت فيه لما أنزلت من الطائرة ليس لي به علم إلى اليوم، لا يمكن لي أن أعرفه، غير أنني متأكد ومتيقن أنه في الرباط، أما المكان الثاني فإنه دار المقري. كنت أقضي في المكان الذي وضعت فيه الليل والنهار ويداي مقيدتان وراء ظهري، وسلسلة حديدية على رجلي، كنت أحس في بعض الأحيان أن لدي عدة أذرع، لقد كان الإحساس بألم القيد طاغيا إلى أبعد الحدود، وكنت أجد صعوبة في الانتقال من وضعية لأخرى ...

س : كيف يقضي الإنسان حاجاته الطبيعية في مثل هذه الأوضاع؟

ج : كنت أشعر بإهانة لا تتصور عندما أريد قضاء حاجتي الطبيعية، لقد كنت أقضيها في

سطل. في اليوم الموالي لوصولي إلى المغرب علمت ببداية حملة الاعتقالات في صفوف المناضلين، وذلك أثناء بداية عملية استنطاقي. لقد أُجْلست على كرسي، وإذا بصوت ينطلق ليخاطبني قائلا: Alors Abdelmoumen ça va?

وهكذا تبينت أن اسمي الحركي لم يعد كما كان سريا، فهو معروف من طرف الأجهزة، ثم أردف الذي كان يستنطقني : أنت هو عبد المومن؟ وأجبته بأن اسمي هو أحمد بنجلون، وفي هذه اللحظة، ومن غير أن أتوقع ذلك، شعرت بصفعة قوية تنزل علي من الخلف في أذني الاثنتين، كانت صفعة شديدة وعنيفة وغير منتظرة، ونزلت علي دفعة واحدة ككفي كماشة. بعد أن تلقيت هذه الصفعة، سقطت العصابة السوداء التي كانت على عيني، أو بعبارة أدق انحلت بعض الشيء، وهبطت قليلا عن عيني، فرفعت رأسي ببطء، وتطلعت إلى من يقف أمامي ويستنطقني، فإذا بي أجد أمامي الجنرال أوفقير بدمه ولحمه يسهر على استنطاقي، وكان إلى جانبه شرطيان، واحد على يميني والثاني على يساري، وبمجرد ما اطلعت على وجهه، وخوفا من أن يتبين أنني عرفت بأنه هو الذي يستنطقني، فيأمر بتصفيتي حفاظا على الأسرار، أحنيت رأسي، وكأنني لم أره ولم أتبين وجهه، فلما ألقي علينا القبض في إسبانيا وتم تسليمنا إلى المغرب كنت أعتقد أننا انتهينا وأن مصيرنا المحتوم هو الموت .

س : ألم يكن المغربي يتوفر على أي ضمانة تؤمن له حماية ما، ولو في حدودها الدنيا والمتمثلة في الحفاظ على حياته، كان بالإمكان بسهولة قتله؟

ج : لم تكن هناك أي ضمانة على الإطلاق، لقد كان بإمكان السلطة أن تفعل في الإنسان ما تشاء، والأكثر من هذا، فإنها فعلت فينا ما شاءت لها أهواؤها، لقد قضيت سنة تقريبا وأنا في الاعتقال السري تحت التعذيب والاستنطاق، قبل أن نخرج إلى العلن عند قاضي التحقيق، ونحال على المحكمة، لكي تقول كلمتها فينا. المهم هو أن أوفقير أخذ يسألني عن بعض الأسماء الحركية في تنظيمنا مثل الحاتمي وغيره، وقد تأكدت ساعتها أن جميع أسمائنا الحركية معروفة، خصوصا أولئك الذين كانوا معنا في المعسكرات الفلسطينية، وأن أصحابها اعتقلوا. بعد هذه الوجبة الأولى التي كانت تحت إشراف الجنرال أوفقير، تم نقلي إلى دار المقري في جلباب صوفي، وكان قبه مربوطا على وجهي، وكنت محاطا برجلي شرطة، ولما وصلت إلى دار المقري رُبطت بالسلسلة التي كانت في رجلي بقضبان حديدية، بالإضافة إلى القيد في اليدين والعصابة في العينين، وبقيت بالسلسلة إلى أن أحلت على السجن بمراكش، حيث أثرت ضجة كبرى، وأخذت أصرخ وأصيح وأسب وألعن داعيا إلى تخليصي منها.

س : هل كان كل المعتقلين السياسيين الذين ألقي عليهم القبض يقضون وقتهم مثلك بالعصابة في العينين والقيد في اليدين والسلسلة الحديدية في الرجلين؟

ج : بالنسبة للسلسلة الحديدية كنت أنا الوحيد صاحب هذا الامتياز ، وكذلك سعيد بونعيلات فيما أظن، لقد كانوا يعتبروننا أخطر العناصر في المجموعة التي وقع اعتقالها.

س : حول ماذا كانوا يستنطقونكم؟

ج : حول التنظيم السري الاتحادي، وحول التنظيم المسلح وهياكله وأفراده ومجموعاته والأسلحة التي اتهمنا بأننا كنا ننوي إدخالها للمغرب.

س : هل كانوا يعذبونكم للاعتراف بهذه التهم؟

ج : كان التعذيب قاسيا وجهنميا إلى درجة أنني كنت في كثير من الأحيان أفضل الموت على الاستمرار في الحياة تحت هذا التعذيب .

س : ما هي أقسى درجات التعذيب؟

ج : لا أتحمس للحديث عن هذا الموضوع لكي لا يفهم من كلامي أنني أريد أن أحصل من خلاله على منفعة أو امتياز، ثم إن الحديث عنه لا يمكن أن يستوفي الغرض، ويتمكن الإنسان من خلاله من نقل الإحساس الذي يعانيه عندما يمارس عليه، فلا يمكن وضع معيار لقياس درجات التعذيب وتحديد ما هي أقساها، فكل درجات التعذيب قاسية وظالمة، فأحيانا مجرد الشتم والسب يمكن أن يسبب تعذيبا نفسيا كبيرا للإنسان، فالتعذيب عمل وحشي وغير مقبول، وبمجرد الحديث عنه أشعر بالألم، فأنا شخصيا وصلوا معي إلى درجات عالية جدا من التعذيب لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها. لقد وصل الأمر من كثرة الضرب على قدمي إلى درجة أنهما اسودتا وتعفنتا، وأخذ الدود يخرج منهما، ولأنني لم أعد أطيق الألم الذي كان يأتيني منهما، وصرت أقضي الليل والنهار في الصراخ، فإنهم أزالوا لي بواسطة مقص القشرة السوداء التي كانت تغطيهما، وصبوا الكحول عليهما، وشعرت ساعتها وكأن نارا حقيقية تلتهمني من قدمي إلى آخر شعرة في رأسي، وجاء وقت فقدت فيه الإحساس الكلي بأطرافي العلوية، وأصبحت عاجزا عن تحريكها، بل صرت على وشك الموت، فأخذوني إلى المستشفى، وهناك فحصني طبيب، أدركت فيما بعد أنه شقيق جلاد مشهور، ولأنه كان يضع خبرته العلمية رهن إشارة الجلادين، وكانوا يستشيرونه في أوضاعنا الصحية، فإنه نصحهم بالكف

عن تعذيبي، ودعاهم للعناية بي لاسترداد البعض من عافيتي، وفعلا هذا ما حدث، إذ تم الاهتمام بي أكلا وتطبيبا إلى أن استرجعت جزءا من سلامتي الجسدية، ثم فحصني نفس الطبيب مجددا، وأعطاهم الإشارة، فاستؤنف التعذيب مجددا.

لا يمكن للكلمات، مهما كان مستوى دقتها وقوتها التعبيرية، أن تجسد أياما وليال من التعذيب، والقهر والإذلال الذي مارسه الجلادون علينا.

س : هل تعرف اليوم الأشخاص الذين كانوا يعذبونك في دار المقري؟

ج : أعرفهم، ويعرفون أنني أعرفهم.

س : ما هي نظرتك إليهم حاليا؟

ج: أشفق عليهم، لأنهم عبارة عن دواب على وجه الأرض.

س : أليس لديك أي حقد عليهم؟

ج : صراحة ليس لدي أي حقد عليهم، أقولها صادقا، لا أكن لهم أي حقد شخصي، ولكن العدالة هي التي يجب أن تقتص منهم، هذا إذا كانت هناك عدالة دنيوية في بلادنا، لأن البعض منهم سلط الله عليهم العقاب في الدنيا، وتجلى العقاب في ذريتهم، وهؤلاء يعرفون أنفسهم، ولاشك أنهم سيدركون بأنني أعنيهم بهذا الكلام .

س : وهل سبق لك أن التقيت بالبعض منهم؟

ج : التقيت بالبعض منهم (قالها بابتسامة عريضة وبانشراح واضح) ، واعتذروا لي، وقالوا لي إنهم كانوا ينفذون الأوامر، ولكن الأمر يتعلق دائما بصغار الموظفين، أما الكبار والآمرون، فلم يسبق لي أن التقيت بأي أحد منهم.

س : كيف تمت إحالتكم على المحكمة؟

ج : كانت المحاكمة في مراكش، ولقد تم شحننا إلى هناك، وحدث ذلك في شهر يناير، أي أن الطقس كان باردا جدا، لقد وضعنا في فاركونيتات، وتم قذفنا في داخلها، وكأننا قطيع من الغنم في طريقه إلى السوق أو إلى المجزرة.

س : من هو القاضي الذي مثلتم أمامه؟

ج : القاضي اللعبي.

س : ما هي التهم التي كان يوجهها لكم؟

ج : محاولة قلب النظام القائم، لإحلال نظام جمهوري اشتراكي مكانه، محاولة القتل العمد، حمل السلاح، تزوير وثائق رسمية واستعمالها مثل جوازات السفر، لقد وجدوا عندي حوالي 300 بطاقة وطنية، ولائحة للأسلحة كان المرحوم بنونة قد نسيها عندي، لائحة تضم أسماء الأسلحة بكل أنواعها، لقد وجدها الأمن الإسباني في شقتي وسلمها إلى الأمن المغربي.

س : من هم المحامون الذين كانوا يرافعون دفاعا عنكم؟

ج : المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، والمرحوم عمر بنجلون، والأستاذ امحمد بوستة. وكذلك النقيب عبد الكريم بنجلون رحمه الله.

س : وما هو الحكم الذي أصدرته المحكمة ضدك؟

ج : 10 سنوات سجنا نافذا، وكنا في الواقع محظوظين، لأنه خلال محاكمتنا وأثناءها وقعت محاولة الانقلاب التي جرت في الصخيرات، فكانت المحاولة الانقلابية هي السبب في إصدار أحكام ضدنا إلى حد ما مخففة، فقبل أحداث الصخيرات، التمس وكيل الملك أثناء محاكمتنا 71 حكما بالإعدام ، والباقي المؤبد، ولقد كان التركيز شديدا علينا نحن الذين كانوا يعتبروننا أصحاب الخارج، فالحكم بالإعدام علينا كان واردا بشكل كبير جدا.

ولكن المحاولة الانقلابية التي جرت في الصخيرات غيرت مجرى الأحكام، وفرضت مسارا آخر للأحداث، لقد انطلقت المفاوضات والاتصالات بين القصر والحركة السياسية. ولذلك جاءت الأحكام الصادرة ضدنا آخذة بعين الاعتبار المستجدات التي طرأت، وحتى بونعيلات الذي كان الوحيد الذي صدر ضده حكم بالإعدام، تم العفو عنه شهورا بعد ذلك .

س : لماذا حكم على سعيد بونعيلات لوحده بالإعدام؟

ج : لا أعرف الجواب المضبوط، ولكن أظن أنه كانت له سوابق .

س : وكلمتك الختامية؟

ج : كلمتي الختامية أريد أن أقولها للتاريخ، فالذي كان ملحا على تسليمنا للمغرب هو الوزير الأول الإسباني آنذاك كاريرو بلانكو، ولقد جرى تسليمنا، كما بلغنا فيما بعد، في إطار صفقة عقدت بين المغرب وإسبانيا، وكان عبد اللطيف الفيلالي سفيرا للمغرب بمدريد، وكانت المفاوضات جارية بين البلدين حول منطقة إفني وملف الصيد البحري، وجرى البحث في تسليمنا إلى المغرب، فوافق الوزير الأول الإسباني بحماس على التسليم.

وفي سنة 1972 زف إلي وأنا في السجن المركزي خبر يفيد بأن كاريرو بلانكو تعرض لعملية اغتيال بتفجير لغم تحت سيارته، حيث ارتفع جسمه حوالي 8 أمتار، وتشتت في الفضاء، وأعلنت منظمة إيتا الباسكية مسؤوليتها عن الاغتيال، ولقد طلبت من أسرتي أن تحضر لي الحلويات، وأقمت بمناسبة اغتياله احتفالا كبيرا في السجن. فالخلاصة مما قلته عن كون تسليمنا تم في إطار صفقة عامة بين المغرب وإسبانيا، هي أننا لم نكن ضحايا لأوفقير وحده، كما يتم التأكيد على ذلك في مختلف المناسبات وبشتى الوسائل، لقد كنا ضحايا لآخرين، وهؤلاء منهم من كان يشتغل في الأمن، ومنهم من كان يشتغل في الديبلوماسية، وهناك من كان إعلاميا، فكل واحد من هؤلاء كان يقوم بالدور الموكول إليه، والهدف كان طبعا، هو سحقنا والقضاء علينا.

عبد القادر الشاوي

كنا نخطط لخوض حرب تحرير شعبية
طويلة الأمد من أجل تغيير النظام

س : الأستاذ عبد القادر الشاوي نود أن نفتتح معك هذا الحوار بالسؤال التالي، في أي يوم وأي شهر وأي سنة وقع اعتقالك؟

ج : كان الاعتقال يوم 13 نونبر 1974 على الساعة العاشرة والنصف صباحا، وكنت في ذلك الوقت أشتغل أستاذا للغة العربية وآدابها بثانوية مولاي إسماعيل بالدار البيضاء، كانت الاعتقالات قبل هذا الوقت قد انطلقت في مدينة الدار البيضاء، في صفوف ما كان يسمى باليسار الجديد أو الحركة الماركسية اللينينية في ذلك الوقت، أي منذ 2 نونبر 1974، وكنا على علم ببداية الاعتقالات وبما تلاها في الأيام الموالية، أعني 3 و 4 و 5 و 6 نونبر، وكانت الدار البيضاء تعيش فيما أذكر على إيقاع مؤتمر قمة عربي، بما يعنيه ذلك من حراسة مشددة، لأسباب تعود في مجملها لمجيء الملك حسين إلى المغرب في تلك الفترة، مع واقع التجربة الفلسطينية في علاقتها مع النظام في الأردن، وأقصد حوادث أيلول الأسود .. كانت الرقابة مشددة على المداخل والمخارج وفي الشوارع، وكانت الاعتقالات من الناحية الزمنية والعملية بدأت في أجواء عقد المؤتمر، فلقد كان رفيقان من منظمة 23 مارس يمتطيان دراجة نارية واستوقفهما في حاجز بعض أفراد الشرطة، ففر أحدهما واعتقل الثاني الذي ظل في كوميسارية المعاريف لمدة تقارب الأسبوع. فاكتشف البوليس أن الرجل لا ينتمي إلى سوس في حين كان يحمل بطاقة تعريف مزورة، وكان لا يتقن اللغة السوسية، وكانت أوراق الدراجة النارية ربما هي أيضا مزورة، واعترف تحت الضرب والتعذيب، أنه ليس تاجرا، وإنما مناضل سياسي ينتمي إلى حركة سياسية ، وهكذا انطلقت الاعتقالات يوم 2 نونبر.

س : أنت شخصيا هل كنت تتوقع أنه سيتم اعتقالك؟

ج : كنت أتوقع ولا أتوقع، أتوقع بحكم ارتباطي بالمنظمة وعملي في إطار من إطاراتها، وكنا نعلم بحكم العمل المتشعب واليومي والمتواصل أن الاعتقال قد يأتي في يوم من الأيام بسبب ارتباطنا بالعمل النقابي والعمل السياسي السري، ووجودنا في النقابة الوطنية للتلاميذ وقطاعات أخرى من

القطاعات التي كان اليسار حاضرا فيها في تلك الفترة بنوع من القوة، ولكن شخصيا كنت شبه متأكد أن البنية التي تحكم عملنا العام، بنية محكمة، وبالتالي من الصعب أن يقع اختراقها بالسهولة التي تم اختراقها به في تلك الفترة، كنا نحمل أسماء حركية، ولا نعرف بعضنا البعض بأسمائنا الحقيقية، والذي كان يربطنا هو المنسق...

س : اعتقادك بأن التنظيم كان محصنا ضد الاختراق من طرف الأجهزة الأمنية، ألا يمكن لهذا الاعتقاد أن يكون مؤشرا على نوع من السذاجة السياسية باعتبار الطاقة الهائلة للاختراق التي تتوفر عليها الأجهزة الأمنية، أطرح هذا السؤال لتجيبني انطلاقا من الوعي الذي لديك الآن..

ج : السذاجة ربما تعود إلى طبيعة البنية التنظيمية نفسها التي كانت تتحكم فيها المركزية الديمقراطية، فهناك عزلة للإطارات عن بعضها البعض، وأشكال للتنسيق محكمة، وهذا كله كان يجعلنا نعتقد أن أي أحد ألقي عليه القبض سيقدر على الصمود، ثم إنه ليس له معرفة بباقي عناصر التنظيم الأخرى، وحتى إذا اضطر لإعطاء بعض المعلومات، فهو سيقدم المعلومات في حدود ما يعرف، ولكننا كنا أيضا لا ننسى أن هذا الذي يواجه البوليس هو فرد من دم ولحم، وأن الشرطة تملك أساليب إرهابية وقمعية تمكنها بأشكال معينة من انتزاع الاعترافات، وبالتالي الاختراقات، وهذا ما حصل.

س : وبالنسبة لليوم الذي اعتقلت فيه أين كنت ومع من كنت؟

ج : بدأت الاعتقالات يوم 2 نونبر، إذ داهم البوليس مقر القيادة الوطنية، وحاصر مقراتها واعتَقل عددا من المناضلين، وكنت على علم بالاعتقالات، ومع ذلك سافرت إلى مدينة فاس، ليس طمعا في الهروب من باب الاحتياط، ولكن احتراما لبعض الالتزامات التي كان علي إنجازها في فاس. ومكثت فيها حوالي أسبوع من 2 إلى 11 نونبر، وأظن أن تاريخ 21 كان يوم أحد، ويوم 13ذهبت للثانوية، مع علمي أنه من الممكن أن يكون البوليس في انتظاري بالثانوية...

ذهبت معتقدا أنه من 2 إلى 13 نونبر كانت مدة زمنية معقولة لكي يطمئن الإنسان إلى عدم وجود أشكال واضحة للمتابعة، كما حصل للكثيرين . دخلت إلى الثانوية، ودخلت بشكل عادي إلى القسم، ودرست من الثامنة إلى العاشرة، وخرجنا للاستراحة، وبمجرد عودتنا من الساحة إلى القسم حدث ما حدث ...

س : نودي عليك من القسم وتم اقتيادك إلى مقر الشرطة؟

ج : لا، دخل البوليس علي إلى القسم، كانوا ثلاثة أفراد، طبعا من المضحكات المبكيات أن التلاميذ وقفوا احتراما وإجلالا لأناس أجانب دخلوا إلى القسم، وسألوني عن إسمي وإن كنت أنا هو عبد القادر الشاوي، وكان ردي بالإيجاب، فطلبوا مني أن أرافقهم إلى الكوميسارية لغرض يخصني، وكذلك حصل، فلقد رافقتهم حيث يريدون، ولأنهم كانوا قد أخبروا الإدارة بنيتهم في اعتقالي، فإنني وجدت المدير والمعيدين والموظفين ينتظرون ويراقبون ما يجري، وخرجت مع البوليس أمام الجميع وكأننا في موكب.

س : قانونيا يتعين على المدير ألا يسمح لرجال الأمن باقتحام القسم وأخذ أستاذ من بين تلامذته؟

ج : هذا على المستوى النظري، أما في الواقع، ففي تلك الفترة لم يكن هناك وجود لشيء اسمه الحرمة، لا حرمة الأشخاص، ولا المؤسسات، ولا الفضاء، لقد خرجت معهم وركبنا مباشرة في سيارة من نوع فيات 1 25، كنت وسط رجلي أمن في المقاعد الخلفية، وكان السائق لوحده أمامنا يقود السيارة، وبمجرد خروجنا من الثانوية غطوا رأسي، وانطلقت السيارة إلى أن اكتشفت أنني موجود بدرب مولاي شريف.

س : حين دخل عليك رجال الأمن إلى القسم وقدموا لك أنفسهم هل أدركت بأنك في طريقك لاعتقال سياسي؟

ج : كان القسم حيث دخلوا علي، يوجد بالطابق الثاني، ولم تكن هناك أي إمكانية لأي حل آخر، فبمجرد ما قالوا لي أنت هو فلان وقلت لهم نعم، طلبوا مني أن أرافقهم، فوافقت في الحال، لقد وجدت نفسي أمام أمر واقع...

س : قبل هذه اللحظة ألم تكن تشعر بأنك مطارد أو متابع أو مراقب من طرف أجهزة البوليس؟

ج : الذي حصل هو أنه في فاتح مايو 1973 خرج اليسار الجديد في هذه المناسبة بقوة وبحجم مهمين، فقطاعاته في التعليم والشبيبة ظهرت في حجم ملفت للانتباه، وفي هذا اليوم انتبهت إلى أنني قد أكون متابعا، رغم أنني كنت رجل تعليم، وأكتب.

س : كنت تمارس السياسة وعلى بينة من نوعية التحركات السياسية التي تقوم بها وكذا من مضامينها ومما يمكن أن يترتب عنها، فكيف حدث وانتظرت إلى هذا اليوم لتكتشف أنك قد تكون متابعا؟

ج : كنا نمارس السياسة في نطاق سري في اجتماعات منظمة وفي القطاعات التي كنا متواجدين فيها، ولكنني لم أكن أقوم بالفعل المباشر، فأنا لم أكن أوزع المناشير مثلا، ولكنني كنت، إن جاز هذا التعبير، من المؤطرين. ولكن في فاتح مايو وبما أن المنظمة واليسار قرروا أن ينزلوا بثقلهم الكلي، فإن ذلك اليوم كان مهما في نظري بالنسبة للأجهزة التي تراقب وتحلل المشهد السياسي والقوى التي تظهر، في ذلك اليوم اكتشفت أنني من الممكن أن أكون متابعا.

س : كيف؟

ج : حصل أثناء ذلك الفاتح من مايو أنني قررت أن أسافر أنا ورفيق لي إلى الجنوب وبالتحديد إلى طانطان، لقد سافرنا في مهمة نضالية، ولكنها كانت في الواقع بمثابة عطلة، وحين عدت اكتشفت لأول مرة أن باب المنزل حيث أقطن كان مفتوحا، ولما دخلت وجدت جميع الأمور مرتبة ، وكان لنا في المنزل نشرات سرية للمنظمة، ومنها نشرة داخلية مهمة بين تنظيم 23 مارس وإلى الأمام، بين ألف وباء، ومجلات. أي أنني كنت أتوفر على وثائق سرية. أول إجراء قمت به هو أنني غيرت المنزل الذي كنت أسكن فيه.

س : حين دخل البوليس إلى المنزل الذي كنت تسكن فيه وعثر على الوثائق السرية التي كانت في حوزتك، ألم يأخذ معه البعض منها؟

ج : لم يأخذوا معهم أي شيء، ولكن من خلال التحليل الذي أنجزناه في تلك المرحلة استنتجنا أن البوليس قام بتصوير الوثائق وتركها حيث هي. لم أعد أقطن في ذلك المنزل غادرته، وأصبحت أشعر أنني مراقب من طرف الأجهزة السرية.

س : هذا يعني أنه كان بالنسبة لك في حكم الوارد أن تعتقل في أي وقت؟

ج : لا ليس إلى هذا الحد، ولكن كما أسلفت فابتداء من فاتح مايو 1973 بدأنا في أخذ بعض الاحتياطات كأفراد، كنا نعتقد أنه يحوم حولنا نوع من الاشتباه، فمثلا إعطاء موعد لرفيق آخر كان

يتم بحسابات معينة، وبكود معين، وبرموز محددة، وللوصول إلى اجتماع من الاجتماعات كنا نقوم بمعقد بعض الشيء، كأن نمتطي الأطوبيس مثلا، ثم الطاكسي فيما بعد، ونغير الاتجاهات.

كنا نقوم بمجهودات حقيقية للتخفي لكي يظل الإنسان بمنأى عن البوليس والمراقبة، ولكن أظن أن المسألة التي كنا في غفلة منها، مثلنا مثل باقي الحركات السرية، هي أنه مهما كانت حديدية التنظيم والحصانة التي يمكن أن يتمتع بها، فمع ذلك وبما أنه هو تنظيم للبشر، ومناضلوه من دم ولحم، فإنه يمكن أن يجد نفسه في أي لحظة من اللحظات أمام آلة رهيبة تخترقه، لأنها لا تقيم حسابا لدم ولحم البشر، وذلك بحكم إرهابها من أجل الحصول على المعلومات التي تبحث عنها.

س : التقارير والمناشير التي كانت في حوزتك بالمنزل والتي قام البوليس بتصويرها، هل كانت لوحدها كافية لكي تقدم ضدك ورفاقك كأدلة إثبات لتوجيه تهم ما لكم...؟

ج : كانت لدينا مجلات غير مرخص بها، وغالبية تلك المجلات كانت تضم جانبين أساسيين، جانب حركي مرتبط بالنضال اليومي بما في ذلك البيانات ومواكبة النضالات، وجانب يكاد يكون شبه نظري مرتبط بالبرنامج المعلن لهذا اليسار، ماذا كان يريد أن يفعل؟

لقد كان هناك تأكيد على إقامة نظام جمهوري، وتأكيد على تحالف العمال والفلاحين، والحزب الثوري، وكانت هذه الأشياء معلنا عنها في وثائق اليسار، وكان مفهوما أننا نعمل من أجل قيام جمهورية ديمقراطية شعبية، وأن الطريق السهل للوصول لهذه الغاية هي بناء حزب العمال والتحالف مع الفلاحين الفقراء، وخوض حرب قد تكون حرب تحرير شعبية طويلة الأمد من أجل إنشاء الجمهورية، وضمنيا كان ذلك يعني القضاء على النظام القائم ومحاولة تغيير الوضع بالقوة.

س : راج أثناء إلقاء القبض عليكم أن السبب الذي كان وراء الاعتقال هو موقف تنظيمكم من قضية الصحراء، بحيث شككتم في مغربيتها في وقت كان المغرب يتأهب لتنظيم المسيرة ولخوض حرب من أجل استرجاعها ... هل فعلا موقفكم من قضية الصحراء هو الذي كان سببا حاسما في اعتقالكم؟

ج : الظرف الذي تم اعتقالنا فيه، كانت فيه قضية الصحراء مطروحة بحدة، وأكثر من هذا لعبت الأحزاب السياسية دورا أساسيا في التعبئة وراء النظام في التعبير عن موقف وطني متشبث بمغربية الصحراء. لقد كان هناك جو من الاستنفار، ولكن من الناحية العملية كان الاعتقال لأخطاء تقنية.

س : أسأل عن الاعتبارات السياسية التي أدت إلى الاعتقال، ألم تكن لقضية الصحراء والموقف الذي كان لكم منها، الدور الحاسم في اعتقالكم؟

ج : من المؤكد أن الصحراء أعطت لاعتقالنا معنى أقوى، لقد تم الترويج لكون الشرطة ألقت القبض على مجموعة من الخونة يشككون في مغربية الصحراء ويعارضونها ويطرحون مبدأ تقرير المصير . من الممكن أن هذا جانب له أهمية في اعتقالنا، فلقد لعبت الصحراء دورا أساسيا، ولكن من الناحية التقنية كانت الاعتقالات لأخطاء تقنية، لها طبيعة بشرية.

س: كنتم تدعون إلى إنشاء نظام جمهوري وتفكرون في خوض حرب تعتبرون أنها حرب تحرير شعبية من أجل الوصول لغايتكم هذه، كيف كانت نظرتكم كيسار للأحزاب السياسية المغربية؟

ج : أظن أن الحركة الماركسية اللينينية في تلك المرحلة، خصوصا بعد أن تمت هيكلتها في تنظيمات، كانت على شبه إجماع بأن الأحزاب التقليدية المسماة آنذاك بالإصلاحية أفلست إفلاسا تاريخيا، وهذا خطاب كان معمما ليس في المغرب وحده، ولكن أيضا حتى في المشرق بارتباط مع الحركة الفلسطينية وأساسا مع يسارها. كنا نعتبر أن الأحزاب في ذلك الوقت، سواء كانت وطنية أو إصلاحية أو شيوعية، أفلست في إنجاز المهمة المفروض فيها إنجازه، ألا وهي الثورة الوطنية الديمقراطية، وأن اليسار، نتيجة لهذا الإفلاس، يطرح نفسه كبديل موضوعي يعبر عن طموحات وأماني الشعب في بناء نظام مختلف، وفي تحقيق مشروع مجتمع مختلف، في الدفاع عن قيم مختلفة..

ما هي الوسائل وما هي الأدوات؟ لقد تكلمنا عن الحزب وعن تنظيم الطبقة العاملة وتحالفها مع العمال، وتكلمنا عن حرب التحرير الشعبية للوصول إلى الجمهورية، لقد كانت هذه هي الوسائل المفكر فيها، ولكن ربما الذي لم يكن مفكرا فيه هو هل هذه الوسائل، أمام جهل قد يكون فظيعا بالواقع المحيط، من الممكن أنها ستؤدي إلى نتيجة ما أم لا؟!

س : الأحزاب التي كنتم في الحركة الماركسية اللينينية تنعتونها بالإصلاحية وبالمفلسة كانت هي بدورها تعاني من الحصار والقمع، وكان مناضلوها يعانون من الاضطهاد والسجون.. واقع هذه الأحزاب ألم يكن يثير لديكم بعض الالتباس والتشويش حول كيف يمكن أن يكون مفلسا وإصلاحيا من يحارب ويحاصر ويسجن؟

ج : كان استنتاجنا قائما بناء على تحليل كنا نسميه التحليل الملموس للواقع الملموس، كنا نطرح

السؤال التالي: ما هو التناقض الموجود في البلاد؟ التناقض بالنسبة لنا كان يتحدد على أساس أنه تناقض للشعب المغربي ضد النظام، وأن كل من يتعامل مع النظام، سواء عن طريق المفاوضات أو المؤسسات المزورة من نوع برلمان 70 أو ما قبله .. هي قوى ذيلية تابعة للنظام، وأن الأفق لبرنامجها هو إصلاح النظام وليس تغييره، في حين كان اليسار يدعو لتغييره.

فبالنسبة لنا كان الأمر يتلخص في كون النظام استبداديا يتعين تغييره بنظام بديل بأسس وقواعد أخرى، فالأمر كله إذن كان مبنيا على تحليل لطبيعة التناقض من وجهة نظر الماركسيين الذي يخترق بنيات المجتمع، فالتناقض كان بين الشعب، بين الجماهير والقوى الشعبية والنظام، ومن هذه الزاوية كل من يتعامل مع النظام كان بالنسبة لنا يعتبر محسوبا عليه، أو أنه يريد إصلاحه، أي أنه لم يكن صاحب أفق ثوري ولكنه إصلاحي. فاليسار بهذا المعنى، كان يعلن القطيعة، لقد كان يعتبر أن المهمة المركزية للطليعة الثورية في البلاد، هي إزالة هذا النظام لإقامة نظام بديل.

س : حين تم اعتقالك ثم اقتيادك لمركز الشرطة، ما هي الإجراءات الأولية التي وقع اتخاذها في حقك من طرف البوليس؟

ج : بطبيعة ظروف الاعتقال كان البوليس في حاجة ماسة لمعرفة جميع المعطيات بالسرعة اللازمة، حول هذه الحركة البعبع التي وقع عليها ، فأنا وغيري بمجرد ما أن نصل إلى الكوميسارية كانت العصابة السوداء توضع على أعيننا وتنطلق آلة التعذيب، فالبوليس كان يريد أن يحصل على كل المعلومات اللازمة عنا، لأنه كان يطمح إلى اعتقال المزيد وكل من له علاقة بحركتنا، ففي أول وجبة للتعذيب يتم تقرير مصيرك، إما أنك ستعترف تحت التعذيب بأنك في الحركة وتعلن عن ارتباطاتك وخططك ومشاريعك، وإما أن لا تعترف.

وبطبيعة الحال من الصعب على المرء، أن يقول إنه لم يعترف، ولكن الاعتراف فيه درجات، فهناك من يعترف بالحد الأدنى مما يملك، وهناك من، لاعتبارات إنسانية مبررة ومقبولة، اعترفوا بكل المعلومات التي كانت في حوزتهم، وذلك للتخلص من شدة القمع المسلط عليهم، والأمر كان متروكا لتقدير البوليس، فإذا لاحظوا أنك أدليت بكل ما تملك من معلومات فإنهم يتوقفون عن التعذيب، وإذا تهيأ لهم أنك مازلت تملك معطيات مخفية فإن القمع يستمر والتعذيب لا يتوقف. وهكذا ظل الوضع على هذا الحال طوال المدة التي قضيناها بدرب مولاي الشريف.

س : كم كانت المدة التي قضيتها في درب مولاي الشريف؟

ج : سنة تقريبا، وهناك من قضى أكثر.

س : هل يمكن الأستاذ عبد القادر أن تصف للقارئ فضاء درب مولاي الشريف؟

ج : درب مولاي الشريف عبارة عن كوميسارية في الحي المحمدي، كوميسارية كانت رسمية، ولكن انطلاقا من فترة محددة بدأ استعمالها معتقلا سريا، وكان أفراد من قوات التدخل السريع يسكنون فوقها، ولكن البوليس كان يأخذ المعتقلين للبناية السفلية التي كانت عبارة عن مكاتب وممرات، وكان المعتقل يدخلها معصوب العينين، بحيث لا يعرف في أي جهة من الدار البيضاء يوجد، أما إذا كان من مدينة أخرى فإنه لا يكون على علم بالمدينة التي نقل إليها، ولما زج بنا في المعتقل، علمنا بعد وقت وجيز بأننا في درب مولاي الشريف، لقد التقيت بمعتقلين جيء بهم من وجدة أو مراكش، لم يكونوا يعرفون هل هم في الدار البيضاء أم الرباط أم ماذا ...

س : ما هي أشكال التعذيب التي يتعرض لها المعتقل السياسي أثناء إلقاء القبض عليه؟

ج : أول شكل من أشكال التعذيب هو تلك الطريقة الهمجية التي يلقى بها القبض على المناضل، إذ بمجرد ما يقع بين أيديهم، ولكي يستنفروا فيه كل أشكال الاستسلام، ينطلق مسلسل من الضرب المجاني والعشوائي، ويمكن أن تتلقى الضربات في العين أو الرأس أو الأنف.. فسواء في منزلك، أو في داخل السيارة التي تنقلك صوب الكوميسارية، يسعى رجال الأمن إلى إشعارك بأنك انتهيت وأصبحت ضحية وعدوا لهم.

س : هذا السلوك العدواني الذي يظهره البوليس منذ الوهلة الأولى تجاه المعتقل، هل هو في رأيك سلوك تلقائي تعودوا عليه بالممارسة، أم أن الأمر يدخل في سياق مدروس ومخطط له وبتوجيه من كبار المسؤولين؟

ج : أعتقد أن الأمور تصاغ على النحو التالي، فبالنسبة لهم، يبدو لهم أنهم وضعوا أيديهم على عصابة من المجرمين، ولذلك فإنهم ينفخون في الجريمة وفي العصابة، ويزعمون بأن هؤلاء الناس يريدون قتل الملك وزرع الفوضى في البلاد، أي أنه يكون هناك نوع من التحميس والشحن للشرطة، وتكون التعليمات واضحة والمسؤول عنها هو ذلك الذي يقرر فيها، هذا الشكل الأول.

أما الشكل الثاني فإن المعتقل عندما يدخل إلى درب مولاي الشريف، بمجرد أن تطأ قدماه هذا المكان، فإنه يكون بالعصابة السوداء على العينين والقيد في اليدين، ويتم التوجه به إلى حيث يمارس

التعذيب، بأشكال مختلفة مثل الفلقة المباشرة، مثل «البيروكي» أي تربط من يديك ورجليك في عمود أفقي يقف على عمودين، ويكون رأسك تقريبا ملتصقا مع يديك ورجليك والظهر مقوس، ويقع الضرب على القدمين، وهو أقسى أنواع الضرب، ويتم أحيانا بشكل بطيء وفي بعض الأحيان يضيفون الماء والملح . فمنذ الوهلة الأولى تفقد الإحساس بقدميك وتصبح عاجزا عن الوقوف، وهناك الطائرة، أي حالة «البيروكي» معكوسة...

س : التعذيب يشرف عليه فرد أم مجموعة؟

ج : في الغالب تمارسه مجموعة، هذا بالإضافة إلى الصعق بالكهرباء و الشيفون، وتكون عقب كل فترة زمنية أسئلة تطرح على الذي يخضع للتعذيب، والجواب عليها هو الذي يقرر الاستمرار أو التوقف عن التعذيب...

س : وما هي نوعية الأسئلة التي كانت تطرح عليك حين كنت تخضع للتعذيب؟

ج : أسئلة تبدأ بالتعرف على أسماء معينة، ما هي الأماكن التي لكم فيها خلايا، أسئلة من هذا النوع مرتبطة بك وبمحيطك، ومن أقسى لحظات التعذيب هو أن يواجهوك بشخص من التنظيم، ويصرح لهم أمامك هذا هو فلان المسؤول عن التنظيم، وهو الذي كان يشرف على كذا وكذا، وهو الذي كان يقول لنا افعلوا هذا الشيء ولا تفعلوا ذاك، ساعتها تكون أمام اعتراف لرفيق لك،

ويصبح كل صمود أو إنكار من جانبك بلا معنى، ولقد حصل هذا للكثير من المناضلين، فأمام الإنكار التام والصمود، كان يتم هزمهم بمعلومة دقيقة عنهم كان يقدمها واحد من رفاقهم.

س : هل تكون الغاية من التعذيب نزع الاعترافات من المعتقل، أم أن الهدف منه يصبح أحيانا التعذيب من أجل التعذيب؟

ج : أظن أن للتعذيب ثلاثة أهداف، الهدف الأول والعملي هو انتزاع الاعتراف بأي ثمن، فالتصعيد في التعذيب يرتبط بالصمود أو الاعتراف، فكلما أنكر المعتقل إلا ويزداد مستوى التعذيب، هذا الهدف الأول، أما الهدف الثاني فهو يسعى إلى هزم الفرد وتحويل المناضل من دوره كإنسان يدافع عن قيم وعن آمال وتطلعات إلى حشرة معلقة تتعرض للضرب، فالهدف هو ترسيخ أن لا حول ولا قوة للمناضل أمام هول آلة جهنمية تمارس التعذيب، وهذا الإحساس ينعكس على الذات بكثير من الألم، فالشعور بالضآلة والانهزام شيء فظيع للغاية ويريد أن يرسخه الجلاد كقناعة في داخل الفرد المناضل.

أما الهدف الثالث من التعذيب فهو إظهار أن المؤسسة القائمة على التعذيب مؤسسة جبارة وعالمة وعارفة بكل شيء وتستطيع أن تصنع كل شيء وأن الفرد ليس له أي مجال للمقاومة أمام هذه الآلة الغامضة، وربما هذه الأهداف الثلاثة هي التي تتداخل وتتشابك وتنتج في بعض الأحيان أشكالا وأنواعا سوريالية من التعذيب، فيها سادية غريبة.

س : هل يمكن لبعض المناضلين أن يصمدوا أمام آلة التعذيب وألا يعترفوا لها بأي شيء مهما كان بطشها؟

ج : هذا ممكن، ولكنني أعتقد أن العمل السياسي هو في نهاية المطاف عمل بشري وجماعي، ولهذه الطبيعة تكون فيه اختراقات، لذلك يصبح صمود بعض الأفراد أمام عنف التعذيب، مهما كان خارقا وأسطوريا، صمودا نسبيا، وفي الأول وفي الأخير ما هو الصمود؟ هو القدرة التلقائية التي يستشعرها كل فرد أمام خطر ما لحماية نفسه، وربما حماية ما يحيط به، وطبعا درجة الصمود تختلف من فرد لآخر، وهو ليس مرتبطا بالبنية الجسدية ولكن بدرجة معنوية ما.

ويمكن أن أقول إن الصمود يمكن أن يكون فكرة وهمية، لأنه يتم من طرف جسد أمام آلة جهنمية تستعمل أساليب غير إنسانية لانتزاع الاعتراف بالتعذيب، فالذي يضرب مثلا مناضلا بالمطرقة في رأسه، فهو يضربه بآلة حديدية، ورأس المناضل ليس إلا دما ولحما وعظما، فأي معنى لصمود الرأس أمام المطرقة، كيف يمكن أن يكون هذا الصمود؟

س : وماذا عن طبيعة العلاقة التي تكون قائمة خلال التعذيب بين الجلاد والفرد الذي يخضع للتعذيب، هل تظل دائما محصورة في الضرب والشتم والسب، أم أنها يمكن أن تتجاوز هذا المستوى إلى مستويات أخرى، كالإشفاق والتعاطف... ؟

ج : ليس هناك تعريف محدد لنوعية هذه العلاقة، ففي الدوائر المغلقة حيث يسود القمع والإرهاب والتعذيب، نجد مستويات متعددة لهذه العلاقة، فيها المستوى التلقائي الذي يتجلى في كون الجلاد له أوامر تلقاها للضرب والتعذيب بدون كلام ولا ابتسامة ولا رحمة، وفيها مستوى ثان، فنحن في درب مولاي الشريف التقينا بأناس كانوا مكلفين بحراستنا وباستنطاقنا، ويمكن أن أقول إنهم كانوا يتحلون بعواطف إنسانية من أنبل العواطف التي يتحلى بها الإنسان الطيب الخدوم المتعاطف مع إخوانه من بني البشر.

كانوا يقدمون لنا مساعدات في حدود ما هو مسموح لهم به، وأحيانا يغامرون ويتجاوزون بكثير ما هو مباح لهم في هذه الدوائر في مدنا ببعض ما نطلب منهم، في حين كان هناك أناس معهم في نفس الفريق، وكانوا من أشرس خلْق الله في تنفيذ التعليمات، بل في الاجتهاد من عندهم لإلحاق أكبر الأذى بالمعتقل.

س : سنة في درب مولاي الشريف من غير أن يعرف الإنسان ما هو مصيره، تبدو مدة طويلة جدا، فكيف يمكن للإنسان أن يتحمل ثقل هذه المدة من الزمن من غير أن يعلم متى ستنتهي، وهل فعلا ستنتهي... ؟

ج : فعلا مدة سنة بدرب مولاي الشريف طويلة جدا، ولكن هذه السنة يمكن للإنسان أن يجزئها إلى مرحلتين، هناك مرحلة تميزت بإيقاع سريع وأعني بها تلك التي ارتبطت بالاعتقالات التي كانت تتم كل يوم.

س : الحركة كانت إذن دائبة بدرب مولاي الشريف...

ج : في فترة من الفترات وصل عدد الذين جيء بهم إلى درب مولاي الشريف حوالي 600 فرد، وكان المعتقلون يتكدسون في الممرات بعد أن امتلأت الغرف الموجودة به عن آخرها، وفي القبو، وفي كل زاوية من زواياه، وكان ذلك فيما أظن في يناير 1975، فهذه كانت هي المرحلة الأولى المرتبطة بالتحقيق والاعتقالات والتي كان ينبغي في نظر البوليس أن يتم خلالها تطويق هذا البعبع المسمى الحركة الماركسية اللينينية.

والمرحلة الثانية كانت هي تلك المتعلقة بالتحقيق التفصيلي، فبعد أن سيطر البوليس على الوضعية وقام بحملة من الاعتقالات، انطلق في استنتاج الخلاصات الضرورية، على التنظيمات وملئه بالأشخاص الموجودين والفارين وبطبيعة التنظيم وماذا كان يريد، وذلك لتقديم الذين ألقي عليهم القبض للمحاكمة، فهذا إجراء كان لا مفر منه، وكان ينبغي أن يحالوا بناء على محضر مفهوم وواضح، وهذا ما تم.

س : كيف كانت التغذية في درب مولاي الشريف، ما هو الطعام الذي كان يقدم لكم هناك؟

ج : في الصباح كنا نتناول الخبز والشاي، خبزة معجنة كولها ولاخليها، وفي الظهر كانوا يقدمون لنا القطاني وكذلك في الليل، فإما الحمص أو العدس أو اللوبية، أو الأرز، والفول.

س : حتى في الأعياد الدينية وفي المناسبات الوطنية؟

ج : لم يكن هناك فرق بين الأيام وحتى في المناسبات الوطنية والأعياد الدينية كنا نتناول نفس الوجبات، وكنا نرتدي بذلة لها لون كاكي، وكان يعطى لكل سجين رقم، وبه كان يعرف وينادى عليه وليس باسمه. في المرحلة الأولى للاستنطاق كان يتم التنسيق فيما بيننا لإنقاذ قضية من القضايا، كان التنسيق يتم بطرق مختلفة، رغم أن الظروف كانت صعبة، لأن الحراسة كانت دائمة والنور لا ينطفئ، والعصابة فوق عيني كل واحد منا، ولكن مع ذلك كان يتم استغلال بعض الفراغات للتنسيق.

وفي المرحلة الثانية خلقت أشكال للتضامن والتآزر ولتمضية الوقت، فالذين سبق لهم أن كانوا يكتبون، حتى في داخل درب مولاي الشريف تمكنوا من تنظيم قصائد من خيالهم بدون ورقة ولا قلم، وتمكن آخرون من تأليف قصص عديدة، وكان المعتقلون يسعون للحصول على الأخبار، خصوصا حين كانوا يخرجون لأداء بعض الوظائف مثل غسل ملابس السجناء أو تنظيف بعض الأماكن...

س : وكانت لديكم إمكانية للاغتسال؟

ج : لا لم نتمكن من الاغتسال طيلة المدة التي كنا خلالها في درب مولاي الشريف، ولو مرة واحدة، فحتى الملابس التي كنا نرتديها لم نستبدلها إلا مرة واحدة في السنة التي قضيناها هناك.

س : والاتصال بالخارج، هل حصل أن أجريتم اتصالا بأناس كانوا يوجدون خارج درب مولاي الشريف؟

ج : كنا نتلقى بعض المعلومات الخفيفة من طرف الذين كانوا يلحقون بنا، فمثلا الذين جيء بهم عقب سنة 1975 أخبرونا باغتيال عمر بنجلون. ولكن تدفق الأخبار كان ينتهي مع ذلك الوافد الجديد، ولكن عموما، كانت أولى الأخبار التي تلقيناها هي التي حصلنا عليها بعد خروجنا من معتقل درب مولاي الشريف.

س : إلى أين تم اقتيادكم ؟

ج : مباشرة لقاضي التحقيق ثم أحلنا على السجن.

س : وما هي التهم التي كان يوجهها لكم قاضي التحقيق؟

ج : التهم كانت موحدة.

س : كم كان عددكم ؟

ج : في شهر فبراير تم الإفراج من درب مولاي الشريف عن حوالي 105 معتقلين، أما نحن الذين حوكمنا فلقد كنا 169 فردا، وذلك بعد الغربلة والتصفية، وحدثت المحاكمة في سنة 1977، وكانت التهم الموجهة لنا هي بناء منظمة سرية غير مرخص لها، ومحاولة قلب النظام بالقوة، و إثارة الفتن والقلاقل، وفي المحكمة كانت تطرح علينا أسئلة تتعلق بالصحراء، وكان المناضلون يعبرون عن مواقف، وأتذكر أن النيابة العامة طلبت إضافة تهمة الخيانة العظمى وإحالة المتهمين على المحكمة العسكرية.

س : وأنت ماذا كان ردك على هذه الاتهامات؟

ج : طبعا كنا نرفض هذه الاتهامات، وكنا نقول إننا ندافع على قيم وعلى تصور جديد لبناء المجتمع، وأننا نعكس بموقفنا مطالب الشعب المغربي، وهذه تهم باطلة وزائفة.

س : بدفاعكم عن قناعاتكم ألم تكونوا تأخذون بعين الاعتبار بأن وضعيتكم قد تتأزم وتستفحل أكثر؟

ج : الدفاع عن القناعة لم يكن عاما وشاملا، هناك أناس راجعوا مواقفهم، ولكن الاتجاه الغالب هو أن المعتقلين كانوا يدافعون عن اختياراتهم وقناعاتهم، لقد كنا نقول إن في البلاد ظلما واستبدادا ونحن ضحية من ضحاياه، كما أن الشعب بدوره يعاني من هذه السياسة غير العادلة...

س : حين انتقلت من درب مولاي الشريف إلى السجن الرسمي، لاشك أنك شعرت بأن وضعيتك تحسنت بعض الشيء، فوضعية الإنسان في سجن رسمي معترف به من طرف الدولة أفضل بكثير من وجوده في معتقل سري؟

ج : في تجربتنا يمكن لي أن أقول لك إن الوضعية التي كنا عليها في درب مولاي الشريف استمرت حتى داخل السجن المدني باغبيلة بالدار البيضاء لفترة مهمة من الزمن، بحيث لم يكن مسموحا لنا بالخروج للساحة، كنا نقضي اليوم كله في الزنزانات، وفيما بعد قسمنا إلى أربعة أفواج، وأخذ كل فوج يخرج إلى الساحة لمدة ربع ساعة في اليوم.

وفي البداية لم يكن مسموحا لعائلاتنا بزيارتنا، ولكن في مرحلة لاحقة أصبحت الزيارة مرة في الأسبوع، ولكن الوجود في السجن هو وجود في فضاء مختلف، ليس هناك ذلك القمع المادي المباشر

الذي كان في درب مولاي الشريف، ووجود السجين في فضاء مختلف يتحول مع مرور الوقت إلى مكاسب عبر النضالات، فمنذ أن دخلنا السجن المدني في اغبيلة ونحن في إضرابات عن الطعام متواصلة لتحقيق الاعتراف بحقوقنا.

س : الإضرابات عن الطعام تكلف الإنسان كثيرا على مستوى صحته وسلامته البدنية.

ج : بطبيعة الحال يصيب الإنسان بسببها مرض تسوس الأسنان وقرحة المعدة والروماتيزم إضافة للتغذية السيئة للسجن حيث لم يكن يسمح لنا في المراحل الأولى بالحصول على الأكل من أسرنا، إلى أن قمنا بإضرابات متواصلة، ساعتها سمح لنا بالتزود بالغذاء من عائلاتنا، وكان أخطر إضراب هو ذلك الذي كنا نطالب فيه بمحاكمتنا.

س : كم مكثتم في السجن قبل أن تتم محاكمتكم؟

ج : أظن سنتين.

س : وأخطر إضراب قمتم به للمطالبة بمحاكمتكم كم كانت مدته؟

ج : أظن أسبوعين، كنا نطالب فيه بمحاكمتنا أو بإطلاق سراحنا، ولقد تقررت محاكمتنا في يناير 1977.

س : كيف كانت المحاكمة، ما هي المدد التي تم الحكم بها عليكم؟

ج : كانت تتراوح مابين 5 سنوات والمؤبد .

س : وأنت ما هي المدة التي حكم عليك بها؟

ج : 22 سنة، وكانت الأحكام مختلفة بين تنظيم إلى الأمام و 23 مارس، فغالبية أفراد 23 مارس كانت الأحكام الصادرة ضدهم أطولها لا تتجاوز 30 سنة نافذة، وكانت نسبيا مخففة، لأن في تنظيم إلى الأمام وصلت الأحكام إلى المؤبد، ولم تكن هناك ولو براءة واحدة، فلقد حوكم معنا إنسان مختل عقليا، ومع ذلك حكم عليه بخمس سنوات سجنا نافذا، لقد كان يجيب على أسئلة القاضي أجوبة سوريالية، ورغم ذلك تم إصدار ذلك الحكم ضده.

س : بعد صدور الحكم عليك ب 22 سنة ما هو الشعور الذي انتابك؟

ج : لم نكن نتصور أن الأحكام ستكون بهذه القسوة، فنحن لم نقم بما يستوجب كل هذه القسوة في الأحكام.

س : كم هي المدة التي كنت تتوقع أنه سيحكم عليك بها في أسوإ الحالات؟

ج : 5 إلى 10 سنوات، لأنه كانت أمامنا تجربة الماركسيين لسنة 197 2 ، وكانت أطول الأحكام فيها هي 15 سنة، لقد كنا نعتقد أننا كأشخاص قياديين سنحكم ب 10 سنوات.

س : وعند النطق بالحكم عليك ب 2 2 سنة بماذا أحسست؟

ج : كان الأمر صاعقا، فالمدة خيالية ولا تناسب الأفعال المرتكبة التي كانت تعبيرا عن رأي وإعلانا عن موقف، ولم نكن قد قمنا بأي عمل عسكري. لقد كنا نناضل ولم تكن هناك وسائل مادية تثبت أننا قمنا بجرم، كنا مناضلين بالفكر وبالممارسة ونطالب بديمقراطية حقيقية، كما أن المحاكمة لم تكن عادية ولا طبيعية، لقد شابتها خروقات كثيرة بدءا من حضور البوليس إلى قاض رهيب كان يحاكم النوايا.

س : من هو هذا القاضي؟

ج : اسمه أفازاز، ولقد أصدر أمرا غريبا ورهيبا بالحكم بسنتين على كل الماثلين أمام المحكمة لأنهم حسب رأيه أثاروا الشغب داخل القاعة، والشغب هو الاحتجاج على تصرفاته والمطالبة بمحاكمة عادلة في شروط عادية، لقد كانت المحاكمة سوريالية وفظيعة، ولم يحترم فيها الحد الأدنى من القانون، والتقرير الذي أعده المحامون المغاربة والأجانب الذين حضروها خير دليل على أن المحاكمة لم تراع أبسط الشروط القانونية.

س : وهل كنت تتوقع أنك ستنهي هذه المدة التي حكم عليك بها، وراء القضبان؟

ج : في لحظة ما صار هذا هو يقين الجميع، الكل أصبح شبه متأكد بأن عليه إما أن يطلب العفو ليخرج من السجن، أو يمكث فيه لقضاء المدة الزمنية المحكوم عليه بها، والأخطر من هذا هو أنه حتى الذين طلبوا العفو، وأعلنوا التراجع عن جميع المواقف والمبادئ، والاعتراف بارتكاب الجريمة، وطلب المغفرة والصفح، لم يستفيدوا فيما بعد من العفو، والمجموعة الوحيدة التي استفادت من العفو، استفادت منه سنة 1986 في ظرف مختلف..

س : ونظرتكم تجاه مناضل معكم تراجع عن مواقفه وطلب العفو، ألم تكن شيئا ما نظرة تبخيسية لهذا المناضل؟

ج : هذه كانت قناعة شبه شاملة، فكل من كان يقبل على خطوة فيها شكل من أشكال الاستسلام

سواء كان طلب عفو أو غيره، كان بالنسبة لنا خائنا، كان هذا هو التصور العام، ولكن في إطار هذا التصور العام كان هناك أناس يتفهمون الأوضاع، فأنا شخصيا كنت أتفهم أوضاع الناس، وكنت أعتقد أن الذي يريد أن يطلب العفو فهذا أمر يخصه، أما أنا فلم أكن أفكر فيه.

وبالطبع طلب العفو كان يأتي لأسباب وأسباب، فهناك من كان يصبح بقناعة شاملة بأنه لم تعد تجمعه بمن هم معه في الاعتقال أي صلة، لا سياسيا ولا إنسانيا، فيقرر تقديم طلب العفو، سعيا للخلاص، وهناك عفو يكون لاعتبارات انتهازية. وكانت الأغلبية المطلقة ترفض رفضا مطلقا وباتا توجيه طلب للعفو حتى أولئك الذين أصبحوا خارج التنظيم.

س : السجن آلة جهنمية رهيبة تضغط على أعصاب الإنسان بحثا عن تحطيمه وانهياره، في رأيك من أين يستمد المناضل القوة التي يصمد بها لمقاومة إغراء طلب العفو للخلاص من هذه الآلة الرهيبة التي هي السجن؟

ج : المسألة ترتبط بالأشخاص، فالناس درجات ومستويات واعتقادات، فهناك من يعتقد مع نفسه أنه في السجن وهذا هو الوضع الذي هو عليه ويتعين عليه تحصين نفسه من كل ما يمكن أن يصيب هذه النفس من انهيار، وينظم نفسه في السجن على هذا الأساس، أي أنه سيخرج مثلا في 2003، ويرتب مسار حياته على اعتبار أنه سيخرج في هذا التاريخ، يرتبه في المأكل والزيارة والقراءة. طبعا يعيش بأمل أن يخرج قبل ذلك التاريخ، ولكن إذا لم يكتب له ذلك، فهو يقوي عزمه على أساس التاريخ الذي سيفرج عنه فيه، وكان هذا هو تصور الأغلبية، فأنا مثلا كنت سأخرج في سنة 2004.

س : وكنت تخطط على أساس أنك ستخرج من السجن في هذا التاريخ؟

ج : بطبيعة الحال، فلقد حصلت على الإجازة في الأدب وأخذت أهيئ للدراسات المعمقة، ثم للدراسات العليا، وكنت أقرأ وأكتب وأنشر بأسماء مستعارة، وأستقبل الأصدقاء والأحباب في الزيارة.

س : ألم تكن تمارس الرياضة ؟

ج : كنت أمارس الرياضة بشكل يومي ومستمر، وربما كانت هذه من أهم عناصر المقاومة الذاتية، لقد كنا نخلق أشكالا للاهتمام متجددة في دائرة مغلقة: كرة القدم، الجري، التمارين والحركات الرياضية، والأكل طبعا، ماعدا في أوقات الإضرابات عن الطعام .

س : ما هو أطول إضراب قمتم بخوضه بعد إصدار الحكم ضدكم ؟

ج : إضراب لا محدود خضناه في السجن المركزي دام 45 يوما وهو الذي توفيت فيه المناضلة سعيدة المنبهي وكانت مطالبنا هي الاعتراف بنا كمعتقلين سياسيين، وتحسين شروط التغذية والتطبيب والزيارة. كل ما يتصل بحياة السجين داخل سجنه.

س : مدة 45 يوما من الإضراب عن الطعام كيف يمكن للإنسان أن يتحملها؟

ج : كانت مدة رهيبة وكنت ضمن الوفد الذي فاوض لجنة برلمانية مكونة من 30 نائبا وتم الاتفاق على توقيف الإضراب بعد الاستجابة لمطالبنا، ولكن الإدارة عادت فيما بعد لسلوكها القديم وبدأت تناور ضدنا مما اضطرنا لخوض نضالات أخرى.

س : وكيف بلغكم نبأ وفاة سعيدة المنبهي؟

ج: أظن أنها توفيت في اليوم 33 للإضراب عن الطعام، وكنت من بين قلة من المعتقلين الذين علموا بالخبر في وقت مبكر، كان لوفاتها في الجناح المخصص للنساء وقع الصاعقة على نفوسنا، ولكنه زادنا إصرارا على التشبث بموقفنا من أجل الاستجابة لمطالبنا.

س: وكيف كانت العلاقات الإنسانية بين المعتقلين داخل الزنزانات، هل يمكن المحافظة رغم طول مدة السجن على نوع من المودة والاحترام فيما بين المعتقلين، ثم كيف أصبحت هذه العلاقات فيما بينكم بعد خروجكم من السجن؟

ج : يمكن لي أن أقول إن من أهم وأمتن وأصفى العلاقات التي أحتفظ بها إلى اليوم هي بعض العلاقات التي نسجتها مع مناضلين داخل السجن، لم أكن أعرفهم من قبل، رغم أنهم كانوا في نفس التنظيم، ولقد بقيت هذه العلاقة على ما هي عليه من مودة وصفاء إلى اليوم، وما زلنا نتزاور باستمرار، طبعا يمكن للإنسان أن يفهم تلقائيا أن هذه العلاقة تبلورت في دائرة للمنع والاضطهاد والحرمان، ووضع من هذا القبيل يمكن أن ينتج علاقات إنسانية مهمة، ويمكنه أن ينتج علاقات من نوع آخر، وهذا أمر واقع وكله إنساني، وربما أهم ما علمني السجن هو أن علي أن أقبل بالآخر كما هو، وعموما، فما خلا بعض التوترات الطارئة نتيجة ظروف الاعتقال وطبيعته ومشاكله، أظن أنه في غالبية الحالات، احتفظ المعتقلون إزاء بعضهم البعض بعلاقات حبية.

س : الأستاذ عبد القادر الشاوي سأطرح عليك هذا السؤال وهو الأخير، ويتعلق بقولة لتشرشل فيما أظن، يقول فيها : إن الذي لم يعانق مبادئ اليسار المتطرف في شبابه، فالأكيد أنه عاش بلا قلب، أريد منك تعليقا على هذه المقولة .

ج : إذا كان المفهوم باليسار المتطرف في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات هو المطالبة بتغيير حقيقي ضدا على جميع مظاهر وأشكال الاستبداد، فأنا جزء من هذا اليسار، أقولها وبكل صدق، وأظن أن جميع الذين ناضلوا من أجل تغيير يترجم أشواق فئات عريضة من المجتمع في مستقبل أفضل، هؤلاء كلهم يمكن للمرء أن يسحب عليهم هذه المقولة، بصرف النظر عن إيديولوجيتهم، لأنه لا يجب أن ننسى ونحن نعيش على بعد 30 سنة من تلك المرحلة، أن المغرب كان يعيش تحت سلطة الاستثناء، بجميع المفاهيم المرتبطة بسلطة الاستثناء، وكان الطابع المميز للممارسة السياسية هو القمع والإكراه والاستبداد، وأظن أنه حتى حاليا، خلال الحديث عن ديمقراطية سليمة وطموح لبناء دولة الحق والقانون، لا يمكن أن نغض الطرف عن نضالات وتضحيات أجيال مختلفة للعاملين من أجل مستقبل ينعم فيه المغاربة بالقانون والحق والعدالة الاجتماعية والحرية..

صلاح الوديع الآسفي

دخلت درب مولاي الشريف وعمري 22 سنة

س : الأخ صلاح الوديع الأسفي نود أن نفتتح معك هذا الحوار بالسؤال التالي: في أي يوم وفي أي شهر وفي أية سنة تم اعتقالك؟

ج : تم اعتقالي يوم 8 نونبر 1974 على الساعة 11 و20 دقيقة صباحا.

س : كم كنت تبلغ من العمر حين تم اعتقالك؟

ج : 22 سنة.

س : أين تم اعتقالك؟

ج : تم اعتقالي حين كنت في طريقي إلى منزل للمنظمة، لقد كنت مختفيا في المنزل الذي كان قد اكتراه للتو المناضل جبيهة الرحال الذي فقد حياته ثمنا لمحاولته معانقة الحرية.

س : ماذا كنت تفعل حين تم اعتقالك؟

ج : حين تم اعتقالي كنت عائدا بعد اقتنائي لحاجيات للأكل، فلقد كنا مجموعة من المناضلين نختبئ في ذلك المنزل، وكنا في حاجة إلى الطعام.

س : هل هذا يفيد أنك كنت تتوقع أنه سيتم اعتقالك؟

ج : كنت على علم أنني متابع، ولقد اعتقل أخي عزيز بتاريخ 5 نونبر، قبلي بثلاثة أيام، كنت أعلم أنه سئل عني في البيت من طرف البوليس.

س : ألم تفكر في الفرار لجهة ما لكي لا يلقى القبض عليك؟

ج : المنزل الذي كنت مقيما فيه كان منزلا سريا، وكنا نقطن فيه نحن ثلاثة أعضاء من المنظمة، ووجودي بهذا المنزل كان شكلا من أشكال الاختفاء عن أنظار البوليس.

س : حين تم اعتقالك إلى أين وقع اقتيادك؟

ج : قبل الإجابة على هذا السؤال أرى أنه من الضروري توضيح أن اعتقالي جاء في إطار حملة بدأت انطلاقا من شهر أكتوبر 74 عمليا، وشملت الاعتقالات العديد من أعضاء المنظمة، وتم اكتشاف مجموعة من الدور السرية للمنظمة، وفي هذا السياق وقع اعتقالي..

س : قبل انطلاق حملة الاعتقالات التي شملت أعضاء المنظمة، هل كنت تدرك من خلال الشعارات السياسية والمواقف التي كان يتخذها هذا التنظيم السياسي، أن بالإمكان اعتقالك في أي وقت بسبب أنشطتك السياسية؟

ج : منذ انتمائي إلى منظمة 23 مارس، وقبل تسميتها بهذا الاسم، وفي أواخر 1969 وبداية 1970، كنت أعلم أنني أنتمي إلى منظمة سرية تهدف إلى القيام بالثورة وإلى الالتحام بالجماهير من أجل توضيح المرامي وأهداف الثورة، والأسباب التي تجعل من الضروري تغيير الأوضاع في المغرب.

س : وما هي الأسباب التي جعلتك أنت كشاب في ذلك التاريخ، تنتمي لمنظمة 23 مارس ولم تفكر في الانضمام لحزب من الأحزاب السياسية الموجودة وقتها؟

ج : الجواب على هذا السؤال يمكن العثور عليه في الإطلاع على الظروف التي كنا نعيشها في تلك الفترة، فجيلي فتح عينيه على السياسة في ظروف معينة، طبعا هناك ظروف عامة بالإضافة لظروفي الخاصة، فعلى المستوى الموضوعي العام فلقد ووجه أبناء جيلي بعنف في القضية السياسية باعتبارها تهم الوطن، وتجلي ذلك في مظاهرات 1965، فأنا شخصيا شاركت في هذه المظاهرات وكان عمري 13 سنة... فالقمع الذي ووجهت به مظاهرات 23 مارس 65 وعدد الضحايا الذين سقطوا من جراء إطلاق الرصاص عليهم...

هذه المظاهرات خلفت جرحا غائرا في نفوس أبناء جيلي، ثم حادث اختطاف واغتيال المهدي بنبركة، يضاف إلى ذلك هزيمة 1967 للأنظمة العربية، التعاطف الذي كان لدينا مع الثورة الثقافية الصينية، ومع استفحال الوضع المادي المزري للأغلبية المطلقة من أفراد الشعب وانكسار الآمال التي كانت معقودة على الحصول على الاستقلال.. كل هذه العوامل دفعت مجموعة من الشباب والأطر من داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لكي تفكر في صيغ مغايرة للنضال والمواجهة مع النظام.

س : ولماذا وقع التفكير من جانبكم أنتم مجموعة من الشباب للخروج من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، لماذا لم تفكروا في تفعيل الشعارات التي كنتم ترفعونها من داخل المؤسسة الحزبية التي كنتم أعضاء فيها؟

ج : الجميع يعرف أن الحزب كان يعيش حالة ركود آنذاك كما يجب التذكير أنه ليست فقط مجموعتنا التي أنشأت المنظمة هي التي اختارت الاختيار الذي سطرناه لأنفسنا وعملنا في ضوئه للأسباب الآنف ذكرها، ولكن كذلك هناك مجموعات أخرى سارت على نفس النهج، وحتى من داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، فالجميع يتذكر المجموعة التي حوكمت في محاكمة مراكش، والتي كانت مكونة في جزء كبير منها من مناضلين اتحاديين.

فالحزب إذن لم يكن يعيش قلقا وعدم رضى عن حالة الركود فقط من جانب الشباب، ولكن كان عدم الرضى من طرف مجموعة من المناضلين الذين اعتبر البعض منهم أنه يتعين عليهم اللجوء للكفاح المسلح، وهناك من اعتبر أن الحل يكمن في الارتباط بالجماهير واعتبار دورها الرئيسي في أي تحول من المزمع إنجازه، وذلك بناء على النظرية التي تغذي مثل هذه التوجهات، وهي النظرية الماركسية اللينينية التي تعطي للشعب الكلمة النهائية للفصل في الاتجاه الذي يتعين أن تأخذه حركة التاريخ.

س : مثل هذه الشعارات كان جزء كبير من المناضلين الاتحاديين في ذلك التاريخ، وربما إلى عهد قريب، يرفعونها ويناضلون من أجل ترجمتها إلى حيز الواقع... فأنا شخصيا يبدو لي وكأن حركة 23 مارس لم تأت بأي إضافة نوعية وبأي تحليل مغاير لما كان سائدا وسط المناضلين الاتحاديين؟

ج : في الواقع الحركة الاتحادية هي، ولو بعجالة، حركة مركبة، لقد جمعت مجموعة من القوى والتوجهات والتي كان الأساس فيها هو الإخلاص لروح الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار، أولا، وثانيا عملائه في البلاد، فإذن لم يكن هناك تواضح داخل المؤسسة الحزبية بين المناضلين، ربما الظروف لم تكن تسمح بذلك، ولكن المؤكد هو غياب التواضح السياسي والإيديولوجي لدى الحركة الاتحادية...وأعتقد أنه لحدود السنوات القليلة كانت هذه الطبيعة المركبة للحزب مازالت سائدة. وكان يخامرنا ونحن شباب ما يمكن تسميته بعقدة الوضوح، فلقد كان بالنسبة لنا الوضوح السياسي ضروريا، والوضوح النظري ضروري كذلك.

هذه الأشياء كلها لعبت دورا حاسما في الاختيار الذي أقبلنا عليه، وهذا هو ما لم يكن متوفرا وسط الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ولأنه لم يقع التواضح على تلك الأمور بالطريقة المطلوبة، لذلك كان لابد لنا من الذهاب في هذا الاختيار الذي كان يمضي في سياق اختيار عام كان يعيشه الوطن العربي، وكان في قوامه يعتمد على تحليل يعتقد بفشل الأحزاب الشيوعية والإصلاحية السابقة وضرورة العمل لتجاوز أخطائها.

س : الأخ صلاح الوديع ربما أنت تعيش في هذا الاختيار نوعا من المفارقة، فوالدك أمد الله في عمره، ووالدتك رحمة الله عليها كانا مناضلين اتحاديين، ومع ذلك اخترت أنت الانتماء لتنظيم سياسي ليس هو تنظيمهما، هذا الاختيار ألم يخلق لك أي مشكل لامع نفسك ولامع أسرتك، هل كان الأمر عاديا وغير مكلف من الجانب العاطفي؟

ج : للإجابة على هذا السؤال ينبغي في رأيي العودة إلى قضية أساسية كانت قائمة بين أفراد أسرتنا، لقد كنا نمشي على قدمين، القدم الأولى هي أننا كنا نلتزم بقضايا الوطن بشكل مطلق، وهذه القضية كانت محسومة ولا نقاش فيها، والقدم الثانية هي المتأتية مما احتله داخل الأسرة العنصر الثقافي، فلقد كان بالنسبة لنا لابد من تكوين النفس ومن الإطلاع على آفاق رحبة والتفتح علي التراث الإنساني والحضارات الأخرى..

فأنا أذكر وأنا طفل أن أبي كان يستمع لموسيقى بيتهوفن ويقرأ أشعار نزار قباني، ووالدتي تقرأ جان جاك روسو. فهذه العوامل كانت تجعل كل فرد من أسرتنا معنيا بشكل طبيعي وبديهي بشؤون الجماعة، ولقد كان للأب وللأم دور أساسي في تربيتنا على احتقار التسلق الاجتماعي والنفاق والخنوع، ورغم إيمانهما بالقيم المثلى للدين الإسلامي الحنيف، فلم يسبق لهما أن حاولا في وقت من الأوقات أن يفرضا علينا نوعا من علاقة الإكراه والإلزام بالقيم الدينية.

وأذكر أن حضور رمز في حياتنا مثل المرحوم محمد الخامس كان مسألة بديهية، ورموز مثل جمال عبد الناصر، وباتريس لومو مبا، والمهدي بنبركة، كان حضورها في الوسط الأسري أمرا طبيعيا.. لقد غذى كل هذا تكويننا كأفراد داخل أسرة واحدة، وأعتقد أن هذه الشروط المتضافرة هي التي جعلت حتى الاختيار السياسي لا يكون بالضرورة تبعيا، ولنا في داخل الأسرة الواحدة انتماءات متباينة.

س : أنت الآن تحلل انطلاقا من معطيات سائدة في واقعنا الحالي، حيث أصبح نسبيا، بالإمكان الاعتراف بالآخر حتى وهو ينتمي لموقع سياسي مغاير، أي أن هناك ثقافة تؤمن بالتعددية وبالحق في الاختلاف والحوار، في حين أنه في بداية السبعينيات، الذي كان سائدا هو منطق الإقصاء فإما أنك معي أو ضدي، لم يكن هناك مجال لتعايش رأيين مختلفين، فكيف حدث هذا داخل أسرة واحدة التي هي أسرة الآسفي..؟

ج : أنا أتساءل هل فعلا زال منطق الإقصاء والإلغاء للرأي الآخر، كما كان جار به الأمر في السبعينيات والثمانينيات، أم أنه مازال مستمرا وسائدا؟ فنحن نعيش في مجتمع يحكمه التكتم وعدم الوضوح والطابوهات والخطوط الحمراء ولا يستطيع أن يوفر شروط التواضح وأيضا التسامح والقبول بالرأي الآخر، لذلك نجد أن كل عمل يقوم به الإنسان حتى عندما تكون النية حسنة والهدف نبيلا، فإنه مع ذلك لا يسلم من التأويل المغرض وأحيانا التخوين... وبما أن الفرد يعيش في مجتمع وداخل مجموعات متعددة، إما جهوية أو حزبية أو أسرية، فإنه لا يمكن أن يسلم من تأثير المحيط الذي يعيش فيه، فوالدتي ووالدي كانا مع كل هذه العوائق يوفران لأبنائهما إمكانية الاستقلال بآرائهم وبقناعاتهم السياسية. فالمسألة مرتبطة بالفرد في المجتمع وبمدى استقلاله، فالفرد يكون دائما في تخوف من فقدان مكانته في الجماعة بسبب التفرد باتخاذ موقف والدفاع عنه إلا فيما ندر، وللأمر علاقة بالثقافة السائدة التي ركزها نوع من السلوك السياسي على مستوى السلطة، الذي كان قوامه إخضاع المجتمع لسلطة الاستبداد، مما أدى إلى تشكيل كابح لتطوير المجتمع على مستوى انبثاق قيمة الفرد وانبثاق قيمة الرأي الحر والاختيار الحر...

ولازلنا إلى حدود الساعة نجد مثل هذه الظواهر ولو أنها خفت حدتها وانتشر فكر التعدد، غير أنه مازال لم ينتشر بالشكل المطلوب لأنه ما دامت هناك طابوهات وخطوط حمراء يعتقد الأفراد أنهم لا ينبغي عليهم تجاوزها... فهذا السلوك غير القابل للرأي الآخر والمؤمن بالإلغاء والإقصاء سيستمر مع الأسف.

س : عندما ظهرت حركة 23 مارس كيف كان التعامل معها من طرف ناشطي الأحزاب السياسية التقدمية، ومن طرف النقابيين وباقي الفاعلين الآخرين، هل استقبلت بتفهم ولم لا بترحاب من طرف المجتمع ككل أم أن التعامل معها كان يتسم بنوع من الاحتراس والتحفظ؟

ج : يجب عدم إغفال أمر هام هو أن ظهور حركة 23 مارس و«إلى الأمام» تزامن مع مد جماهيري كبير خصوصا في الميدان الطلابي وفي أوساط التلاميذ، وكذلك حتى لدى الطبقة العاملة، وهذا النهوض غذى انبثاق هذه الحركة كمعبر شيئا فشيئا عن احتجاج اجتماعي... بالطبع الطموحات كانت أكبر من أصحابها، ولكن المجتمع كان رد فعله إلى حد ما محترسا ماعدا في فئات كان لها من الأسباب ما يجعلها ذات تمرد له اتساع وله صدى وتأثير، مثل الحركة الطلابية والتلاميذ..

أما فيما يخص الطبقة السياسية فكانت تتعامل مع الحركة بنوع من التحفظ، لذلك ظلت الحركة سجينة الأوساط الطلابية وبين التلاميذ وفي صفوف بعض الفئات من الطبقة العمالية مما سهل على النظام قمعها... ورغم كل الأخطاء فإن الحركة باعتبارها كانت تشكل رفضا للاستبداد المخزني، وبطء المجتمع في التصدي للمشاريع المخزنية.

أظن أن حركة 23 مارس كانت على صواب لأنها كانت تحمل بذرة الطرح الحقيقي للمواطنة، ولعل هذه تشكل إضافة أساسية من جانبها للحقل السياسي في المغرب في بداية السبعينيات وما تلاها إلى يومنا هذا.

س : هناك من قد يخالفك هذا الرأي الأخ صلاح الوديع، فالبعض يقول إن الحركة الماركسية اللينينية أو اليسار الجديد في المغرب لم يقدم أي إضافة ذات أهمية للفعل السياسي في بلادنا، بل على العكس أثر بشكل سلبي على صيرورة الصراع من أجل إقرار ديمقراطية حقيقية في المغرب، لأنه كان يسهل، بتصرفاته الطائشة، على النظام ضرب الجميع، فحتى الأحزاب التي كانت تشتغل في ظل الضوابط الموضوعة من طرف هذا النظام، كانت تضرب نتيجة أخطاء اليسار الجديد مما أدى إلى انتكاس الديمقراطية وفي النهاية تقوية النظام...

ج : أعتقد بأن لأصحاب هذه النظرة أفقا ضيقا، لأنه في الغالب يعتبرون أن نجاح حركة معينة يتحدد بوصول أصحابها والرافعين لشعاراتها، إلى السلطة، وهذا خطأ فادح، فالدليل على نجاح حركة من هذا النوع يقاس بمدى توسع القيم والمبادئ والأفكار التي دافعت عنها داخل فئات المجتمع، فجمعيات المجتمع المدني وإلحاح قيم الحداثة والمواطنة وحقوق الإنسان... تجد بذورها في تلك الثورة التي قامت بها هذه الحركة والتي أسميها ثورة ضد الاستبداد المخزني،

فيجب ألا نسقط في قياس مدى نجاح حركة سياسية بتبوء الأفراد الذين كانوا روادها لمناصب السلطة، فمقياسنا هو إلى أي حد تسربت القيم التي دافعنا عنها في صفوف أبناء المجتمع.

س : بالرجوع إلى ليلة اعتقالك، بعد إلقاء القبض عليك ماذا حدث لك، وكيف تعامل معك البوليس؟

ج : بمجرد إلقاء القبض علي بدأوا في تعذيبي بالمنزل الذي كنت أسكن فيه، فلقد وضعت «بانضا» على عيني وانطلقوا في ضربي واستنطاقي، وكانوا يبحثون عن مناضلين أساسيين كانوا لازالوا فارين، وأذكر من بينهم صديقي إبراهيم ياسين الذي استطاع الإفلات بجلده في الوقت المناسب... ومباشرة تم إخراجي من المنزل ووضعت في سيارة سوداء، ووضع على رأسي ثوب خشن وتم اقتيادي إلى درب مولاي الشريف الذي كانت لي معه قصة.

س : وما هي هذه القصة؟

ج : كان والدي يتعرض باستمرار للاعتقال، وكنت أزوره رفقة والدتي في الكثير من السجون والمعتقلات التي كان يزج به فيها، وأثناء اندلاع الحرب المغربية الجزائرية اعتقل والدي على سبيل الاحتياط رفقة مجموعة من المناضلين الاتحاديين، أذكر من بينهم إبراهيم التروس رحمه الله وكان مقاوما كبيرا، وحسن الأعرج، وفي إحدى المرات ذهبت لزيارته رفقة والدتي في درب مولاي الشريف من أجل أن نقدم له الطعام والملابس، وكان في ذلك الوقت أي 64 يسمح لأسر المعتقلين بزيارتهم في هذا المعتقل...

وبينما نحن معه في الزيارة، استأذن الشرطي الذي كان مكلفا بالحراسة، وأدخلني معه إلى المكان الذي كان معتقلا فيه، وقال لي كلاما لم أكن أفهمه كله لحظتها ولكن أدركت معناه فيما بعد، قال لي بالحرف: «شوف آولدي احنا تنكافحوا هنايا، كملنا هو هذاك، ماكملناش هذه هي بلاصتك»... ومن الصدف أنني حينما اعتقلت وخضعت لأول عملية من التعذيب ألقيت وأنا مضرج في دمائي على بعد مترين أو متر واحد من المكان الذي أدخلني إليه والدي وخاطبني فيه بالكلام المشار إليه سالفا.

س : وكأن والدك تنبأ لك وأنت طفل بما ستعيشه في شبابك؟

ج : نعم، دخلت درب مولاي الشريف وأنا ابن 12 سنة مع والدي، وعدت للدخول إليه بصفتي معتقلا وعمري 22 سنة، لقد أشرت إلى هذا الإصرار على الكفاح عند والدي وعلى تربية ابنه على تحمل المشاق، ويمكن لي أن أشير إلى نفس الجرأة عند والدتي رحمها الله. فلقد جاء البوليس في

إحدى المرات لاعتقال والدي، ولما ألقي القبض عليه أخذ أخي جمال يبكي، فنهرته أمي قائلة، أمسح دموعك ولا تبك، فأبوك ليس لصا، إنه إنسان شريف يعتقل لأنه صاحب قيم ومبادئ يتبناها ويدافع عنها، والتفتت أمي صوب أبي وطمأنته على أن كل شيء سيظل في الحفظ والصون إلى أن يعود لبيته ولأبنائه.

س : كم قضيت في درب مولاي الشريف؟

ج : حوالي 16 أو 17 شهرا، وعندما يدخل المعتقل إلى درب مولاي الشريف، فإنه يجرد من ملابسه المدنية، وتقدم له بذلة كاكية، ويتم حلق شعره، وتوضع عصابة سوداء على عينيه وقيد في يديه، ويسلم 4 أغطية رديئة وقديمة وذات رائحة لاتحتمل... وتؤمر بألا تتكلم نهائيا حيث توضع، وإذا تحدثت في طلب قضاء الحاجة أو ما يشابه، فمن المحتمل أن ينزل بك أفدح العقاب من جلد وتعذيب وتنكيل فظيع.. ويحتفظ بالمعتقل في الزنزانة، ويطلب من حين لآخر للتحقيق معه، وتتم المناداة عليه برقم يطلق عليه.

س : ما هو الرقم الذي كان ينادى عليك به؟

ج : رقم 33.

س : وماذا كان اسمك الحركي قبل الاعتقال؟

ج : كان آخر اسم حركي لي هو«المنتصر».

س : وما هي أشكال التعذيب التي مورست عليكم؟

ج : التعذيب نوعان، هناك المادي والمعنوي، فالمادي يبدأ بالصفع والركل والدفع، والصراخ والزعيق، ولقد أصبحت أنواع التعذيب معروفة نظرا للكتابات التي نشرت في هذا الصدد. ويمكن التذكير ببعضها، فهناك «الببغاء» أو «البيروكي» ، ثم «الطيارة» ، وفي حالة «الببغاء» يبدأ صب الماء المزوج بالصابون والكرزيل وغيره على الأنف مع الجلد على الرجلين بتقنيات عالية، وطبعا مع التعذيب الأسئلة التي تطرح، ويمكن القول إن البوليس المغربي متطور في إلحاق الأذى بالناس، ويعتمد بالأساس على العنف، وليس على الاستدراج والاستنتاج والمقارنة، فالتركيز يكون على العنف والبطش والتخويف والتحقير.

وبخصوص التعذيب المعنوي فإنه يستهدف تحقير الأب والأم وذات المعتقل أو الاستخفاف به، والإيحاءات الجنسية البذيئة والعزل عن الآخرين، لأن الهدف من العصابة السوداء هو أصلا عزل المعتقل عن الآخرين، فالغاية تكون هي الدفع بالإنسان إلى فقدان الإحساس بالكرامة والوصول معه إلى حالة استدراجه للحصول منه على الاعترافات.

س : هل لدى المعتقل في مثل هذه الحالة إمكانية للصمود والمقاومة وعدم الاعتراف بما هو مطلوب منه؟

ج : نعم كانت هناك حالات للصمود مشهود بها وعلى الذاكرة الجماعية أن تعرفها بدقة ووضوح، فعلى سبيل الذكر مثلا عبد اللطيف زروال الذي توفي تحت التعذيب رافضا الاعتراف لجلاديه بما يبحثون عنه، وأمين التهاني الذي توفي هو كذلك تحت التعذيب... وعبد الله زعزاع الذي كان بكل صراحة نموذجا من النماذج البطولية في هذا المضمار... بالإضافة إلى أسماء أخرى يضيق المجال لذكرها.

س : عندما يموت معتقل ما تحت التعذيب، كيف يتم التعامل مع موته، هل الجلاد يشعر انه أمام مشكلة حقيقية وعويصة تتعلق بفقدان شخص لحياته وهي أعز ما يملك، وبالتالي يترتب عن الوفاة قلق وضجر وحيرة، أم أن الموت يستقبل كحدث عاد، وأقصى ما يتطلبه هو دفن الجثة؟ بعبارة أخرى هل موت المعتقل تحت التعذيب كان يطرح إشكالا ما على الجلاد الذي كان سببا في وفاته؟

ج : هذا السؤال يطرحه إنسان سوي، إنسان يحترم نفسه، ويحترم الموت والحياة، قبل أن يحترم القانون، أما حينما يتعلق الأمر بأشخاص يعملون في أجهزة مسخرة لتصفية جميع المعارضين كيفما كان نوعهم، فالمشكل لا يطرح بهذه الطريقة، فالموت لايشكل أي أزمة لضمير الجلاد، لا يشعر من جرائه بأي قلق أو ألم. فالهدف الرئيسي للجلاد يكون هو بالأساس استخلاص أكبر ما يمكن من المعلومات للقضاء على هذه الحركة بدون التساؤل حتى حول شرعيتها من عدم شرعيتها، وإذا حصل وتوفي شخص ما من جراء الوصول لهذا الهدف المسطر، فإنه يتم تقديمه في صيغة أنه توفي نتيجة مرض، أو إنكار حتى وجوده رهن الاعتقال، وقد يدفن دون إشعار أسرته وذويه بما وقع له.

والذي يجب أن يبرز في هذا الإطار هو أن الموت تحت التعذيب لم يكن يقع بمحض الخطأ، فلقد سقط ضحايا تحت التعذيب بشكل متتال، ومع ذلك استمرت آلة التعذيب في اشتغالها مما يؤدي إلى سقوط القول المحتمل بكون الموت على يد الجلاد كان يتم عن طريق الخطأ، لقد كنا أمام تعبير ممنهج

عن سياسة كانت تستعمل أجهزة معينة من أجل إخضاع هذه الحركة السياسية المناهضة والمعارضة ومن أجل إدامة الاستبداد.

س : وعندما تكون هذه هي السياسة المتبعة من طرف النظام وعندما يكون المعتقل السياسي وراء أسوار معتقل سري ويخضع فيه للتعذيب، ويكون محروما من أبسط حقوقه وعندما يرى أن رفاقا له يسقطون صرعى تحت آلة التعذيب، ألا يمكن لمثل هذا الوضع الكابوسي أن يؤدي إلي انهيار المعتقل وإلى استسلامه، وكفره بكل المبادئ التي يؤمن بها بحثا عن الخلاص.. ؟

ج : في نظري بالنسبة للإنسان يتصرف دائما وفقا لمستويات متباينة، فعندما يصل التهديد إلى مستوى كيان المرء فإن المقاييس تختلف، وليس من رأى كمن سمع، فمن رأى وعاين يستطيع أن يقدر كيف استطاع الإنسان وسط الهول والظلام والذئاب أن يحتفظ بشعلة الأمل متوهجة وبشعلة الصمود والتصدي متيقظة.

فأنا أفترض أن الشعور الذي يكون عند الجنود عندما يكونون في خط المواجهة مع العدو، ويسقط البعض منهم ويستمر الآخرون في المعركة بنفس الروح القتالية، أعتقد أنه الشعور نفسه بالنسبة للمعتقلين السياسيين عندما يشاهدون رفاقا لهم يموتون تحت القهر والتعذيب، إنهم يتأثرون ويترحمون على الروح التي سقطت، ثم يقررون الاستمرار في الصمود.

س : ولكن الصمود قد يصبح في مثل هذه الأوضاع بلا معني ويصبح نوعا من العبث؟

ج : ومع ذلك يشعر المعتقلون بأنه هو خيارهم الوحيد، وأن لا بديل لهم عنه. لقد عشنا نماذج كثيرة من الصمود، فلقد كتب علي أن أعيش حالة ربما من الحالات النادرة في الاعتقال، وهي المتعلقة بوجود أخي معي في نفس المعتقل، أخي عزيز الذي كان يصغرني بأربع سنوات، وأتذكر أنه في إحدى لحظات التحقيق نودي عليه، وعلى بعض المعتقلين ومن بينهم أنا، وتم التوجه إليه، وقال له الجلاد الذي كان معروفا باسم الفاسي، وربما يكون اسمه الحقيقي البطاش، والاسم يناسب المسمى، قال له على مسمع الجميع وليس على مرآهم بسبب العصابة... لقد وجدنا لائحة تضم أسماء حركية ونطلب منك أن تمدنا بالأسماء الحقيقية، فأجابه بأنه لا يعرف إلا تلك الأسماء ولا يعرف إن كانت حقيقية أو حركية... فقال له البطاش ارجع إلى مكانك وحاول أن تتذكر، وكلما تذكرت اسما، نادي على الحاج، وقل له الاسم، سواء بقيت يوما أو أسبوعا أو شهرا، فرد عليه أخي عزيز، لو ناديت على بعد

سنة أو سنتين أو ثلاث سوف أجيبك نفس الجواب، أنا لا أعرف هذه الأسماء، فقال البطاش: اذهبوا بفأر السويرتي، هذه بذرة لعينة.

س : بعد 17 شهرا في درب مولاي الشريف تمت إحالتكم على المحكمة؟

ج : لقد اعتقلنا في درب مولاي الشريف أخي وأختي وزوجها وأنا من نفس العائلة، فأختي أسماء أطلق سراحها، وقدمنا نحن الثلاثة للمحاكمة، وذلك يوم 16يناير 76 إلى قاضي التحقيق وأودعنا السجن المدني، وكانت التهمة الموجهة إلينا تكوين منظمة سرية والسعي لقلب نظام الحكم..

س : كيف كانت أجواء المحاكمة؟

ج : الأجواء كانت غرائبية، فرئيس المحكمة كان يسمى أفازاز الذي واجهه أحد المعتقلين صارخا في وجهه أنت لست أفازاز أنت «استفزازي».

س : ما اسم المعتقل الذي قال هذا؟

ج : المشتري بلعباس وقد حوكم بالمؤبد، وأذكر أنه في تلك المحاكم كان أحد الرفاق بصدد الاستنطاق أمام القاضي، وكما يعلم الجميع فقد منعنا من حقنا في الدفاع عن أنفسنا بشتى الطرق بحيث كان القاضي أفازاز يأمرنا بالإجابة عن السؤال الذي يلقى علينا ب: نعم أو لا. ولأن السؤال يكون في الغالب ملغوما، ولأننا في محكمة للجنايات فإنه كان يتعين أن تتاح لنا فرصة الدفاع عن أنفسنا، وكذلك تململ أحد الرفاق في مكانه وقال: والله هذه مسرحية، وسمعه أفازاز، فطرح علينا السؤال: من قال هذه العبارة؟ الذي قالها وكان «رجلا» ليقف، فما كان من 139 معتقلا إلا أن وقفوا دفعة واحدة وأخذوا في الصراخ «فاشيست، فاشيست» فقام السيد القاضي مذعورا وفر من مكانه حتى كاد يسقط على وجهه من كثرة الفزع الذي ألم به. وهب لا يلوي علي شيء من غير أن يعرف بماذا ابتلي، ولما اطمأن وعاد في جلسة أخرى قرر أن يحاكمنا فردا فردا، فأعلنا إضرابا عن الطعام دام مدة المحاكمة بأكملها. ولازلت أذكر أن سيء الحظ كاتب الضبط كان قد طلب منه، بما أننا ممنوعون من الحضور إلى المحكمة، أن يلحق بنا في زنازننا ويقرأ على كل واحد منا، صك الاتهام الموجه إليه، وأذكر أنه قرأ علينا صك الاتهام، ونحن ممددون على الأرض، وتحت أغطيتنا، وفي غاية التعب لأننا كنا في إضراب عن الطعام... واستمعنا إليه وهو يوجه إلينا صك الاتهام، ولما انتهى انصرف لحال سبيله، وعدنا نحن إلى نومنا، واستمرت الحياة... وأخذنا فيما بعد للاستماع إلى النطق بالحكم الذي دام من

الساعة السابعة مساء تقريبا إلى الساعة السادسة صباحا من دون انقطاع حتى نام أغلبنا على مقاعد المحكمة، وما أن انتهى أفازاز من تلاوة الأحكام، حتى انتصب هؤلاء الـ 139 معتقلا ينشدون بصوت واحد: لنا يا رفاق لقاء غدا... سنأتي ولن نخلف الموعدا.. فهذي الجماهير في صفنا.. ودرب النضال يمد اليدا..

س : وماذا فعل السيد افازاز عندما أخذتم ترددون هذا النشيد؟

ج : لقد ذهب مباشرة إلي حيث تعود أن يذهب بعد قضاء المهمة الموكولة إليه، حيث حكم على 139معتقلا بقرون من السنوات سجنا نافذا، ولم يفلت أي أحد من أحكامه، وحتى الذين لم تكن لهم أي مسؤولية سياسية حكم عليهم بـ 5 سنوات سجنا نافذا... لقد كانت الأحكام جد قاسية عن الفعل السياسي المنسوب إلينا بالإضافة إلي سنتين و 5000 درهم كذعيرة في ذلك الزمن حيث كانت تعتبر مبلغا محترما، والسبب هو ما اعتبره السيد افازاز إهانة لهيأة القضاء.

س : أنتم كنتم في قلب محاكمة سياسية بتهم خطيرة جدا، ومع ذلك كان للقاضي الذي يحاكمكم شرف إضافة تهمة إهانة القضاء لملفكم؟

ج : الأكثر من هذا هو أننا هددنا بإمكانية تقديمنا أمام محكمة عسكرية، ولكن ذلك لم يثننا في شيء عن إرادتنا، ووصل الأمر إلى حد التلويح بالحكم بالإعدام على بعضنا، وهذا من أجل إرهابنا ودفعنا للتخلي عن قناعاتنا ومبادئنا، وهذا ما لم يقع.

س : وما هي المدة التي حكم عليك بها؟

ج : 20 سنة بسبب الموقف السياسي وسنتان زائد 5000 درهم كغرامة بسبب تهمة إهانة القضاء وتحقيره، وطبعا كانت هناك أحكام بالمؤبد، وأحكام ب 30سنة وأحكام ب 10سنوات وأحكام ب 5 سنوات.

س : وماذا قلت مع نفسك عندما عدت إلى السجن وأنت محكوم عليك ب 22سنة سجنا نافذا، كيف استقبلت هذا الحكم وكيف تعاملت معه؟

ج : قد لا تصدقني إذا أجبتك بأنني ورفاقي لم نقم أي أهمية للسنوات التي حوكمنا بها، ويمكن أن ترجع إلى بعض الرسائل التي نشرت في الكتاب الذي نشرته والدتي تحت عنوان: مناديل وقضبان، فهناك رسائل كتبتها يوما واحدا بعد صدور الحكم، حيث طلبت من الوالدة أن تحضر لي بعض الحلويات التي

كنت أشتهيها وبعض الكتب، وكنت أطمئن والدتي إلى كون هذه الأحكام الصادرة ضدي ورفاقي أشياء تافهة ولا ينبغي أن يعار لها أكثر مما تستحق من الاهتمام وان الحياة، ينبغي أن تستمر عادية.

س : هل كنت متقينا بأنك سوف لن تقضي هذه المدة المحكوم عليك بها وراء القضبان؟

ج : الذي كنت متأكدا منه هو أننا رغم ما يمكن أن يؤاخذ علينا في التقدير السياسي وفي غيره، لا أعتقد أننا في فورتنا ضد ما عاشه المغرب من استبداد مخزني، يمكن أن نشعر بنوع من الندم أو التراجع، على الاختيار الذي كنا قد سلكناه وقتها، والذي كنا على أتم الاستعداد لأداء الضريبة النضالية من أجله.

س : وفي رأيك ما هي الأخطاء التي كانت قد وقعت فيها حركة 23مارس وأدت إلي اعتقالكم، وإلى أن تصدر ضدكم كل تلك الأحكام القاسية وأن يكون مصير الحركة هو المصير الذي نعرفه اليوم؟

ج : هذا السؤال يجرنا إلى موضوع أعم، فأنا قلت سابقا إن الأحقية التاريخية في التمرد ضد الظلم وضد الاستبداد أحقية ثابتة ولا غبار عليها، وفيما يتعلق بالتقديرات السياسية، فيجب ألا ننسى أننا كنا شبابا وقتها، فمعدل عمرنا كان لا يتجاوز 25 سنة، ولا ينبغي أن ننسى أنه كانت هناك فورة ثورية في العالم ككل، وليس في بلد كبلدنا، ولكن في بلدان متقدمة مثل فرنسا، وألمانيا... وتصاعد تأثير المقاومة الفلسطينية، ونموذج الثورة الفيتنامية. لقد كان أفق الكون أحمر، فهذا أمر لا نقاش فيه، فلقد كان نجاح الثورة بالنسبة لنا على مرمى حجر. فإذا وضعت إمكانية الثورة على مرمى حجر، بالإضافة إلى الليل الأسود الذي كانت تعيشه البلاد، خاصة بعدما انتشر من المعطيات عن الكيفية التي كانت تسير بها دواليب الدولة خصوصا بعد المحاولتين الانقلابيتين.. كل هذه الأشياء كانت تجعل الاختيار الذي قمنا به كشباب اختيارا مشروعا وله ما يكفي من المبررات الموضوعية التي كانت تستوجبه.

س : سألتك عن الأخطاء؟

ج : ربما يأتي على رأسها كما أسلفت سوء التقدير السياسي. فلقد كان يتهيأ لنا أن الشعب سينسجم بسهولة مع أطروحتنا، فلم نكن على دراية بأن الأشياء معقدة في الواقع بشكل يفوق بكثير ما كنا نتصوره، وأن التحول المجتمعي أكبر وأعقد مما يتهيأ لنا ونتخيله في النظريات، والشباب في كل الأحوال من طبيعته أن يتمرد وسوف يظل يتمرد باستمرار.

س : وكيف كانت الصحافة الوطنية تتعامل مع اعتقالكم ومحاكمتكم والنضالات التي كنتم تخوضونها في قلب السجون؟

ج : لم نكن نتوصل في البداية بالجرائد، فالحصار كان مضروبا علينا بشكل مطبق، ومن خلال الأصداء التي كانت تصلنا، والأرشيفات تؤكد كذلك، فإن صحفا معينة لأحزاب ذات وزن في البلاد، هاجمتنا مهاجمة قاسية وقوية خاصة فيما يتعلق بموضوع الصحراء، لأننا كنا ندافع أثناء المحاكمة على حق تقرير المصير للشعب الصحراوي، وهذه المسألة كان حولها توافق بين جميع الأطراف السياسية في المغرب والنظام، ونحن لم نكن ننظر من هذه الزاوية.

وأظن أنه مع مرور السنوات بدأت تتجلى صحة موقفنا، فلقد أصيب الصحراويون بخيبة أمل لأنه كان قد تم التخلي عنهم للاستعمار الإسباني بعد استقلال المغرب في 1956، وكانت خيبة أمل النخبة الصحراوية وبالخصوص الطلبة الذين سيؤسسون فيما بعد البوليزاريو، والذين حاولوا قبل ذلك بكل طاقاتهم تنبيه الطبقة السياسية، وحتى الديوان الملكي للالتفات إلى الصحراء والصحراويين.. وأعتقد أن موقفنا في عمقه كان يحمل إدانة لطريقة تصريف النظام السياسي للسلطة حيث غياب الديمقراطية، لقد كان موضوع الديمقراطية حاضرا بشكل بارز وكبير في اتخاذنا لذلك الموقف.

س : تحدثت عن كون بعض الصحف هاجمتكم بشدة أثناء المحاكمة، هل بإمكانك ذكرها بالأسماء؟

ج : هي صحف معروفة، وإذا رجعت للأرشيف يمكنك بسهولة التعرف عليها، فالتطور الذي حصل في المجتمع وعلى مستوى الدولة هو الإقرار بإجراء الاستفتاء بالمنطقة الذي يعني تقرير السكان لمصيرهم بنفسهم.

س : ربما كان طرحكم متقدما على طرح الدولة، ولكن هذا لا يمنع من القول بأن النظام والمغاربة جميعا كانوا يرفضون الحديث عن شيء اسمه تقرير مصير للشعب الصحراوي، فالصحراء جزء من المغرب كانت محتلة من طرف اسبانيا ووقع استردادها، وكل حديث خارج هذا النطاق كان بالنسبة للمغاربة جميعا يساوي ترويجا لصيغة من صيغ التخلي عن الصحراء التي هي جزء لا يتجزأ من التراب المغربي..

ج : بالنسبة لي شخصيا، بقدر ما كان مطروحا علي الأخذ بعين الاعتبار كل المعطيات التي تحدثت عنها سلفا، بقدر ما كنت متخوفا من احتمال السقوط فيما كان يخطط له النظام الجزائري والذي كان يهدف في إطار صراعه الإقليمي بالمنطقة إلى لعب هذه الورقة.

وأظن أن المشكل مازال مطروحا على هذا المستوى، كيف يمكن أن نراعي كل خصوصيات المنطقة، وكيف يمكن أن نقطع الطريق أمام مثل هذه المخططات التي لا تقيم وزنا إلا لمصلحة دولة هي الجزائر في إطار صراع إقليمي، فإذا كان اليوم الحل الثالث يعني إعطاء إمكانية التعبير عن خصوصيات المنطقة، وفي نفس الوقت يوطد دعائم الديمقراطية ووحدة المغرب الترابية، ربما سيكون التاريخ قد دار دورة وعاد بشكل ناضج إلى حل يرضي أصحاب المصلحة في هذا الموضوع والمعنيين به أساسا وهم الصحراويون والشعب المغربي.

س : ألا ينتاب المعتقل في بعض الأحيان إحساس بأنه مصدر متاعب للآخرين، واقصد بالآخرين الأسرة والأحباب الذين يكونون دائما مطالبين بزيارته وبإحضار الطعام والملبس والدواء والكتاب له، مع ما يسبب لهم ذلك من مشاق ومتاعب مع رجال الأمن وإدارات السجون... ألا يحس المعتقل أنه يسبب الآلام للآخرين؟

ج : أريد أن أناقش هذه النقطة من زاوية محددة، فليس المكافح من أجل الحرية والديمقراطية هو المعتقل بل أيضا من يؤازرونه هم كذلك في وضعية اعتقال، فهؤلاء الجنود المجهولون لم يولوا لحد الساعة حقهم من إعادة الاعتبار، وهذا ينبغي أن يسجل في ضمير المغرب، فهؤلاء الجنود المجهولون هم بلا أمجاد، لأن المعتقل، على الأقل، يُعترف له بتعرضه للاعتقال، في حين أن الأمهات والزوجات والأبناء والإخوة والأخوات الذين كانوا يضحون بالغالي والنفيس من أجل الراحة المادية والمعنوية للمعتقلين لا يعترف لهم بذلك.

وأظن أنه مهما قلنا وحاولنا أن نعوضهم عن معاناتهم، فمن المؤكد أنه لن يعوضهم أحد، ولذلك ينبغي أن يعاد الاعتبار رسميا، في المستقبل، لهؤلاء الجنود المجهولين، ففي عملية إثبات الحقيقة وإقرار الإنصاف، لابد من ساحات تسمى بأسمائهم وكذلك شوارع وتكريم أمهات وزوجات بعض المعتقلين نيابة عن الباقي تجنبا للإجحاف. وفي هذا المجال أذكر أن أختي آسية كانت وكيلة الدولة، وعندما رأت الظلم

الذي لحق مجموعتنا والأحكام القاسية التي صدرت ضدنا ، استقالت وذهبت لممارسة المحاماة، وظلت وفية هي ووالدتي المرحومة لزيارة السجون ومؤازرة السجناء، حتى بعد الإفراج عنا.

س : وأثناء زيارات أسر المعتقلين لذويهم في السجون، هل كانت الأسر تعيش مصادمات ومواجهات مع رجال الأمن وحراس السجون، أم أنها كانت تنعم ببعض التسهيلات والمساعدات من طرف المؤسسات التي كانت تقصدها...

ج : لم يكن الأمر يتوقف على المصادمات المستمرة للتمكن من زيارتنا، بل ساهمت أسرنا في نضالات مشهود بها على الساحة الوطنية، وكان لها صدى دولي لدعم نضالات المعتقلين من أجل فرض احترام حقوقهم، وتعرض الكثير من أفراد الأسر لاعتقالات والمتابعات والتصنت والمضايقات والتحرشات...، ويذكر هنا التضامن الذي تجسد في شكل اعتصام بمسجد السنة بالرباط في1977 و1978 وفي مقر ممثلية هيأة الأمم المتحدة بالرباط..

هذه الأشياء كلها تحسب لأسر المعتقلين السياسيين، ولا يزال تاريخ نضال الأسر في حاجة إلي توثيق، لأن نضالها أسهم بشكل كبير في تأسيس الحركة الحقوقية فيما بعد، وفي إطلاق سراحنا.

س : وكيف كانت تتعامل الأحزاب السياسية في النصف الثاني من السبعينيات مع نضالات أسر المعتقلين، هل كانت تؤازرها وتساندها، أم كانت تتخذ مسافة محددة مما كانت تلك الأسر تخوضه من صراعات من أجل إسماع صوت المعتقل السياسي؟

ج : الطبيعة التي أريد إضفاؤها على مجموعتنا جعلت عدة أحزاب سياسية تتحفظ في التعامل مع قضيتنا الأمر الذي أدى بأسرنا في الكثير من المرات إلي الدخول في ملاسنات مع زعماء سياسيين لأحزاب معروفة من أجل إقناعهم بتبني نضالات المعتقلين، وقد كانت تنجح في هذه المهمة في بعض الحالات وتفشل في أخرى، ولكن على العموم كانت الأسر تعمل على إبقاء جذوة هذه الكفاحات مشتعلة وحاضرة.

س : وكيف تتعامل حاليا مع الأشخاص الذين مارسوا عليك التعذيب، ماذا يصدر منك إزاءهم إذا التقيت بهم في مكان ما؟

ج : لم ألتق بهم مباشرة إلا فيما نذر، ويمكن أن أقول إنني التقيت باثنين ممن كانوا يقفون علي حراستنا في درب مولاي الشريف، وهم يخجلون دائما مما كانوا يفعلون حينما يتعرفون على المعتقل

السياسي، والتقيت بالبطاش وباليوسفي قدور ولم أكلم أي أحد منهما، التقيت بهما صدفة في الشارع.

وأظن أن أشكال الإنصاف القانوني والمعنوي والسياسي تبتدع من طرف الشعوب، ولاشك أن شعبنا سيبتدع الشكل الذي يلائمه، فشيئا فشيئا يتقوى اليوم الكفاح ضد الإفلات من العقاب، وكما قال «بيارساني» فإن محاربة الإفلات من العقاب ينبغي أن تصل إليها الدولة بالرغبة أو بالانصياع، لأن هذا مطلب كوني، ولا يمكن الحديث عن إرساء دعائم الديمقراطية مع الصمت عن مثل هذه الجرائم، وذلك من أجل طي صفحة الماضي بشكل يتيح الاستبعاد النهائي لكل إعادة إنتاج للقهر والتعذيب والمساس بالسلامة الجسمانية للأفراد..

س : تكلمنا عن الماضي الذي أدى إلى هذا الحاضر الذي فيه ما اعتدنا على تسميته تناوبا وتوافقا بما له وما عليه، فالقوى السياسية التي كانت معارضة في الماضي وأدت ثمنا غاليا من جراء نضالاتها تحكم اليوم، انطلاقا من الماضي ومن الشعارات التي كانت مرفوعة فيه، ما هو تقييمك للمرحلة الراهنة، أين نحن الآن مما كانت تطمح إليه شبيبة الستينيات وبداية السبعينيات؟

ج : جوابا على هذا السؤال، يجب أولا تسجيل أنه بالنسبة للمشتغلين بالشأن العام والنخبة والمناضلين على العموم، أصبحت إحالتهم الأساسية هي الإحالة لدولة القانون والمواطنة والديمقراطية، فهذه في اعتقادي قضية جوهرية، لأنها تشكل، صراحة طفرة في تصور العمل السياسي لهذه النخب، ولكن مع الأسف، التوافق الذي جرى مابين الطبقة السياسية ورمز النظام في 1998 لم يسمح بالمضي في هذه الطريق باستثمار للتراكم النضالي الذي وقع في الماضي، فأنا اعتقد أنه لا يعقل أن يتم توافق بشكل لا يعلم عنه الرأي العام شيئا، فالتوافق يتعين أن يكون خاضعا لنقاش عام داخل المجتمع ومُمأسسا وأن تكون نقطة واضحة للمواطنين باعتبارهم معنيين بنفس الدرجة بما سينجم عنه.. فللأسف التوافق جرى بين النخبة ولم يتأت للعموم الإطلاع عليه، وهذا ليس من مصلحة الديمقراطية في شيء.

وأظن أنه يجب على المستوى الدستوري تجاوز إرث مازلنا نتصرف في إطاره، فحقيقة يجب أن نصل إلى مستوى من يحكم 10 ٪ يجب أن يحاسب 10 ٪ ومن يحكم 50 ٪ يحاسب 50 ٪.. لا يمكن أن نستمر بنفس الأسلوب السابق الذي يعطي للبعض إمكانية التصرف في 10 ٪ ويحاسب على 90 ٪ في حين يعطي للآخر سلطة 90 ٪ ولا يحاسب حتى بنسبة1 ٪.. يضاف إلى هذا سلوك النخبة السياسية من النظام، فهي إما أنها تدين المخزن ومبتعدة عنه، وتدين كل من يتصرف معه، وإما عندما تقترب من المخزن، فإنها تتماهى معه، فالمطلوب هو التصرف الناضج الذي هو تصرف المواطنة الحق، فيجب أن نستطيع الوصول إلى أن تكون لأيادينا قدرتها علي المصافحة...

أحمد حرزني

الله شاهد أنني أتحدث عن السجن بدون حقد أو نقمة على أي أحد

س : الأستاذ أحمد حرزني في أي يوم، وفي أي شهر، وفي أي سنة تم اعتقالك؟

ج : اعتقالي تم بالضبط يوم 22 فبراير سنة 1972 بمدينة إنزكان.

س : ماذا كنت تفعل في هذه المدينة لحظة اعتقالك بها؟

ج : ذهبت إلى إنزكان لهدفين، الأول كان توزيع منشور، كنا قد أنجزناه، وكلفت بإيصاله إلى المدن الموجودة ما بين الرباط حيث كنت أقيم، وأكادير. وتوقفت في آسفي والصويرة، وأخيرا في إنزكان، حيث كان لي صديق ورفيق هو محمد باري، وكنت مقيما عنده في المنزل، وكان يشاطرني نشاطي السياسي. هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فلقد كنا في تلك الفترة منخرطين كلية في العمل السياسي، وبالنسبة للرفاق الذين كانت لهم حياة عائلية، كانوا يعيشون تحت ضغط كبير، لأنهم كانوا يشتغلون بشكل متواصل، ولا يخرجون في عطل للإستراحة.

ولهذا السبب اعتبرت زيارتي إلى أكادير لتوزيع المنشورات بها مناسبة للاستجمام، رغم أن الشهر كان شهر فبراير، لأن مناخ أكادير يسمح للإنسان بالاستجمام حتى في هذا الشهر، ولذلك قررت أن ترافقني زوجتي، وفعلا خلال إقامتي في إنزكان، قضيت يومين في شاطئ تاغزوت صحبة زوجتي، ولم أستطع المكوث طويلا في الشاطئ لأن الجو كان باردا، فغادرنا الشاطئ. وبالضبط في الليلة التي غادرنا فيها الشاطئ، وتوجهنا إلى منزل الرفيق باري محمد صديقي، في الفجر اقتحم البوليس منزله، واعتقلوا كل من كان في المنزل، إلا والدة الأخ باري. لقد اعتقلوني وزوجتي، ثم باري وأخويه اللذين لم تكن لهما أي علاقة بالسياسة.

س : ماذا كانت تتضمن المناشير التي كنت توزعها، وإلى ماذا كانت تدعو؟

ج : إذا كنت أتذكر جيدا، فإننا كنا مقبلين في سنة 1972 على استفتاء لتعديل دستوري فيما أظن، والمنشور الذي كنت أوزع، كان يندد بالصيغة الدستورية التي كانت مقترحة آنذاك.

س : ما هو التنظيم السياسي الذي كنت باسمه توزع المنشور المندد بالدستور؟

ج : تنظيم ماركسي لينيني سري.

س : ما هو اسمه؟

ج : إلى ذلك الحين لم يكن يحمل اسما، اللهم إلا إشارة " ب"، كنا نطلق عليه اسم "ب"، لسبب بسيط هو أن هذا التنظيم كان هو أول تنظيم ماركسي لينيني، كان موحدا، و شرع في نقاش مع تنظيم آخر تكون على إثر انشقاق من حزب التحرر والاشتراكية آنذاك، وهي الجماعة التي ستحمل فيما بعد اسم"إلى الأمام". فإلى حدود ذلك الوقت، لم يكن لا التنظيم الأول ولا الثاني اختارا اسمين لهما، ولهذا كانا يتعارفان فقط بحرفي"أ" و "ب". حرف "أ" هي الجماعة التي انشقت عن حزب التحرر والاشتراكية، و "ب" هي الجماعة التي تكونت من عدة أنوية تأسست خلال الستينيات، وبالأخص خلال أحداث 1965، وتم توحيدها في مارس1970، هذه الجماعة هي التي كنت إلى ذلك الوقت أنتمي إليها، رغم أنه كان قد بدأ وسط هذه الجماعة ظهور شرخ، وكنت أنا أمثل فيها جناحا معارضا للجناح الذي كان قد استولى على قيادة هذه المجموعة، وأظن أن ذلك حدث في صيف 1970.

س : لماذا اختيار جماعتكم لاسم "ب"، لماذا لم يكن لها اسم واضح ومحدد؟

ج : كنا نشتغل في السرية، ولم نكن نعير أهمية كبيرة للاسم، فالمنشورات كنا في كل مناسبة نصدرها باسم مختلف، لم نكن مقيدين باسم واحد، وبخصوص التنظيمات التي خرجت من تنظيم «ب» ، هما تنظيمان خرجا منه أساسا، ما سيسمى فيما بعد 23 مارس، والمجموعة التي ستحمل فيما بعد لنخدم الشعب.

س : اسم 23 مارس معروف لماذا أطلق على التنظيم الذي حمله، وذلك في ارتباط مع أحداث 23 مارس لسنة 1965، ولكن اسم لنخدم الشعب من الذي اقترحه، وماذا كانت الغاية من تسمية تنظيم سياسي بهذا الاسم؟

ج : الذي كان يميز المجموعة التي ستحمل فيما بعد لنخدم الشعب على المستوى الفكري هو تبنيها للفكر الماوي، أي فكر ماوتسي تونغ، وكما لا يخفى على القارئ، فإن من مؤلفات الزعيم ماوتسي تانغ مؤلف صغير يحمل عنوان «لنخدم الشعب»، من هنا جاء اختيار هذا الاسم، فأولا لكونه

بصفة مركزة جدا، يلخص المنطلقات الفكرية للجماعة المعنية، ولأنه ثانيا كان يعكس بالضبط مفهومنا للعلاقة مع الجماهير. فالإخوان الذين اختاروا هذا الاسم، وأنا لست منهم، لأنني كنت قد اعتقلت قبل أن يتم اختيار هذا الاسم، وقبل حتى أن يتم الانشقاق داخل مجموعة «ب» وتفرقها إلى 23 مارس ولنخدم الشعب، اختاروه اسما ليبينوا من خلاله أنهم كانوا رهن إشارة الشعب وفي خدمته.

س : إذا كان ممكنا الأستاذ أحمد ذكر أسماء بعض الرفاق الذين كانوا معك في هذه الفترة في تنظيم لنخدم الشعب، والذين لهم مواقع حاليا، إما في الأحزاب أو الجمعيات أو في أجهزة الدولة...؟

ج : السؤال على بساطته هو في نفس الوقت صعب، لماذا؟ لأنني اعتقلت قبل أن تتأسس لنخدم الشعب، ولكن يمكن أن أقول للقارئ، إن الإخوان الذين رسموا خط لنخدم الشعب، قبل حتى أن يتأسس هذا التنظيم، أي أنهم كانوا يمثلون هذا التوجه داخل مجموعة «ب»، هم أناس مثل سيون أسيدون، محمد باري، عبد اللطيف الدرقاوي، كمال لحبيب. هؤلاء من الرعيل الأول.

ثم هناك آخرون عرفوا فيما بعد، مثل محمد شغو، عمر الزايدي. وهناك رفاق ربما لعبوا دورا أكبر من غيرهم في تجربة لنخدم الشعب ، وأسماؤهم غير معروفة، لأنهم ظلوا يعملون في إطار السرية إلى حدود السنوات الأخيرة، وهؤلاء لن تعني أسماؤهم أي شيء بالنسبة للقارئ، ولكنهم كانوا هم الجنود المجهولون الذين يمتلكون في الحقيقة إرث لنخدم الشعب أكثر من أي أحد آخر.

س : نحن نتكلم حاليا عن نهاية الستينات وبداية السبعينيات وبروز تنظيمات سياسية في المغرب تتبنى الفكر الماوي والماركسي اللينيني، لماذا حدث تعدد في التنظيمات التي كانت لها مرجعية فكرية واحدة، ولماذا لم يكن في تلك الفترة تنظيم ماركسي لينيني واحد يشمل كل هذه التنظيمات مادام أن هدفها كان واحدا؟

ج : كانت المرجعية الفكرية واحدة، وكانت بالنسبة للجميع هي الماركسية اللينينية، ولكن قراءة كل واحد لهذه المرجعية المشتركة كانت تختلف من جماعة إلى جماعة ومن فرد إلى فرد، وهذا لم يكن في الواقع خاصا بالمغرب. فمن المعروف أن الحركة الشيوعية في ذلك الإبان كانت تخترقها اختلافات كثيرة مبنية على تأويلات مختلفة لنفس النصوص الأصلية.

هكذا كنا نسمع عن التأويل الماوي للماركسية، وفي الصين نفسها كانت هناك قراءة تحريفية للماركسية وقراءة ماوتسي تونغ، والصراع بين هاتين القراءتين هو الذي أدى إلى الثورة الثقافية، فإذن في الصين كان هناك صراع كبير حول تأويل النصوص، وكانت اتجاهات متعددة في العالم اتجاه الاتحاد السوفياتي، اتجاه تيتو، اتجاه تروتسكي، فما يميز الفكر الماركسي هو أنه كأي فكر، لم يكن قابلا لتفسير أو تأويل واحد، وهذا انعكس علينا في المغرب.

س : ما الذي شدكم أنتم شباب تلك المرحلة إلى الفكر الماركسي اللينيني؟ ما الذي جعلكم تعتنقون مبادئ الماركسية وتتشبثون بها إلى أن دخلتم نتيجة ذلك إلى السجن وتعرضتم للتعذيب؟

ج : بكل بساطة في تلك المرحلة كان الفكر الاشتراكي والفكر الماركسي هو فعلا الفكر الوحيد الذي يمكن اللجوء إليه بالنسبة لكل واحد يسعى لخدمة الطبقات المضطهدة، ويسعى بصفة عامة لتحقيق قيم العدالة والحرية. لم يكن هناك فكر آخر، طبعا كانت توجد إيديولوجيات ربما هي تحررية جزئيا، مثل الوجودية التي كانت منتشرة في تلك المرحلة، ولكنها كانت من طبيعتها فلسفة متجهة صوب الفرد، بينما الذي كنا نحن نسعى ونتوق إليه هو فكر قادر على تعبئة الجماعات والطبقات، إن لم نقل الشعب بأكمله، وبالتالي لم يكن بالإمكان ابتكار خير مما كان. وجدنا ضالتنا في الفكر الماركسي الذي كان بداخله هو أيضا اجتهادات متنوعة، فنحن مثلا كنا نرفض تأويل حزب التحرر والاشتراكية للماركسية.

س : ماذا رفضتم في هذا التأويل؟

ج : رفضنا كون حزب التحرر والاشتراكية قام بتأويل للماركسية يبرر به مهادنته للحكم القائم في البلاد، ويبرر، إلى حد ما، هامشيته، لأنه كان شبه راض عن هامشيته، لقد كان حزب أقلية، والأدهى هو أنه كان يبدو راضيا بكونه أقلية، ولا يبذل مجهودا كبيرا في نظرنا لكي يلتحم بالجماهير ويتوسع وسط صفوفها، فاستراتيجية الحزب كلها كانت هي التحرك في ظل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وتحقيق مكتسبات عن طريق مجاراة الاتحاد من جهة، ومهادنة النظام من جهة أخرى.

س : هذا هو رأيك فيما يخص حزب التحرر والاشتراكية آنذاك، أريد أن أعرف رأيك كذلك في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، كيف كانت نظرتكم إليه؟

ج : كان الاتحاد الوطني في مخيال الشباب والطبقات الشعبية بصفة عامة هو حزب القوات الشعبية فعلا، ولهذا كنا نجد أن عددا كبيرا من مؤسسي الحركة الماركسية اللينينية، قضوا مددا قصيرة

أو طويلة داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وأنا بدوري كان لي في فترة معينة أكثر من تعاطف داخل هذا الحزب، بل نشطت لفترة معينة في صفوفه، ولكن وجدنا، وبالأخص ابتداء من سنة 1963، أن الحزب أصبح جامدا، يكاد لا يتحرك، وبعد ذلك فهمنا لماذا؟

فهمنا أن الذي كان سببا في الجمود هو طبعا القمع الذي كان مسلطا على مناضليه، ولكن أكثر من ذلك، تضارب الاستراتيجيات بين عناصره القيادية، ولذلك سريعا ما اقتنعنا أن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لم يكن الحزب، أو الأداة التي كنا نطمح لأن تكون موجودة وفعلية لتعبئة الجماهير الشعبية، ولتحقيق مكتسبات على طريق التحرير، مما اضطرنا للبحث عن آفاق أخرى، فوجدنا في الفكر الماركسي اللينيني ضالتنا، لاسيما أن الفكر الماركسي كان في مناطق أخرى من العالم مرجعية حركات التحرر التي كانت تتصدر النضال التحرري على الصعيد العالمي.

س : الأستاذ حرزني، تحدثنا عن نظرتكم كشباب لحزب التحرر والاشتراكية، ثم حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، شيء عادي وطبيعي أن شباب اليوم يريد أن يعرف كيف كانت نظرتكم لحزب الاستقلال الذي يوجد اليوم في الكتلة، في أي خانة كنتم تصنفونه؟

ج : نظرتنا في ذلك الوقت إلى حزب الاستقلال، كانت نظرة تعتبره أنه حزب البورجوازية، ورغم أن البعض منا في سن مبكرة عاش الأجواء التي كان فيها حزب الاستقلال هو حزب المغاربة جميعا، رغم ذلك، أصبحنا ننظر إليه فيما بعد على أساس أنه حزب بورجوازي، فأبي كان يشتغل في جهاز من أجهزة الدولة، إلا أنه كان في فترة معينة، لما أقمنا في الدار البيضاء، كان كاتبا لحزب الاستقلال في عين الشق، وكانت اجتماعات أعضاء الحزب المقيمين في عين الشق تجري في منزلنا، فنحن إذن كبرنا مع فكرة أن حزب الاستقلال هو حزب المغاربة جميعا، إلا أنه بعدما وقع الانشقاق بدأت أسئلة تطرح حول هذا الحزب.

س : ألم يكن لديكم أي عداء لحزب الاستقلال؟

ج : لا أظن أننا كنا نكن عداء ما لحزب الاستقلال، ولكن بعد الانشقاق ترسخ في مخيال الناس أن الاتحاد الوطني أصبح هو حزب القوات الشعبية، والاستقلال هو حزب البورجوازية، حزب محافظ أقرب لمهادنة الحكم والتعامل الإيجابي معه، وهذا تبين بعد إقالة حكومة عبد الله إبراهيم، حيث ساير حزب الاستقلال الحكم، وهذه المسألة ربما رسخت في الأذهان، عن حق أو باطل، أن حزب الاتحاد

الوطني للقوات الشعبية يساوي اليسار وقيم العدالة والتحرر والتقدم، بينما حزب الاستقلال أصبح بالنسبة لنا يساوي قيم المحافظة والمهادنة.

أنا أتكلم حاليا عن وعي معين اكتسبناه في فترة تاريخية محددة، ولاسيما أنه كان يشاع، والأمر يدخل، ربما، في إطار الحرب السيكولوجية، أن حزب الاستقلال هو حزب لجهة معينة في المغرب، وليس للمغاربة كلهم، وُنسبت أشياء للزعيم علال الفاسي، وزعموا أنه كان يصرح أينما حل وارتحل «أنا مير وأنت مير.. ومن يسوق الحمير» ، وأشياء من هذا القبيل هي في الغالب غير صحيحة، ولكنها كانت تصنع وعيا وفكرا. فالأساس هو أن حزب الاستقلال، كان بالنسبة لنا حزبا من الماضي، لقد أنجز مهمته التاريخية، ونحن في مرحلة جديدة تلزمها أداة جديدة.

س : ربما كان شباب تلك المرحلة يبحث عن جهة ما ليحملها مسؤولية انسداد الأفق السياسي أمامه، فوجد في حزب الاستقلال ضالته، وأخذ يعامله بعدوانية الشباب المفهومة والمبررة.

ج : ربما، ولكن مع ذلك، لم تكن لدينا عدوانية تجاه حزب الاستقلال بالمعنى الحرفي لكلمة عدوانية، ففي النصوص الأولى للحركة الماركسية، كنا نصب، إن جاز هذا التعبير، عدوانيتنا الشبابية على الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، لأنه من وجهة نظرنا كان قد خيب ظننا فيه، بينما حزب الاستقلال كان ينتمي إلى التاريخ. فمجموعة "ب" نصها الأساسي كان هو نقد الإصلاحية، وكنا نعني بها الإصلاحية داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وإلى حد ما حزب التحرر والاشتراكية أكثر مما كنا نعني حزب الاستقلال الذي كان بالنسبة إلينا قد انتهى، وأصبح جزءا من التاريخ.

س : الأستاذ أحمد ماذا كان عملك في اللحظة التي اعتقلت فيها؟

ج : في اللحظة التي اعتقلت فيها كنت بدون عمل، لأنني كنت قد قضيت 3 سنوات في كلية الآداب في الرباط، وفي صيف 1970 عينت معلما في تازة، واشتغلت لبعض الوقت معلما، ونظرا للملاحقات والمضايقات دخلت في السرية، وأصبحت بلا شغل.

س : كنت متزوجا ولم يكن لك شغل، فكيف كنت تعيش أنت وزوجتك؟

ج : نعم كنت بدون شغل، وكنا نعيش بأجرة زوجتي التي كانت طالبة في المدرسة العليا للأساتذة، وكانت لها أجرة لا بأس بها وقتها،لأن منحة الطلبة الأساتذة كانت تكفينا في حاجياتنا الأساسية.

س : وهل كان متاحا للمناضل في تلك الفترة أن يعيش ويتحرك في إطار السرية؟

ج : طبعا، والدليل هو أننا كنا نعيش في إطار السرية بدون أية موارد، إلا ما كنا نتوفر عليه إما بحكم شغل المناضل أو شغل زوجته. لقد كنا نعيش حياة متقشفة جدا، ولكن حاجياتنا مثل السفر أو شيء من هذا القبيل كانت في متناولنا، ولما كنا ننتقل إلى أماكن أخرى، كنا نقيم عند بعضنا، وتكاليف الحياة في حدود هذا المستوى كانت متيسرة لنا.

س : قصدي من السؤال هو أنه في كل مراحل تاريخ المغرب كان النظام يطوق الشارع والعيون ترصد جميع ما يجري فيه، هل كان بإمكان المناضل أن يتحرك في السرية رغم التطويق والحراسة؟

ج : صحيح أنه كانت للنظام دائما قدرة على التطويق والاستخبار، ولكن أظن أن النظام لم يكن يدرك منذ أول وهلة أنه كان إزاء تنظيمات مستقلة من نوع جديد، بقدر ما كان لديه نوع من الارتباك بحيث كان يخلط هذه الحركة بتلك، هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فنحن كانت لنا واجهة نشتغل عليها، وكانت هي واجهة العمل الطلابي، وربما هذا ساهم في كون الحكم، رغم درايته بالموضوع، لم يكن ملما بجميع التفاصيل، ولم تكن الأمور محسومة لديه، لأن التنظيمات الماركسية كانت جديدة على الساحة السياسية، مما أدى إلى أن تستمر لوقت لا بأس به في عملها قبل أن ينتبه إليها النظام.

س : الأستاذ أحمد حرزني حين تم اعتقالك في إنزكان إلى أين تم اقتيادك؟

ج : وقع اقتيادي مباشرة إلى مركز الدرك بمدينة أكادير حيث شُرع في تعذيبي من طرف كولونيل من الدرك، وأعرف اسمه، ولا حاجة لذكره.

س : هل مازال على قيد الحياة؟

ج : نعم ما زال على قيد الحياة وهو متقاعد اليوم.

س : قد يود القارئ الإطلاع على اسمه لمعرفة جزء من تاريخه؟

ج : ليس ضروريا، فلقد مارس علي التعذيب، ثم بعد ذلك كدسنا جميعا في فاركونيت، أنا وزوجتي والرفيق باري وأخويه، وكنا مكبلين، ونقلنا إلى الرباط، وأظن أننا وضعنا رهن إشارة الدرك بالرباط، ثم أخذنا إلى دار المقري، وكنا، أظن، آخر جماعة استعملت دار المقري مأوى لتعذيبها.

س : هل كانت زوجتك أيضا منخرطة معك في نفس التنظيم، أم أنها اعتقلت فقط لأنها كانت زوجتك؟

ج : لم تكن مناضلة بالمعنى التنظيمي للكلمة، طبعا لم يكن ممكنا أن تكون إلا متعاطفة معي، ومع أصدقائي في التنظيم، ولذلك فإن اعتقالها كان بدون سبب أو مبرر، ومدة مكوثها في دار المقري كانت أطول من مدة مكوثي هناك.

س : كيف وقع لتظل زوجتك معتقلة بدار المقري لمدة أكثر من مدة اعتقالك؟

ج : الذي حدث هو أننا نحن الجماعة التي اعتقلت في شهر فبراير، ربما استفدنا من كون أن المغرب كان على أبواب إجراء استفتاء دستوري، وكان البوليس يستنطقنا ويعذبنا بنوع من الاستعجال. كان واضحا أنهم يريدون التخلص منا من دار المقري بأقصى سرعة لإحالتنا إلى السجن، ولهذا لم تتجاوز إقامتنا بدار المقري 15 أو 16 يوما.

غير أنه في الأيام الأخيرة لإقامتي بدار المقري، تم اعتقال رفاق آخرين من المجموعة الأخرى، أي مجموعة " أ "، وأظن أنه كان قد اعتقل وقتها عبد اللطيف اللعبي، وربما أنيس بلا فريج الذي لم تكن لنا علاقة به، لا نحن ولا جماعة" أ "، لقد اعتقلوا واضطروا أن يحتفظوا بهم في دار المقري، فاحتفظوا بزوجتي وزوجة رفيق آخر اعتقل في نفس الوقت الذي اعتقلت فيه، احتفظوا بهما إلى أن انتهوا من المجموعة الثانية، وهكذا كانت إقامة زوجتي بدار المقري حوالي الشهر أو أكثر بقليل.

س : شهر في دار المقري ظلما وعدوانا؟

ج : ظلما وعدوانا.

س : هل بإمكانك أن تحدث القارئ عن دار المقري من داخلها؟

ج : ما أذكره عن دار المقري هو التعذيب، وظلمة مستمرة، لأننا كنا نحمل عصابات طول الوقت في الليل وفي النهار، وأظن أن المرة الوحيدة التي رأيت فيها أشعة الشمس خلال تلك المدة، كانت بعد حصة تعذيبية مكثفة، إذ ارتأوا، بعد أن كنت مبللا بالماء المتسخ، وعلى حافة الموت، ارتأوا أن يحملوني إلى ساحة معينة لمدة ساعة تقريبا، حيث تلقيت أشعة الشمس، ومن تحت العصابة تمكنت من رؤية

أشجار الليمون، وكانت كثيرة، وأظن أنني كنت في حديقة دار المقري التي لا أذكر منها إلا أشجار الليمون وبلاط من الزليج، أما عدا ذلك، فإنني كنت في ظلمة مستمرة وعزلة عن الإخوة الآخرين الذين كانوا معي في المعتقل طوال 15 يوما.

س : الذين كانوا يشرفون على تعذيبكم في دار المقري، كيف كانت علاقتكم بهم، كيف كانوا يعاملونكم، هل تصدر عنهم جميعهم نفس التصرفات، أم هناك اختلاف في التعامل؟

ج : ربما لم تكن المدة التي قضيتها في دار المقري طويلة لكي أتبين من الاختلاف في السلوكات، ولكنني لم ألمس أي تباين في التصرفات، اللهم إلا ما لاحظته في وقت معين، ذلك أن تعذيبي بدأ في أكادير، والكولونيل الذي ذكرت أنه كان يعذبني برجل مائدة، وكانت مربعة، واستعملها في ضربي على القدمين، وكانت قدماي قد انتفختا بشكل كبير، وأخذتا تتعفنان، وأذكر أنهم في مرة أو مرتين أتوا لي بماء ساخن وفيه ملح، وطلبوا مني أن أضع قدمي فيه، ولا أعلم إن كان الأمر يتعلق بمبادرة من أحد المشفقين ممن كانوا مكلفين بتعذيبي، بحيث هاله الوضع الذي كنت عليه فأراد التخفيف عني بعضا من الألم، أم أن هذا مجرد إجراء عادي يتم اتخاذه لكي لا يخرج الإنسان من المعتقل بآثار وندوب يمكن أن تكون شاهدا على التعذيب.

س : ما هي التهم التي تمت إحالتكم بها على المحكمة؟

ج : التهمة التي وجهت لي ورفاقي هي المؤامرة ضد أمن الدولة.

س : عبارة المؤامرة ضد أمن الدولة عبارة فضفاضة بعض الشيء، هل وجهت لكم تهمة محددة، فعندما يتهم الإنسان بالتآمر، يتعين أن يتم إظهار ماذا كان يفعل لكي يتجسد تآمره ضد أمن الدولة على أرض الواقع؟

ج: طبعا لا شيء كان مجسدا ومحددا. اعتمدوا فيما اعتمدوا عليه ليلصقوا هذه التهمة بنا على كوننا جماعة سياسية، كنا ضد النظام الحاكم، والسؤال في حقيقة الأمر ينبغي أن يوجه إليهم، وموضوعيا يبدو لي كما تبدى للسيد عبد الرحيم بوعبيد في حينه، والذي كان زارنا في الأيام الأولى بعد نقلنا إلى السجن، وأذكر أنه صرح بنوع حتى من الاستخفاف بالقول عن ملفنا: هذه جنحة صحفية، un délit de presse، لا أقل ولا أكثر، لأن الشيء الوحيد الذي عثروا عليه هو جريدة سرية كنا أصدرناها وكان اسمها "صوت الكادح".

س : ألم توجه لكم تهمة حمل السلاح؟

ج : خلال المحاكمة أثير موضوع السلاح، ولكن تبين بأن هذه التهمة لا أساس لها من الصحة، لأنهم لم يستطيعوا في وسائل الإثبات الإتيان ولو بخنجر كسلاح في حوزتنا، لذلك فتهمة حمل السلاح كانت مجرد أسطورة، حتى لو كانت صحيحة، فالقضية خاضعة للنقاش، فأنا مثلا نسب إلي أنني كنت أملك مسدسا، وأظن أن مسدسا واحدا غير كاف لإثبات تهمة حمل السلاح للتآمر على النظام بواسطته، فمسدس واحد، هو في أقصى الحالات كان يمكن أن يعتبر حملا للسلاح بدون رخصة.

س : حمل السلاح بدون رخصة، وبهذه الصيغة التي تتحدث عنها، يمكن أن يوجه كاتهام إلى مواطن عادي يتحرك في إطار طبيعي، ولكن عندما يتعلق الأمر بشاب مؤطر سياسيا، ويحلم بتغيير النظام، ويتحرك بشكل ديناميكي لتحقيق هذا الغرض، بالنسبة للنظام، حمل السلاح من طرف هذا الشاب، يمكن أن يكون مصدر قلق وإزعاج، ويستحق في نظر النظام أن يكون تهمة خطيرة..

ج : لا أظن ذلك، لأنه حتى ونحن نتحدث عن تنظيم، لا يمكن أن تكون مصداقية لاتهامه بحمل السلاح، إلا إذا كان الأمر يتعلق بسلاح بصيغة الجمع، أما أن يكون تنظيم بكامله يتوفر على مسدس واحد، فلا أعتقد أنه يمكن وقتها الحديث عن حمل لسلاح بهذا الإطلاق، ثم أكرر لك، إن النيابة لم يكن بمستطاعها أن تأتي بهذا المسدس في الحين، كإثبات ضدنا خلال المحاكمة.

س: وكم كان عدد الذين عرضوا معك في المحاكمة ؟

ج : لم تقتصر المحاكمة على المجموعة التي كنت أنتمي إليها، ففي نفس الفترة اعتقل إخوان آخرون، ووضع للجميع ملف واحد، لقد اعتقلنا في فبراير 1972، ومحاكمتنا لم تتم إلا في غشت 1973، فبعد اعتقالي أنا ومجموعة أخرى، كنا حسب ما أظن 14 شخصا، وأضيف إلينا آخرون من مجموعة إلى الأمام، وأعضاء مما يسمى بمجموعة أنيس بلافريج، وأظن أننا انتهينا في المجموع إلى أن نكون حوالي 50 شخصا، ولقد صنع لنا ملف واحد، رغم أننا كنا ثلاث مكونات، ومختلفين في التنظيم، وفي التحركات، ولكنهم اعتمدوا على كون بعض الأشخاص كانوا مثلا في تنظيم "ب"، وحدث أن اتصلوا سواء بحكم الدراسة أو العلاقة الشخصية بأعضاء من تنظيم" أ "، فعلى هذا

الأساس صنع ملف للجميع، وقدم الجميع للمحاكمة خلال غشت 1973، في الوقت الذي كانت تجري فيه محاكمة أخرى للإخوان الذين اتهموا بالمشاركة في أحداث 3 مارس لسنة 1973.

س : ومن هم المحامون الذين رافعوا دفاعا عنكم؟

ج : كانوا كثرا، وفيما يخصني كان محامي الرئيسي هو الأستاذ عمر بنجلون رحمه الله، لقد تنصب للدفاع عني بمجرد إحالتي على المحكمة، ولكنه بدوره اعتقل في قضية 3 مارس 1973، وإذ ذاك أرسل لي الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد للدفاع عني، ولقد زارني في السجن رحمه الله، وعرض علي مؤازرتي، وقبلت طبعا، وإلى جانبه كان محامون آخرون، منهم عبد الرحيم برادة، وعبد العزيز بناني، ومحمد الحلوي.. وآخرون.

س : أنتم شبيبة ذلك التاريخ كنتم تعتبرون أن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية حزب انتظاري وإصلاحي، ومنكم من كان يصفه بالرجعي... ولكن حين اعتقلتم، فإن مناضلي هذا الحزب هم الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عنكم، ألم يكن هذا الأمر يشكل أي مصدر للارتباك لديكم فيما يخص نظرتكم للاتحاد وقتها؟

ج : بالنسبة لنا لم يكن هناك أي تناقض في موقفنا، فسواء عبد الرحيم بوعبيد أو عمر بنجلون أو عبد العزيز بناني... هؤلاء كلهم شاركوا في عملية 1972، العلاقات التي كانت لنا معهم يعود تاريخها إلى ما قبل اعتقالنا، فأنا شخصيا ورفاق آخرون، كانت لنا علاقات جيدة مع عمر بنجلون ومناضلين آخرين، وهؤلاء كانوا يشاطروننا نصيبا كبيرا من الانتقادات التي كنا نوجهها للاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي كان يسلك سياسة انتظارية، ولقد تبين أن هذا صحيح. والمناضلون الاتحاديون الذين كنا على اتصال بهم، كانت لهم هم أيضا هذه الانتقادات..

لقد كانت لنا خلافات مع المناضلين الاتحاديين، ولكن كانت لنا أيضا قواسم مشتركة معهم، وأكثر من هذا، عندما كنا في مرحلة توحيد الأنوية الماركسية اللينينية، وتأسيس ما سيسمى بمجموعة "ب" ، في ذلك الإبان، كنا على علم بمجهودات عمر بنجلون لتمرير ما سيسمى في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالمذكرة التنظيمية، والتي كانت على كل حال، تهدف إلى الخروج من الانتظارية التي كنا ننتقدها. فبالنسبة لنا، ولدرجة وعينا في تلك المرحلة، كنا نعتبر أن تبني الفكر الماركسي اللينيني، هو الحد الفاصل والأدنى الذي لا يمكن القبول بغيره، ولكن الحزب في ذلك الوقت، كان الفكر الماركسي اللينيني لا يعني له شيئا.

س : كان يتبنى كاختيار الاشتراكية العلمية، ولعلها هي جوهر الفكر الماركسي اللينيني ؟

ج : الاشتراكية العلمية كانت بالنسبة لنا تعبيرا محتشما يراد به عدم المواجهة، وتجنب الاصطدام بالنظام، وإذا كانت الاشتراكية العلمية تعني الماركسية اللينينية، فلماذا لا نستعمل المصطلح ذاته، فهذا التهرب من الإحالة الصريحة على فكر ماركس ولينين، كنا نعتقد، أنه بالنسبة لمناضل ثوري، مسألة ليس لها ما يبررها.

س : هل مثل هذا الخلاف حول أشياء قد تبدو للبعض بسيطة، كان يستوجب ألا تكون لكم مكانتكم داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وأن تناضلوا في صفوفه من أجل تحقيق الأهداف التي كنتم تودون إدراكها، والتي كانت على العموم، هي أهداف الاتحاد؟

ج : سندخل هنا في مجال الصدف التاريخية باستعمال عبارات من نوع «لو» ، فلو أننا كنا قبل الشروع في المجهودات التأسيسية المستقلة، وجدنا أمامنا المذكرة التنظيمية داخل الاتحاد التي حررها عمر بنجلون، ربما لأخذت الأمور مسارا آخر، ولكن المذكرة التنظيمية لم تطرح إلا بعد أن شرعنا، في مختلف الأنوية، في بناء إطار مستقل، وكانت قد تكونت لدينا روح هوية مستقلة. والأمر الذي ينبغي الاعتراف به هو أنه رغم مجهودات عمر بنجلون مثلا، فإن تواجد خطوط واستراتيجيات مختلفة داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أمر لم يكن قد حسم بعد. فالاختيار الماركسي كان قد تبنى موقفا غير متحمس لما كنا نسميه مثلا بالبلانكية، بينما كانت البلانكية مازالت موجودة في الحزب، لقد كنا مندفعين في مرحلة التأسيس، وكنا محتاجين للوضوح الفكري والاستراتيجي والسياسي، وهذا ما لم يكن متوفرا من وجهة نظرنا داخل الاتحاد في ذلك الوقت.... وهذا هو الذي يفسر أنه ظلت هناك مسافة بيننا وبين الإخوان داخل الاتحاد الوطني، ولكن هذا لا ينفي وجود علاقات ودية بيننا وبينهم.

س : أنت شخصيا هل كانت نظرتك في تلك الفترة لمناضل اتحادي نظرة إيجابية؟

ج : قلت لك إننا كنا نشاطرهم توجهات عامة واحدة، وكنا كلنا تقدميين وثوريين، ولكننا كنا نختلف في ترجمة هذه التوجهات إلى خطوط فكرية واستراتيجية نضالية.

س : في تلك المرحلة التاريخية كان يصعب على المناضل القبول بالآخر الذي يختلف معه في الرأي وفي الانتماء، فإذا كنت ماركسيا لينينيا، فإن الاتحادي كان في رأيك رجعيا، وإذا كنت اتحاديا، فالماركسي اللينيني كان عدميا وفوضويا..

ج : لا أظن ذلك، فنحن كنا قد شرعنا لحظة التأسيس في مسارنا المستقل، وبقيت بيننا وبين العديد من الإخوان علاقات ودية جدا، لقد كنت على اتصال ومعرفة بعمر بنجلون قبل اعتقالي، وكان لدينا إزاءه تقدير كبير نظرا لإخلاصه، وأظن أنه حتى الإخوان داخل الاتحاد كانوا ينظرون إلينا بأننا متطرفون وغير ناضجين، ولكن مع ذلك كانت لدينا معهم علاقات طيبة جدا، لدرجة أنهم أطلعونا بتفصيل على الخطوة التي أقدموا عليها سنة 1972، وأنا شخصيا اطلعت على العديد من الوثائق الموجهة إلى الحزب بخط يد عمر بنجلون رحمه الله، واستشارونا في خطوة 1972 وعبرنا عن تحفظاتنا التي تحدثت عنها، ومن بينها ألا يأخذ الأمر بعدا انشقاقيا، لقد كنا نقدر تقديرا عاليا الأستاذ عبد الله إبراهيم، وكنا نفضل لو أنه استشير في كل الخطوات، لقد كنا نميز بين الاتجاه النقابي للاتحاد المغربي للشغل داخل الحزب، والأستاذ عبد الله إبراهيم، وهذه كانت من التحفظات التي عبرنا عنها.

س : الأستاذ احمد بكم تم الحكم عليك ؟

ج : تم الحكم علي ب 15 سنة سجنا نافذا، وحدث ذلك في سنة 1973، ولو اعتقلت بعد ذلك لكنت من المحكوم عليهم بالمؤبد، فأعلى حكم في سنة1973 بالنسبة لأعضاء مجموعتنا، كان هو 15 سنة، وكان من نصيبي.

س : لماذا لو اعتقلت بعد 1973 لكان الحكم الصادر في حقك هو المؤبد؟

ج : إلى حدود سنة 1973 كان الحكم على ما أظن، لا يزال لم يدرك حجم الحركة التي كنا أعضاء فيها، بعد سنوات 1973 و 1974 و 1975 بدأ الحكم يدرك أنه كان إزاء حركة لا يستهان بها، وبالتالي صار قاسيا وحازما في إصدار الأحكام.

س : كم قضيت في السجن من هذه المدة المحكوم عليك بها؟

ج : قضيت منها 12 سنة ونصف، وخرجنا مجموعة من المناضلين بعفو، ولكن حسب علمي لم يطلب أي أحد منا العفو، ولكن الظرفية السياسية تقتضي في بعض الأحيان من الحكم اتخاذ مثل هذه الإجراءات.

س : بعد خروجك من السجن عقب قضائك لمدة 12 سنة ونصف وراء القضبان، ما هي الأشياء التي فاجأتك أو صدمتك كتحولات ومتغيرات حدثت في الواقع؟

ج : الليلة التي خرجت فيها من القنيطرة وتوجهت إلى الدار البيضاء، حيث كانت تترقبني أمي وأخواتي، فوجئت إيجابيا بالطريق السيار والطرق المتفرعة عنه شرق وغرب المحمدية، وكان أول انطباع تكون لدي بفضل الطريق السيار هو أنه وقع نوع من التقدم في مجال البنيات التحتية، ولقد كان انطباعا عابرا كذبه ما رأيته في أماكن مختلفة من البلاد، كما أنني لمست عند مجمل الشباب نوعا من التحرر بالمعنى الايجابي، إن جاز هذا التعبير، وانتشار اللامبالاة في وسطهم.

س : وكلمتك الختامية؟

ج : بكل صدق، تجربة الاعتقال السياسي لا تضيف في نظري شيئا كثيرا لقيمة الفرد، فهي شيء لا أعتبره استثنائيا، فهي مرحلة من عمر الإنسان، والآن يمكن أن أقول إن الإنسان يضيع فيها الشيء الكثير من معنوياته ومن شبابه وجهده، ومع ذلك فهي فترة ساعدتني على اكتمال نضجي، فالسجن ليس ثلاجة تتوقف فيها الحركة نهائيا، فهذا غير صحيح، وأظن أن حالتي لم تكن حالة قصوى، فلقد زج في السجن فيما بعد بشباب لا يتجاوز عمرهم 16 أو 17 سنة، وصدرت أحكام في حقهم ب 20 أو 30 سنة، فهذا خطأ في جميع الحالات. كان ينبغي أن يتم التعامل مع الشباب المغربي بطريقة أخرى وبحكمة أكبر، قد يقال إن الظروف لم تكن تسمح بالتساهل لأن النظام كان مهددا من جميع الجهات، وما كان له من اختيار إلا أن يكون قاسيا، هذا القول أشك في صحته، فالنظام كان له موقف من هذا الشباب. لنتذكر تصريح رئيس الدولة على إثر أحداث 23 مارس 1965، لقد قال متوجها إلى الأحزاب في محاولة لتجميعها حوله: سوف يداهمنا ويداهمكم جيل لا يعرف حتى ما يريد، فتصريح من هذا النوع يبين أن الحاكمين في البلاد، مع الأسف، كان لهم موقف مسبق ضد الشباب، وكان هناك عداء، وهذا هو الذي تكرس في أحكام لا يصدقها العقل، فأن يصدر حكم ضدي ب 15 سنة، فأنا اعتبر الأمر إلى حد ما مقبولا، ولكن الحكم على شاب مثل عزيز الوديع الآسفي الذي كان عمره 17 سنة، ب 30 سنة سجنا نافذا، فهذا غير معقول تماما، ونتمنى أن يتم طي هذا الماضي ودفنه إلى الأبد، ونحن عندما نتحدث عنه، فالله شاهد على أننا نقوم بذلك، بدون حقد أو نقمة على أحد، نتحدث عنه للتاريخ لنطويه كماض، من أجل المرور إلى أشياء أخرى أهم بالنسبة لنا وللشباب المقبل.

اليزيد البركة

جيل 23 مارس 1965 كان يناضل في إطار القانون

س : الأستاذ اليزيد البركة ما هو اليوم والشهر والسنة التي تم اعتقالك فيها، الاعتقال الذي أدى فيما بعد إلى محاكمة مراكش الشهيرة؟

ج : لدي ملاحظة أولية قبل الإجابة على هذا السؤال، وهي أنه حاليا، طغى على الساحة حديث ما يسمى بجبر الضرر أو الخاطر، وبالتالي طغى في الساحة الإعلامية خطاب له طابع الانتقال من الذات للكلام عن الاعتقال والتعذيب. وكلام من هذا القبيل، أعتبره شخصيا، ذاتيا وانتفاعيا ومجزأ في الكثير من جوانبه. لذلك أظن أن من المهم جدا الحديث عن التاريخ والرجوع إليه، ولكن ليس بغاية الحديث عن الذات، ولكن للحديث أساسا عن تاريخ نضال الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وفيما بعد الاتحاد الاشتراكي، ومجموع الحركة التقدمية، بما يفيد هذه الحركة حاليا ومستقبلا. بعد هذه الملاحظة، أعود لأجيب عن السؤال بالقول، إن الحركة الاتحادية كانت في مجموعها متابعة في نهاية الستينيات، وكانت مقموعة و حقها في إبداء رأيها مُصادر. وكان معروفا عندنا أنه كان هناك تعذيب، وتجاوزات خطيرة وطبخ للملفات، وفي بعض الأحيان، استنتاجات للمسؤولين يلفقونها للمعتقلين. وكل هذا كان معروفا وليس جديدا، ولقد اخترنا طريق النضال، ولقد بدأت الحركة الاتحادية، ليس كما جاء في محاضر السلطة أن هناك محاولة للانقلاب، ولكن على أساس أنه ينبغي القيام بثورة شعبية في المغرب، وكان هذا هو الأسلوب التنظيمي والنضالي الجديد الذي اختارته الحركة الاتحادية، وبدأت التدريبات سنة ونصف بعد اختطاف الشهيد المهدي بنبركة، من أجل الوصول إلى هذه الغاية.

س : لم تجبني على السؤال المتعلق بتاريخ الاعتقال...

ج : من حسن حظي أنني كنت آخر من اعتقل في مجموعة مراكش، ولا أتذكر بالضبط اليوم والشهر، ولكن حدث ذلك في 1970. قلت إنه من حسن حظي لأنني عُذبت حوالي 8 أيام فقط، وقُدمت للمحاكمة.

س : تحدثت عن كون الحركة الاتحادية كانت تفكر وتخطط للقيام بثورة شعبية. إذا كان هذا هو الاختيار الذي يشتغل لتحقيقه المناضلون الاتحاديون، فأظن أنه كان من الجائز للنظام، من وجهة نظره طبعا، إلقاؤه القبض على كل من يتحرك في البلاد انسجاما مع هذا الاختيار، على اعتبار أنه لا يمارس السياسة في إطار القانون.

ج : هذا صحيح، ولكن الاعتقال والتقديم للمحاكمة، يجب أن يتم في إطار القانون، وحسب المعايير المتعارف عليها دوليا.

س : هناك من يقول إن هذا الاختيار من طرف الحركة الاتحادية هو الذي، ربما، أدى إلى انغلاق الحياة السياسية في المغرب، مع ما نجم عنها من إعلان لحالة الاستثناء والقضاء على فرص أي إمكانية لإرساء ممارسة ديمقراطية في المغرب..

ج : لا أعتقد ذلك، لأنه لولا الخروج عن القانون، ولولا التجاوزات التي صدرت عن المسؤولين لما كان هناك أي فعل من أجل التحضير للثورة، فالذي ينبغي التذكير به، هو أن التحضير للثورة كان رأيا سائدا على نطاق واسع وسط الحركة الاتحادية، فهو لم يكن رأيا صادرا عن أربعة أشخاص أو خمسة أو ستة. فكل الشباب الاتحادي، كان معبأ من أجل الثورة، وذلك، نظرا للجو السياسي العام الذي كان المسؤولون يفرضونه آنذاك، فلقد بذل الشهيد المهدي بنبركة مجهودا خارقا لتأطير النضال السياسي في حدوده المنظمة وفي إطار القانون، ولكن التجاوزات هي التي خلقت الكثير من العقبات.

ولا أعتقد أن من قاموا باختطاف الشهيد المهدي بنبركة، ثم اغتياله، كانوا ينتظرون أنهم سيكافأون من جانب الاتحاديين بقبولهم الاغتيال، فالرجل كان زعيم الحزب، وقائدا كبيرا على المستوى الداخلي والخارجي، واغتياله كان عملية منظمة، ومفكر فيها لضرب كل من كان يأمل أن يكون هناك عمل سياسي منظم في المغرب...

س : حتى قبل اغتيال الشهيد المهدي بنبركة، ربما كان سائدا داخل الحركة الاتحادية، منطق الانقلابات، وساد في صفوفها الفكر البعثي والناصري، وهناك من يقول إن مناضلين اتحاديين كانوا يتحدثون عن ضرورة إزالة النظام الملكي، قبل اغتيال المهدي بنبركة.

ج : أنا لم أعش فترة الخمسينيات بعقلي الواعي، كنت ما زلت تلميذا، فأنا من جيل آخر، جيل 23 مارس 1965، واعتقلت حوالي شهر في الكوميسارية خلال تلك الأحداث، هذا الجيل كان يناضل

في إطار القوانين، و 23 مارس كانت نضالا في إطار القوانين، ولم يستعمل فيها لا سلاح ولا غيره، وجيل 1965 هو جيل يعتبر المهدي بنبركة قائده وزعيمه، فهذا الجيل أحبط في طموحه وفي تصوراته باغتيال المهدي بنبركة.

س : هل الظروف العامة كانت تسمح بوجود ديمقراطية بالشروط التي كان يطمح إليها الشباب المغربي آنذاك ؟

ج : كنا نأمل في تطورات إيجابية من أجل إرساء الديمقراطية، وكان أملنا كبيرا فيما أعطته23 مارس من نتائج سياسية، وكان الحديث آنذاك على أن المغرب مقبل على خطوات مهمة في المجال الديمقراطي، ولكن القوى التي تحاول الرجوع بالمغرب إلى الوراء، كانت خططها ومؤامراتها أقوى من هذا الطموح المشروع.

س : وهل تعتقد أنه لولا اغتيال الشهيد المهدي بنبركة، لتم تحاشي الاصطدامات والمنغلق السياسي الذي عاشه المغرب فيما بعد؟

ج : أعتقد ذلك، لأن أغلب الأطر التي انخرطت في النضال من أجل الثورة، أغلبها، هم شباب هذا الجيل الذي تكلمت عنه، والذي كان طموحه في الديمقراطية كبيرا جدا، وهذا الجيل هو الذي كان فيسنوات 1937 و1974 و1975 حاملا للواء الديمقراطية والنضال الديمقراطي...

س : ألا تظن أن هذا الجيل رفع شعارات ربما لم تكن تتحملها المرحلة من وجهة نظر النظام؟

ج : شعارات من أي نوع؟ ...

س : من نوع الملك يسود ولا يحكم؟

ج : أظن أن شعار الملك يسود ولا يحكم يعود إلى سنة 1978، فخلال المؤتمر الوطني الثالث للاتحاد الاشتراكي، وبعد نهاية الأشغال، حُجز البيان الصادر عنه، لأنه كان يتضمن عبارة أننا نناضل من أجل بناء دولة غير الدولة الملكية المخزنية، أي دولة لها ملكية برلمانية دستورية، يكون فيها الملك حكما بين الطبقات، وهذا البيان تم حجزه. فيما بعد جاء من فكر في عبارة الملك يسود ولا يحكم باعتبارها حلا وسطا. أما في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات فالأمر كان يتجاوز شعار الملك يسود ولا يحكم بكثير، فالسؤال كان مطروحا على الملكية نفسها.

س : بمعنى؟

ج : بمعنى أن الملكية نفسها أصبحت غير مقبولة، فالفترة أصبحت كلها مواجهات، وفعل ورد فعل، أما محاكمة مراكش، وأنا آخر من اعتقل فيها، وقدمت لقاضي التحقيق، وتلا علي التهم الموجهة لي، التهم التي فوجئت بها لأنها لم تكن واردة في الاستنطاق، وقمت بنفي تلك التهم أمام قاضي التحقيق العسكري، على اعتبار أن حجم السلاح الذي قيل إنه عثر عليه في حوزتنا، وحجم التنظيم لم يكن في مستوى إنجاز ثورة أو انقلاب، فالعملية كلها كانت، وفقا لدفاعنا عن أنفسنا، تدخل في سياق الضغط على النظام لتحسين الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للشعب.

س : عندما ألقي عليكم القبض وقدمتم إلى المحاكمة، ما هي أدلة الإثبات، أو ما اعتبرته الضابطة القضائية كذلك ، لتوجيه التهم إليكم والتي أحلتم بموجبها على القاضي؟

ج : كان منا من وجدت في حوزته أسلحة فردية، وكانت عبارة عن مسدسات، وبعض القنابل القديمة التي تركها شيخ العرب، أما ما تبقى فقد كانت الضابطة القضائية تتحدث عن أن سلاحا كان سيدخل إلى المغرب، وأنا شخصيا لم يكن لي علم بهذا الموضوع، ولست على اطلاع عليه.

س : قانونيا لا يمكن أن تحاكموا بتهمة أن السلاح سيدخل إلى المغرب؟

ج : فعلا، فلقد كان هناك تناقض كبير بين الأهداف التي كانت مرسومة من طرف الأجهزة الأمنية، ومن بينها المس بالأمن الداخلي والخارجي للدولة، وبين ما وجدوه من أسلحة فردية وخفيفة جدا، والتنظيمات التي ألقي عليها القبض. لقد كان هناك تناقض كبير، وحاولوا حله بممارسة تعذيب عنيف علينا، إلى درجة أن البعض منا قال أشياء لم تكن موجودة أصلا، كما أنه تم تزييف المحاضر، وإضافة عبارات من عندهم، من نوع أن الحاج علي المانوزي اشترى باخرة، وستدخل إلى المغرب محملة بالسلاح، وهكذا، مجرد أقاويل لا تستند على أي أساس علمي إذا ما خضعت للتمحيص.

س : كم كان عدد الاتحاديين الذين حوكموا في محاكمة مراكش؟

ج : أظن 180.

س : وما هي التهم التي كانت موجهة إليكم؟

ج : محاولة القيام بانقلاب، والمس بأمن الدولة الداخلي، والخارجي. وفيما يخصني فبمجرد

ما ذكر أمامي قاضي التحقيق المس بأمن الدولة الخارجي ضحكت، وقلت له، إنني لم أفهم المقصود بالمس بالأمن الخارجي للدولة، وأجابني بأننا نملك دبابات، ومزنجرات، وعتاد حربي ثقيل سندخله من الخارج إلى المغرب.

س : وما هو الحكم الذي صدر ضدك؟

ج : حوكمت بعشر سنوات (10)، ولقد حكم على واحد من مجموعتنا بالإعدام، ويتعلق الأمر بسعيد بونعيلات، ولقد خرج قبلنا بعفو سياسي...

س : ولماذا حكم على سعيد بونعيلات بالإعدام؟

ج : في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، ربما وقعت أحداث في المغرب وشارك فيها، فأنا لم أعش هذه الفترة بوعي سياسي، لقد قيل إن أجهزة الأمن بعثت للجزائر بستة أشخاص من عناصرها، لكي يقوموا بإلقاء القبض عليه وإحضاره إلى المغرب، ولكنه هو الذي ألقى عليهم القبض. وأظن أنه كان محكوما غيابيا بالإعدام في محاكمة سابقة.

س : وبماذا كنت مكلفا في الحزب لحظة اعتقالك وكيف تم اعتقالك؟

ج : كنت مسؤولا مع مجموعة أخرى من المناضلين على التنظيم في الدار البيضاء وفي جنوب المغرب، في سياق إنجاز هذه المهام ألقي القبض علي، وكانت هناك مجموعة أخرى ستدخل من الجزائر، ولقد انتابنا شك من شخص كان معنا في التنظيم، وتبين لنا فيما بعد أنه كانت له صلة بالبوليس، لقد كان يقول لنا، إن في حوزته كمية كبيرة من الأسلحة تركها لديه شيخ العرب، فطلبنا منه موافاتنا بتلك الأسلحة، فإذا به يأتينا بمسدس قديم غير صالح، فانتابنا الشك منه، وقررنا أن نُخضعه للتجربة.

وقلنا له، إننا على موعد مع مجموعة من المناضلين ستصل من الجزائر، وذهبنا أنا ورفيق آخر، وكان هو ثالثنا على أساس أننا سنلتقي بالمجموعة التي ستدخل من الجزائر، ولقد حددنا موعدا في مكان على الحدود، فإذا بي أجد نفسي محاصرا من طرف البوليس، فلقد تم اعتقالي، وطلب مني رجال الأمن أن أدلهم على توقيت ومكان دخول المجموعة التي ستأتي من الجزائر ومعها السلاح، وكان جوابي أن مكان الموعد في داخل الجزائر وليس في المغرب، فالمكان المحدد للالتقاء هو مغنية،

ولما تعذر على البوليس إلقاء القبض على الذين كانوا يستعدون لاعتقالهم، تركز الاستنطاق علي للحصول مني على أجوبة لسؤالين: أين هي الخلايا، وأين هو السلاح؟

س : لعل هذا يفيد أن التنظيم لم يكن محصنا من الاختراق؟

ج: نعم، لقد تم اختراق تنظيمنا من طرف البوليس بهذا العنصر، ولم يكن تنظيمنا هو الوحيد الذي عانى من الاختراق، بل حدث نفس الشيء مع تنظيم مراكش وكذلك الرباط وسلا...

س : اكتشفتم أن التنظيم مخترق فيما بعد؟

ج : لا، اكتشفناه في حينه، فلقد اعتقلت بسبب ذلك العنصر الذي كان يتجسس علينا مدعيا أنه كان مناضلا في عهد شيخ العرب، وكان يزعم أمامنا أنه يملك سلاحا، ونحن كنا في حاجة ماسة للسلاح، فالتنظيمات موجودة، ولكن كان ينقصها السلاح.

س : الأستاذ اليزيد أنت كنت آخر من اعتقل في مجموعة مراكش الأمر الذي يعني أن مناضلين آخرين اعتقلوا قبلك، وهذا يدفعني إلى طرح السؤال التالي عليك، وهو أنه رغم حملة الاعتقالات التي كانت مشنونة في صفوفكم، استمر العمل النضالي، وفقا لما هو مخطط له ومتفق عليه، أليس في الأمر نوع من المغامرة، ألم يكن الأمر يتطلب منكم بعض التريث والانتظار لكي يتضح الأفق؟

ج : أنا كنت مسؤولا في الشبيبة، ولكن عندما انطلق العمل المسلح، لم أكن أعلم إن كان مثلا عمر دهكون مشاركا في العمل المسلح أم لا، وهكذا دواليك، فكل واحد منا كان يشتغل في المنطقة التي يتواجد بها، لقد كان للحزب عدة خلايا في جهات كثيرة من المغرب، وكانت كل خلية تتحرك وفقا لإمكانياتها، ولما هو مرسوم من طرف أعضائها، وكانت في بعض الأحيان تتكاثف جهود ثلاث أو أربع خلايا في منطقة واحدة.

وبما أنني كنت من الجنوب ومن الدار البيضاء، كان من الطبيعي أن يكون لدي تنظيم في الدار البيضاء وآخر في الجنوب، ولما بدأت التدريبات على حمل السلاح، وبما أنني كنت طالبا خارج المغرب، كان أمرا عاديا أن طالبا لعب دورا في 23 مارس 1965، ستتم المناداة عليه للقيام بتدريب عسكري.

س : أين قمت بالتدريب العسكري؟

ج: في الجزائر وسوريا، ولما دخلت إلى المغرب، وجدت أن المناضلين كانوا يبحثون على السلاح،

وكان يقال وقتها إن شيخ العرب ترك كمية مهمة من السلاح، وأن بالإمكان أن نبدأ بما هو موجود على بساطته، كما كانت تفعل المقاومة.

في هذه الظروف، عندما تسمع مثلا أن لحبيب الفرقاني ألقي عليه القبض، لأن مندسا في التنظيم قد بلغ عنه، تقول هذه حادثة منفردة، ثم يصلك أن سعيد بونعيلات وأحمد بنجلون تم اختطافهما، تعتقد أن الأمر بدوره جاء ربما بمحض الصدفة، أو قد يكون نتيجة اختراق... ولكن ماذا بإمكانك أن تفعل وأنت ملتزم بالقيام بمهام محددة، هل ستتخلى عنها؟ طبعا لا. يضاف إلى هذا أن المجموعة التي قدمت للمحاكمة في مراكش، ربما لم تكن تمثل حتى 1/8 تنظيم الحزب الذي كان في هذه المدينة.

س : لعل هذا يفيد أن الحزب كان مكتسحا الساحة السياسية في المغرب؟

ج : بطبيعة الحال، فلقد حصل أننا ذهبنا لقبائل في البادية، وربما كان أناسها يعرفون شيخ العرب والمهدي بنبركة. ولما كنا نصل إلى تلك القبائل، ونجالس واحدا من أفرادها ممن نكون في زيارة له من أجل تكوين خلية من 5 أو 3 أشخاص، كنا في بعض الأحيان، نجد أنفسنا أمام ضرورة تكوين خلايا أحيانا من 30 أو 35 فردا. فالذي كنا على موعد معه، كان يقيم حفل عرس مثلا، ولما ينتهي العرس نكون أمام 30 فردا، فيطلب منا أن نستهل النقاش لإنشاء الخلية، ولما كنا نعرب عن استغرابنا من كثرة الحاضرين، كان الشخص الذي لنا علاقة به، يطمئننا إلى معرفته بكل الحاضرين وثقته الكاملة فيهم، باعتبارهم أبناء العم والخال والأخت. أي أن هناك رابطة دموية بين الحاضرين وأنهم يثقون في بعضهم البعض. ففي تلك الفترة كان الاتحاد حقيقة، مكتسحا عدة قبائل وبواد وقرى...

س : وبماذا نفسر كون الحزب في تلك اللحظة كان مكتسحا الساحة السياسية بكل قوة، رغم أن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية لم تكن، ربما، مطروحة بنفس الحدة التي هي عليها اليوم ؟

ج : لاشك في أن الحزب كان مكتسحا الساحة السياسية الوطنية، وبسبب ذلك كان يحارب بلا هوادة، وأظن أنه داخل النظام كان هناك من يطبخ ملفات غير حقيقية عن الأوضاع السياسية في المغرب لضرب الاتحاد ولتحجيم قوته والحد من اكتساحه للساحة السياسية.

وفي هذا الإطار سأروي للقارئ حكاية، يمكن لمدير السجن ببولمهارز وقتها، السيد بواحميدي أن يكون شاهدا عليها إذا كان ما زال على قيد الحياة، لقد كنا نحاكم في إطار جلسات متتالية، وكان

معنا في السجن في غرفة مجاورة لزنزاناتنا مجموعة من العناصر التي كلفها الجنرال أوفقير بتعذيبنا واستنطاقنا، وكان على رأسها خاله.

س : ماذا كانت تفعل داخل السجن؟

ج : كانت مكلفة بتشديد الحراسة علينا، وتضغط على مدير السجن لكي لا يعاملنا تعامل السجناء العاديين، لقد كنا في سجن داخل السجن، وكنا نعيش ضحية إرهاب لا يصدق، فمثلا سعيد بونعيلات وأحمد بنجلون كانا مقيدين بالسلاسل من الأيدي والأرجل، وتم الزج بهما في «الكاشو»، الذي كان عبارة عن زنزانة معتمة يقطر سقفها بالماء، وتركا هناك لمدة طويلة، ولقد خضنا إضرابا عن الطعام لرفع هذا الظلم عنهما.

فمجموعة أوفقير التي كانت معنا في السجن، كانت تسهر على تطبيق مثل هذه الممارسات القاسية والظالمة، فالمدير كان يريد تطبيق القانون، وهم كانوا يمنعونه، وليلة القيام بمحاولة الانقلاب بالصخيرات، اتصل بنا خال أوفقير، وقال لنا إن حدثا سيقع غدا، وبموجبه سيتم الإفراج عنكم.

س : هل كان يقصد محاولة الانقلاب؟

ج : لم نكن نعلم ماذا كان يقصد، ولكننا لم نعر كلامه أي اهتمام، فكيف يمكن لجلادنا أن يزف إلينا نبأ سارا يفيد الإفراج عنا، ولكن الذي حدث هو أننا لم نُحل على المحاكمة في اليوم الذي أخبرنا بأن حدثا مهما سيقع فيه، وتم إقفال أبواب الزنزانات علينا، ولقد بلغ إلى علمنا، عن طريق الحراس، أن محاولة للانقلاب قام بها الجيش وأنها باءت بالفشل، وفي الغد عقدت المجموعة التي كانت مسلحة داخل السجن ومكلفة من طرف أوفقير بحراستنا العزم على تصفيتنا.

فلقد سمعهم مدير السجن وهم يتفقون على تصفيتنا ومغادرة السجن صوب مسقط رأسهم في عين الشعير، لأنهم كلهم أبناء تلك الناحية، فما كان من المدير إلا أن أغلق عليهم باب الغرفة حيث كانوا مجتمعين، وأبواب الجناح بكامله، ثم هب مسرعا نحو وكيل الملك لمدينة مراكش وأشعره بما كان يخططه ضدنا داخل السجن خال أوفقير ومجموعته، وهذا هو الذي أنجانا من المذبحة، الشيء الذي يؤكد أن أوفقير، لكي لا يفتضح بأن له علاقة بالانقلاب الأول، أمر بتنظيم اغتيال جماعي لهذه المجموعة من المناضلين التي كانت قد استنتجت، في رأيه، أن له دخلا في الانقلاب.

س : ما هي الإجراءات التي اتخذها وكيل الملك لمنع تصفيتكم؟

ج : الجواب على هذا السؤال عند مدير السجن آنذاك السيد بالغازي، إذا كان مازال حيا، لا شك أنه يمكن أن يفيد القراء في هذا الباب، وأظن أن أبناءه قد يكونون على علم بالموضوع، ولعله حدثهم في الأمر، فهو الذي كان على علم ببقية التفاصيل، فنحن كنا في زنزاناتنا.

س : إذن خال أوفقير الذي كان يحرسكم داخل السجن كان على علم مسبق بأن انقلابا عسكريا سيحدث، وأنه سينجح، وبالتالي سيفرج عنكم؟

ج : يبدو ذلك، ولكن بما أن الانقلاب فشل، فالمسألة أصبحت بالنسبة إليه في غاية الخطورة، وأظن أن هذه المجموعة التي كانت تحرسنا تشتتت بعد محاولة الانقلاب الثاني، وخال أوفقير لم يعد يظهر له أثر، ربما تم عزله من وظيفته.

س : هل هذا يعني أنه أصبحت لديكم، بعد محاولة الانقلاب الأولى، قناعة بأن أوفقير كان مشاركا فيها؟

ج : القناعة كانت لدينا بأنه شارك في محاولة الانقلاب الأولي، ولقد تأكد ذلك سنة 1972، بالطبع لم نكن في سنة 1971 متأكدين 100 ٪، ولكن كل المعطيات المحيطة بالحدث كانت تدفعنا للاعتقاد أنه كان مشاركا في المحاولة الانقلابية الأولى بالصخيرات...

س : الذي يثير التخوف أحيانا هو أن نحمل أوفقير لوحده أوزار مرحلة برمتها، لقد كان جلادا ودمويا، ولكنه كان يتصرف في إطار نظام قائم وشامل، كل واحد كان يؤدي فيه وظيفة محددة...

ج : اتفق معك حول هذا التحليل، ولكن حين تأتي بشخص معين، وتركز في يديه جميع السلطات، فهو سيتصرف بدون ضوابط، خصوصا إذا كانت له نوازع قمعية وقهرية، فالملك لا يقوم بمتابعة الأحداث في جزئياتها وكتابة التقارير، بل إن التقارير تكتب له، ويطلع على الأحداث في جزئياتها من خلال هذه التقارير، فعندما نجعل شخصا على رأس كل ما يقع، اقتصاديا وسياسيا وأمنيا وعسكريا، فبطبيعة الحال دور هذا الشخص يصبح مؤثرا، ولقد عشنا هذا الواقع بعد أوفقير، مع آخرين منهم الدليمي، فهو أيضا وقعت لي معه حادثة وحكاية..

س : ما هي هذه الحكاية؟

ج : في سنة 1979 تم طردي من صفوف الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ولكن مع ذلك كنت أقدم عروضا في العديد من المقرات الحزبية، وفي 1980 قدمت عرضا في مقر حزبي بباشكو، وعبرت فيه عن رفضي لكل محاولة للقيام بانقلاب عسكري، إيمانا مني بأن الانقلابات العسكرية لا تخدم في النهاية الديمقراطية، ولكنها تجلب الديكتاتورية في أبشع صورها، ألقيت العرض دون أن أسمي أي أحد باسمه، بعد عدة أيام ألقيت نفس العرض بالحي المحمدي وقلت فيه إن هناك إعدادا للقيام بانقلاب عسكري، وأننا كديمقراطيين ينبغي أن نرفض الانقلابات، ولمحت إلى الدليمي دون ذكر اسمه، وفي الغد تم اعتقالي وكان ذلك في سنة 1980. والغريب هو أنه في سنة 1970 كان في حوزتي سلاح، وهو عبارة عن مسدس، وكانت هناك خلايا، وفي 1980 لم يكن هناك لا سلاح ولا خلايا، غير أن التعذيب الذي مورس علي في 1980 كان أكثر مما مورس علي في سنة 1970.

ففي الاستنطاق شعرت أن هناك مجموعتين، واحدة تركز على وجود تنظيم داخل الحزب تابع للفقيه البصري وهو الاختيار الثوري، وكان يطلب مني أن أمدهم بالأسماء وبكافة أعضاء الشبكة التي كانت في نظرهم بمثابة تنظيم سري داخل الاتحاد الاشتراكي، هذا الجانب هو الذي كانت تركز عليه المجموعة الكبيرة التي كانت تستنطقني. أما المجموعة الصغيرة، فلم تكن تحضر معي أو تشرف على التعذيب الجسدي، بل كانت تكتفي بأن تطلب مني، بنوع من التودد، الاعتراف بما هو مطلوب مني، ولحد الساعة لم أعرف ما الذي خلصني من براثن الدليمي... لأنه ألقي القبض فيما بعد على أحمد بنجلون وعمر منير، ومكثنا في الاعتقال لمدة شهر أظن، وعشنا تحت التعذيب لمدة 10 أيام عن الاختيار الثوري الموجود داخل الاتحاد الاشتراكي...

س : ومن أين علمت بأن الدليمي كان يفكر في القيام بانقلاب عسكري؟

ج : في ذلك الوقت، قبل حدوث الانشقاق في صفوف الاتحاد الاشتراكي، كانت هناك مجموعة من المناضلين رفضوا تغيير إسم الحزب، والخط السياسي الذي انتهج، ثم أنشأوا الاختيار الثوري، وكان من بينهم مناضلون، كنا على معرفة بهم وعلى علاقات معهم، وخلال الخلاف الذي حدث داخل

الحزب، تطورت هذه العلاقات، وكانوا يزودوننا بمجموعة من الأخبار منها المتعلقة بتحركات الدليمي خارج المغرب، وخصوصا في فرنسا، واتصاله بالبوليزاريو... فالأخبار جاءتنا من هذه المصادر...

س : في هذه الفترة كان النظام قد تقوى أساسا بعد فشل المحاولتين الانقلابيتين، فكيف يفكر الدليمي في القيام بانقلاب على نظام يعلم أنه أصبح قويا؟

ج : النظام تقوى بالدليمي أيضا، فهو بدوره كان عنصرا مهما وكبيرا داخل النظام، وكان له نفوذ وسطوة، ولذلك أصبح يفكر في الاستيلاء كلية على السلطة لوحده.

س : لنعد إذا سمحت لنهاية الستينيات، هل تعتقد في رأيك أن الرد على اغتيال الشهيد المهدي بنبركة، الذي اختاره الحزب والذي تحدثنا عنه، وكان ثمنه باهظا، هل كان هذا هو الرد الوحيد الملائم على عملية الاغتيال؟

ج : الرد على عملية الاغتيال لم يتم بشكل فوري وأوتوماتيكي، الذي أتى بشكل فوري وأوتوماتيكي هو بيان للكتابة العامة للحزب كان قد تلاه في ذلك الوقت على الصحافة المرحوم عبد الرحيم بوعبيد والذي قال فيه: جثة المهدي بيننا وبين الحكم، وكل أعضاء الكتابة العامة كانوا هنا داخل المغرب في ذلك التاريخ، وفيما بعد سيخرج الأعضاء تباعا، وفي الحقيقة هذا السؤال الذي طرحته علي، يتعين أن يجيب عنه الذين كانوا في الكتابة العامة وقتها، ماذا كانت تقديراتهم للتصريح الذي أدلى به المرحوم بوعبيد، والذي قال فيه جثة المهدي بيننا وبين الحكم.

س : قد لا يكون القصد هو حمل السلاح؟

ج : هذا وارد، ولكنه لم يمنع من أن أعضاء من الكتابة العامة أخذوا في تنظيم الخلايا على هذا الأساس، أي حمل السلاح، بناء على التصريح إياه، وما ينبغي تسجيله هو أن الكتابة العامة لم تصدر بيانا ثانيا تعلن فيه القصد من عبارة جثة المهدي بيننا وبين الحكم، فالأكيد هو أن العبارة كانت تعني أنه لم يبق هناك مجال للتفاوض مع الحكم، وأننا قطعنا الصلة به، والشيء الأساسي والحاسم هو أن جميع المقرات الحزبية كانت قد أغلقت من لدن السلطات المركزية، وأصبحت المتابعة والملاحقة تطال كل المناضلين الحزبيين من طرف المقدمين والشيوخ والوشاة والبياعة.

لقد كانوا كثرا إلى حد لا يصدق، ففي كل درب كان هناك ما بين 10 إلى 15 واشي. فهذا كان هو الجو العام، عمل سياسي للحزب غير مسموح به، ملاحقة للمناضلين واستنطاقات لا تتوقف، ولذلك

لما بدأ أعضاء من الكتابة العامة يتصلون بالشباب والمناضلين وينظمونهم من أجل حمل السلاح، كان طبيعيا أن تقع الاستجابة الفورية لما تم اقتراحه عليهم.

س : وبماذا يمكن تفسير أن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية كان وقتها هو القوة السياسية الرئيسية والبارزة في البلاد رغم حداثة نشأته (1959)؟

ج : كان الحزب يتميز بحمله لشعار أنه حزب أغلب الجماهير، وكان يدعو لإصلاح زراعي وكان قد أنجز دراسات معمقة في هذا الصدد، بالإضافة لشعارات أخرى جماهيرية، ويمكن القول إن ما نتحدث عنه الآن من انخراط في العمل في صفوف المجتمع المدني كان الحزب منخرطا في عمل من هذا النوع منذ نشأته، لقد كان مؤسسة تكاد تكون موازية في أنشطتها لما كانت تقوم به الدولة، فالحزب كان يبحث للطلبة من أبناء الفقراء عن منح وكان يرسلهم للخارج لمتابعة دراستهم الجامعية.

فالمهدي بنبركة هو الذي كان يسهر على هذه العملية بنفسه بالاتصال بقادة الكثير من الدول بحثا عن منح للطلبة المغاربة، لأنه كان على علم بأن الكلية المغربية عاجزة عن استيعاب كل الطلبة، وكان الحزب يساهم في حل عدد مهم من الإشكاليات الاجتماعية، فمنطق طريق الوحدة اشتغل به المهدي في كل مناحي الحياة الأخرى، لم يكن يترك مناضلا حزبيا يعيش في وضعية بطالة، بالإضافة إلى محاربة الأمية التي كان الحزب يقوم بها على نطاق واسع، فالكثير من الأعمال الاجتماعية التي تقوم بها اليوم قوى أخرى كان الاتحاد الوطني هو الذي يسهر على إنجازها..

س : هناك من يقول إن المهدي بنبركة، بطبعه الثوري الذي لم يكن يقبل أنصاف الحلول، ولأنه كان في الخارج مساهما في عدة أنشطة، وأصبح لشخصيته الكاريزمية بعد دولي، لكل هذه الاعتبارات وغيرها، لم يعد النظام يطيق أن يكون له معارض في هذا الحجم وهذا المستوى، وبالتالي كان لابد من التخلص منه ولو بالتصفية...

ج : أعتقد أن القول بأن الشهيد المهدي بنبركة كان يرفض أنصاف الحلول أمر فيه نظر، ففي «الاختيار الثوري» انتقد التجربة السابقة، معتبرا بأن كل صراعاتنا كانت تدور في الكواليس وليس مع الجماهير، وبالتالي قبول أنصاف الحلول كانت هي كذلك تتم في الكواليس، أما في السياسة فأظن أنه كان يتصرف كباقي السياسيين بحيث يتفاوض، فإما أن يرفض ما يقترح عليه، أو يقبل الحلول الوسطى، فهذا أمر جار به العمل في الممارسة السياسية.

غير أن الذي كان يؤكد عليه هو ضرورة تحريك الجماهير وإشراكها في الخلافات وفي المفاوضات وإطلاعها عليها، وفيما بعد تأتي التسوية السياسية. وأنا أعتقد أنه لو ظل المهدي على قيد الحياة، ما كانت لتقع الكثير من المشاكل التي عاشها المغرب بعد استشهاده، لأنه كان رجل سياسة أكثر من أي شيء آخر.

س : ولكنه كان رجل سياسة بالمعنى الثوري أي أنه لم يكن يقبل المشاركة في حكومة بدون سلطات حقيقية لاتخاذ القرارات التي تراها ضرورية لمصلحة البلاد؟

ج : إذا كان سؤالك يوحي إلى الوضع الراهن وإلى مشاركة الحزب في الحكومة، فأظن أن الوضع يختلف كثيرا بين الأمس واليوم، فحاليا هناك ضغوط دولية من الخارج لإقرار انفتاح وديمقراطية ومشاركة القوى الحية في الحكم لإتاحة فرص تنقل الرأسمال الأجنبي للمغرب، ولكن في عهد المهدي، فإن الجزء الأعظم من الدول الكبرى كانت تضغط لقمع الحركات التحررية وتدرب الأجهزة الأمنية على الأساليب الفعالة للتعذيب، وتلغيم الأحزاب.

فلو أن المهدي بنبركة كتب له أن يظل حيا إلى التسعينيات فأظن أن المغرب كان سيعيش وضعا آخر، وربما لكنا قد خرجنا من عنق الزجاجة، ولعله بطبعه وأفقه الواسع كان سيجنب المغرب الهزات والأحداث العنيفة التي عاشها، فالرجل كان يؤمن بتعبئة الجماهير وتحريكها من أجل إقرار ديمقراطية فعلية، ولا أقصد بقولي هذا أنه كان سيقبل المشاركة في حكومة ليست لها سلطات واضحة.

س : وفي رأيك هل كان الشهيد المهدي بنبركة رجلا ديمقراطيا يؤمن بالرأي والرأي الآخر وبالحوار؟

ج : أنا لم أعش إلى جانب المهدي بنبركة لأجيب بدقة على هذا السؤال، ولكن كل ما وصلنا من كتاباته وأقواله وتحركاته وتصرفاته من طرف المناضلين، سواء في الداخل أو الخارج، يفيد بأنه كان فعلا إنسانا ديمقراطيا ومتفائلا ومتسامحا، ولعل هذه الجوانب الإيجابية في شخصه هي التي تم استغلالها من طرف أعدائه للإيقاع به في الفخ، واختطافه واغتياله.

س : هل عشت لحظة الاختطاف بوعيك الكامل؟

ج : بالطبع، كان عمري 20 سنة.

س : كيف كان وقع الاختطاف والاغتيال عليكم أنتم شبيبة تلك المرحلة؟

ج : رغم أنني كنت مدركا للأبعاد السياسية للاغتيال، فإنني اعتبرت الأمر كارثة بكل المقاييس، ففي ظني كنت أعتقد أن الشعب المغربي لا يمكنه أن يعطي قائدا آخر في حجم المهدي بنبركة، لقد شعرت وربما معي الكثير من أبناء جيلي بنوع من الضياع، لأننا فقدنا قائدا بكل كفاءة وحجم الشهيد المهدي، لقد كان شجاعا وذكيا وديناميكيا، وضحى بكل شيء من أجل راحة الشعب المغربي، وللأسف أنه بمجرد ما بدأ الأمل يحدونا في الشهيد عمر بنجلون باعتباره قد يكون خلفا للمهدي، فقدناه هو كذلك.

س : أتخوف أن نكون من خلال كلامك هذا مولعين بالحديث، بالإعجاب والتقدير، فقط عن المناضلين الذين افتقدناهم؟

ج : لا أظن ذلك، فعمر بنجلون كان فعلا ديناميكيا بالشكل الذي كان عليه المهدي بنبركة ولكي تتأكد من ذلك اسأل كل المناضلين الذين عايشوه، لقد كان جريئا، ومتمكنا من جمع مكونات موقف حزبي، ولا أقول إن عمر كان هو المهدي، ولكنني أشرت إلى أنه كان لنا أمل في أن عمر سيخلف المهدي في الديناميكية والحركة داخل الحزب.

س : ومتى خرجت من السجن؟

ج : سنة 1975 بعد أن قضيت 5 سنوات وزيادة، لقد تم العفو عني وعن أحمد بنجلون والحبيب الفرقاني وآخرين، وقد تم إطلاق سراح المجموعة التي حوكمت في مراكش.

س : وما هي في رأيك الاعتبارات السياسية التي أدت إلى صدور عفو عنكم؟

ج : أراد الحزب استئناف أنشطته، وكانت هناك مذاكرات بين المرحوم عبد الرحيم بوعبيد والملك، وكانت أغلبية الأطر الحزبية في السجن، فأخذت تخرج على دفعات، وأظن أنني كنت في الدفعة الثالثة، ولقد تم الاتفاق على تصفية هذا الملف وطيه.

س : بعد أن يقضي المناضل فترة طويلة في السجن تحت القهر والتعذيب، كيف يخرج منه، هل يغادره وهو كله عزيمة وإصرار على الاستمرار في النضال، أم أنه يخرج منكسرا ومحطما...؟

ج : هناك اختلافات بين المناضلين، فمنهم من يخرج من السجن منكسرا ومهزوما، ومنهم من يخرج وكله أمل وعزم وإصرار على الاستمرار في النضال إذا كانت قناعاته ثابتة، وأنا كان لي حظ الانتماء لهذه الفئة الثانية، وحين نتكلم عن السجن والتعذيب، فأظن أنني شخصيا لم أعش فقط التعذيب الذي كان يمارسه علينا الجلادون، فهناك تعذيب آخر لم أنتبه لخطورته إلا في السجن، فأنا من جيل اعتقل لأنه كان يحمل آمالا وطموحات وأحلاما كبيرة للشعب المغربي، هذا الجيل وجد نفسه مع مسؤولين قياديين كبار في السجن واحتك بهم يوميا، ولقد كان هذا الجيل يتصور أنه يناضل من أجل بناء مجتمع مغاير بمسؤولين ديمقراطيين ومنفتحين ومتواضعين وعلى صلة وثيقة بهموم الشعب، ولكن خلال الاحتكاك اليومي بهؤلاء المسؤولين في السجن كان يتبين لنا أن لهم عقلية تريد استعباد المناضلين والتحكم فيهم وهم وراء القضبان..

هذا الواقع كان يصدمنا، بل أخذنا في بعض الأحيان نقول: يا ويلنا لو نجحنا، وأظن أن الصراع الذي عاشه الحزب فيما بعد، جزء كبير منه حملناه معنا من داخل السجن، وفي هذا السياق أنا لا أتفق مع من يقول إن النضال الديمقراطي كاختيار انطلق العمل به منذ 1975، لقد قمنا بنقد ذاتي لتجربتنا في سنة 1972 داخل السجن.

س : ماذا كان مضمون هذا النقد الذاتي؟

ج : مضمونه أن المغامرة والبلانكية ينبغي أن نكون ضدها على طول، ولقد اتصلنا في هذا الصدد بالمناضلين خارج السجن لننبههم إلى عدم الإقدام على أي مغامرة أخرى، ولم يستجيبوا لنا إلا بعد حصول أحداث1973، وهم أنفسهم قاموا بنقد ذاتي بعد هذه التجربة، وأظن أنه لولا النقد الذاتي الذي قمنا به، ما كان الحزب سيستطيع عقد اجتماع للجنته المركزية الذي التأم في بني ملال سنة 1974 من أجل التحضير للمؤتمر الاستثنائي، فلولا النقد الذاتي لما تم دحر البلانكية بشكل لا رجعة فيه.

س : الملاحظ هو أن البلانكية كانت في وقت من الأوقات شبه قناعة لدى كل الاتحاديين، وبمجرد اتخاذ بعض المبادرات التي لم يُكتب لها النجاح، يتم رفض البلانكية وهجرها والتنكر لها بشكل مطلق، كيف يتم الانتقال من الفكرة إلى نقيضها بهذه السرعة الكبيرة؟

ج : البلانكية استمرت في صفوف الحزب لوقت طويل، فالنقد الذاتي قمنا به في سنة 1972 وانضم إلينا آخرون، ولقد اتهم الذين رفضوا البلانكية بالانهزامية، وبعد سنة 1973 كبر عدد الذين أصبحوا يرفضون البلانكية. غرضي من هذا الكلام التأكيد على أن المؤتمر الاستثنائي في 1975 لم يكن هو اللحظة ونقطة البداية للاختيار الديمقراطي والنضال في هذا السياق، فالمنهج العلمي لا يمكن أن يقبل بهذا التحليل، لقد ناضلنا من أجل الديمقراطية ورفضنا المغامرة قبل 1975 بكثير .

ولكن المغامرة لها شكلان، شكل المغامرة بالسلاح، وهذه قد تؤدي بالتأكيد إلى ما لا تحمد عقباه، لا بالنسبة للحزب ولا الوطن، وهناك شكل ثان للمغامرة وهو عدم الإعلان عن مواقف واضحة والدفاع عنها رغم أن هذا أمر مشروع ومقبول.

س : كلمة ختامية؟

ج : أتمنى أن هذا الملف الذي تنجزه جريدة «الأحداث المغربية» وتنشره عن تجربة الاعتقال السياسي في المغرب، أتمنى أن يخدم الحركة التقدمية المغربية ويفيدها فيما يتعلق بتعزيز علاقاتها بالجماهير وبالنضال من أجل الديمقراطية، وتجنب الأخطاء التي عادة ما تسقط فيها كل الحركات التقدمية في العالم.

جمال شيشاوي

ينبغي أن تشكل تجربتنا نبراسا للأمل

س : الأخ جمال الدين شيشاوي نفتتح معك هذا الحوار بالسؤال التالي: في أي يوم، وأي شهر، وأي سنة تم اعتقالك؟

ج : تم اعتقالي يوم 28 غشت 1975، ولم تكن اعتقالات في هذه المرحلة، لقد شملت الاعتقالات وقتها فقط ثلاثة أفراد، وكانوا جميعهم مناضلين في تنظيم إلى الأمام. ويتعلق الأمر بأحد المناضلين الذي كان يوزع المناشير ليلا في المدينة القديمة بالدار البيضاء. وهذا المناضل الذي اعتقل كانت له علاقة سياسية وعائلية مع أحد رفاقي الذي كنت أختبئ عنده في المنزل. هذا الرفيق الذي اعتقل وهو يوزع المناشير لم يصمد أمام التعذيب، ودل البوليس على عنوان الرفيق خالد سحنون الذي كنت مختبئا عنده. وهكذا اقتحمت فرقة من البوليس، كانت مكونة من 8 عناصر، المنزل الذي كان يسكن فيه سحنون حوالي الساعة الخامسة صباحا وتم اعتقالي، لقد كنت أختفي عنده لحوالي 3 أشهر، أي منذ شرع البوليس في البحث عني.

جاؤوا لاعتقالي في منزلنا بالدار البيضاء، ولما لم يعثروا علي ذهبوا بحثا عني في منازل أعمامي بشيشاوة، ولذلك فكرت في الاختفاء عن الأنظار، وأخذت أنام عند رفيقي سحنون في منزل لم أكن أعرف جيدا أين يوجد. فلقد كنا نتواعد في مكان بعيد عن المنزل، ويتم اقتيادي إليه بعينين مغمضتين، لكي لا أتبين العنوان. كان الأمر يتم في إطار أخذ الاحتياطات الأمنية من جانبنا، وذلك لكي لا أدل البوليس على المنزل الذي يختفي فيه رفاقي، في حال ما إذا ألقي علي القبض، وخضعت للتعذيب..

س : كم كان عمرك لحظة اعتقالك؟

ج : ازددت سنة 1957، وتحديدا يوم 27 دجنبر، واعتقلت في 28 غشت 1975، أي أن سني لم يكن يتجاوز بعد 16 سنة. وكنت سنة 75 قد نجحت في السادسة ثانوي للالتحاق بالباكلوريا في المادة العلمية، وأذكر أن أفراد البوليس الذين بحثوا في ملفي المدرسي سجلوا النتائج الجيدة التي كنت أحصل

عليها، ولقد استغرب قدور اليوسفي واندهش لنتائجي الجيدة، وعبر عن تأسفه بشكل متهكم لأنني لم أركز على متابعة دراستي، وانشغلت بالقضايا السياسية. وفي الواقع لم أكن في هذه الفترة أركز على الدراسة بشكل كبير، كان اهتمامي منصبا في الجزء الأكبر من الوقت على الشأن السياسي.

س : حين تم اعتقالك كان عمرك لا يتجاوز 16 سنة، وهذا يشير إلى أنك ربما كنت في مرحلة الطفولة، فكيف وقع اهتمامك بالسياسة في هذه السن المبكرة؟

ج : إذا نظرت للأمر بشكل مجرد، فلا شك في أن اعتقالي حول قضايا سياسية سيفرض طرح هذا السؤال، ولكن إذا وضع الأمر في سياقه العام، فربما قد تبدو الأشياء طبيعية وليس فيها ما يستوجب الاستغراب، فلقد عشت في أجواء عائلية كانت لا تتحدث في غالب الأوقات إلا في السياسة والنضال، فأبي كان من قدماء مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وكان مقاوما في عهد الاستعمار، وعمي كان من مناضلي 23 مارس ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، وأبناء عمتي كانوا كلهم مناضلين في صفوف قوى اليسار، ومنهم أحمد آيت ناصر الذي كان أحد قادة تنظيم إلى الأمام.

كانت السياسة هي الشغل والهم الأساسي بالنسبة لنا في المنزل، وأستطيع القول إن منزلنا كان عبارة عن خلية. وأحد أخوالي كان من مناضلي الكنفدرالية الديمقراطية للشغل ومن النقابة الوطنية للصحة، وتم اعتقاله في شهر أبريل 1979، وكانت الاجتماعات بين أفراد العائلة تشكل مناسبة للنقاش السياسي ولانتقاد النظام. كان الفقيه البصري يشكل بالنسبة لي رمزا للنضال، وكان أفراد من الأسرة يعتبرون أن الإيديولوجية تشكل عاملا أساسيا في بلورة أي مشروع سياسي مستقبلي، وكان النقابيون من أفراد العائلة يرون في العمل النقابي الوسيلة المثلى في نسج العلاقات القوية مع الجماهير، بالإضافة للأجواء الثقافية والثورية التي كنت أعيشها في ثانوية محمد الخامس بالدار البيضاء، فمنذ سنة 1972 وأنا بهذه الثانوية التي كانت تزخر بمختلف الأنشطة التي تصب في نهاية المطاف في المجال السياسي.. فهذه هي الظروف التي جعلتني أكون منخرطا في الشأن السياسي في سن مبكرة.

س : موازاة لاهتمامك بالشأن السياسي، ألم يكن لك قبل اعتقالك اهتمام بمجالات أخرى؟

ج : إلى حدود سنة 1974 كانت لدي أنشطة رياضية وكنت لاعبا ممارسا لكرة اليد، فما زلت أذكر أن أحد اللاعبين الكبار لكرة اليد كان يقول لي دائما: ينتظرك مستقبل كبير في كرة اليد، نظرا لطول قامتي، ولكن مع بداية اهتمامي بالسياسة وتنوع قراءاتي لمؤلفات ماركس ولينين وماوتسي

تاونغ، وعلاقتي بالمناضلين في إطار النقابة الوطنية للتلاميذ وفي تنظيم إلى الأمام تلاشت اهتماماتي الرياضية، وأصبحت أركز على الأنشطة السياسية، وانخرطت في التنظيم سنة 1974.

س : ما هي الأسباب التي جعلتك تختار الانخراط في تنظيم إلى الأمام؟

ج : الاختيار الأساسي هو في الدرجة الأولى عائلي، فهو الذي أثر في بشكل مباشر، فأحد أبناء عمتي كان عضوا في التنظيم، والاعتبار الثاني هو في رأيي كون تنظيم إلى الأمام كان أكثر جذرية، وكانت هيكلته على مستوى الثانويات أكثر انضباطا وسرية وفعالية وحضورا، لقد كان هناك حضور لأعضاء من منظمة 23 مارس في الثانوية، وأذكر منهم عزيز الوديع الآسفي وآخرين، ولكننا كنا ننتقد هذا التنظيم لأنه لم يكن تنظيما متماسكا، كان متساهلا في مسألة الانضمام إليه، بخلاف تنظيم إلى الأمام الذي كان أكثر سرية وانضباطا وتشديدا ومحصنا بشكل أحسن، فهذه هي الأسباب التي دفعتني لاختيار الانضمام إلى تنظيم إلى الأمام..

س : حين انخرطت في تنظيم إلى الأمام وعمرك لا يتجاوز 16 سنة، هل كنت تدرك أهمية وخطورة الخطوة التي أقدمت عليها في ذلك التاريخ؟

ج : بطبيعة الحال، لأن قبل انخراطي في التنظيم اطلعت على كافة وثائق تنظيم إلى الأمام والتي كانت تتحدث عن أهداف واستراتيجية التنظيم، لقد كانت استراتيجية إلى الأمام واضحة وتحدث عنها الإخوان الذين سبقوني في هذه الحوارات، وللتذكير فقط، فإن من ضمن شعاراتها المركزية وقتها، كان هناك شعار لينيني يقول: الحزب الثوري يبنى تحت نيران العدو..

فإذن كنت على إدراك تام بأهمية الخطوة التي أقبلت عليها بانخراطي في تنظيم إلى الأمام، وكنت على استعداد لأداء المهام المطلوبة مني، وكنت أرفض مغادرة المغرب للالتحاق بالخارج، طبعا لم يكن لدي إلمام شامل بطبيعة التنظيم الذي أنتمي إليه ومدى حقيقة قوته، لقد كنا نتصور أن من المستحيل على النظام أن ينال أي شيء من تنظيم إلى الأمام، ولم نتبين الأمور إلا في السجن..

س : هل كنت تضع في ذهنك احتمال تعرضك للاعتقال؟

ج : هذا أمر أكيد، كان الاحتمال واردا لدي بنسبة كبيرة، فلو كنا نجري هذا الحوار في تلك المرحلة لكان سيتبين أن صغر سني لم يكن عائقا أمام ممارستي لنشاطي السياسي، كانت لدي وقتها

مسؤوليات وكنت أشرف على خلايا وعلى لجن، وكان لدي وعي سياسي كبير بخطورة المهمة التي أضطلع بها، وكنت على استعداد تام لتحمل مسؤوليتي عن نشاطي السياسي، ولقد واجهت الجلادين وقاومت التعذيب.

س : حين تم إلقاء القبض عليك كيف تعاملت أسرتك مع اعتقالك؟

ج : حين تم اعتقالي لم تعلم الأسرة بذلك إلا بعد مرور أسبوع. وأظن أن الرفيق أحمد آيت بناصر الذي كان لا يزال يعيش في السرية، هو الذي أخبر بوسائله الخاصة العائلة بنبأ اعتقالي، وحدد لهم المنزل الذي اعتقلت فيه. وجاءت والدتي لتتأكد من اعتقالي عند أسرة رفيقي خالد سحنون، ومن يومها توطدت علاقات إنسانية بين أسرتي وأسرة سحنون.

س : ألم يشكل اعتقالك صدمة لأسرتك، أم أنها كانت مهيأة لذلك وتتوقع اعتقالك؟

ج : احتمال اعتقالي كان أمرا واردا بالنسبة لي وربما حتى بالنسبة لأفراد أسرتي، رغم أن أسرتي لم تكن تعرف بشكل دقيق نشاطي السياسي، كانت تعرف أفكاري وقناعاتي السياسية، ولكن نشاطي السياسي بالتدقيق لم تكن على علم به. وبخصوص الصدمة التي تلقتها من جراء اعتقالي فهذا أمر مؤكد، فكل أسرة اعتقل أحد أفرادها وخصوصا إذا اختطف فإنها تشعر بالصدمة.

وبحكم أن والدتي من أسرة سلاوية معروفة، فإن بعض أفراد أسرتي كانوا يشغلون مناصب حساسة وكبيرة في الجهاز الأمني، وحاولت والدتي الاتصال بهم ليدلوها على مكان اعتقالي، وكان الجواب الذي حصلت عليه منهم هو أن لا أمل في البحث عنه، فهو مختف مع المعتقلين السياسيين، وأن عليها الانتظار إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، وأتذكر أن اليوسفي قدور، بعد اعتقالي بحوالي 6 أشهر استنطقني مرة ليسألني إن كان بعض من أفراد عائلتي ممن كانوا يشتغلون في الأمن على علم بنشاطي السياسي، وكان هدفه على ما يبدو هو الإساءة إليهم.

س : هل كان يريد إلصاق تهمة ما بهم؟

ج : يبدو أنه كان يريد اتهامهم بعدم الإبلاغ عن عضو من العائلة كان منخرطا بعلمهم في تنظيم سري، ألح علي اليوسفي قدور وعذبني لمعرفة إن كان أفراد من عائلتي الذين كانوا يشتغلون في الأمن على علم بانتمائي لتنظيم إلى الأمام.

س : وماذا كان جوابك؟

ج : كنت أجيبه بأنني ليس لدي أي علاقة بهم، وأنهم ليسوا على علم بانتمائي السياسي.

س : كعضو في تنظيم إلى الأمام كيف كانت نظرتك إلى فرد من الأسرة كان يشتغل في الجهاز الأمني؟

ج : لم تكن لدي أي مناسبة للالتقاء مع أفراد أسرتي الذين يشتغلون في هذا الجهاز، وصراحة كنت أتجنب اللقاء معهم دون أن ألفت انتباههم لأي شيء.

س : لنعد إلى لحظة الاعتقال، حين تم اعتقالك إلى أين جرى اقتيادك؟

ج : مباشرة بعد اعتقالي حوالي الساعة الخامسة صباحا تم اقتيادي إلى درب مولاي الشريف. وكنت أعرف درب مولاي الشريف وذلك بحكم أنني من أبناء الدار البيضاء، وكثيرا ما كنا نعقد لقاءات للتنظيم في الحي المحمدي وفي المناطق المجاورة لدرب مولاي الشريف. وكنا نعرف أن ذلك المكان هو حيث يوضع المناضلون المختطفون، وأتذكر أننا عقدنا مواعيد بملعب "الشابو" جوار درب مولاي الشريف. وأتذكر أنني خلال إحدى حصص التعذيب سمعت صفير "لافارج" وهو معمل للاسمنت كان قرب هذا المعتقل السري، فصفير المعمل كان يعني لي أننا في درب مولاي الشريف.

س : ماذا طُلب منك حين وصلت إلى درب مولاي الشريف؟

ج : سؤال واحد كان يطرح علي وهو المتعلق بالموعد الذي كان لي مع أحمد آيت بناصر، وهو كما أسلفت ابن عمتي وكان واحدا من قادة إلى الأمام، وكان يعيش في السرية وكان البوليس يريد اعتقاله في أسرع وقت ممكن وبكافة الوسائل، فمنذ 1972 والبوليس يبحث عنه، لقد تم اعتقال والديه مكانه وكذلك إخوته، وتعرضت أسرته للإهانات والمضايقات أثناء البحث عنه.

س : وهل اعترفت للبوليس بالمكان الذي كان لكما موعد فيه؟

ج : لم أعترف، لأنني ببساطة لم يكن لدي أي موعد معه كما كان يتصور البوليس. بعد التعذيب تظاهرت بالاعتراف وذهب البوليس إلى مكان الموعد لاعتقال أحمد آيت بناصر. وكان الموعد غير صحيح، فلقد ذهب البوليس إلى المكان الذي أشرت عليهم به، ولم يكن هناك أي أحد في هذا المكان، وخضعت للتعذيب مجددا، فقلت للبوليس أن ساعة الموعد مرت.. كانوا يعذبونني ويستنطقونني في

الساعة 9 صباحا وكنت أقول لهم إن الموعد في الساعة 8، لكي يتأكد الرفاق بأنني اعتقلت، وينتبهوا ويأخذوا الاحتياطات، وهكذا توقفت الاعتقالات..

س : تمكنت من الحيلولة دون حدوث اعتقالات؟

ج : لست وحدي الذي حال دون حدوث اعتقالات أخرى، فالرفيق خالد سحنون ساهم بدوره في وقف سلسلة الاعتقالات.

س : هل يكون لدى المناضل (ترف) حماية باقي رفاقه من الاعتقال في لحظات التعذيب الرهيب؟

ج : أقولها وبكل صدق: إن همي الوحيد كان هو أن لا تتوالى الاعتقالات لتشمل باقي الرفاق.

س : قد يتهيأ للكثيرين أن المعتقل يضعف ويعترف للبوليس برفاقه للتخلص من التعذيب الشديد، وفي جميع الأحوال فهو معذور في ذلك؟

ج : أقولها لك وبكل صدق مرة أخرى، إن الهم الذي كان يسكنني بعد اعتقالي هو أن لا أكون سببا في اعتقال رفاق آخرين. كنت مؤمنا بضرورة استمرارية المسيرة النضالية بأي ثمن كان، طبعا أنا إنسان، ولا شك أن التعذيب سينال مني، ولكنني حاولت جاهدا أن أراوغ البوليس، وفي ما يتعلق بأحمد آيت بناصر الذي كنت أسأل عنه، فأنا كانت لي به علاقة قرابة عائلية فقط.

س : ألم تكن لكما علاقة سياسية؟

ج : كنا ننتمي إلى نفس التنظيم الذي هو إلى الأمام، ولكن لم تكن لي به أي علاقة مباشرة على المستوى التنظيمي، فأنا لم أكن أعرف المكان الذي كان يوجد فيه، وبطبيعة الحال ركز البوليس علي في التعذيب على أساس أنه ابن عمتي، وبالتالي لدي علاقة تنظيمية به، من وجهة نظر البوليس..

س : بعض الإخوان الذين أجرينا معهم حوارات سابقة حول نفس الموضوع، صرحوا لنا أنه يصعب على المناضل ممارسة المماطلة والتسويف والمراوغة مع البوليس أثناء التعذيب، لأن لحظاته تكون قاسية ومؤلمة جدا وقاهرة، ويتعذر على المرء مقاومتها لوقت طويل، لابد له في النهاية من الاعتراف تجنبا لاستمرار التعذيب..

ج : أتفق معك ومع كافة الإخوان الذين عبروا عن هذا الرأي، فلحظات التعذيب قاسية جدا، ولا يمكن للكلمات مهما بلغت قوتها التعبيرية تصوير عنف تلك اللحظات ووحشيتها، والدليل على ذلك

أن كل الذين مورس عليهم التعذيب ما زالوا إلى اليوم يعانون من مخلفاته في أجسامهم ودواخلهم النفسية، فأنا أيضا بمجرد دخولي إلى درب مولاي الشريف جردت من ملابسي، وقدمت لي بذلة كاكية، وتم اقتيادي إلى أحد المكاتب، وحدث هذا في حوالي خمس دقائق ثم انهالوا علي بالضرب والصفع والركل من لدن أكثر من 7 أشخاص دفعة واحدة.

وأتذكر أنني كنت أشم رائحة الخمر منبعثة من أفواه الجلادين، وأتذكر أن اليوسفي قدور كان يصيح في أحد الجلادين، الذي حصل على التقاعد ويشتغل اليوم في منصب المسئول الأمني عن متجر " ألفا 55" لأن أخاه هو صاحب هذا المتجر، والتقيته بعد الإفراج عني وبصقت أمامه وكان معي رفيقي عبد اللطيف الدرقاوي.. كان اليوسفي يصرخ فيهم للاستعجال في تعذيبي من أجل أن ينتزعوا مني المكان الذي يوجد فيه أحمد آيت بناصر، ولذلك تم مباشرة تعليقي وانهمكوا في تعذيبي بشكل وحشي..

س : ألم يكن البوليس أثناء التعذيب يراعي صغر سنك؟

ج : هذا بالنسبة لهم كان مشكلا ثانويا وتافها. الأساسي هو انتزاع الاعترافات بأسرع وقت ممكن من أجل تفكيك التنظيم، فالأشياء ذات الطابع الأخلاقي والإنساني تذكروها في ما بعد، ولكن في إطار المناورة، لقد كانوا يقولون لي: كنت تلميذا نجيبا ومجتهدا ونتائجك كانت جيدة وممتازة، ولقد أضعت مستقبلك بانغماسك في العمل السياسي..

س : وماذا كان جوابك عن كلام من هذا النوع؟

ج : كان جوابي هو الصمت المطلق، وأتذكر مرة أن قدور اليوسفي وجه لي خطابا كله وعظ وإرشاد من النوع الذي أشرت إليه، ولما كان جوابي هو الصمت، لم يجد اليوسفي من حل سوى توجيه صفعة قوية إلي، وسقطت على إثرها العصابة عن عيني، فما كان منه إلا أن نظر في عيني وقال لي إن لك عينين جميلتين، وفي سنك كنت ستفوز بقلوب جميع تلميذات ثانوية شوقي ومحمد الخامس، فأنت ليس لك أي علاقة بهؤلاء الذين يوجدون في السجن.

س : ألا يشكل هذا الخطاب نوعا من التعذيب؟

ج : إنه خطاب لتحطيم المعنويات ولتدميرها، فما لم يتم إدراكه بالضرب والتعذيب يرجى الوصول إليه بالكلام الذي يبدو في ظاهره أنه ناعم ومتعاطف مع المناضل، ولكنه يهدف في الحقيقة إلى تحطيمه وزعزعة قناعاته لدفعه للانهيار..

س : هل كنت تملك مقومات الصمود في وجه مثل هذا الخطاب، هل كنت محصنا بشكل كامل من مفعول تأثيراته؟

ج : بطبيعة الحال، فهذا خطاب منافق ومفضوح، وأنا لم أكن على استعداد لتقبل أي شيء من جلاد مثل قدور اليوسفي أو غيره، فكيف إذا كان يتكلم معي من منطلق أنه يقدم إلي الدروس وهو لم يكن سوى جلاد مهمته التعذيب لانتزاع القناعات من دواخل أصحابها. كان لاعتقالنا ظروف خاصة، دخلنا درب مولاي الشريف بعد أن كان قد تم عرض الفوج الأول، البالغ عدد أفراده 105 على المحاكمة، وبقي المسئولون الكبار لتنظيمي 23 مارس وإلى الأمام في درب مولاي الشريف وقد التقيت بهم كلهم تقريبا هناك..

س : كم كان عددهم؟

ج : حوالي 50 معتقلا.

س : بعض الأسماء إن كنت ما زلت تذكرها..

ج : عبدالسلام المؤذن، وعبدالله زعزاع، والرفيق تودا، وعن جماعة العدل والإحسان الشيخ الملاخ والشيخ العلوي، ودار حديث بيني وبين العلوي والملاخ، وأذكر أن الشيخ الملاخ تعرف على والدي لأنه كان يدرس معه في مدرسة ابن يوسف، وحين خرج قبلي من السجن اتصل بأبي وأخبره بأنني معتقل في درب مولاي الشريف..

س : ومتى توقف التعذيب؟

ج : توقف لبعض الوقت، ولكنه استؤنف في شهر يناير 1976 عندما اعتقل عبد العزيز الطريبق وأحمد آيت بناصر..

س : لماذا استؤنف التعذيب بعد اعتقالهما؟

ج : اعتبر البوليس أنني كذبت عليهم لأن المسئول عني كان هو عبدالعزيز الطريبق وليس أحمد آيت بناصر كما كنت أزعم أمامهم، والذي أشرف على تعذيبي عن هذه القضية هو قدور اليوسفي شخصيا، واعتقل بعد ذلك آخرون كانوا معي في التنظيم ولم أذكرهم في الاستنطاق الأول الذي خضعت له لحظة الاعتقال.. لقد وقع تعذيبي لعدم ذكري لبعض الأسماء، كما أنه انطلقت إضرابات في الثانويات وكانوا يريدون الوصول إلى العناصر النشيطة التي تحرك الإضرابات، وكانوا يتصورون أنني أعرفها، ولذلك كانوا يعذبونني لكي أدلهم على أسمائها..

س : أصبحت تعذب بسبب أحداث تقع خارج السجن، التعذيب صار هنا له طابع الانتقام؟

ج : كان يتم تعذيبي لأنني لم أقدم معلومات صحيحة، فالمسؤول عنا هو عبدالعزيز الطريبق، ورفضت خلال التعذيب إعطاء مواصفاته، وقال لي اليوسفي إنك عطلت علينا عملنا لمدة 6 أشهر، فلو أنك أعطيتنا المعلومات الصحيحة لكنا قد انتهينا من هذه المهمة في فصل الصيف وليس الآن..

س : كم قضيت في درب مولاي الشريف؟

ج : من 28 غشت 1975 إلى 13 مايو 1976، أي حوالي 10 أشهر تقريبا، وأظن أنهم أعدوا لنا محاضر قبل اعتقالات شهر يناير، وأنهم كانوا سيطلقون سراحي من درب مولاي الشريف، وكعقاب لي على عدم الاعتراف وتضليل البوليس بمعطيات غبر صحيحة تم الحكم علي ب12 سنة سجنا نافذا..

س: حين اعتقل أحمد آيت بناصر وعبد العزيز الطريبق هل اعترفا بأنك كنت معهما في التنظيم؟

ج : أحمد آيت بناصر لم تكن لي به أي علاقة تنظيمية، أما عبد العزيز الطريبق فلقد اعترف وباقي المناضلين تحت التعذيب، وشمل الاعتقال جميع عناصر التنظيم، ولم يعد هناك أي شيء في السر، وساعتها علم البوليس بحقيقة موقعي داخل التنظيم، أي أنني كنت في اللجنة الأساسية المكلفة بالتلاميذ بالدار البيضاء.

س : إذن رغم التعذيب الذي مورس عليك لم تعترف في البداية للبوليس بحقيقة موقعك داخل التنظيم؟

ج : تمكنت من المراوغة، فأنا لا أقول إنني صمدت، ولكنني استطعت المراوغة، وفي درب مولاي الشريف كنت أطلب من الحراس السماح لي بالذهاب إلى المرحاض لكي أتبول، وكنت أنادي: الحاج نبول، وكنت أتدلل على الحراس بحيث كنت أقول لهم: (بغيت نبول)، فأطلق علي لقب بولPaul، وأصبحت معروفا عند المعتقلين في درب مولاي الشريف بهذا اللقب، ولم يكونوا ينادونني باسمي، ولكن فقط بـPaul، وأذكر أسماء لمناضلين كبار كانوا معنا في درب مولاي الشريف، كانت هناك خمس زنزانات، واحدة فيها الجعواني والثانية عبدالله زعزاع، والثالثة أبراهام السرفاتي والرابعة فيها تودا..

س : إلى أي تنظيم كان ينتمي الجعواني؟

ج : كان مناضلا اتحاديا من جناح الاختيار الثوري للفقيه البصري، واختطف من الجزائر، وكان على جانبه أخ الجنرال محمد أوفقير الذي كان قائدا في ناحية وجدة واعتقل حسب ما أظن سنة 1972، وكان معنا شخص اسمه عمارة يبدو أنه من المساهمين في أحداث مولاي بوعزة، وكذا مناضل كبير السن عمره يتجاوز 75 سنة، كنا نناديه عمي لحسن، وكان رجلا تبدو عليه علامات المقاومة والصمود، كان كصخرة لا يقهر..

س : خرجتم من درب مولاي الشريف وتركتموهم هناك؟

ج : نعم خرجنا وتركناهم في درب مولاي الشريف، ولكننا التقينا بهم بعد سنتين تقريبا في سجن لعلو.

س: ما هي التهم التي أحلت بموجبها إلى المحاكمة، وكيف تم التحقيق معك من طرف قاضي التحقيق؟

ج : بعد إحالتي على قاضي التحقيق فوجئت بأنه كان على سابق معرفة شخصية بي، إذ كنت صديقا لأحد أبنائه الذي كان تلميذا معي في نفس الثانوية، واسمه أفيلال، وعلمت فيما بعد أنه كان يعاني من ضغوط كبيرة من أبنائه للتخلي عن هذا الملف، وقد تخلى فعلا عن النظر في الملف، ولا أعلم إن كان ذلك بسبب ضغوط أبنائه أم لأسباب أخرى، حقيقة ليست لدي معلومات في هذا الجانب.

س : أثناء عرضك عليه كيف تعامل معك في ظل المعرفة الشخصية بك؟

ج : تصرف معي كأنه لا يعرفني، والبوليس حين اعتقلوني لم يجدوا أي وثائق في حوزتي، ولكن لتبرير الاعتقال والحكم علي بالسجن نسبوا إلي امتلاك وثائق كانت قد أصدرتها المنظمة في نوفمبر 1975، فأنا كنت قد اعتقلت في غشت، ومع ذلك نسبوا إلى امتلاك وثائق صدرت 3 أشهر بعد اعتقالي، ولقد تساءلت أمامهم، هل خرجت من السجن بدرب مولاي الشريف لأتسلم هذه الوثائق وأعود بعد ذلك للاعتقال؟

س : هل ميز القاضي الذي نظر في قضيتكم بين المناضلين، وهل أخذ بعين الاعتبار المعطيات المرتبطة بملف كل واحد على حدة؟

ج : لم يتح لنا القاضي أفازاز الفرصة للدفاع عن أنفسنا، وأنا أعتبره شخصيا يشكل وصمة عار على جبين القضاء المغربي، فالرجل كان بلا مستوى ثقافي أو علمي، وكان خال تماما من أي حس إنساني أو حس بالحد الأدنى من المسؤولية التي كانت ملقاة على عاتقه وهو يصدر أحكاما ضد مواطنين لا يستحقون تلك الأحكام وتلك المعاملة السيئة والدنيئة، كان فضاء المحكمة محتلا من طرف جلادي قدور اليوسفي، وكانوا يهددوننا، وأذكر أننا كنا أنا وعبدالله زعزاع، وجبيهة رحال رحمه الله ننظر إلى وكيل الملك، ونهدده بالإشارة، أي أننا كنا نقول له إننا سنذبحه، وكانت المحاكمة في واقع الأمر بمثابة مسرحية ومهزلة، ولم نكن نتوقع أنه سيتم إنصافنا خلال المحاكمة، ولم يكن السجن يشكل بالنسبة لي أدنى مشكل.

س : وبماذا حكم عليك؟

ج : حكم علي بالسجن لمدة 12 سنة سجنا نافذا.

س : هل كنت تتوقع أنه سيحكم عليك بكل هذه المدة؟

ج : رغم سوريالية المحاكمة كنت أتوقع بأنني سأحاكم على أبعد تقدير بالسجن لمدة 3 أو 4 سنوات، والحكم علي بالسجن لمدة 12 سنة لم يؤثر في كثيرا، كانت معنوياتي مرتفعة، والذي تأثرت له هو وقع الحكم على أفراد أسرتي، فوالدي كان حاضرا لحظة المحاكمة، وبعد أن سمع الحكم اجتاحته نوبة مرضية لمدة طويلة، وعلمت أنه أثناء محاكمتنا تم اعتقال إحدى أخواتي ووقع الاعتداء عليها من طرف الشرطة وتحديدا من طرف قدور اليوسفي..

س : لماذا اعتقالها والاعتداء عليها؟

ج : اتهمت بأنها تنقل أخبارنا إلى خارج السجن وتوصل أخبارنا إلى الخارج وأنها تنسق مع بعض الجهات للتعريف بقضيتنا، وأجمل ما قام به أبي هو أنني عندما خرجت من السجن وأخبرتهم بالمكان الذي توجد فيه وثائق المنظمة داخل المنزل، رجوته أن لا يحرق تلك الوثائق، وأن يحملها ويضعها في مكان عمومي حتى يأخذها أناس آخرون ويستفيدون منها في المستقبل.

س : وهل قام الوالد بتلبية رغبتك هذه؟

ج : نعم أبي لبى لي هذه الرغبة وأشكره على ذلك كثيرا. لقد جمع وثائق تنظيم إلى الأمام التي كانت في حوزتي، وكانت من ضمن الوثائق نشرة المنظمة التي كانت قد طبعت في (الأوف سات)، وحملها رفقة مطبوعات أخرى ووضعها في مكان عمومي، ولا شك في أن هذه الوثائق قد عثر عليها أشخاص آخرون، ولا شك أنهم اطلعوا على محتوياتها، ولا أدري ما هو رد فعل الأشخاص الذين يطلعون على هذه الوثائق؟ هل سيتجاوبون معها ويتعاطفون مع مضامينها التي أودت بآخرين إلى المعتقلات السرية والتعذيب والمحاكمات والسجن؟ المهم أنها وصلت لأشخاص آخرين.

س : لنتحدث الآن عن الوضعية داخل السجن، كنتم مجموعة من المعتقلين من تيارات مختلفة، وحكم عليكم بمدد متباينة، كيف كانت علاقاتكم الإنسانية في ما بينكم داخل السجن، هذا الفضاء المحكم الإغلاق، كيف كنتم تدبرون خلافاتكم في ردهاته؟

ج : بكل صدق، أنا أعتبر أن المسؤول الوحيد عن كل ما جرى داخل السجن بين المناضلين هو التعسف الذي تعرضوا له من طرف النظام، فهذا هو المسؤول الرئيسي الذي ينبغي أن نحمله تبعات ما وقع، وطبعا في كل تجمع إنساني، ولو في شكله العادي والطبيعي، نعثر دائما على خلافات تخرقه، ففي كل المؤسسات الحزبية والنقابية والجمعوية توجد في داخلها خلافات، رغم أنها تشتغل في فضاء الحرية، فهذا شيء طبيعي، فماذا عن تجمع بشري صغير فيه وجهات نظر متباينة وقناعات سياسية تختلف من هذا لذاك، وهذا التجمع يعيش في فضاء مغلق الذي هو السجن، وعاش أعضاؤه التعذيب والإرهاب والظلم.

إن وجود خلافات في تجمع من هذا النوع أمر مفروغ منه، وهو شيء متوقع ومنتظر. لقد كانت أصعب مرحلة هي التي قضيناها في سجن القنيطرة، والتي كانت في الفترة الممتدة من 1977 إلى 1981،

فخلال هذه المرحلة اقتنعنا أنه لا بد من النضال من أجل إبراز ذاتنا والدفاع عن وجودنا كمعتقلين سياسيين، لقد عانينا من التعذيب والقهر والقمع، وتعرضت حتى عائلاتنا للاستنطاق والإهانة، ولذلك تولدت لدينا القناعة بأن العمل الذي علينا إنجازه هو ذلك الذي سيمكننا من إبراز ذاتنا وفرضها في الساحة، وهذه القناعة هي التي دفعتنا لاتخاذ بعض المواقف التي قد تبدو لنا اليوم أنها كانت نوعا من الانتحار.

س : ما هي هذه المواقف التي كانت انتحارية؟

ج : الإضراب عن الطعام لمدة 45 يوما. ولأنني كنت أملك بنية جسمانية قوية، فقد كنت من آخر المعتقلين الذين نقلوا إلى المستشفى، وأذكر أنني كنت أرى الموت في وجه وعيني مريد عبد العزيز، كان بين الموت والحياة وأقرب إلى الموت منه إلى الحياة، ومع ذلك ظل صامدا ورافضا تناول الطعام. وفي الواقع لم يكن أمامنا أي خيار آخر، لقد كان للنظام حقد كبير علينا، ولذلك لم نكن نملك سوى الإضراب عن الطعام للفت الأنظار نحونا ولفرض الاستجابة لمطالبنا، ولا شك أننا كانت لنا أخطاؤنا.

س : ماذا تقصد بالأخطاء التي كانت لديكم؟

ج : أخطاء من نوع ذلك البيان الذي نسب إلى المعتقلين والذي زعم أن الإضراب عن الطعام كان من أجل مساندة الشعب الصحراوي، لقد صدر هذا البيان وزعم أننا نحن الذين أصدرناه وتمت تلاوته في إذاعة البوليزاريو.

س : هل صدر البلاغ عن جناح محدد من المعتقلين من داخل السجن؟

ج : أحد الرفاق هو الذي حرر البلاغ وتحايل بوسائله الخاصة لإخراجه من السجن، ونسبه إلى باقي المعتقلين، والمؤسف هو أن هذا الرفيق لم يكن مضربا عن الطعام مثلنا لأنه كان مريضا، ولأنني أعرف أنك ستسألني عن اسمه، فأنا رغم كل ما حدث ما زلت أحبه وأحترمه، لأنه اعترف بخطئه وتجاوزه في ما بعد، ولذلك لن أذكر اسمه.

معركتنا في تلك اللحظة في السجن لم تكن لا معركة إلى جانب الصحراوي أو الشعب الانجليزي، ولكن لكي نتمتع بحقنا في معاملة إنسانية داخل السجن، ونحصل على حقنا في متابعة دراستنا، وبحقنا في الزيارة المباشرة لعائلاتنا، وأن تكون الزيارات في ظروف إنسانية، والمؤسف هو أننا خلال هذه

المعركة تم إلى حد ما التخلي عنا، وتركنا نواجه مصيرنا لوحدنا، وحتى الصحافة التي كانت تتعاطف معنا لم تنشر وقتها مواد صحافية لها طابع التضامن معنا..

س : أظن أن بعض الصحف كانت تساندكم في مطالبكم التي خضتم من أجلها إضرابات عن الطعام..

ج : كانت مساندتها لنا خجولة وكانت تشعر بنوع من الإحراج، وأنا أتفهم هذا الإحراج، ومع ذلك فأنا لن أنسى موقف التخاذل الذي اتخذه منا المحامي الأستاذ عبدالعزيز بناني، فلأنه لم يكن يشاركنا بعض مواقفنا السياسية، في ما يخص النظام وقضية الصحراء، فإنه بدل أن ينسحب وأن لا يرافع عنا، كتب رسالة إلى القاضي يقول فيها، إنه ينسحب من المرافعة دفاعا عنا نظرا لمواقفنا السياسية، في الوقت الذي ظل فيه محامون من الاتحاد الاشتراكي مثل الأستاذ كرم متشبثين بالدفاع عنا ومن موقع المختلفين معنا في قضايا أخرى..

لقد حدثني رفاق لي أن المرحوم عمر بنجلون كان يزورهم في السجن وكان يقول لهم إنني على خلاف سياسي معكم ولا أوافقكم في مواقفكم من هذه القضية أو تلك، ولكنني لن أتخلى عنكم، بل سأدافع عنكم كمحام، لقد كان على عبدالعزيز بناني كمحام يحترم نفسه الانسحاب وعدم الدفاع عنا، دون أن يبعث برسالة إلى لقاضي افازاز الذي كان يتربص بنا.

س : لنعد إلى الخلافات بين المناضلين داخل السجن، فلقد بلغ إلى العموم وقوع احتكاكات ومشاحنات وربما مصادمات بين المعتقلين، ووصل الأمر إلى حد الاتهام بالانهزامية وأشياء أخرى.. كيف يمكن أن تصل الأمور إلى هذا المستوى من التصادم بين المناضلين؟

ج : أظن كما أسلفت أن النظام مسؤول عما وقع لنا، ولكن هذا أيضا لا يمنع من القول إن بعض التصرفات المجانية وتصفيات الحسابات الشخصية كان لها دور في هذا الصدد، والأكيد أن الرفاق المسؤولين السياسيين يتحملون جزءا من تبعات ما وقع، فكيف يعقل أن قصة لأخي وصديقي الكبير الذي أعتز بصداقته عبد القادر الشاوي كان عنوانها البحر، تكون سببا في اتهامه بكل أنواع وألوان التهم مما أدى إلى إشعال فتيل صراعات كثيرة داخل السجن.

كنا نصدر جريدة داخل السجن وكان اسمها الساحة، وكانت لنا جريدة للنكت وكان اسمها الظريف، وتابعنا دراستنا، فأنا حصلت على شهادة الحقوق مباشرة بعد خروجي من السجن، وبعد

الحقوق قررت إنجاز ما كنت أحلم بتحقيقه لما كنت تلميذا في الثانوية، أي أنني أصبحت مهندسا معماريا، وتابعت دراستي في هذا التخصص، وحصلت على دبلوم مهندس معماري سنة 1986.

س : والكيفية التي خرجت بها من السجن؟

ج : أفرج عني في ليلة جميلة. لم أكن أتوقع الإفراج، خرجت رفقة بعض الرفاق الآخرين، اللعبي، براوي، فكاك، وكان ذلك في شهر رمضان يوليوز 1980، واستقبلنا أحد رفاقي الصقلي أخ البرلمانية بديعة الصقلي، وأذكر أننا ذهبنا عند الأخ العراقي المناضل في الاتحاد الاشتراكي، وتناولنا العشاء عنده، ثم التحقنا في ما بعد بمنازلنا، وأذكر أنني دخلت على أسرتي في 5 صباحا، ولم تكن تتوقع الإفراج عني، فسألني والدي إن كنت قد هربت من السجن، ولما أجبته بأنه أفرج عني كانت المفاجأة سارة وكبيرة بالنسبة لكافة أفراد أسرتي.

س : وعلاقاتك الإنسانية بالذين كانوا معك في السجن كيف حالها اليوم؟

ج : أحترم الجميع وأكن لهم كامل التقدير، وأتفهم ظروف الجميع، وأظن أنني كنت عنصرا من عناصر التفاؤل داخل السجن، وذلك بسبب ديناميكيتي وحيويتي، ويمكن أن تسأل عن هذا باقي الإخوة الذين كانوا معي في السجن. فهناك إخوان أحترمهم كثيرا ومنهم عبد الفتاح الفاكهاني، وعبد الله المنصوري، وأحترم المناضل أبراهام السرفاتي الذي كان لي سن ابنه، وكان يقول لي دائما إن لك عمر ابني، كان يرى في صورة ابنه، والمشتري بلعباس، والوديي عزيز الذي أصبح من كبار أصدقائي في السجن، وأمين عبد الحميد الذي أحترمه وأقدره كثيرا، وعبد الله الحريف الذي أعرف عائلته وأحترمه كثيرا لأنه ابن واحدة من العائلات المناضلة..

س : وكلمتك الختامية؟

ج : ينبغي أن نتعامل مع تجربتنا بنوع من المسئولية بحيث تشكل نبراسا للأمل، ولكنني أدعو إلى أن تكون لنا الجرأة في الاعتراف بأخطائنا بشجاعة وقوة، والاعتراف لا يعني أننا فشلنا أو تنكرنا لمبادئنا، وإنما للتأكيد على أن المغرب محتاج لطاقات جميع أبنائه، ولا شك في أن الطاقات التي صهرتها تجربة الاعتقال السياسي في درب مولاي الشريف والسجون الأخرى لا تشكل إلا جزءا بسيطا من مجموع طاقات الشعب المغربي في البوادي والمدن والأرياف، هذه الطاقات التي ينبغي أن تتضافر من أجل بناء مغرب وطني وديمقراطي وحداثي ومستقل بالمعنى الكامل لكلمة الاستقلالية.

فؤاد عبد المومني

كانت هذه هي المساهمة الممكنة من جانبي من أجل تقدم بلدي

س : الأخ فؤاد عبد المومني نود أن نفتتح معك هذا الحوار حول ظروف اعتقالك السياسي بالسؤال التالي : ما هو اليوم والشهر والسنة التي تم اعتقالك فيها؟

ج : تم اعتقالي مرتين: المرة الأولى كان الاعتقال بتاريخ 30 مايو1977، وكان في المرة الثانية بتاريخ 13 يناير 1983.

س : لنبدأ بالمرة الأولى، ماذا كنت تفعل في اللحظة التي تم اعتقالك فيها؟

ج : كنت آنذاك طالبا في السنة التحضيرية للمعهد الزراعي، وكنا في فترة الامتحان، وجاء أفراد البوليس، وأغلقوا كافة مخارج المدرج الذي كنا نجتاز فيه الامتحان، وبقي مخرج واحد هو الذي خرجت منه، وفي الباب اعتقلوني فور محاولتي الخروج.

س : كنت تتوقع أنه سيتم اعتقالك؟

ج : كان هذا الاحتمال واردا بالنسبة لي، لأنه تم اعتقال مجموعة من أصدقائي في القطاع الطلابي، وكنت على علم بأن الاعتقال طال أصدقاء شخصيين لي، ولذلك كان واردا أن أعتقل أنا بدوري.

س : ما هي الأسباب والاعتبارات التي دفعت البوليس لاعتقالكم ؟

ج : سنة 1977 كان حظر الاتحاد الوطني لطلبة المغرب مازال قائما، وكانت أطراف نشيطة داخل الجامعة، على الخصوص الطلبة الجبهويون، ولقد تعرضوا لضربات موجعة جدا في يناير وفبراير من نفس السنة التي كانت قد شهدت محاكمة بشعة لمجموعة من معتقلي الدار البيضاء الذين أحيلوا فيما بعد على القنيطرة. فلقد كان الموسم الدراسي سنة 1976 – 1977 هو إعادة انطلاق الحركية الطلابية، وانطلق من جديد البناء القاعدي للاتحاد الوطني لطلبة المغرب، عبر تجديد التعاضديات، والجمعيات،

والمكاتب، وفي نفس الوقت، تجلى في الساحة الطلابية تعاطف كبير مع المعتقلين السياسيين، وبدأ هذا التعاطف يتشكل عبر حلقات ومجموعات وتظاهرات داخل الكلية مما أربك أجهزة البوليس.

س : هل كان هناك اعتبار سياسي معين وراء اعتقالكم، خارج هذه الأنشطة الثقافية النقابية للطلبة داخل الجامعة؟

ج : كان هناك مستويان واضحان بشكل كبير جدا في المحاضر التي أقامتها الشرطة لمجموعتنا، المستوى الأول حول ما هي الأنشطة الواقعية التي قام بها هؤلاء الأفراد؟ وهي أنشطة حدودها كانت مطالب نقابية فئوية طلابية، أو على أبعد تقدير، تعاطف مع بعض الحريات الديمقراطية التي كانت قد ضُربت، ثم مستوى ثان الذي هو التأطير الذي قامت به مصالح الشرطة لهذه الأفعال، واعتبرت أنها ليست سوى مقدمات لبناء تنظيم سياسي من شأنه أن يؤطر الجماهير الشعبية، ومن شأنه أن يهيئ لإسقاط النظام الملكي وإقامة جمهورية ديمقراطية شعبية مكانه.

س : يصعب تصور أن طالبا يمارس نشاطا نقابيا وثقافيا داخل الجامعة، ويكون هذا النشاط في إطار القانون، ثم يعتقل بسببه، فالجامعة المغربية في منتصف السبعينيات كانت تعج بالآلاف من الطلبة الذين كانوا يمارسون أنشطة نقابية وثقافية وسياسية في حرمها، فهل كلهم تعرضوا للاعتقال، بل للاختطاف بسبب أنشطتهم؟

ج : صحيح أنه يصعب تصور أن طالبا يصبح موضع شبهة واعتقال واختطاف لمجرد ممارسته لنشاط نقابي عاد داخل الحرم الجامعي، ولكن عندما نستحضر مرحلة أواسط السبعينيات، سنجد أن سياسة الحكم حُسمت آنذاك في تقديري، فلقد كان خيار غشت 1974 هو خيار إطلاق سراح وإدماج الأطر الحزبية الاتحادية التي ستقبل بالهيمنة المطلقة للحكم في إطار ما سمي آنذاك المسلسل الديمقراطي وأولوية قضية الصحراء.

وفي نفس اللحظة، أي عندما أطلق سراح عمر بنجلون ورفاقه من اللجنة الإدارية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وانتقل في نفس الفجر عبد الرحيم بوعبيد، حاملا الحقيبة الدبلوماسية إلى أوربا الشرقية للدفاع عن مغربية الصحراء، في هذه اللحظة، تم إعدام المهتدي، وستة من رفاق عمر دهكون. هذا الفجر الذي بُشرنا به، لم يكن في حقيقته فجرا، وانفتاحا، وإنما كان بمثابة شانطاج، بالنسبة للقوى الوطنية والديمقراطية، فلقد تم وضعها أمام خيارين، فإما خيار الاندماج، والقبول بما هو معروض، أو خيار الإعدام.

وبطبيعة الحال، كل من لم يندرج في إطار القبول بالخيار الأول ُضرب، وفي تقديري حتى الاتحاد الاشتراكي لما قبل، كانت الأغلبية الساحقة من أطره، تعتبر القبول تكتيكيا. لقد كان لكل طرف حسابه، ولكن كانت الحسابات المقبولة والمدمجة والمتراضي بشأنها، ولو لفترة محددة، في جهة، وكان الأغيار الذين يُعتبرون خارج هذا الحساب في جهة أخرى، وربما تم وضع حد فاصل وقتها، ما بين الأطراف التي دخلت الخيار الانتخابي في سنة 1976، والحساسيات التي لم تقبل بهذا الخيار، والتي كان لابد من ضربها ، فضربت ضربا مبرحا.

س : هذا التحليل، ربما يضخم بعض الشيء، من وزن الأطراف التي لم تقبل بالخيار الانتخابي سنة 1976، فهذه الأطراف لم تكن بالقوة التي تشكل تهديدا جديا للنظام وتستدعي منه ضربها، ووضع كل هذه الحسابات لها؟

ج : لم يشكلوا أي تهديد للنظام، ولم يقوموا في ظني بأي شيء يزعجه، ويُعتبر مبررا من جانبه لضربهم.

س : لماذا إذن اعتقالهم واختطافهم وضربهم؟

ج : لدي نظرية في هذا الموضوع مبنية على مستويين من الحساب، المستوى الأول يتحدد في كون النظام، بشكل عام، تمكن من الاستمرار في الهيمنة، ليس فقط عبر قمع كل من يشكل له تهديدا مصيريا وآنيا، بل عبر استئصال كل ما يمكن أن يؤدي بالناس إلى التفكير في شيء ما له مضمون تهديدي. اختطاف المئات من الأشخاص وتعذيبهم وسجنهم، حتى في الحالات التي يكون فيها قد زال أي احتمال للتأثير على الوضع يؤكد ذلك.

فمثلا أفراد الجيش والضباط الذين شاركوا في المحاولتين الانقلابيتين، والذين تم دفنهم في تازمامارت بعد أن أنهوا المدة العقابية التي حُكم عليهم بها، هؤلاء عاملهم النظام بتلك الطريقة، ليس لأنهم كانوا يشكلون خطرا عليه، ولكن لكي لا تسول النفس لأي كان بأن يفكر بالطريقة التي فكر بها هؤلاء الجنود.

واختطاف الزوجة وأبناء أوفقير بما فيهم طفل عمره 3 سنوات، والاحتفاظ بهم في غياهب المعتقلات السرية لمدة 20 سنة، هل هؤلاء كانوا يشكلون خطرا على النظام، هل كان هناك حكم قضائي عقابي تجاه أحدهم؟ الجواب طبعا لا، ولكن الأساسي بالنسبة للنظام كان هو الترهيب، وحتى لا يظن أحد أن قمة ما قد يتعرض له، هو الإعدام، هناك فنون أخرى للاقتصاص...

س : هذا على المستوى الأول، وماذا عن المستوى الثاني؟

ج : المستوى الثاني الذي لعب بشكل كبير في اعتقال مجموعتنا وضربها، هو في تقديري المصالح المباشرة لأطر المخابرات ولأطر الداخلية، ففي بداية السبعينيات، كان واضحا أن استمرار النظام، قائم على الأجهزة القمعية، وبعد الاتفاق مع الاتحاد الاشتراكي والإدماج الذي تم عقب انتخابات 1976، أصبح دور هذه المصالح، ربما مهددا بالتعرض للتهميش، ولقد كانوا في حاجة للعثور على مؤامرات جديدة ومهولة، ومن شأنها المحافظة على أهمية الدور الذي يلعبونه...

س : ولكن أيضا الحركة الطلابية والشباب عموما في تلك الفترة، كانوا يرفعون شعارات تطالب بالإجهاز على النظام، وهذا بالنسبة للنظام كان تهديدا حقيقيا ومباشرا له.

ج : أبدا، لم نكن نرفع هذه الشعارات في تلك الفترة، ربما كان لنا هذا الحلم، فأنا أعتقد أننا في أغلبيتنا كان لدينا حس جمهوري وحس اشتراكي، ولم نكن نؤمن بمجموعة من القيم والمقولات ومؤسسات الدولة، ولكن أنا أقول، إن هذا كان إحساسا لدينا ومجرد رغبة، ولم يكن فعلا سياسيا منظما ومدبرا، وبدأت على الأقل مقدماته الأولى. فمن الممكن أن تعتقل شخصا، وتحاكمه في أي بلد، عندما يدخل في ممارسة العنف، أو يهيئ لممارسته، فنحن كل ما حجز عندنا، كانت كتابات لمفكرين، وفي الغالب الأعم، كانوا يتكلمون عن تجارب لبلدان أخرى، وربما لقرون خلت.

فالتهم التي وجهت لنا كانت واهية جدا سواء فيما يخصنا، أو أحد مكونات مجموعتنا، لأننا كنا أزيد من 150 شخصا مروا من فترات طويلة للاعتقال في نهاية السبعينيات في المجموعة التي سميت مجموعة مكناس، وكان معنا بعض الأشخاص الذين كانوا متعاطفين مع جبهة البوليزاريو..

س : ألا يمكن لوجود أشخاص معكم كانوا متعاطفين مع جبهة البوليزاريو أن يشكل عاملا رئيسيا للنظام لكي يتعامل معكم بشدة، ألم يكن هذا المبرر كافيا من وجهة نظر النظام؟

ج : الأشخاص الذين اتهموا بأنهم مساندون للبوليزاريو، كانت فيهم مستويات، فمحضر الشرطة يقول إن هؤلاء خلايا للبوليزاريو.

س : رغم أنهم غير صحراويين؟

ج : كان من بينهم طلبة في الرباط، وفي أكادير، وكلميم، والعيون . فئات مختلفة، ومنذ حوالي سنة كنا قد اطلعنا في الصحف على محاضر للشرطة كانت تتهم مجموعة من الناس بأنهم يشكلون خلايا للبوليزاريو في المغرب، ولكن الذي لاحظناه هو أنهم لم يعتقلوا في هذه المرة، فشتان بين اتهام غير مؤسس على وقائع وعلى إثباتات، وبين اتهام تتم إقامة الدليل عليه.

س : كان المغرب في سنة 1977 في حرب شاملة مشنونة عليه بكل الوسائل، فالجيش المغربي كان في مواجهة مع قوى خارجية تريد فصل جزء من المغرب عن وحدته الترابية، وفي الداخل هناك طلبة يشتغلون بصيغ متعددة، دفاعا عن البوليزاريو ، فهذا أمر لا يمكن أن يقبل به النظام الذي كان يقول إنه في حالة حرب؟

ج : ما ينبغي أن نناقش الآن هو هل القمع الذي تعرض له هؤلاء الشباب تم في نطاق المشروعية أم خارجها؟ التهمة المتعلقة بالتعامل مع العدو الأجنبي، والخيانة الوطنية، والتكييف القانوني للمتابعة ، كان يؤكد على أننا كنا متهمين بالمس بسلامة أمن الدولة الداخلي، رغم أن هذا كان يعني فقط التعاطف، فالآن من الوجهة القانونية المحضة، بإمكان أي كان أن يقول أنا أطالب باستقلال وجدة مثلا، وفقا لكذا وكذا دون أن يعاقبه القانون، ويمكنه أن يعلن عنها كفرد أو كمجموعة، فهذا حق في إبداء الرأي وممارسة حرية التعبير، فالقانون يعاقب على أفعال مادية تحرمها فصول قانونية واضحة، وهذا ما لم يكن ينطبق علينا. فالجو الشوفيني الذي كان عارما في المغرب، لم يكن يسمح حتى بالذي كانت له قناعة ذاتية بالاستقلال أو بالبؤرة الثورية في الصحراء أو كذا، أن يعلن عن ذلك بشكل صريح.

س : حتى لو أعلن عن ذلك فإن رأيه هذا كان سيبدو هامشيا جدا، وليس له أي تأثير في الساحة؟

ج : هامشي جدا، أنا في تقديري أن الاعتقالات في نهاية السبعينيات لم تكن مرتبطة بوقائع تقتضي ردعها، سواء لأنها تشكل خطرا على المستقبل، أو لأنها تشكل مسا بالمصالح والحقوق في مرحلة سابقة، ففي الواقع كانت الدولة في حاجة لإرهاب المجتمع. إن إدماج البعض ، كما جرى مع الحركة الاتحادية، كان يتم أيضا بموازاة مع قمع البعض الآخر والتشهير به، حتى لا تسول لأي أحد نفسه بأن يصعَد في المواجهة مع النظام، وسأحكي للقارئ قصة وقعت لأحد الأصدقاء، كان مناضلا اتحاديا اعتقل معنا في نفس المجموعة، فلقد كان، كالعديد من الطلبة، عضوا في مجلس مناضلي كلية العلوم،

ولما تمت الاعتقالات، وقع اعتقال كل المناضلين الذين نشطوا بشكل أو بآخر في مجالس المناضلين، وإبان استنطاقه لدى الشرطة قال أنا لا علاقة لي بأي تنظيم سري، وأنا مناضل اتحادي في صفوف مناضلي مجلس كلية العلوم، وفي الاستنطاق فرض عليه أطر الشرطة نصا و أجبروه على التوقيع عليه. ولقد تم تقديمه بهذا المحضر الذي توبع به، وكان يقول فيه: أنا فلان الفلاني، عضو في مجلس طلبة كلية العلوم بالرباط أعترف أنني عضو في مجلس الطلبة الذي هو هيأة قيادية في منظمة إلى الأمام الماركسية اللينينية التي تهدف إلى إسقاط النظام الملكي، وإقامة نظام جمهوري مكانه، عبر حرب التحرير الشعبية طويلة الأمد، فهذا محضر حوكم به مواطن مغربي رغم أن لا علاقة له به، وهو اليوم عضو بالكتابة الإقليمية للاتحاد الاشتراكي بمراكش.

باختصار، الشرطة كانت في حاجة إلى تكييف التهم لخلق بعبع في صفوف الطلبة لتخيف بواسطته النظام، وأظن أنه عندما نرى اليوم أن قدور اليوسفي الذي كيف هذه الملفات أصبح فيما بعد يعتبر من الأطر التي لا غنى عنها للدولة، فهذا يبين لنا كيف كانت الدولة تنظر للمجتمع، لقد كان نائبا لرئيس الفرقة الوطنية للشرطة القضائية، وكان رئيسه هو الحمياني، ورئيسهما معا هو إدريس البصري، كانوا في حاجة لخلق شبح، يبرزون من خلاله، أهمية استمرارهم على رأس أجهزة جبارة.

س : وماذا عن التمزق السياسي لأعضاء الأسرة الواحدة خلال هذه الفترة، فوالدك كان مناضلا اتحاديا، وهو أيضا اعتقل في درب مولاي الشريف، وحوكم، واحتجز بسبب انتمائه للاتحاد، فكيف حدث ولم تسلك نفس الطريق الذي سلكه والدك، بالانضمام إلى نفس الحزب؟

ج : أظن أن القضية على هذا المستوى قضية أجيال، فأنا أعتقد أنني تكيفت كثيرا مع الإرث النضالي الذي أخذته من والدي، من ذلك، المقولات اليسارية والاشتراكية، والحس الجمهوري والإرادة النضالية والاستعداد للتضحية..

فهذه كلها أمور يتأثر الفرد بها في المحيط الذي يترعرع فيه ويكتسبها منه، ولكن الذي وقع هو أن نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، أصبحت المقولات والقيم الوطنية والقومية التي كانت تؤطر الجيل السابق، وأساسا في زحمة النضال ضد الاستعمار، لم تعد لها جذوتها، وأصبحت الأجيال الصاعدة أكثر انجذابا إلى قيم ثورية مرتبطة بالراديكالية على المستوى الكوني، ومرتبطة بالماركسية، وأنا لا

أستبعد أن الذي كان مرشحا لكي يكون مناضلا وطنيا ومقاوما في الخمسينيات، كان مرشحا ليكون ماركسيا في 1970، وأصبح مرشحا في الثمانينيات ليكون إسلاميا..

س : وما هي الأسباب التي تجعل كل جيل يفكر بأدوات نضالية مختلفة، ما هي دواعي القطيعة بين هذه الأجيال إن كانت هناك قطيعة ما؟

ج : أعتقد أن للتغيرات العالمية في الثقافة، وفي المحيط، والإخفاقات أيضا، دورا في هذا الباب، فعندما نقول الثمانينيات، فنحن نتحدث من جهة، عن إخفاق المعسكر الاشتراكي، ومن جهة ثانية، نجاح الثورة الإيرانية...

س : ولكن الأب يكون دائما مصدر ثقة بالنسبة للابن، ويكون في الغالب هو النموذج والقدوة، فكيف يقع التمرد على الأب في هذا الشأن؟

ج : أعتقد أن استدراجي للنشاط السياسي المباشر بدأ منذ سنة 1972 عندما التحقت وسني آنذاك 14 سنة بالنقابة الوطنية للتلاميذ التي كانت تنتمي لجيل من الأجيال مؤطر بالحركة الماركسية، ولم يسبق لي أن شعرت أنني في قطيعة مع الإرث الذي أخذته عن والدي ووسطه، ربما سأشعر بهذه القطيعة سنة 1975، عندما سيبدأ داخل الاتحاد الاشتراكي خطاب يفترض إمكانية أن هذه السلطة قد تصبح وطنية، هنا شعرت بمسافة، لأن الشباب والمراهقين الذين كانوا أصدقائي، كان كل شيء بالنسبة لهم بسيطا، فهذا نظام تبعي، وجزء من الامبريالية العالمية والصهيونية والرجعية، وهو غير قابل للإصلاح، وبالتالي لا مجال ولا إمكانية للحديث عن لقاء معه.

س : ولو لإصلاحه من الداخل؟

ج : أبدا، لقد كانت الأمور محسومة بالنسبة لنا لدرجة أننا كنا نستغرب، من كل حديث من هذا القبيل، وأتذكر أن والدي في سنة 1972 عندما كانت الثانويات متحركة، وتعيش إضرابات متلاحقة، كان يتخوف من إمكانية أن أكون ضحية لتجاوزات أقوم بها، وأنا اليوم أتفهم ما كان يصدر عن أبي في علاقتي مع ابنتي، وفيما بعد، تعرض للاعتقال لمدة سنة ونصف، ثم كانت مرحلة للتوتر العام أدت لغياب النقاش أصلا في القضايا الحساسة، وبعد ذلك بفترة وجيزة، التحقت بالجامعة إلى أن جاءهم خبر اعتقالي..

س : حين وقع اعتقالك إلى أين تم اقتيادك؟

ج : تم اعتقالي في ملحقة المعهد الزراعي، ووقع اقتيادي إلى مصالح الأمن المركزية بالرباط «بلاس بيتري» ، واحتفظ بي في زنزانة فردية لبقية النهار، فالذي كان يستنطقني هو الخلطي وزبانيته، وفي الثالثة صباحا، تم اقتيادي إلى درب مولاي الشريف، ومكثت فيه لمدة 6 أشهر، بالعصابة على العينين، والأصفاد في اليدين.

س : كيف دخلت إلى درب مولاي الشريف، وما هي الأجواء التي ترافق الدخول إليه؟

ج : دخلت مكبل اليدين ومعصوب العينين، وأظن أنه كان في تلك الفترة في درب مولاي الشريف حوالي 60 معتقلا، وقد نزعت منا ملابسنا، وأعطيت لنا بذلة كاكية، وتم تسجيل كل واحد بالمعطيات المتعلقة به، وقدمت لنا كاشة للفراش وأخرى للغطاء، ونصف كاشة للاستعمال كمخدة، وكانوا ينقلوننا بمتوسط مرة في كل 10 أيام، حتى لانضبط الأماكن ونخلق عادات قد يحصل عبرها تواصل سهل بين المعتقلين، فأنا أتذكر أنه للمرة الأولى كنت جالسا في ممر، وبعد ذلك وقع نقلي، فأحيانا كنا نوضع في قاعة تضم حوالي 15 شخصا، وأحيانا أخرى كنا نوضع في قبو تحت الأرض عرضه متر واحد تقريبا، وعندما يريد الإنسان أن ينام في هذا القبو، يكون مجبرا على جمع ساقيه، أو وضعهما على الجدار...

س : وإذا كان ممكنا أن تصف للقارئ الكيفية التي يقضي بها المعتقل يوما في درب مولاي الشريف؟

ج : كانت في درب مولاي الشريف أشياء لم أكن أتوقع أنها ستوجد به، وذلك في الجانب الإيجابي، فهناك فراش وهناك غطاء، وهناك إمكانية للنوم، ولقد كانت متوفرة بكثرة كان بإمكان الإنسان أن ينام أكثر بكثير مما ينام في ظروفه العادية. وبخصوص التغذية، بمجرد ما يهل الصباح يقدمون لنا إناءا من الألمنيوم وكان يضم التشيشة، وقد استغربت في البداية أن يقدم لنا الأكل بهذه الطريقة، وتساءلت مع نفسي إن كانت هذه الوجبة تتعلق باليوم كله أو مجرد الفطور، كما أنني لم أكن متعودا على الجلوس وساقاي مثنيتان، والأكل والقيد في يدي... ولما اكتشفت أننا سنحصل على وجبة في الغذاء وفي العشاء، وأنهم سيقدمون لنا الخبز كذلك، وقتها شعرت بأننا محظوظون وبأن ما يقدم لنا في الأكل أكثر من المتوقع . والمنع الكبير الذي كنا نعاني منه في درب مولاي الشريف، كان من الكلام ومن النظر.

س : ولماذا في رأيك يمنع الجلاد الشخص الذي يكون رهن الاعتقال من الرؤية والكلام ؟ ما هي الجدوى والفلسفة الكامنة وراء هذا المنع؟

ج : للحفاظ على سرية المعلومة، لأنه إذا كان معروفا بالنسبة للشخص الخاضع للاعتقال، من هم المعتقلون معه، وما هي المعطيات المتوفرة لدى الشرطة، بخصوص ملف الاعتقال، سيصعب على الجلادين أن يباغتوه بالأسئلة أثناء الاستنطاق لانتزاع الاعترافات، ثم هناك عنصر الإرهاب، فطوال الشهور التي مكثناها في درب مولاي الشريف، كنا فاقدي الإحساس بالاتجاهات وبالمرجعيات، فنحن لم نكن نميز الليل عن النهار، ولا نعرف كم الساعة، وأين هم باقي الرفاق، ومن الذي اعتقل، ومن الذي مازال حرا طليقا، ولم نكن نعرف ماذا يجري في العالم، وحتى من أين ستنزل الضربة، ومن الذي يخضع في اللحظة للاستنطاق، وحول ماذا يستنطق... هذه الوضعية يصبح فيها الإنسان كائنا هلاميا بدون مرتكزات، وكأنه معلق في الفراغ، وعندما يخضع للاستنطاق من غير أن يرى قسمات وجوه الذين يستنطقونه، والحركات التي يتبادلونها فيما بينهم، في هذه الظروف يصبح المعتقل في لحظة ضعف قوية، ناهيك إذا تم تصعيد درجات التعذيب إلى مستويات مهولة.

س : تعرضت للتعذيب في درب مولاي الشريف؟

ج : بأشكال مختلفة، وأذكر إلى اليوم أسلوب التعلاق على طريقة الطيارة، تألمت كثيرا أثناء حصة التعذيب هذه، ومازلت إلى اليوم أعاني في قاعدة عمودي الفقري من مخلفات التعذيب لهذه الحصة، وتعرضت كثيرا للصعق بالكهرباء، وأظن أن الصعق بالكهرباء لم يكن يؤثر في بشكل كبير، ولذلك كانوا يصعدون من كمية الكهرباء، وكنت أتظاهر بأنني أتألم منه كثيرا، عسى أن يستمر الجلاد فيه أطول وقت ممكن.

س : بعد قضائك لمدة 6 أشهر بدرب مولاي الشريف ماذا وقع؟

ج : تمت إحالتنا على السجن بالدار البيضاء، قضينا حوالي شهر بسجن عين برجة، ثم تمت إحالة المجموعة على السجن المدني بمكناس، وظل الملف يتجرجر لحوالي سنتين ونصف، وبعد ذلك، تم إطلاق سراح الأغلبية المطلقة منا في إطار سراح مؤقت.

س : في أي تاريخ تم إطلاق سراحكم؟

ج : بتاريخ 8 مارس 1980، في إطار سراح مؤقت مع تحويل التهم من تهم جنائية كانت آنذاك تعني المس بأمن الدولة، إلى تهم جنحية تفيد تأسيس جمعية غير مرخص لها... وأمور من هذا القبيل.

س : تكييف التهم يتم بسرعة فائقة، وبلا إحراج بالنسبة لمن يقوم بذلك؟

ج : لقد تم تأجيل محاكمتنا لمدة 3 سنوات، لأنه كان من الفاجع أن ملفات من ذلك القبيل تقدم للمحاكمة، لقد كانت المحاضر هزيلة، والتهم ملفقة بشكل لا يتصور.

س : وما هو السبب الذي كان وراء الإفراج عنكم في سنة 1980؟

ج : أعتقد أن سنة 1977 كانت سنة للتحول بالنسبة للرأي العام الخارجي مع المغرب، فالشكل الذي تمت به محاكمة الدار البيضاء ضد مناضلي إلى الأمام وغيرهم، والأحكام التي نزلت عليهم، وتبني منظمة العفو الدولية لقضيتهم، والإضراب الذي خاضوه في الخريف بشكل خاص واستشهاد سعيدة المنبهي ... كل هذا، خلق جوا جديدا في الساحة الوطنية، جعل الصحافة المغربية التي كانت تقاطع أخبار هذه المجموعات، أو تهاجمها، تعبر عن نوع من التعاطف معها، وتأسست الجمعية المغربية لحقوق الإنسان سنة 1979، والحملات ضد القمع أخذت تتصاعد، ولم يعد الحكم، نتيجة لذلك، لا محتاجا ولا قادرا على التصعيد مع مجموعتنا التي في نهاية المطاف لم تكن تشكل خطرا عليه.

س : وكيف تم الاعتقال الثاني، ومتى وأين جرى؟

ج : في سنة 1981 قررت الدولة تأطير الحياة الجامعية والحركة الطلابية في فضاء يكون بالنسبة لها مقبولا، فجاءت بجهاز بوليسي أسمته الحرس الجامعي، وأدخلته إلى المؤسسات الجامعية. وتم عمليا تحريم الأنشطة الطلابية داخل الحرم الجامعي بما في ذلك، كلية الحقوق بالدار البيضاء، التي كنت أنا مسجلا فيها، وهذا التحريم، كان بالتطويق الداخلي، وبمواجهة مجموعة من العناصر تعرضوا للاعتقال، سواء منهم قياديون سابقون للإتحاد الوطني لطلبة المغرب، أو مناضلون كانوا مازالوا فاعلين في الحرم الجامعي. فأنا كنت قد عدت لنشاطي الطلابي، وكنت أُعتبر من المناضلين البارزين في الساحة الطلابية، وكان قرار مواجهتي من طرف الأجهزة في الساحة الطلابية واضحا.

كما أنه في صيف 1982 كان هناك مجموعة من الشباب قد تجرؤوا ونظموا مظاهرات في الشارع تضامنا مع الشعب الفلسطيني إبان الغزو الإسرائيلي للبنان، ومن جديد ظهر أن السلطة كانت عازمة على تصعيد أسلوب القمع، وأعتقد أنه كان هناك خطان: إما أن تكون ضربة يعتقل فيها عدد كبير، أو ستظهر للعيان منظمة قد تفكر في قلب النظام الملكي، ولذلك تم اللجوء إلى أساليب أخرى من القمع مغايرة، فلقد جاء البوليس رسميا على الأقل لاعتقال طالبة التي أصبحت فيما بعد زوجتي، ووجدوني في منزل أسرتها، فسألوني إن كنت أنا هو فؤاد عبد المومني، لما كان الجواب نعم، طلبوا مني مرافقتهم.

س : جاؤوا لاعتقال طالبة، وإذا بك تصبح أنت المعتقل؟

ج : هذا ما صرحوا به، ولكننا نحن تعودنا أن رجال البوليس يصرحون دائما بعكس ما يضمرون، فهل كانوا يضبطون أنني كنت موجودا في ذلك المنزل، وجاؤوا لاعتقالنا معا، فهذا ما ليس لي به أي علم إلى حدود الساعة.

س : بأي تاريخ حدث هذا الاعتقال؟

ج : 13 يناير83، دخلوا إلى منزل أسرة زوجتي المقبلة، واعتقلونا معا، وأخذونا إلى كوميسارية المعاريف، وأنا بقيت فيها 4 أيام، ثم أحلت فيما بعد على درب مولاي الشريف، في حين قضت هي 3 أسابيع إلى أن أطلق سراحها دون متابعة.

س : إذن أصبح درب مولاي الشريف مكانا معتادا ومألوفا بالنسبة لك؟

ج : صحيح، وفي الحقيقة لعبت في المرة الثانية على هذه الورقة، إذ بمجرد ما وصلت إلى درب مولاي الشريف بالبانضة والأصفاد كالعادة، وسمعت الحراس يتكلمون، وكان الوقت حوالي الساعة الخامسة مساء، خاطبتهم قائلا، هل مازال لديكم بعض الأكل من الغذاء، فلمدة 4 أيام وأنا بدون أكل في الكوميسارية، وكان الأمر مفاجئا بالنسبة للحراس، وأعتقد أن هذا الأمر لا يتعلق بالحراس لوحدهم، ولكن حتى بالنسبة للدولة، فالشاب الصغير، الذي يكون جديدا في عالم السياسة، والذي يكون بلا ارتباطات، وتكون غير محسومة بالنسبة له العديد من الأمور، فشخص من هذا النوع ، يكون من الأفضل التعامل معه من طرف الجهاز القمعي، بشكل قاس لإرهابه، لأن حظوظ أن يرتدع قوية.

أما الذي يكون قد حرق الأوراق، فلا خير في نظر الأجهزة، يرجى منه، وهذا الأمر نلاحظه حين تأتي بعثات حقوقية دولية أو صحفية إلى المغرب، فعندما تلتقي بأناس لهم تكوين سياسي وموقف معلن ومحدد، فهؤلاء لا يترتب عن لقاء هذه البعثات بهم أي شيء، ولا تقترب منهم. ولكن بمجرد ما تلتقي بالناس البسطاء، فهؤلاء يتعرضون للاستنطاق والترهيب.

س : هل يتم ذلك، لكي يظل النشاط والإشعاع الحقوقيين محصورين في نطاق نخبوي، وأن لا يشملا باقي أفراد المجتمع؟

ج : الخطر من وجهة نظر الدولة، لا يأتي من كون فئة محدودة تتحرك دفاعا عن حقوق الإنسان، وتتجرأ على أجهزة الدولة، وتنتقدها، وترفض أساليبها غير القانونية في التعامل مع المواطنين وتشهر بها، الخطر هو أن يكون عموم المواطنين يتصرفون بهذا السلوك، ويتحركون في إطاره، وهكذا كان وضعي في درب مولاي الشريف في المرة الثانية التي اعتقلت فيها به، فأنا بالنسبة لهم قطعت الضفة الأخرى، وأمري يختلف عن واحد من الرعية، يجب ألا تتمادى ويمسها التلوث الاجتماعي.

س : كم قضيت هذه المرة بدرب مولاي الشريف؟

ج : سنتان تقريبا، ولما خرجت من درب مولاي الشريف اعتبرت أنني تقريبا خرجت سليما من أي مرض نفسي مباشر أو غير مباشر، واعتقدت أنني بلغت أقصى إمكانيات الصمود والحفاظ على الذات. لذا بعد سنتين في مكان مغلق، خرجت وأنا سليم معافى رفقة أناس آخرين كانوا قد قضوا سنوات في الاختطاف، ومنهم من خرج ممسوسا في قواه العقلية بشكل كبير جدا، فأسبوع من بعد، علمت أن 5 شبان كانوا قد قضوا 9 سنوات ما بين الكومبليكس وأكدز وقلعة مكونة، تم إطلاق سراحهم في نفس التاريخ معنا.

فحين علمت أن هناك من قضى 9 سنوات في الاختطاف، أصبت بصدمة هائلة، كيف يمكن تصور صمودهم وبقائهم على قيد الحياة، وهل يمكن لهؤلاء أن يكونوا ما زالوا بشرا بعد قضائهم لتسع سنوات في معتقلات سرية، وحين تيقنت أن أفرادا من معتقلي تازمامارت خرجوا منه أحياء، وأن أسرة أوفقير بدورها تمكنت من استعادة حريتها، كان ذلك محفزا لي لكي أعتبر أن ما عشته في درب مولاي الشريف لم يكن أي شيء تقريبا، بالمقارنة مع الآخرين.

س : وهل من السهل على الإنسان الصمود وأن لا ينهار وأن لا يصاب بالجنون وأن لا يموت في معتقل سري من نوع، درب مولاي الشريف، أو تازمامارت، أو أكدز، أو قلعة مكونة؟

ج : الذي يساعد الإنسان على عدم الانهيار هو إيمانه بمجوعة من القيم، ففي تقديري كنا نخوض معركة بين الخير والشر، وأنني أنا أمثل الخير في حين أن النظام وزبانيته كانوا يمثلون الشر المطلق وليس النسبي، وأنا أمثل التاريخ أي المستقبل، في حين يمثل هو الماضي، وأنه رغم سلبية وضعيتي، فهذه هي المساهمة الممكنة المتاحة من أجل التقدم بالنسبة لبلدي.

س : وبما أنك تتكلم عن التقدم، لماذا لم تفكر في المساهمة في تقدم البلاد عبر مشاركتك في المسلسل الديمقراطي الذي كان قد أنطلق في سنة 1976، أي سنة قبل اعتقالك؟

ج : لم أؤمن قبل بأن هناك في المغرب شيئا اسمه المسلسل الديمقراطي، حتى قبل انطلاقه، فبالنسبة لي كنت أحلل بالمنطق الماركسي الذي يغلب ليس فقط منطق صراع الطبقات، ولكن الجانب الاقتصادي، فالأمر من وجهة نظري كان محسوما، فهناك بورجوازية تابعة، وفلول الإقطاع تنهب البلد وخيراته وبشره، وتحاول التغطية على هذا النهب بآليات إدماجية مبتذلة، من قبيل الانتخابات التي كانت لا تعطي أي سلطة لمنتخبين نزيهين من طرف الشعب.

س : ربما هذا التحليل وقع تجاوزه، الكل يتكلم اليوم بمنطق الليبرالية وعقلية السوق...

ج : أنا أتفق معك أن هذا التحليل الذي كنت أتعامل من خلاله مع الواقع هو بالنسبة لي اليوم تحليل تبسيطي إلى درجة كبيرة، ولكن مع ذلك، عندما أراجع هذه المرحلة، ما زلت أقر بعدم وجود ما يكفي من بوادر الديمقراطية حتى تستحق التأييد، ففي تقديري كان هذا خطأ كبير جدا للحركة التقدمية المغربية، كونها قبلت بهذه الخطة القاضية بالمشاركة في العملية الانتخابية.

س : لم يكن لديها خيار آخر، لقد قبلت المشاركة في المسلسل الانتخابي على أساس العمل من أجل توسيع الهامش الديمقراطي؟

ج : أظن أنها قبلت الانخراط فيما سمي بالمسلسل الديمقراطي من موقع المنهزمة، فلا ينبغي أن نفسر أنه في 1973 تم دحر كافة مراكز اليسار، وفي جميع الأحوال، فنحن الآن أمام رصيد لأربعين سنة من القمع الشديد والاحتكار للسلطة، ونظام مغلق مازلنا نرثه الآن، فهل نعتقد أن التاكتيكات التي

خاضتها كافة قوى التقدم في البلاد أعطت الديمقراطية الحق؟ لا أظن، فالواضح هو أن هذه التاكتيكات أسفرت عن الفشل والانهزام لدى الجميع.

س : والظروف التي خرجت فيها من الاعتقال الثاني من درب مولاي الشريف، هل عرضت على القضاء وأصدر حكما في حقك؟

ج : لا، أبدا، فبعد بضعة أسابيع من اعتقالي، وفي اللحظات الأخيرة من الاستنطاق، كان البوليس يقول لي : نحن ليس لنا أي شيء ضدك، يستدعي تقديمك أمام القضاء، فنحن ننتظر فقط، قرار رؤسائنا للإفراج عنك، والإحالة أشارت إلى أن القرار لدى السلطات العليا. وحسب تلميحاتهم أن كل القرارات في هذا الشأن كانت تؤخذ على مستوى عال جدا، ولقد جاءت لحظات أخذ البوليس يضغط علي بأن أزودهم بمعلومات عن التنظيمات الماركسية اللينينية التي كانت في الساحة، وتم تهديدي برميي في معتقلات أخطر من درب مولاي الشريف، وأظن أنه لكوني اعتقلت وحدي دون أن يتمكن البوليس من اعتقال رفاق آخرين لي، كان هذا عنصر اعتزاز وقوة معنوية ساعدتني على الصمود.

س : والصيغة التي تم بها إطلاق سراحك من درب مولاي الشريف؟

ج : مكثت في المعتقل إلى أن جاءت لحظة ما، وقالوا لي: إنك حر، تقرر الإفراج عنك، وأطلق سراحي رفقة شاب آخر ألحق بنا في درب مولاي الشريف، وهو الذي كان قد اعتقل في يونيو 1981، وكان قد تعرض لتعذيب شديد فقد على أثره قواه العقلية.

س : أفرج عنك بدون محاكمة؟

ج : نعم، حملونا من جديد بالبانضا والأصفاد، ووضعونا في فاركونيت سارت بنا إلى مكان محدد في الدار البيضاء، ولقد رجوتهم أن يطلقوا سراحي في مكان واحد رفقة ذلك الأخ الذي كان قد فقد قواه العقلية، ولقد بحثت إلى أن عثرت على أفراد من عائلته بالخميسات، وساعدته على امتطاء الحافلة، واتصلت بهم ليكونوا في انتظاره لاستقباله عند الوصول، وفي قضية الإفراج عني هناك معطى رواه لي والدي فيما بعد، ففي سنة 1984 كانت يتم التهيئ لزيارة ملكية للولايات المتحدة الأمريكية، وفي إطار هذا الإعداد للزيارة، اجتمعت لجنة من الكونغريس الأمريكي مع سفير المغرب، وفي إطار القضايا التي كانت موضوعا للبحث أثيرت قضية حقوق الإنسان، وسئل سفير المغرب عني على أساس أن أمنستي تقول إنني مختطف منذ مدة، وكان رد السفير أنني لست مختطفا، وإنما في منزلنا، ولا

شك أنني أتناول في هذه اللحظة الشاي مع رفاقي، وأن السفير على استعداد لكي يصطحب أي عضو في الكونغريس إلى المغرب ليتأكد بنفسه بأن فؤاد عبد المومني يعيش في حرية تامة.

ويبدو بعد ذلك، أن الملف تحرك لأن السفير اتصل بوزارة الخارجية في شأني، واتصلت هذه الوزارة بدورها بوزارة العدل، ثم الأجهزة الأمنية التي أفادت الجهات التي اتصلت بها بأن ليس لها أي مشكل مع فؤاد عبد المومني. إلى أن أفرج عنا في وقت لاحق بالصيغة التي أشرت إليها.

س : وكلمتك الختامية لهذا الحوار؟

ج : الذي ينبغي التأكيد عليه هو أن لا تتكرر مثل هذه المآسي في المغرب، ولا يمكن أن نضمن أن هذه المآسي لن تتكرر، إذا ظل جهاز من الأجهزة، أو سلطة من السلطات، لا حسيب ولا رقيب عليها، فالآن عندنا العديد من الناس الذين ما زالوا مجهولي المصير. وفي العديد من الأحيان، يقول بعض الناس إن فلان مات، وأنا أرفض هذا الكلام، فلو قُبل مثلا أنني مت، وأن جميع الذين كانوا في تازمامارت واكدز وقلعة مكونة قد توفوا، لكان في ذلك تشجيع على تصفيتهم، لذلك، يجب أن نعتبر كل المختطفين أحياء، حتى نحصل على ما يكفي من الأدلة والحجج القاطعة التي تثبت وفاتهم.

مصطفى الملحاوي

كنا نواجه بالقمع والاختطاف والقتل من طرف الكافرين بالديمقراطية

س : الأخ مصطفى الملحاوي نستهل هذا الحوار معك حول ظروف اعتقالك السياسي بالسؤال التالي : في أي يوم وفي أي شهر وفي أية سنة تم اعتقالك؟

ج : بسم الله الرحمن الرحيم، إنك بهذا السؤال ترجع بي القهقرى إلى حوالي 30 سنة مضت، ولا أعتقد أنني سأكون قادرا على تدقيق ما اختزنته الذاكرة طوال هذه المدة، فكثير من التفاصيل عفا عنها الزمان، وطواها النسيان، ومع ذلك سأحاول النبش في الذاكرة علني أستطيع أن أجد في تلافيفها ما يمكن أن يكون مادة لهذا الحديث، وأود أن أشير بدءا إلى أن ما سأرويه عن ظروف الاعتقال والاستنطاق لدى البوليس، مهما تراءى للقارئ، وكأنه تضخيم للوقائع أو نفخ في التفاصيل، فإني سوف لن أوفيه حقه من الوصف والتعبير عن قسوة المعاناة وشدة المكابدة التي تعرضنا لها. لأن الحقيقة أكبر من القدرة على وصفها، وليس من سمع كمن عاش.

كانت البداية في ليلة 23 مارس 1973 حين داهمت بيتنا في عمق الظلام وسكون الليل، والساعة تجاوزت الواحدة صباحا، مجموعة من زوار الليل يفوق عددهم، في تقديري، العشرة أشخاص، ودخلوا المنزل بعد أن كسروا الباب. وكانوا شاهرين أسلحتهم . فقاموا بتفتيش أركان المنزل وغرفه، وبعثروا الأفرشة والأغطية، والأوراق، والكتب، والأشياء الخاصة بي دون أن يقدموا تفسيرا، لما كانوا يقومون به...

س : كم دامت عملية التفتيش هذه، وعم كانوا يبحثون؟

ج : دامت حوالي الساعة، وبعدها حملوا معهم بعض الكتب، وكثيرا من الأوراق والوثائق الحزبية، والصور، والمراسلات الخاصة التي سأسأل عنها فيما بعد، كما حملوا فيما حملوه معهم،

حسبما أخبرتني زوجتي لاحقا، مبلغا من النقود هو عبارة عن أجرة شهري آنذاك ، وقطعا ذهبية تخصها، ولقد راسلت في شأنها مديرية الأمن، وأنا في السجن المركزي بالقنيطرة، ولكن لم أتلق أي جواب.

بعد أن أنهوا التفتيش، عصبوا عيني بمنديل، وقيدوا يدي بعد أن وضعوهما خلف ظهري، وتأبطني شخصان، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، ونزلوا بي سلم العمارة، وأنا أتعثر في درجاته، ثم صعدنا سيارة من السيارات الكثيرة التي كانت تنتظرنا، وفي الطريق إلى حيث لا أعلم سمعت شخصا يتكلم في جهاز الراديو، ويقول، انتهت العملية، ونحن في الطريق.

س : إلى أين تم اقتيادك؟

ج : أدخلت إلى مكان لم أكن أعرفه، أجلست على كرسي، وبقيت في هذه الوضعية مدة لا أقدرها بدوران عقارب الساعة: كل الأسئلة، كل الاحتمالات، كل الكواليس، تقاطرت على ذهني في تلك الليلة التي قضيتها، بكاملها وجزءا من صباحها، على كرسي بدون حركة ولا كلام ، وكأني صنم من الأصنام.

لم أكن أسمع شيئا، لم أكن أرى شيئا: إرهاصات الخوف والفراغ تضغط على صدري، من أكلم؟ من يكلمني، ويكسر هذا الصمت الثقيل؟ لا أحد. مرت الساعات وأنا مازلت متماسكا على الكرسي، بعد أن أحسست بثقل التعب الجسدي والإرهاق النفسي يعصر جسدي، وأكاد أتهاوى على الكرسي، فلقد تعبت من التململ والحركة المكانية، وتقوس ظهري، ويكاد يقصم، رجلاي تكادان تتجمدان من شدة البرد وعدم الحركة، عدم النوم فعل فعلته، فصرت أترنح على الكرسي، وأنا أحاول جاهدا ضبط توازني خوفا من السقوط، ولم يخرجني من هذا الصمت الرهيب إلا صوت يطلب الذهاب إلى المرحاض، حينئذ تنبهت إلى أنني لست وحدي في المكان، وربما هناك من هو في مثل حالتي...

س : متى تم أول اتصال من البوليس بك؟

ج : في مساء ذلك اليوم أدخلت إلى غرفة، ونزعت العصابة عن عيني، وكانت الغرفة صماء، مربعة الشكل، وجدرانها مطلية باللون الرمادي، تؤثثها طاولتان مستطيلتا الشكل، وقضبان من حديد، وحبال متناثرة هنا وهناك، وصمت أعظم من الهول يلف المكان. بعد برهة صدم الباب بقوة، وملأ المكان مجموعة من الأشخاص في لباس مدني، وبادرني أحدهم بلكمة مدوية على وجهي، وكدت

أسقط أرضا لولا أن أمسك بي آخر منهم، وبدأ يكيل لي اللكمات تلو اللكمات صوب وجهي، وأخذ الدم يسيل من فمي، وأحسست بتورم في عيني وجبهتي، وكلما فقدت توازني، وأشرفت على السقوط، كانت تتلقفني أيد ضخمة، لتثبتني في مكان، لأتلقى المزيد من اللكم والرفس والركل المصحوب بالسب والشتم والقذف.

س : لعل هذه كانت مجرد مقدمة؟

ج : بعدها جاءت وجبة دسمة من التعذيب، فلقد أجلست أرضا على شكل القرفصاء، ووضعت يداي حول ركبتي، وشبكت أصابعهما، ولف حول الرسغين حبل متين حتى يشد اليدين إلى بعضهما حول الركبتين، ثم جيء بقضيب حديدي يبلغ طوله حوالي المترين، وأدخل تحت باطن الركبتين، ثم رفع القضيب من جهتيه، ووضعت كل جهة على طاولة، وهكذا أصبحت معلقا في الهواء، رجلاي إلى الأعلى ورأسي إلى الأسفل، والقضيب الحديدي يتوسط جسمي من ركبتي، وبدأ الضرب بكرباج صلب على القدمين، لقد كنت أحس بألم الضرب في أم رأسي، شعرت بحرارة كبيرة تكاد تحرق رأسي، واحتقان شديد وضغط كبير في دماغي، وجفاف في حلقي، حتى إن صوتي بح، ولم أعد أقوى على الصراخ، واستسلمت لقدري، إلى أن سمعت صوتا يدعوهم للكف عن ضربي، لأن الدم يجري بغزارة من قدمي.
طُرحت أرضا، وفكوا وثاقي، ومسحوا الدم الذي كان يجري من القدمين والساقين، وجاؤوا بماء صبوه على قدمي، وأوقفوني وهم يتأبطونني ويصرخون في: اشتف.. اشتف، هز رجليك واضرب بها الأرض حتى لا يجمد الدم في عروقهما. لم أقو على ذلك، كنت أشعر بوخز مؤلم في باطن قدمي، ولم أعد أتحمل الوقوف عليهما من فرط الألم. ولما تعبوا من التعذيب سلموني لشرطي ببذلة رسمية، فأخذني إلى زنزانة، ورماني فيها، ثم أغلق الباب وانصرف.

س : ما هي الأسئلة التي كانت تطرح عليك لحظة التعذيب؟

ج : ستستغرب إذا قلت لك بأنه لم يطرح علي أي سؤال في الوجبة الأولى للتعذيب، فخلال هذه الحصة كانوا يعذبونني لأجل التعذيب، وفي اليوم الموالي استيقظت على صرير المفاتيح في قفل باب الزنزانة، والباب يفتح، وأحدهم يناديني "نوض"، حاولت الوقوف ولم أستطع، لأن وخزا حادا في باطن قدمي كان يؤلمني كثيرا، لأن جرحا غائرا كان في كل منهما، لقد تفزر اللحم وتخثر الدم الأسود على سطح قدماي، حاولت المشي ولم أستطع، واستعنت بالاتكاء على من جاء لاقتيادي، وأنا أمشي على مؤخرة قدمي...

س : إلى أين تم اقتيادك؟

ج : أخذني إلى حيث كان ينتظرني الزبانية، لقد أجلست على كرسي، وقُدم لي قلم وورقة، وأمرت أن أكتب اسمي الكامل، وتاريخ ومكان ازديادي، وماذا أعرف عن المنظمة، ولما حاولت الاستفسار عن المنظمة المقصودة، في لمح البصر وجدتني مطروحا أرضا كما فعلوا بي في الحصة السابقة، واستؤنف مسلسل التعذيب من جديد على أشده، ولأنه لم يعد ممكنا الاستمرار في ضربي على القدمين، فلقد جاؤوا بقطعة من القماش الوسخ(جفاف)، ووضعوه على أنفي وفمي، وصاروا يصبون عليه الماء، ويخنقونني به، حتى تنحبس أنفاسي.

س : بدون أن يوجهوا إليك أي أسئلة؟

ج : لا، هذه المرة كانوا يطلبون مني أن أقول لهم ماذا أعرف عن المنظمة، وأين هو السلاح، ومن هم أصحابي؟ وقبل أن أتكلم، كان أحدهم يبادر إلى صب الماء فوق أنفي، فأشعر بالاختناق القاتل، وتنتابني نوبة من السعال الحاد أحس معها وكأن صدري سينفجر، وأن عيني تكادان تخرجان من محجريهما، ثم يخفف الضغط عني لبعض الوقت، وأنزل لهنيهة أسترد فيها أنفاسي، وتبدأ الأسئلة من جديد، ومعها التعذيب، ويتكرر هذا الأمر لمرات متعددة، إلى أن خارت قواي ودخلت في شبه غيبوبة، وصرت أحس فقط بالأشباح تتحرك أمام عيني، ولا أعود أسمع شيئا، وقتها تم إخراجي من غرفة التعذيب، ووُضعت على كرسي في ممر، ريثما أستريح بعض الشيء ليبدأ التعذيب من جديد.

س : كم دامت فترة الاستراحة؟

ج : مدة وجيزة، ثم دخلت فرقة أخرى لتبدأ التحقيق معي من جديد، بنفس الأسئلة، إلا أن أسلوب هؤلاء في التعذيب كان يختلف عن الآخرين، لقد جاؤوا بكرسي خشبي طويل (دك) مددوني فوقه على ظهري، وبدأوا يشدونني إليه بحبل يلفونه حولي وحول (الدك) من قدمي حتى رأسي ، مع الشد والنثر حتى صرت أنا و(الدك) قطعة واحدة لا ينفصل أحدنا عن الآخر، وشعرت بالدك يرفع من جهة القدمين، ليتدلى رأسي إلى أسفل ثم يوضع على أنفي وفمي "جفاف" مبلل بالماء، لتعاد عملية الخنق من جديد، وأضافوا إلى هذه العملية ضربي على قدمي، ولكنهم كانوا يحصرون الضرب علي بالأصابع التي لم تكن قد جرحت بعد. ألم فظيع، فظيع، لم يكن بمستطاعي أن أعبر عن الإحساس بالألم بواسطة الصراخ، لأن فمي مكتوم بالجفاف، ولم أكن أقدر على التململ تفاديا

للضرب لأنني كنت مشدودا بإحكام إلى (الدك)، ودائما نفس الأسئلة تتكرر، ولقد أضافوا لكل هذا الصعق بالكهرباء... وفي الأماكن الحساسة التي لا أستطيع ذكرها، كنت أشعر، وكأن روحي ستخرج من جسدي... ولما أوشكت على الموت توقفوا عن التعذيب، وجاء من حملني، ورماني مجددا في زنزانتي.

س : وماذا عن الطعام في مثل هذه الظروف؟

ج : كان الغذاء هو الخبز والماء، وكانت الأسئلة في كل حصص التعذيب تتركز حول المنظمة والسلاح، وحول اسمين حركيين تكررا كثيرا لدى المحققين: الفقيه، سي ميلود، قررت مع نفسي مهما بلغت درجة التعذيب أن أصمت وأن لا أتكلم. قضيت الليل في الزنزانة وأنا في الكوابيس، واستيقظت صباحا على جلبة تبديل حراس المناوبة، وصرير الأقفال والأبواب وهي تفتح وتغلق: وفتح باب زنزانتي وتم اقتيادي إلى غرفة ثانية، ودخل علي شخصان وأقفلا الباب وراءهما، وطلبا مني أن أنزع عني ثيابي قطعة قطعة، حتى أصبحت عاريا تماما كما ولدتني أمي، وطلبا مني الجلوس القرفصاء، وقاما بربط يدي إلى ركبتي، كما في المشاهد السابقة لحصص التعذيب، وما هي إلا لحظات حتى وجدتني معلقا في الهواء، ورأسي متدلية إلى الأسفل، وكنت عاريا تماما...

لم يضربوني في هذه اللحظة بالسياط، ولم يخنقوا أنفاسي بالجفاف، ولم يصعقوني بالأسلاك الكهربائية ، ولكن مع ذلك بكيت ، نعم بكيت كما لم أبك من قبل في حياتي، انخرطت في موجة من الشهيق والنواح والدموع الغزيرة تنهمر من عيني، لقد شعرت بالقهر، والغبن، والمهانة، لقد كنت في الحصص الأخرى للتعذيب أصرخ وأتضور ألما، ولكن لم تسل دمعة واحدة من عيني، كان الأمر ينتهي بمجرد انتهاء مسبباته، ولكن أثر هذا اليوم الذي علقت فيه مجردا من ملابسي لم يندثر، ومازال جرحا غائرا في نفسي إلى اليوم... بعد مدة طويلة أنزلت أرضا وأعدت إلى زنزانتي.

س : لحد الساعة لم تعترف لهم بعد بأي شيء من التهم المنسوبة إليك؟

ج : لم أجب على أي سؤال من الأسئلة التي كانوا يطرحونها علي، وهددوني بإعادة التعذيب، وقالوا لي: إن مهمتهم هي ضربي وتعذيبي على أن أعترف، وعلي أن أختار متى أعترف، اليوم، أو غدا، أو بعد غد، أو في الأسبوع المقبل، أو حتى العام القادم... المهم أنهم سيعذبونني إلى أن أعترف،

ووجدت من وضع مسدسا على رأسي، وهددني بإفراغ حمولته فيها إن أنا تمسكت بصمتي. وحين لم يجد هذا التهديد نفعا، أخذوني مجددا إلى غرفة التعذيب.

لقد طرحوني أرضا، ومددوني على بطني، وثنوا ركبتي إلى الخلف بعدما شدوا الوثاق على قدمي من العرقوبين، وأرجعوا ذراعي وراء ظهري، وأوثقوا بإحكام يدي على الرسغين، وجاؤوا بقضيب حديدي طويل أدخلوه تحت الوثاقين، ثم رفعوه من الطرفين، ووجدتني ممددا في الفراغ، نصفي الأمامي قبالة الأرض، ونصفي الخلفي اتجاه السقف، وكل ثقل جسمي مركز في ذراعي. عرفت فيما بعد أن هذه التعليقة يسمونها "الطيارة".

س : كيف كانت هذه الصيغة التعذيبية وأين يتجلى مفعولها؟

ج : هذه الصيغة من أصعب صيغ التعذيب، لأنه لم تمض دقائق معدودة حتى أحسست بعضلات ذراعي وكأنها تتمزق، وبفقرات ظهري وكأنها تتفكك، كانت كل لحظة تمضي أشعر فيها أن جسمي يتمزق قطعة قطعة، فعلا لحظات قاسية ورهيبة، ولم أجد بدا من أن أطلب منهم أن ينزلوني لكي أعترف بكل شيء، وتم إنزالي، ومضت لحظات أسترد فيها بعض هدوئي، وأشعر معها بالراحة، وكأنني عائد من الجحيم، ثم تبدأ الأسئلة التي تبقى بدون أجوبة، ثم أرفع من جديد وأترك معلقا لساعة دون أن يطلب مني أي شيء. وعندما تخور قوى جسمي ويصيبني الوهن والشلل، يطرحونني أرضا ريثما أسترد بعض قوتي ثم يطلب مني بأن أتكلم، وبمجرد ما أجيب بأن ليس لدي ما أقوله، تعطى الأوامر لكي أرفع من جديد، وتتكرر هذه العملية مرارا... ولأنني لم أجب عن أي سؤال، فقد انتقلوا إلى ما هو أفظع وأشنع، لقد شعرت بشيء ثقيل يوضع فوق ظهري، ويضغط علي حتى أحسست وكأن ظهري ينقسم، وكأن ذراعي تفصلان من مكانهما، الصراخ يتعالى والسب والقذف يتعاظم والركلات تنهار علي من كل جانب، على صدري ورأسي، وبطني وبالخصوص جهة الكليتين، لقد مضت لحظات وأنا أستعطفهم وأسترحمهم، وفجأة انقلب استرحامي إلى سب وشتم يا وحوش، يا مجرمين، يا اللي ما في قلوبكم رحمة... ولم أعد أقدر على الكلام .. وعندما كنت أشرف على الموت، كانوا يتوقفون عن التعذيب. لقد أخذوا يركزون على سؤال أساسي، هو هل أعرف السي ميلود والفقيه، وكان جوابي دائما هو أنني لا أعرف شخصا بهذا الاسم، رغم أنني كنت أعرف صاحب هذا الاسم بدمه، ولحمه، إنه عمر دهكون.

س : كان اسمه الحركي هو السي ميلود والفقيه؟

ج : كان هذا هو اسمه الحركي، و كنت أنكر معرفتي بهذا الاسم، لأنني وطدت نفسي على الإنكار، فالإقرار بأن الاسم الحركي لعمر دهكون هو السي ميلود والفقيه ، يعني الاعتراف بأنني كنت في تنظيم سري، كنت أنفي وجود أي علاقة لي بأي تنظيم سري أو مواز، كنت أقول للبوليس إنني مجرد عاطف على الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

س : أمام هذا البطش والتعذيب القاسي الذي تعرضت له، هل كان من السهل عليك الاستمرار في إنكار معرفتك للاسم الحركي لعمر دهكون؟

ج : لم أعترف للبوليس بأي شيء رغم أنني قضيت 15 يوما تحت تعذيب لا يحتمل، لقد مورست علي، كما شرحت سابقا ، صنوف من التعذيب لكي أعترف، ولكنني مع ذلك رفضت الاعتراف بكوني على علم بمن هو السي ميلود، لأنه بمجرد الاعتراف بأنني على علم بالاسم الحركي لعمر دهكون، فهذا كان كفيلا بأن يزج بي في دوامة بلا بداية، وربما ليس لها نهاية.

س : أنت كنت أمام آلة للتعذيب ، مهما كان مستوى الإرادة والمقاومة لديك، فالجسد لا يمكنه أن يقاوم إلى مالا نهاية....؟

ج : إذا لم تكن معنويات المناضل مرتفعة، فإنه قد ينهار ويعترف بكل شيء بمجرد تلقيه لصفعة، أو لمجرد تهديده بالتعذيب، والذي دفعني للمقاومة، هو بالإضافة لمعنوياتي التي كانت مرتفعة، اعتقادي الراسخ بأن عمر دهكون لم يكن قد ألقي عليه القبض، بمعنى أن البوليس لا يعرف عني أي شيء، ولن يعلم إلا بما سأعترف له به، في اللحظة التي كنت فيها تحت التعذيب، ولذلك قررت مع نفسي الإنكار وعدم الاعتراف.

س : ألم يلق القبض على أعضاء معك في نفس الخلية، أعضاء كان من المحتمل أن يعترفوا بما كنت أنت ترفض الاعتراف به؟

ج : لقد وقفت على هذه الحقيقة بعد سنة من الاعتقال، فالكثير من الأشياء التي رفضت الاعتراف بها خلال الاستنطاق والتعذيب، تبين لي أن إخوة آخرين اعترفوا بها، فالذي وقع هو أن رفاقا اعتقلوا في وجدة، والبعض في الدار البيضاء ، وآخرون في مراكش... وكل واحد اعترف ببعض الأشياء، ولحسن الحظ كانت مراكز الاستنطاق متنوعة ومتباعدة آنذاك، ولم يكن باستطاعة البوليس جمع

المعلومات وترتيبها في نفس الوقت للمقارنة والاستنتاج، فكل من اعترف بشيء ما في المكان الذي اعتقل فيه، ظل اعترافه في ملفه لوحده، ولذلك ظل ملفي فارغا إلى أن أعيد الاستنطاق معي في درب مولاي الشريف سنة 1974 حيث أصبح ملفي يضم بعض المعطيات، رغم أنني لست أنا الذي اعترف بها، ولكن إخوة آخرين قدموا هذه المعطيات عني، ففي درب مولاي الشريف، كان للبوليس الوقت الكافي لجمع المعلومات المتعلقة بي، ومواجهتي بها.

س : ألم يكن بإمكانك الاستمرار في الإنكار؟

ج : كنت أنكر الأشياء التي تتعلق بي لوحدي، ولكن الأشياء المشتركة التي اعترف بها آخرون صار من الصعب التنصل منها.

س : ما هي طبيعة العلاقة التي كانت لك بعمر دهكون؟

ج : كانت علاقة مناضلين في إطار مهمة معينة، وكان كل واحد منا يقوم في إطارها بالدور المنوط به.

س : هل بالإمكان أن تحدث القارئ عن عمر دهكون، من هو، ماذا كانت وضعيته داخل التنظيم الحزبي، وما هو تكوينه وطبيعة شخصه؟

ج : في الواقع كانت تربطني بعمر دهكون علاقات إنسانية قبل العلاقة التنظيمية، ويمكن لي القول، إن العلاقات التنظيمية فيما بيننا جاءت نتيجة للعلاقات الإنسانية. لماذا؟ لأننا تابعنا معا دراستنا الابتدائية ثم الثانوية، وكنا نقطن معا في مسكن واحد لبعض الوقت. ولما استقر كل واحد منا لوحده، ظلت العلاقة الطيبة قائمة بيننا، وكنا نتزاور بانتظام، ومن هذه العلاقة الإنسانية التي كانت تربطنا، جاءت العلاقة التنظيمية الحزبية بشكل تلقائي، لقد كنا ننشط معا في إطار وداديات التلاميذ في مدرسة النهضة بسلا.

س : هل كان عمر دهكون من أبناء سلا؟

ج : لا، كان من أبناء الدار البيضاء، ولقد التقينا في سلا، فأنا أيضا من وجدة، جمعتنا الدراسة والزمالة في مدرسة النهضة بسلا في سنوات 1959 - 1960 - 1961 واستمرت هذه العلاقة قائمة، ثم دخلنا معا في إطار علاقة تنظيمية في صفوف الحزب بشكل تلقائي، بدون أن يستقطب أي أحد منا الآخر، كان لنا في وقت واحد نفس الاختيار، بحيث كنا معا، متشبعين بالروح الوطنية والتقدمية

وبالروح الثورية العالمية، وكنا نناهض الامبريالية، وما كان يميز عمر دهكون هو أنه كانت له علاقات واتصالات على مستوى عال عن الطلاب الذين كنا على صلة بهم.

س : هل كان يكبرك سنا؟

ج : لا، كنا أبناء جيل واحد، فعلاقاته ومعارفه في الدار البيضاء، ربما أتاحت له فرصة الاتصال ببعض القيادات الحزبية مثل الفقيه البصري وآخرين، وكان الوضع السياسي في المغرب يدفع الشباب وغير الشباب للتفكير بالصيغة التي كنا نفكر بها، فلم تكن هناك لا حرية ولا ديمقراطية، وحتى الانتخابات التي كانت تنظم، لم تكن الإدارة تتورع عن تزوير نتائجها..

فهذه الوضعية التي كان يعيشها المغرب، جعلت منا ثوارا بطبيعتنا، نرمي للمساهمة في التغيير، فحتى إذا تعذر علينا إدراك التغيير سنكون قد وضعنا أقدامنا في السبيل المؤدي إلى التغيير، أما كيف يحدث التغيير، هل بصفة جذرية أو تدريجية، فهذا ما لم يكن لي أي علم به، فالمهم بالنسبة لي كان هو الوصول إلى هدف التغيير، أما الوسائل المؤدية إليه، فإنها تختلف من شخص لآخر.

س : حين ألقي القبض على عمر دهكون، ماذا كان مستواه الثقافي وما هي التهم التي كانت موجهة إليه؟

ج : يمكنني القول، رغم العلاقة التي كانت لي بعمر دهكون، إن فترة من حياته ظلت غامضة بالنسبة لي، فمستواه الدراسي كان فيما أذكر لا يتجاوز البكالوريا، لقد اعتقل قبلي ببضع ساعات، وهو الذي اعترف بأسمائنا للبوليس، لقد كنا نشتغل في إطار مجموعة واحدة، كان فيها عمر دهكون، ومصطفى الجدايني رحمه الله، وأحمد أقذاف.

س : ماذا كان عمل عمر دهكون حين اعتقل؟

ج : كان عمله هو السعي لإحداث تغيير في المغرب، وكانت له علاقة مباشرة ومستمرة بالفقيه البصري، ولقد أعدم بعد محاكمة صيف 1973 لأنه كان عضوا في تنظيم ثوري سري كان يسعى لقلب النظام، وكان يضم عددا من الاتحاديين، ولقد تم توقيف الحزب بعد ذلك، لقد كان يشتغل في إطار التنظيم الموازي للحزب، وأنا شخصيا لا أميز بين التنظيم الحزبي، والتنظيم الموازي، فبالنسبة لي الكل كان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، فحتى أعضاء التنظيم الموازي هم جميعهم من الحزب، لقد كنا نتحدث في اعترافاتنا عن وجود تنظيم مواز، لكي لا يقع توريط الحزب بتهمة أنه يشرف

على تنظيمات وخلايا غير محترمة للقانون، ولكن مع ذلك، كان الكل يشتغل في إطار نفس الحزب، ولنفس الأهداف، حتى وإن كانت الوسائل مختلفة.

س : هناك من يقول: لم يكن في الحزب وجود لتنظيمين مختلفين، بل كان الحزب يشكل تنظيما واحدا، ولكن بعض المناضلين كانوا يخرجون على إطار ما هو مسطر ومتفق عليه فيما بين الاتحاديين، وكانوا يقومون بأعمال تتسم بالمغامرة، وكان يؤدي ثمنها مناضلون لا علم لهم بها؟

ج : الذين كانوا أعضاء في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لم يكونوا يميزون في أي وقت من الأوقات بين الحزب والحركة الموازية، وهذا لا يعني أن كل المناضلين الاتحاديين كانوا منخرطين في الحركة الموازية، فلا يجوز أن نحمل أشخاصا أوزار أعمال لم يكونوا على علم بها، ونعتبر أنهم شاركوا فيها، ومع ذلك، فأنا أرفض إطلاق صفة مغامرة على الحركة الموازية التي كانت داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

س : على أي أساس ترفض إطلاق صفة مغامرة على أفعال الحركة الموازية؟

ج : عندما نريد معالجة قضية معينة، لا ينبغي علينا معالجتها من منظور ضيق، ونقوم بقراءة لها من منطلق آني، المعالجة ينبغي أن تتم في إطار محيطها الزماني والمكاني، والإيديولوجيات السائدة والعلاقات السائدة داخليا وخارجيا، وفي سياق العلاقة التي كانت قائمة بين الحزب والحكم في ذلك التاريخ، فإذا كان الحكم متسلطا وفرديا وإقطاعيا، حسب صحافة الاتحاد الوطني وقتها، والأوصاف التي كانت تنعته بها، فهذا يفيد أن الاتجاه العام للحكم لم يكن ديمقراطيا لكي نجابهه بأساليب ديمقراطية، فكما يقول المثل، لا يفل الحديد إلا الحديد، فإذا كان الحكم يستعمل معك القمع والقهر والاضطهاد، هل ستقبل منه ذلك وتستسلم له؟ طبعا الجواب هو لا، فالخيار الذي يكون أمامك هو البحث عن وسيلة للرد عليه، قد لا يكون ردك في حجم الضربات التي يكيلها إليك، ولكنك تشعره بأنك تقاوم وترفض ممارساته القمعية والاضطهادية. كل موقف من المواقف ينبغي أن يوضع في سياقه التاريخي للحكم له أو عليه بشكل موضوعي.

أنا لا أفهم لماذا يريد بعض الإخوان الاتحاديين اليوم التبرؤ من بعض المبادرات التي صدرت عنهم في الماضي، صحيح أن الحزب لم يكن يفكر بمنطق واحد، ولكن ما قام به مناضلون اتحاديون كانت له

دوافعه ومستلزماته، فالحكم لم يكن يتحدث أصلا عن الديمقراطية، فكيف يمكن الحديث معه عنها، قد يكون فكرنا ديمقراطيا، ولكنه إذا كان الطرف الثاني المقابل لنا غير ديمقراطي بماذا سيفيدنا إيماننا بالديمقراطية، خصوصا إذا كنا نجابه بالقمع والاختطاف والقتل من طرف الكافرين بالديمقراطية، إن الحديث عن الديمقراطية لا تكون له جدوى إلا مع الديمقراطيين، وإذا كان الحكم يصبو فعلا إلى الديمقراطية، أما إذا كان الحكم لا يعرف من أسلوب العمل إلا التصفيات الجسدية، فأي فكر ديمقراطي سيفيد مع نظام من هذا القبيل، لذلك لا يجوز وصف فكر الحركة الموازية داخل الاتحاد الوطني بأنه كان فكرا مغامرا.

س : يقولون إنه كان يؤدي إلى نتائج عكسية لما يتوخاه أصحابه.

ج : لا أظن ذلك، فمن المؤكد أن أفعال الحركة الموازية لم تكن ترقى إلى مستوى تهديد النظام وتغييره، ولكنها كانت حقيقة تقوم بالتشويش عليه، وكانت تُستثمر لزيادة التعبئة والالتفاف حول الحزب وبفضلها كان يحظى بالتقدير من طرف شريحة واسعة من المواطنين، ولا يمكن لأي أحد أن ينفي أن الهامش الديمقراطي الذي نعيشه اليوم، لم يكن وليد البارحة، ولكنه كان نتيجة لصيرورة نضالية ساهم فيها كل الاتحاديين، بمن فيهم أولئك الذين كانوا يشتغلون في إطار الحركة الموازية، ويتهمون بأنهم كانوا أصحاب فكر مغامر.

س : لنعد الأخ مصطفى إلى درب مولاي الشريف كم قضيت فيه؟

ج : قبل الإجابة على هذا السؤال، أود العودة إلى المدة التي قضيتها في التعذيب لدى الأمن المركزي بساحة بيتري بالرباط، فالذين كانوا مكلفين بتعذيبنا كانوا مجردين من جميع الصفات الإنسانية، كل الصفات الإنسانية كانت منعدمة فيهم، يتهيأ للإنسان أنهم اختيروا لأداء هذه المهمة بكل عناية، سواء من حيث وجوههم وملامحهم، أو طريقة كلامهم. وكانت معاملتهم لنا معاملة وحشية، لا يمكن للعبارات والكلمات أن تستوفيها حقها في الوصف والتوضيح، فقد يتهيأ للقارئ أنني أقوم بتضخيم فترة مرة عشتها، ولكنني أقول ليس من رأى وعاش كمن سمع، لقد عشنا التعذيب والوحشية والشراسة التي كانوا يتعاملون معنا بها.

س : طريقة تعاملهم هذه، قد تكون تعكس المناخ السياسي الذي كان سائدا بالبلد؟

ج : لم يكونوا يتعاملون معنا على أساس أننا بشر، بل ربما كانوا يعتبروننا أقل قيمة حتى من الحيوان، فمن الممكن أن تكون لك خصومة سياسية مع شخص ما، وقد يفكر هذا الشخص في تصفيتك، ولعل هذا قد يكون مقبولا، ولكن المشكل يكمن في الطريقة التي كان يصفيك بها، لقد كانت تتسم بالوحشية والحيوانية، لقد كان الحكم يتعامل مع خصمه، لا على أساس أنه يريد محوه سياسيا، ولكن كان يهدف لمحوه جسديا، وهذه أبشع الممارسات السياسية، فهؤلاء الذين كانوا يشرفون على تعذيبنا كان البعض منهم يتصرف، ليس باعتباره يؤدي عملا يكسب منه القوت لنفسه ولأسرته وكفى، ولكنه كان يتصرف، وكأن الأمر يتعلق به هو شخصيا قبل غيره، لقد كانوا يتعاملون معنا بسادية ليس لها أي حدود، وكانوا يجدون لذة كبيرة في التعذيب.

أتذكر صورة مازالت في عقلي إلى اليوم، ولا يمكن أن تنمحى من ذاكرتي بتاتا، فبعد يوم كامل من التعذيب، ولما خارت قواي بشكل نهائي، وانهرت كليا على الأرض، وكانت يداي ورجلاي مكبلتين بحبل، قام أحد أفراد البوليس بمسك الحبل، وبدأ يجرني، وأنا ممدد في الأرض، وكان ينزل علي ضربا بالكرباج، تماما كما لو كنت كلبا ارتكب عملا خطيرا، ويعاقب عليه أشد العقاب، لقد كان يضربني من أخمص القدمين إلى قمة الرأس، ولما أشبع غريزته من الضرب، رموني في زنزانة منفردة، وتركت فيها بين الحياة والموت، وفي أحد الأيام جاء مولاي حفيظ العلوي إلى لمكان الذي كنا معتقلين فيه، وأطل علي في الزنزانة حيث كنت قابعا، ثم انصرف من غير أن ينبس ببنت شفة.

س : وكم قضيت في درب مولاي الشريف؟

ج : قبل أن يأخذونا إلى درب مولاي الشريف، تم اقتيادنا إلى الكوربيس، وقضينا فيه حوالي 13 شهرا، ونُقلت بعدها إلى درب مولاي الشريف حيث قضيت هناك شهرا.

س : لماذا نقلت من الكوربيس إلى درب مولاي الشريف؟

ج : هذا سر لم أدرك كنهه إلى اليوم، لقد سمعت أحد الضباط يقول لصديق له في درب مولاي الشريف هذا هو السي الملحاوي، ولم أعرف من هو هذا الضابط، وماذا كان يضمر بقوله عني هذا هو الملحاوي، ففي درب مولاي الشريف، لم أستنطق ولم أعذب، ولم أواجه أي مشكل خلال الشهر الذي قضيته فيه، ولكنه قبل إحالتنا من الكوربيس على وكيل الملك، أعدت مجددا إلى درب مولاي

الشريف، ومكثت فيه 24 ساعة وفتح لي ملف جديد، وخضعت لتعذيب واستنطاق، لأنني لم أخف علاقتي ومعرفتي بعمر دهكون، رغم أنني كنت أنكر معرفتي باسمه الحركي ميلود والفقيه. وكان التعذيب قاسيا هذه المرة، لقد أعدت لي ولرفاقي محاضر وأحلنا على وكيل الملك.

س : وما هي التهم التي وجهت لكم؟

ج : السعي لقلب النظام، والإخلال بالأمن العام، والسعي لتكوين خلايا مسلحة، وكانت هذه هي التعابير الشائعة لديهم، وأمر وكيل الملك بإحالتنا على السجن، وقضيت فيه حوالي شهر، ثم أفرج عنا في أحد الأيام من غير محاكمة. ولقد استقبلنا يوم الإفراج عنا عامل الرباط عمر بنشمسي، وكان الاستقبال في إطار ودي وعاملنا باحترام، وخاطبنا قائلا: على أي عفا الله عما سلف، لقد أفرج عنكم، ولكن أردف: إن عدتم عدنا.

س : وماذا عن المحاكمة؟

ج : حوكمنا في إطار السراح المؤقت، وكانت الأحكام بالبراءة لفائدة أغلب أعضاء مجموعتنا.

س : الحكم بالبراءة يفيد بأن التعذيب والإهانة والحرمان من الحرية الذي عانيتم منه لشهور كان بدون أي سبب، ولم يكن لها ما يستلزمها قانونيا.

ج : حتى المحاكمة كانت لها ملابساتها، لقد جرت في وقت أصبح اسم الحزب: الاتحاد الاشتراكي، بعد المؤتمر الاستثنائي لسنة 1975. وبعد الموافقة على الاختيار الديمقراطي، لم يعد هناك بالنسبة للنظام أي داع لتجريم مجموعة من المواطنين بتهم السعي لقلب النظام والإخلال بالأمن العام، خصوصا وأن أعضاء هذه المجموعة لم يكن لهم مركز نافذ في التنظيمات السرية للحزب، أو ربما لم يرتكبوا أي أفعال تستوجب العقاب، وأظن أن سنة في الكوربيس تعادل 10 سنوات في سجن عادي، فكما قال أحد الإخوة، إذا كان الإنسان يصوم شهرا في السنة، فنحن صمنا 13 شهرا متتاليا، وهي مجموع الشهور التي قضيناها في الكوربيس، ولذلك يمكن لنا أن لا نصوم مدة 13 سنة، لأننا صمنا شهورها سابقا.

س : كلمة ختامية لهذا الحوار؟

ج : أود أن أعود إلى اللحظة الأخيرة للتعذيب وكيف عشتها بعد أن لم أعترف لهم بأي شيء. لقد رموني في الزنزانة وأقفلوا الباب وراءهم وانصرفوا، تهالكت وأنا أجرجر جسمي زاحفا حتى استويت على فراشي الذي هو قطعة من الكارتون، ولم أعد بعدها أعلم ماذا ألم بي، كنت كلما انتابتني يقظة

شعرت بدوران في رأسي، وبأن كل الغرفة تدور بي، وأروح في غيبوبة طويلة لا أحس بشيء ولا أعي شيئا، مكثت على هذه الحالة يومين عرفتهما من الخبزتين المرميتين وسط أرضية الزنزانة.

وحين بدأت أعود إلى وعيي، بدأت أتحسس جسمي، وشعرت بأنني لا أستطيع تحريك أطرافي، وأجد صعوبة كبيرة في رفع يدي أو ثنيها إلى الوراء، وبقيت على هذه الحالة أسابيع كثيرة فيما بعد، ومازلت لحد الآن، لا أستطيع ثني يدي إلى الوراء، رغم التمارين التي مارستها، والترويض الذي خضعت له فيما بعد. لقد أصبح جسمي كله متورما وأزرقا، وتضاعف حجمي من الانتفاخ، وكانت بقع الدم المتخثر تغطي مناطق جسمي، خصوصا مناطق الكتفين والذراعين وأطرافي السفلى، أما القدمان فقد تعفنتا وصار الصديد ينزف منهما. وحين أعيد وصف ما جرى لي في هذه الكلمة الختامية، فمن باب التذكير بفظاعة ووحشية التعذيب الذي تعرض له المناضلون في الأقبية والزنزانات والمعتقلات السرية، ولكي لا يتكرر هذا مجددا. ولضمان عدم تكراره، يتعين بناء المؤسسات التي تعكس رأي الشعب بشكل ديمقراطي، وتكون مراقبة من جانبه...

عبد السلام الصدقاوي

كنت أتصرف في السجن وكأن لدي إذاعة حقيقية

س : الأخ عبد السلام الصدقاوي، في أي يوم وفي أي شهر وفي أي سنة تم اعتقالك؟

ج : لا أتذكر اليوم بالضبط، إنما الشهر هو دجنبر سنة 1969.

س : كيف جرى اعتقالك؟

ج : كنت قبل الاعتقال أفكر في مغادرة المغرب للجوء إلى دولة أجنبية، وقمت بمحاولة في هذا الباب، ولكنني لم أفلح، لقد ذهبت من الدار البيضاء إلى طنجة، ثم إلى آسفي في وقت لاحق، ثم رجعت إلى الدار البيضاء، لقد بلغ إلى علمي أن العديد من أفراد عائلتي قد اعتقلوا، فحيثما كنت أتردد، وجميع المنازل التي ترددت عليها، أخذ البوليس منها بعض أفرادها، فلقد اعتقل خالي وأخواي اللذان كانا أصغر مني، وهما مصطفى وعبد اللطيف، ثم أخي الذي كان أكبر مني سنا وهو محمد، وحوصرت منازل لأفراد أسرتي، ومن ضمنها منزل لصهر أخي رغم أن صاحب المنزل كان رجل شرطة، لقد كانوا يسكنون معه في المنزل في انتظار مجيئي لاعتقالي، لقد بلغ إلى علمهم أن شخصا اسمه الصدقاوي يوجد في السينما، فحوصرت القاعة من كل أبوابها، ولم يتركوا إلا منفذا واحد للخروج لكي يتفحصوا عبره الوجوه، وكان أخي المجند وقتها في إطار الخدمة العسكرية يوجد في السينما، فراوغهم وفر من القاعة فلاحقوه...

س : رغم أن لا علاقة له بالسياسة؟

ج : رغم أن لا علاقة له بالسياسة، كانوا يفكرون بمنطق اعتقال كل شخص تثار حوله الشكوك، وكان هدفهم هو الوصول إلي، ولذلك لاحقوا أخي إلى أن اعتقلوه. وألقي القبض كذلك على زوج خالتي في درب السلطان، وعلى زوج ابنتها وكان ضابطا في الجيش. اعتقلوا كلهم بسببي، ولأنه تعذر علي مغادرة المغرب، فكرت في الذهاب عند أحد أخوالي، وكان صاحب

طاكسي ولاعلاقة له بالسياسة لا من قريب ولا من بعيد، وحين مررت قرب المنزل لاستطلاع الأجواء قبل الدخول إلى المنزل، في هذه اللحظة اقترب مني عنصران من رجال الشرطة وألقيا القبض علي.

س : الكثير من المناضلين تمكنوا في تلك المرحلة من الإفلات من ملاحقة البوليس ومغادرة المغرب صوب الخارج، ما الذي حدث وحال دونك أنت أيضا ومغادرة المغرب؟

ج : لم أتمكن من مغادرة المغرب لأن المراقبة البوليسية كانت على أشدها، ولم استطع ربط الاتصال في تلك اللحظة بالإخوان الذين كان في إمكانهم مساعدتي على مغادرة المغرب، مثل عمر دهكون رفيق الطفولة والنضال، ولذلك أخذت أدور في حلقة مفرغة، وبطبيعة الحال في مثل هذه الظروف حين تشتد الملاحقة على الإنسان، فإنه يشعر بالخوف والهلع، بالإضافة إلى السهر وعدم النوم والجوع، مما يؤدي به في النهاية إلى فقدان السيطرة على أعصابه، خصوصا بعد أن بلغني أن العديد من أفراد أسرتي اعتقلوا بسببي. فهذه العوامل كلها تجعل الإنسان يفقد صوابه، لاسيما بعد اعتقال أخي الذي كان يتبناني.

س : اعتقل فقط لأنه كان أخوك؟

ج : أخذ كرهينة لكي أسلم نفسي للبوليس.

س : ما هي الأسباب السياسية التي أدت إلى مطاردتك وملاحقتك وإلقاء القبض عليك من طرف البوليس؟

ج : يعود هذا لكوني كنت أتابع دراستي بمدرسة النهضة بسلا والتي كانت تشكل معقلا للمناضلين وعلى رأسهم الأخ عمر دهكون، كانت هذه المدرسة تضم مناضلين من جميع أنحاء المغرب، من وجدة وفكيك والدار البيضاء وأذكر من بينهم الأستاذ توفيق الإدريسي، ومحمد ازغار، و محمد منيع، والمرحوم مصطفي اجدايني، والعربي خروج .. ففي هذه المدرسة كانت لنا العلاقات الأولى بالسياسة والنضال، ولقد تكونت شخصيا على يد الأستاذ محمد السملالي النقيب السابق والذي كان رئيسا للجمعية المغربية لتربية الشبيبة، لقد كنا ننشط في النادي الثقافي الذي كان بسوق الغزل بسلا، فهناك ترعرعت وتربيت مع مناضلين كانوا يقدمون لنا المثل في كل شيء في الأخلاق والتضحية والنضال، وعن طريقهم كنا نتصل ببضع قادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مثل المرحوم

عبد الرحيم بوعبيد وعمر بنجلون. كنا نتلقى دروسا نظرية في السياسة وفي النضال.. بالإضافة لوالدي رحمة الله عليهما وأخي محمد فهما معا بثا في نفسي الروح الوطنية بكل معانيها.

س : ما هي الاعتبارات السياسية المباشرة التي أدت لاعتقالك؟

ج : كنا في تنظيم سري، فبعد النشاط الثقافي في الجمعية المغربية لتربية الشبيبة دخلنا في مرحلة النضال حيث شرع المرحوم عمر دهكون في إنشاء خلية بسلا وضمني إليها، واقترح علي الذهاب إلى سوريا لكي أتلقى هناك تدريبا عسكريا وايديولوجيا، في المعسكر السوري المعروف باسم الزبداني، ولما أقنعني عمر دهكون بالفكرة ذهبت فعلا إلى سوريا، لقد حدث ذلك في صيف 1969 لأنني كنت من أسرة التعليم، واغتنمت وقت العطلة للذهاب إلى سوريا وهكذا مررت عبر فرنسا إلى دمشق لأصل في النهاية إلى معسكر الزبداني.

س : بعد نهاية فترة التدريب عدت مباشرة للمغرب؟

ج : كنت أنوي المكوث في سوريا لمتابعة دراستي بها، فلقد وفر لي الحزب منحة لمزاولة دراستي بها، غير أن بعض المشاكل الخاصة لم تسمح لي بذلك، فعدت إلى المغرب، والتحقت بعملي، وكنت على اتصال بالإخوان، وكنا ننتظر الأوامر والتعليمات، إلى أن بدأت حملة الاعتقالات في شهر دجنبر.

س : لكي نضع القارئ في صورة ما كان يجري في المغرب في تلك الفترة التاريخية، ما هي الأوامر والتعليمات التي كنتم تنتظرونها وما هي نوعية الأعمال التي كنتم تفكرون في القيام بها؟

ج : كانت الخلايا تختلف طبعا وكانت لكل خلية مهمتها، وفيما يخصني، فلم يكن من مهامي حمل السلاح، للصعود إلى الجبل... كانت مهمتي شبه دبلوماسية، لقد كنت أنيقا وجميل الخلقة، واقترح علي عمر دهكون أن أشرع في معاشرة الطبقة الارستقراطية، على أن استقي الأخبار والمعلومات من أفرادها لأزوده بها، فعملي كان يصب في هذا الاتجاه.

س : على هذا الأساس قام عمر دهكون بإدماجك في الخلية التي كان يرأسها؟

ج : نعم على هذا الأساس تم إدماجي في الخلية، ووسائل العمل وطرقه كانت ستأتي فيما بعد عبر الاحتكاك والممارسة.

س : هذه الوظيفة التي كلفت بإنجازها قد تبدو في المظهر عملا سهلا، ولكنها في العمق وظيفة تقتضي تكوينا عاليا وخاصا ودراية بمجالي الثقافة والسياسة. أنت هل خضعت لتكوين لكي تكلف بأداء هذه الوظيفة.

ج : بطبيعة الحال، فالأشياء لم تكن تخضع للعشوائية، فأنا كما قلت لك تكونت مع المرحوم السملالي تكوينا اعتقد أنه كان جيدا، وذلك في إطار الجمعية المغربية للشبيبة، وفي إطار فرقة مسرحية كانت بمدرسة النهضة بسلا، كان لدي تكوين وجرأة أدبية، وقدرة على المبادرة ونسج علاقة ألفة واطمئنان لدى من يحاورني. فهذه المؤهلات هي التي دفعت الإخوان إلى تكليفي بأداء هذه المهمة.

س : وعندما كنتم في معسكر الزبداني ما هي نوعية التدريبات التي كنتم تقومون بها؟

ج : كان التدريب عسكريا في إطار الإعداد للقيام بعمليات فدائية. كان التكوين يتم تحت إمرة ضابط سوري، وكانت الغاية من التدريب هي أن يصبح المرء قادرا على حمل السلاح، فأنا مثلا تدربت على الايربيجي وهي آلة تقصف إما الأهداف القارة أو المتحركة، وكنت أتقن التصويب، بحيث لم أكن أخطئ الهدف.

س : وماذا عن التكوين السياسي والإيديولوجي؟

ج : بعد التكوين العسكري، كان يتكلف بنا المرحوم محمد بنونة الذي لم نكن نعرف اسمه الحقيقي، لأنه كان يحمل اسما مستعارا هو محمود، ولقد توفي في أحداث مولاي بوعزة، فهو الذي كان يتكلف بتأطيرنا سياسيا وإيديولوجيا، وكان معه الأخ محمد بنجلون، وكذلك ملوك الشافعي... فهؤلاء كانوا مكلفين بتكويننا علي المستوى السياسي والايديولوجي وكيف نخوض حرب العصابات والشوارع.

س : ما هي طبيعة هذا التكوين السياسي؟

ج : طبيعة التكوين السياسي باختصار شديد هي أن هناك نظاما في المغرب مستبد ومستول على خيرات الوطن وعلى جميع السلطات ولا يترك لنا أي فرصة للعمل، فالمطلوب هو النضال من أجل تغييره . وبطبيعة الحال كان هذا الكلام يخلف أثرا في نفوسنا، لأن حركتنا لم تكن عفوية أو بشكل اعتباطي، ولكنها كانت نتيجة لأحداث ووقائع عاشها المغرب، وكان المشرف عليها هو الجنرال أوفقير،

فالظلم الذي ظل يشرف عليه ويمارسه على الشعب وعلى المعارضة لسنوات عديدة هو الذي ولد حركتنا، وكان الهدف منها هو زعزعة ثقة المسؤولين بأنفسهم لتغيير الوضع في اتجاه ماهو أفضل، فلقد كانت السياسة الرسمية والوحيدة تقريبا للدولة وقتها هي قمع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والتنكيل بمناضليه، مما دفع بالمناضلين إلى الاضطرار للجوء لأسلوب المواجهة.

س : كم قضيت في سوريا؟

ج : قضيت أسبوعين، ولا أظن أنها كانت مدة كافية لكي يصبح للمناضل تكوين عسكري جيد، ولكنها كانت كافية لإعداد المناضل نفسيا وإعطائه بعض المعلومات والمعطيات ليستطيع أن يكون في الساحة على قدر لا بأس به للمواجهة، فهذه المدة والتدريب الذي يتم فيها يؤدي بالشخص في الواقع للاتصال بالسلاح وللمسه ولمعرفة كيفية اشتغاله، ونزع الإحساس بالخوف من السلاح من نفسية المناضل فقد كان هذا هو الهدف من التدريب في معسكر الزبداني.

س : وكيف تم استقطابك من طرف عمر دهكون؟

ج : كما قلت سابقا، أنا أعرف الأخ عمر دهكون وعمري 12سنة، فبعد أن عاد أخي الأكبر إلى الدار البيضاء بعد أن كان مكلفا بي ومشرفا علي في مدينة سلا، أصبح عمر دهكون بمثابة أخي الروحي، فلقد كنت أدرس في نفس الثانوية التي كان يدرس بها، وكان يزودني بكل ما أحتاجه في ثانوية النهضة.

س : هل كنت داخليا في الثانوية؟

ج : لا كنا نعيش في مكان خاص بالطلبة، وكان عبارة عن بيوت كان يسلمها حزب الاستقلال للتلاميذ الذين ليسوا من نفس المدينة لكي يقطنوا فيها من أجل متابعة دراستهم.

س : أنتم كنتم طلبة للإتحاد الوطني للقوات الشعبية، فكيف سيزودكم حزب الاستقلال بمساكن لكي تقطنوا فيها لمتابعة دراستكم؟

ج : رغم أننا كنا ننتمي للإتحاد، فإن حزب الاستقلال لم يكن يميز بين الطلبة والتلاميذ، فالكل كان يحصل من الحزب على المسكن وبعض المواد الغذائية، وأحيانا المنح لمتابعة دراستنا.

س : وكيف استقطبك عمر دهكون؟

ج : لقد لاحظ نشاطي ومحبتى لوطني، والظلم الاجتماعي الذي عشته بعد أن توفي والدي في حادثة عمل بإحدى الشركات، ولم نحصل على أي تعويض عن وفاته، وتركني وإخوتي ونحن صغار.. فعمر دهكون كان يعرفني، ولم يجد أي صعوبة في إدماجي في الخلية التي كان يشرف عليها، وفي سنة 1969 تحدث لي عن العمل الثوري الذي نود القيام به.

س : ما هي نوعية هذا العمل؟

ج : قال لي ونحن رأسا لرأس: سأخاطبك مباشرة وبشكل صريح، لقد أنشأنا خلايا سياسية ثورية مسلحة، وأننا نقوم بتداريب، وأقترح عليك إذا وافقت أن تخضع لتدريب عسكري وسياسي، على أن تنتظر الأوامر إلى أن تحين الفرصة للقيام بعمل يخلص المغرب مما هو فيه. وأضاف بأن هذا هو كل ما لدي الآن لأقوله لك أما التوقيت وما سنقوم به فإلى أن تأتي لحظته الملائمة، فالمرحلة الأولى كانت هي التدريب في سوريا، على أن نكون ملزمين بالصمت والأمانة والإخلاص والوفاء للمنظمة.

س : ألم يكن عمر دهكون مراقبا في تحركاته، فلقد كان يخرج من المغرب ويعود إليه بشكل مسترسل، ألم يثر تحركه هذا حفيظة البوليس والأجهزة السرية لمراقبته؟

ج : لا أظن أنه كان مراقبا، فلو كان كذلك لاعتقل كما اعتقلنا جميعا، والمؤكد أنه بعد أن ألقي القبض علينا في سنة 1969، نحن الذين كنا نشكل رفاقا له، أحس وأدرك أنه أصبح مستهدفا من طرف البوليس، خصوصا بعد الحكم الصادر ضده في محاكمة مراكش الكبرى والقاضي بسجنه لعشرين سنة فقرر الاختفاء عن الأنظار والدخول في إطار السرية، ومع ذلك كان ينتقل باستمرار بين فرنسا والجزائر والمغرب، لقد كانت أسماء جميع المبحوث عنهم في المطارات وفي الموانئ وفي نقاط المراقبة الموجودة على حدود المغرب، لذلك أظن أن عمر دهكون كان يتحرك بجوازات سفر مزورة...

س : وهل كان يشرف فقط على هذه الخلية الموجودة بسلا، أم كانت خلايا أخرى في جهات متعددة من المغرب تحت إشرافه؟

ج : لقد انطلق بما تبقى من خلايا كانت تشتغل مغ شيخ العرب، لقد كان يسكن في حي البرنوصي بالدار البيضاء، وكان والده حارسا في المكتب الوطني للسكك الحديدية، وكان هو الذي أشرف على

تكوين مجموعة من العمال، وأنشأ بهم خلية في الدار البيضاء، ثم الخلية التي كونها في مدينة سلا...

س : ومن هي الشخصيات القيادية الحزبية التي كان عمر دهكون ينسق معها ويعمل تحت إشرافها؟

ج : مثل هذه الأمور لم يكن يتطرق إليها معنا، لقد كان كتوما جدا، ولا يكلم الشخص الذي يشتغل معه إلا فيما يخصه، وما عدا ذلك، يصعب على المرء أن يطلع منه على أمور أخرى لا تعنيه.

س : الأخ عبد السلام الصدقاوي بعد أن تم اعتقالك إلى أين تم اقتيادك مباشرة؟

ج : علمت فيما بعد أنه تم اقتيادي إلى فيلا بشارع الناضور بالدار البيضاء، ولقد مكثت فيها حوالي 3 أيام، و كان البرد شديدا وقارصا، فلقد كنا في شهر دجنبر، وكانت الثياب التي أرتديها لحظة الاعتقال خفيفة، وكدت أموت من شدة البرد والخوف والرعب الذي يكون مهيمنا على الإنسان في مثل تلك اللحظات، والمشكل هو أنني خلال هذه الأيام الثلاثة لم يخاطبني ويكلمني أي أحد، لقد تركت وحدي، بالأصفاد في يداي والعصابة على العينين، ومازلت إلى الآن أمر يوميا قرب تلك الفيلا التي وضعت فيها مباشرة عقب اعتقالي.

س : وماذا جرى بعد هذه الأيام الثلاثة؟

ج : سألوني عن إسمي الشخصي والعائلي واسم الأب والأم وتاريخ الازدياد ... وعن بعض المعلومات البسيطة ثم انصرفوا من غير أن يضيفوا أي شيء، وعقب ذلك نقلت إلى درب مولاي الشريف وأخذت مني المعطيات المتعلقة بشخصي، ثم بعد قضاء يومين بدرب مولاي الشريف كانت الرحلة صوب دار المقري بالرباط.

س : من هم الذين كانوا معك في هذه الفترة بدار المقري؟

ج : كنا مجموعة من المناضلين منهم توفيق الإدريسي المحامي بالدار البيضاء والأستاذ الحسين كوار، ولحبيب الفرقاني، وابراهيم الرباطي الذي كان طالبا في الجامعة...

س : كم كان عمرك لحظة الاعتقال؟

ج : حوالي 20 سنة، وبعد اعتقالي تم الإفراج عن أعضاء أسرتي الذين كانوا قد اعتقلوا بسببي، وفي دار المقري قال لي أحد الفرنسيين الذي كان يشتغل فيها من غير أن أعرف نوعية العمل الذي كان

يقوم به: كان أخوك معتقلا هنا فأنتما تتشابهان في كل شيء، فأخي الذي اعتقل كرهينة لكي أسلم نفسي نقل إلى دار المقري وعذب فيها ومازالت آثار العذاب ومخلفاته متبقية ويشعر بآلامها في إحدى عينيه إلى اليوم، لقد اعتقل بدون أي ذنب ارتكبه وعذب وسجن فقط لأنه أخي، وكذلك خالي هو أيضا جيء به إلى دار المقري بسببي.

س : كم مكثتم بدار المقري؟

ج : لا أذكر جيدا، أظن أننا مكثنا بدار المقري حوالي 7 أشهر...

س : كيف قضيتم هذه المدة، هل كانت كلها تعذيب واستنطاق، أم كنتم في حالة انتظار لكي تعرضوا على المحاكمة؟

ج : التعذيب في دار المقري كان يكاد لا يتوقف بسبب أو بدونه، ففي الحصة الأولى للتعذيب قال لي أحد الجلادين، نحن هنا، ونعيش هنا بالليل وبالنهار وعلى امتداد السنوات والأعوام، ولك أن تختار أن تريحينا وتريح نفسك وتعترف لنا بما نريد أو ترفض الاعتراف وتراوغ وتتجنب قول الحقيقة. ووقتها سنضربك وسنعذبك وسنستمر في تعذيبك سواء استمر التعذيب لشهر أو لثلاثة أشهر أو لسنة... المهم أننا سنظل نعذبك إلى أن تقول لنا ما نريد الحصول عليه منك، ولك أن تقرر بنفسك ما تختار هل الاعتراف لتنجو بنفسك أو الإنكار لكي ينالك ما أنت في حاجة له من تعذيب.

س : وماذا قررت مع نفسك حين قال لك الجلاد هذا الكلام؟

ج : أنا قبل الوصول لدار المقري، عندما ألقي علي القبض وكنت في فيلا شارع الناضور، كنت قد عقدت العزم على الإصرار على القول بأن الحزب بعثني لسوريا من أجل اتخاذ الترتيبات اللازمة لمتابعة دراستي هناك، وأن الأمر لا يتجاوز هذا، لا أقل ولا أكثر، خصوصا بعد أن تبين لي من خلال الاستنطاقات الأولية أن المعلومات التي يتوفر عليها البوليس في شأني، والتي زودهم بها أحد المخبرين، تفيد بأنني كنت على وشك الذهاب لسوريا لمتابعة دراستي فيها.

س : ألم تسأل عن التداريب التي خضعت لها في معسكر الزبداني؟

ج : طرح علي هذا السؤال، وكان جوابي أنني ذهبت فعلا لمعسكر الزبداني، وذلك أن سوريا كانت وقتها في حرب مع إسرائيل، وكان شيئا عاديا بالنسبة للسوريين أن كل الطلبة العرب الذين

يأتون للدراسة بها يزورون هذا المعسكر، ويخضعون للتدريب العسكري للدفاع عن أنفسهم في حالة وقوع مواجهة مع إسرائيل وبطبيعة الحال لم يقنعهم هذا الجواب، إذ قال لي أحدهم كيف نصدقك وأنت كنت تنشط في صفوف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وكانت لك علاقة حميمية مع عمر دهكون، وكنت تشارك في المظاهرات والاحتجاجات... وتسافر إلى سوريا وتخضع لتدريب في معسكر الزبداني، وتريد منا أن نصدقك بأن تدريبك هذا تم فقط من أجل الدفاع عن نفسك في حرب محتملة قد تقع بين سوريا وإسرائيل: لا يمكننا أن نصدقك، عليك أن تقول لنا من هم الأشخاص الذين قمت باستقطابهم للانضمام إليكم في الخلية، وركزوا على أحد أصهاري كان يشتغل في سلك الأمن، وعلى أخي عبد اللطيف الذي كان في الخدمة العسكرية، لقد نفيت أي علاقة لأخي ولصهري بالسياسة، ونتيجة لذلك شرعوا في تعذيبي...

س : كم استمر وقت التعذيب؟

ج : خضعت لحصتين متتاليتين ثم تركوني في زنزانتي التي كانت قرب مكتب كانوا يستنطقون فيه المعتقلين .لقد كان هذا المكتب في غرفة مجاورة للزنزانة التي كنت أوجد بها لدرجة أنني في كثير من الأوقات كنت أضع أذني على الجدار المجاور لزنزانتي وكنت أسمع أطوار الاستنطاق... ولقد استفدت مما كنت أسمعه كثيرا، فبعد حصتين من التعذيب تركت لفترة من غير أن يخاطبني أي أحد فمثل هذه اللحظات التي يكون فيها الإنسان في حالة انتظار من غير أن يعرف ماذا ينتظره، ويترك لوحده ولا يكلمه أي أحد، ولا يسمع إلا وقع أحذية الجلادين في الممرات وسط الزنازن، والجلبة والضوضاء التي تفتتح بها الأبواب، في مثل هذه اللحظات يتملك الإنسان إحساس بالذعر لا يقاوم... ولكن بعد مرور حوالي 10 أيام على اعتقالي حدث تغير مفاجئ في سلوكي، لقد انكمشت في داخلي مثل قنفذ، وخرجت من ذاتي وأصبح جسمي بلا إحساس وبلا روح، والذي عمق من انكماشي هو ما كنت قد سمعت عن دار المقري في سوريا، والتعذيب الذي يمارس فيها على المعتقلين، وكتاب قد قرأته لمؤلف لبناني كان في رتبة ضابط ومر منها، وألف كتابا عنها وضمنه ألوان التعذيب التي تمارس فيها...

س : لماذا اعتقل هذا الضابط اللبناني في دار المقري؟

ج : لست أدري، والأساسي هو أنني انكمشت في داخلي وخلقت لنفسي إطارا حديديا لكي أقاوم بواسطته، وأصبحت شبه أهبل، وكانوا عندما يضربونني لم أعد أشعر، ولا يصدر عني أي رد

فعل، وأصبحوا وكأنهم يضربون شخصا غيري، ولم أعد أشعر بأي أهمية لا للزمان ولا للمكان، وبصراحة فأنا اعتبر أن أقصى درجات التعذيب هي عزل شخص في زنزانة وتركه لوحده في حالة انتظار من غير أن يخاطبه أي أحد ، فالذي كنت اسمعه هي عبارة «آرا ايماه»، وعندما كانت تتناهى إلى مسامعي هذه العبارة، وحين كنت أدرك بأنني أنا المعني بها، كنت أفقد حواسي ... فحتى الأكل الذي كانوا يزودوننا به لم أعد أذكره إلى اليوم.

س : كما كان عددكم في هذه الفترة بدار المقري؟

ج : بالإضافة لأعضاء المجموعة الأولى التي ذكرت أسماء البعض منها، والذين ألقي عليهم القبض في الحملة الأولى في شهر دجنبر حدث في شهر مارس شبه اجتياح من طرف المناضلين لدار المقري، لقد ألقي القبض على العديد منهم من جميع أنحاء المغرب وزج بهم معنا، ومازلت أذكر أن الأستاذ أحمد بنجلون والأخ سعيد بونعيلات اعتقلا في مدريد، وجيء بهما إلينا، في سلاسل حديدية، لقد أصبحت دار المقري مكتظة بالمناضلين إلى حد لا يطاق، ومورس فيها تعذيب وحشي على المناضلين، وأتيحت لي فرصة رؤية الأستاذ الحبيب الفرقاني في زنزانته، وكانت قدماه في حالة لا يستطيع المرء النظر إليهما من قوة الجراح وآثار التعذيب الذي تعرض له، فابتداء من مارس أصبحت دار المقري تعج بالمناضلين، وصارت كلها ضجيجا وازدحاما، بحيث كان المرء لا ينام إلا على جانبه الأيمن أو الأيسر، وفي لحظة المناداة على المعتقل للاستنطاق، كان الجلادون ينتزعونه من وسط المعتقلين، ويُقتاد صوب قاعة التعذيب والاستنطاق..

س : اعتقل جميع المناضلين الاتحاديين في المغرب؟

ج : اعتقل الكثير منهم من جميع أنحاء المغرب، وجاؤوا بأجهزة الشرطة المكلفة بتتبع أنشطة الاتحاديين من مدن وجهات المغرب، لكي تتكلف كل فرقة بالاتحاديين الذين ينشطون في الإقليم الذي تشرف عليه، لأنها هي الأدرى بهم، لقد جاؤوا بفرق من مراكش وفاس والدار البيضاء وخنيفرة ووجدة ... وأخذوا يستنطقوننا، وكانت تحدث مواجهات خلال الاعترافات...

س : ألم تتواجه مع بعض المناضلين أثناء لحظات الاستنطاق؟

ج : لا، لم أتواجه مع أي أحد، ولكن كان في الزنزانة المقابلة لزنزانتي الأخ توفيق الإدريسي، وفي إحدى المرات رأيته وتبادلنا التحية، وقليلا من الكلام، ولقد خفق قلبي بشدة حين رأيته لأول مرة،

واغرورقت عيناي بالدموع، لقد شعرنا كأننا نولد من جديد، وذلك بمجرد أن تبادلنا النظرات وبعض الكلمات، وحدث أن سمح لنا الجلادون في أحد الأعياد للخروج من الزنازن في فسحة محدودة جدا، ثم أرجعنا لزنازننا، ولم يعد مسموحا لنا بالخروج منها على الإطلاق.

س : من الذي كان يستنطقك؟

ج : محمد العشعاشي كان هو المسئول، وهو الذي استنطقني، واستنطق العديد من معتقلي دار المقري.

س : ومتى تمت إحالتكم على المحكمة؟

ج : بعد الاعتقالات التي تمت على المستوى الوطني، استؤنف الاستنطاق والتعذيب مجددا في ضوء ما كان يقوله الوافدون الجدد، واستمر الوضع على هذه الحال من شهر مارس إلى يوليوز فيما أظن، ثم أقفل المحضر وأخذونا للسجن العسكري بالقنيطرة، بعد أن أحالونا على قاضي التحقيق.

س : ما هي الاتهامات التي كانت موجهة لك؟

ج : أنا كنت متهما بتهديد أمن الدولة الداخلي والخارجي، وحمل السلاح بدون رخصة، وعدم التبليغ، والمشاركة في السعي لقلب النظام من أجل إقامة نظام آخر مكانه.

س : وماذا حدث بعد إحالتكم على السجن العسكري بالقنيطرة؟

ج : ليلة نقلنا من دار المقري للسجن المركزي شعرنا وكأننا في طريقنا لمكان مجهول، تهيأ لنا أنهم ربما سيقومون بتصفيتنا بدون محاكمة، أو سيرموننا في البحر، وحين دخلنا للسجن العسكري لم نكن نعرف أننا دخلنا سجنا عسكريا، لقد قضيت يومين في زنزانة منفردة ثم أخذت إلى محكمة عسكرية، ولم تسحب العصابة من فوق عيني إلا أمام قاضي التحقيق الذي قدم نفسه لي وأطلعني على التهم الموجهة لي وسألني عن ردي بخصوصها، وكان جوابي هو أنني أمتنع عن الكلام إلا بحضور محامي، ووافق قاضي التحقيق على طلبي فأقفل المحضر ورجعت إلى السجن العسكري.

س : كم مكثتم في السجن العسكري؟

ج : أظن حوالي سنة، وكنا سنحاكم في محاكمة عسكرية إلا أن الظروف السياسية شاءت غير ذلك، فلقد حدث أثناء اعتقالنا انقلاب عسكري بالصخيرات، وكان لابد للنظام من الانفتاح على

المجتمع السياسي، فأحلنا على محكمة مدنية، وكانت ظروف الاعتقال بالسجن العسكري لا تقل قسوة عن دار المقري، فالأكل كان رديئا جدا، والغطاء والفراش كانا شبه منعدمين، والأفظع هو أنني كنت في زنزانة منفردة، أعيش في صمت رهيب ليل نهار، ولأنني كدت أفقد صوابي، وللخروج عن طوق هذا الصمت المفزع، اخترعت وسيلة وهي إنشائي لمحطة إذاعية خيالية في السجن وأسميتها : إذاعة المغتربين في مدينة النحاس. وأخذت أتكلم عبرها من الصباح للمساء، وبدأ الإخوان يصلهم صوتي، وحين أفرج عنا وجدت من الإخوان من حبذ الفكرة وشكرني عليها لأنني تحديت الصمت الذي كان مفروضا علينا.

س : كيف كنت تقضي النهار بأكمله وأنت تتكلم عبر إذاعة خيالية لوحدك، وما هي البرامج التي كنت تقدم فيها؟

ج : كنت أتصرف وكأن لي إذاعة حقيقية، بحيث أستهل الإرسال بالقرآن ثم باقي البرامج: الأخبار الرياضية، والسياحية والثقافية، والأغاني...

س : هل كنت تغني لوحدك ومن تلقاء نفسك؟ وهل كنت تقوم بذلك وأنت في كامل وعيك؟

ج : أظن أن إنشائي لهذه الإذاعة الخيالية هو الذي أنقذني، فلولاه لكنت قد فقدت فعلا صوابي، فأنا كنت شخصا مبادرا وغير خجول وكثير الحركة، وكانت لي مساهمات مسرحية.

وكنت عضوا في جمعية ثقافية، أي أنني كنت نشيطا وحركيا، ولذلك بادرت لتأسيس هذه الإذاعة... إذ لا يمكن للإنسان إذا أراد الاستمرار على قيد الحياة، بشكل سوي أن يظل طول الوقت وعلى امتداد الشهور صامتا في زنزانة... فهذا شيء فظيع وغير محتمل، وأظن أن الذي يقبل به هو الذي ليس في حالة طبيعية.

س : وماذا عن ظروف المحاكمة؟

ج : لقد حوكمنا في مراكش، وأثناء نقلنا من السجن العسكري بالقنيطرة إلى سجن بولمهارز بمراكش عانينا من الآلام والمرارة ما لا أستطيع ذكره... لقد نقلنا في فاركونيات، وتم حشرنا فيها وكأننا بهائم، وقضينا مدة ثلاثة أيام قبل السماح لنا بالدخول إلى سجن بولمهارز، لقد كنا ننتظر مجيء قاضي التحقيق لكي نعرض على أنظاره...

س : وما هو الحكم الذي صدر في حقك؟

ج : دامت محاكمة مراكش الشهيرة، ما يعدل 3 أشهر أو أربعة أشهر، وما أظن أننا كنا نحن الذين نخضع للمحاكمة، ففي الواقع القاضي محمد اللعبي ووكلاء الملك هم من كانوا في ورطة، ففي الظروف العادية، وطبقا للقانون ينبغي أن يكون في كل محاكمة وكيل للملك واحد، لكن في حالتنا كان هناك عدو وكلاء للملك، وكان يدافع هنا محامون من طراز رفيع، على رأسهم الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، وعبد الكريم بنجلون، وامحمد بوستة، وعمر بنجلون، كما كانت محاكمتنا متابعة بالإضافة للصحافة الدولية من طرف الصحافة الوطنية والإذاعة والتلفزة، وجاءت لحضور المحاكمة ممثلة للحكومة المؤقتة للفيتنام من أجل مساندتنا، أما الحكم الذي صدر في حقي فكان هو البراءة لفائدة الشك، بعد أن كنت مرشحا للسجن المؤبد، فالاعتبارات السياسية لعبت لصالحنا.

علال الأزهر

كان جل المناضلين يؤمن بالكفاح المسلح وسيلة للتغيير

س : الأستاذ علال الأزهر، في أي يوم، وأي شهر، وأي سنة تم اعتقالك؟

ج : اعتقلت يوم الجمعة ليلا، أو السبت صباحا، أي في الواحدة إلا ثلثا بتاريخ 2 نوفمبر 1974.

س : ماذا كنت تفعل لحظة اعتقالك؟

ج : كنت نائما، ففي مساء ذلك اليوم كنت أنوي الذهاب عند أحد أقاربي تجنبا لاحتمال الوقوع في قبضة البوليس، حيث كنت أتوقع أنه سيهاجمنا في أي وقت، بعد مرور عدة أيام على اعتقال الكرفاتي، ولكنني تهاونت كشخص، كما تهاونا كتنظيم رغم تتبعنا للمستجدات المرتبطة باعتقال الكرفاتي، إلى أن تم اعتقالنا وكنت رفقة المرحوم عبد السلام المؤذن، والرفيق عبد العالي بنشقرون، وما زلت أتذكر عشاء تلك الليلة: البيض والطماطم، وبمجرد ما نمنا، أي في الغفوة الأولى، أيقظتنا دقات عنيفة على باب الشقة. قام الرفيق المؤذن بفتح الباب، فدخل البوليس بطريقته المعهودة شاهرا الأسلحة في وجوهنا محدثا حالة استنفار، فألقي القبض علينا نحن الثلاثة.

س : في أي مدينة كان اعتقالكم؟

ج : في مدينة الدار البيضاء، بحي كراج علال، في شقة توجد بعمارة رزق.

س : عندما كنت تفكر في الاختفاء عن أنظار البوليس أين كنت تود التوجه؟

ج : عند أختي بالحي المحمدي بالمدينة.

س : عندما يفكر الإنسان في الاختفاء عن أنظار البوليس هل يخطر على باله أن هناك إمكانية للاعتقال؟

ج : الهدف من الاختفاء هو تفويت الفرصة على البوليس لإلقاء القبض عليك فورا. لأنك كلما فوتت الفرصة على البوليس، كلما أعطيت لنفسك إمكانية الإفلات وحماية التنظيم. فالمسألة

لا تتعلق بالفرد وحده رغم أن هذا الهاجس موجود، ففي مواجهة أي محاولة لاعتقاله، يحاول الإفلات كلما استطاع لذلك سبيلا. والحكمة من عدم اعتقاله هي عدم تعرض التنظيم لحملات الاعتقال والتصفية.

س : خلفية سؤالي هي أن جهاز الأمن كان ربما مسيطرا على الوضع بشكل كبير، وكانت كل محاولة للاختفاء أو الفرار تبدو دون جدوى، فكيف يفكر الشخص المتابع في الفرار؟

ج : بالنسبة لمنظمة 23 مارس التي كنت عضوا فيها كانت هذه الإمكانية واردة، بخلاف إلى الأمام إلى حد ما، لأنها كانت تعتبر أنه يتعين عليها مواجهة النظام مواجهة مباشرة، وكانت قد أعدت كراسا عنوانه على ما أذكر: لنواجه القمع، في حين أن المسألة اختلفت بالنسبة ل 23 مارس، فالرفاق الذين توبعوا في سنة 1972 بعد اعتقال حرزني ورفاقه، لجأوا إلى الخارج، فأصبح هذا الطريق سالكا. فأي مناضل مهدد بالاعتقال وليس متابعا فحسب، بإمكانه أن يبحث له التنظيم عن وسيلة للجوء إلى الخارج، فحتى بعد اعتقالنا تمكن رفاق لنا آنذاك من اللجوء إلى الخارج..

س : تنظيم إلى الأمام حين رفع شعار "لنواجه القمع"، في رأيك كيف كان بوسعه ترجمة هذا الشعار إلى حيز الواقع، هل كان لديه الوسائل الكفيلة بمواجهة الآلة القمعية الجبارة؟

ج : الجانب الأساسي في الشعار كان هو شحن المناضل وتقوية الجانب الإرادي للمواجهة، باعتبار أن ذلك جزء من الإيمان بالثورة في مواجهة النظام/ العدو الطبقي، وكانت الفكرة السائدة في ذلك الوقت، وهي مأخوذة عن الحزب البلشفي، هي أن الحزب الثوري يبنى تحت نيران العدو.

س : أثناء اعتقالكم، كيف تعامل معكم البوليس مباشرة عقب الاعتقال؟

ج : كان هم البوليس الأساسي والمباشر هو انتزاع الاعترافات للقضاء على التنظيم قبل أن يأخذ الاحتياطات اللازمة للنجاة بجلده، فقد قادونا بعد أن قيدونا وعصبوا أعيننا إلى كوميسارية المعاريف وبدأوا باستنطاقي لأنني كنت عضوا في المكتب السياسي السابق، وعضو اللجنة الوطنية في نفس الوقت الذي التحق بها كل من بنشقرون والمؤذن.

كان لدى البوليس اعتقاد أنني أمتلك الكثير من المعلومات عن التنظيم. كانت لدي قناعة من خلال النقاش الذي كان يجري حول كراسة إلى الأمام: لنواجه القمع، فإذا كنت أعي جيدا حدود

القدرة البشرية، بوجه عام، أمام آلة القمع والتعذيب فأنا كنت مؤمنا بضرورة الالتزام بالحد الأدنى المطلوب لتفويت الفرصة على البوليس جهد المستطاع وخصوصا في الأيام الأولى للاعتقالات، وهذا ما عرضني لتعذيب شديد منذ البداية لمعرفة المقر التقني.

س : لماذا كان البوليس يريد أن يعرف بكل الوسائل المقر التقني؟

ج : لأنه كان مقرا لطباعة المناشير والمطبوعات الحزبية التي كانت أداة للعمل السياسي والتواصل بين الرفاق وعموم المواطنين، وكان يعنيهم أيضا أين يوجد أعضاء التنظيم ليعتقلوا أكبر عدد ممكن من المناضلين من أجل شل التنظيم والقضاء عليه.

س : ما هي مضامين المناشير التي كنتم توزعونها، على ماذا كانت تحث وتحرض؟

ج : كانت لدينا نشرة داخلية تناقش المواضيع التي تهم أفكار ونضال الحركة، وحدث في مرحلة من المراحل أي بعد 1973 أن اختلفنا مع تنظيم إلى الأمام، فأصبحنا ندعو للتراجع عن التحريض والتركيز على الطبقة العاملة بدل التلاميذ والطلبة، في حين كانت إلى الأمام تدعو للتحريض في إطار المجالات التي كانوا يتواجدون فيها. أما نحن فقد كنا ندعو للتركيز على العمل الداخلي نظرا لحملة القمع التي كانت سائدة، خصوصا بعد منع الاتحاد الوطني لطلبة المغرب والاعتقالات التي كانت تطال العديد من المناضلين.

كانت النشرة الداخلية تعالج هذه المواضيع، ثم بدأ الخلاف يدب حول قضية الصحراء، وكان الاتجاه العام داخل المنظمة يميل نحو موقف إلى الأمام الذي كان يدعو إلى تقرير مصير الشعب الصحراوي ووحدة الشعبين في ما بعد، ولقد عبر عن ذلك ابراهام السرفاتي في المحاكمة عندما هتف: تحيا الجمهورية الصحراوية والجمهورية المغربية.

س : ما قاله السرفاتي كان شعارات معلنة وكان اليسار الجديد المغربي يتبناها..

ج : أنا أتحدث عن سنة 1974 وكانت هي بداية النهاية للعمل الجماهيري في السرية. ولكن هذا كان في حدود، في وسط التلاميذ، حيث كانت النقابة الوطنية للتلاميذ والطلبة وبعض التنظيمات التي توزع المناشير..

س : هل كان هناك تجاوب من طرف عموم الشعب مع الشعارات التي كنتم ترفعونها؟

ج : يمكن للمرء أن يقول إنه كان هناك تجاوب باعتبار أن الأغلبية المطلقة من المواطنين كانت مسحوقة ومقموعة مما يعني أنها ستتعاطف مع كل من يندد بالوضعية المزرية التي تعيشها. ولكن التعاطف بالمعنى الذي يعني الاستعداد للعمل والمساندة بشكل ملموس، فلم يكن موجودا حتى بالنسبة للاتحاديين الذين فجروا الكفاح المسلح، فبالأحرى بالنسبة لنا.

لقد كان بعض التجاوب في حدود معينة، وهامة في بعض الأحيان بالنسبة للتلاميذ والطلبة، وهؤلاء بدأ تجاوبهم يتراجع ويتراخى أثناء حملات القمع التي شنت عليهم. ونفس الشيء ينطبق على حركة البصري ل 3 مارس 1973. لماذا هذه الحركة؟ لأنها كانت لها جذورها وأنصارها داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في ذلك الوقت. هل يمكن أن نقول إن عموم أفراد الشعب تعاونوا معها وقتها؟ إذا حدث ذلك، كيف حدث وأين تجلى؟ وإذا لم يحدث فلماذا؟ فالقضية لها علاقة باستعداد المجتمع ككل للانخراط في الحركة.

س : المناضل الذي يكون في عنفوان شبابه يحلم ويحمل آمال الجماهير الشعبية الكادحة ويلاحظ أن هذه الجماهير لا تتجاوب معه وقد لا تهتم أحيانا بما يقوله، وربما قد تعارضه فيما يدعو بصدق إليه. هذا الواقع ألا ينعكس بشكل سلبي على نضالية المناضل، أم أن إيمانه بقيمه يظل أقوى وأكبر من هذه المعيقات الموضوعية؟

ج : هناك عدة مستويات للإجابة على هذا السؤال، أولا هناك الثقافة بالأساس، فمؤسسا الاشتراكية العلمية ماركس وإنجلز كانا من طبقة بورجوازية، ولكن فكرهما قادهما إلى اختيار الموقف العلمي في زمنهما. وهكذا كان هناك رفاق في الحركة من أوساط بورجوازية، ورغم ذلك اختاروا الدفاع عن الطبقة العاملة وعن الشعب، وعن فكرة التقدم بوجه عام، وهناك أيضا جانب المنشأ، فأغلبية الذين انضموا إلى هذه الحركة كانوا من عائلات مسحوقة، فأنا مثلا ابن عائلة فلاحية فقيرة.

هذا مستوى أما المستوى الثاني، سواء في العالم العربي أو العالم الثالث فإن تحقيق الاشتراكية ومجتمع عادل يمكن أن تتحقق في المستقبل، ولا يمكن أن تتحقق بين عشية وضحاها، وكان النموذج الفيتنامي حاضرا بقوة، والمستوى الثالث يفيد بأن الفكر السياسي المغربي بشكل عام لم يعط أرضية للتشبع بالموضوعية، فالمجال كان مواتيا لانتشار الفكر الشعبي الشعبوي، وحتى وثيقة المؤتمر الاستثنائي

التي تعتبر تحولا تاريخيا في الفكر السياسي الاتحادي لم تكن واضحة بما فيه الكفاية، بالإضافة إلى أن مرحلة السبعينات كانت مرحلة نضال وقمع، وبطبيعة الحال خلال مواجهة القمع بالنضال فإن الفكر يصبح سلاحا للمقاومة. هذه العوامل المشتركة هي التي كانت تعطي للمناضل شحنة الحلم والتمسك بالأمل رغم المعيقات الموضوعية والصعوبات الذاتية التي أشرت إليها في سؤالك.

س : هذا التحليل للواقع بهذه الطريقة هل كان حاضرا في أذهانكم في السبعينات أم وصلتم إليه لاحقا؟

ج : ربما كان حاضرا، فالثقافة والمنشأ الاجتماعي كانا يدفعان الإنسان لكي يظل متمسكا بأفكاره، ثم إن الفكر الذي كان سائدا سياسيا لم يؤمن الأرضية الملائمة لتنمية فكر موضوعي. لقد كان القمع متتاليا وشرسا، ولذلك سأظل أعتبر أن هذه الفترة، أي بداية السبعينات كانت حاسمة في تاريخ المغرب، فلقد حدث فيها الكثير من التحولات على جميع المستويات، فتراكم الأحداث استمر أفقيا ثم انفجرت الأحداث عموديا كذلك.

س : ماذا تقصد بالتحولات التي نتجت عن هذه المرحلة؟

ج : أقصد بها مثلا بالنسبة للنظام، لقد مارس القمع سنة 1965، واعتقل العديد من المناضلين في سنة 1969 بعد اكتشافه لما اعتبره حركة مسلحة، ولكنه لم يأخذ العبرة، بل استمر في التحدي، وتجلى ذلك في دستور 1970 الذي شرعن السلطات المطلقة للملك. فكان الانقلاب الأول، عندها فقط حاول الملك مد الجسور والاقتراب من الكتلة، ولكن مع التفكير في ضرب الحركة الماركسية. غير أن التقارب مع الكتلة كان مصيره الفشل بسبب تشبث النظام بموقفه التقليدي.

هناك روايات متعددة حول فشل المفاوضات في ذلك الوقت. ولقد أدى الأمر إلى انقلاب 1972، وهكذا كان بالنسبة لشباب تلك المرحلة حيث أخذت تتملكه الفكرة الاشتراكية والماركسية اللينينية بما هي تجربة عالمية لها القدرة على المواجهة المستمرة بفعالية ضد النظام. إذن المرحلة شهدت تحولات كبيرة على مستوى النظام كما على مستوى الأحزاب.

س : الأحزاب الوطنية كانت في قطيعة مع النظام وفي صراع معه، هل أدى ذلك إلى حدوث هذه التحولات؟

ج : الاتجاه العام داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الاتحاد الاشتراكي اليوم، كان يتعاطف مع

الخط الجذري الذي هو بكل وضوح الكفاح المسلح من أجل تغيير النظام، وهو ما كنا نسعى لتحقيقه في المستقبل، فنحن في حركة 23 مارس، كنا نفكر في وقت من الأوقات في التحالف مع الفقيه البصري، وذلك في سنتي 1968 و1969، ولكننا حسمنا الموقف منه في سنة 1970. أقول هذا لأؤكد أن هذا هو الاتجاه العام الذي كان سائدا.

فمن منطلق الماركسية مرة أخرى، التي كنا نفكر من داخلها، اعتبرنا أن اتجاه الفقيه البصري اتجاه بلانكي له عقلية انقلابية، في حين كنا نريد نحن بناء حزب الطبقة العاملة والدعوة إلى الكفاح المسلح كعنف شعبي، بمعنى الاعتماد على حركة الجماهير الشعبية، سواء عن طريق انتفاضة جماهيرية كما حدث في روسيا، أو حرب تحرير شعبية كما وقع في الصين. المهم هو الاعتماد على الجماهير في إحداث التغيير وليس على أقلية تقوم بكل شيء وحدها. فوسيلة النضال بالكفاح المسلح، كان جل المناضلين في تلك المرحلة يؤمن بها.

س : الجميع كان يؤمن بالكفاح المسلح؟

ج : لا، أنا أتكلم عن الاتجاه العام، فالفقيه البصري مثلا كان رمزا في ذلك الوقت، وكان يعيد إنتاج الكفاح المسلح ضد المستعمر، كما أن النظام لم يترك للحركة السياسية أي مجال آخر للاشتغال في الميدان السياسي، ولم يقدم التنازلات الضرورية، ولعله هو أيضا كان تحت تأثير ضغوط ما، فمنذ 1960 مرورا ب 1965 على غشت 1972 كان الملك يعتمد على الجيش الذي كانت قيادته تتشكل أساسا من أناس خدموا الاستعمار الفرنسي، وكان لهؤلاء، وخصوصا أوفقير، موقف حاسم من الحركة الوطنية. فرئيس الدولة كان يعتمد على الجيش باعتباره هو الأداة للحفاظ على أمن الدولة الداخلي.

فالعمال كانوا من الجيش وكذلك وزير الداخلية، وكان الملك الحسن الثاني يثق ثقة عمياء في من يفوض لهم السلطة، ويصبحون تبعا لذلك أقوياء داخل جهاز الدولة. فالمفاوضات بين الكتلة الوطنية والدولة كانت جارية سنة 1972 عندما تدخل اوفقير واعترض على ذلك حسب بعض الروايات، ورواية أخرى تنسب السبب إلى عبدالله إبراهيم.

س : في معرض إشارتك إلى أنكم كنتم في 23 مارس تفكرون في جعل الفقيه البصري زعيما لكم، ثم حسمتم الأمر في تجاه الرفض سنة 1970، كيف فكرتم في جعل الفقيه البصري زعيما لكم،

وما الذي دفعكم لتغيير هذا الرأي بصرف النظر عن البلانكية؟

ج : في تنظيم 23 مارس، أو بالأصح في حلقة فاس التي استمر أعضاؤها في قيادة المنظمة والحزب الاشتراكي الديمقراطي، كنا نواجه إشكالية أننا شباب غير معروف على الصعيد الوطني، ولدينا أفكار نعتبرها صحيحة وسديدة، ولكننا كنا نعتقد أن هذه المعطيات لوحدها غير كافية لالتفاف الجماهير المغربية حول قضيتنا في ظل واقع أن الشعب المغربي يؤمن بالرموز، أي القيادة التي تملك شرعية وطنية متواصلة من نضالها ضد المستعمر.. نحن في ذلك الوقت لم نكن مؤهلين للقيام بهذا الدور على الصعيد الوطني..

ولذلك قلنا لنفسنا نريد خوض كفاح مسلح، والبصري يسعى إلى نفس الهدف، فقررنا أن نتناقش معه في الأمر، وسافر الحسين كوار للالتقاء به في فرنسا، ولكنه لم يكتف بالالتقاء به، بل تدرب على حمل السلاح، ولما عاد أخفى عن جلنا أنه تدرب على حمل السلاح في سوريا، واكتفى بالقول إنه التقى بالبصري وتناقشا في الأمر، وفي اعتقالات سنة 1969 اعتقل الحسين كوار مع الاتحاديين الذين اعتقلوا في تلك الفترة رغم أنه كان معنا في الحلقة التي كانت نواة تأسيس منظمة 23 مارس.

وعندما بدأت تتضح فكرة إنشاء حزب ثوري بروليتاري من خلال العمل على توحيد الحلقات الماركسية التي كانت تسعى إلى ذلك (حلقة فاس، وحلقة حرزني، وحلقة أسيدون) لم يعد واردا اسم الفقيه البصري كزعيم لنا، ففي سنة 1972 تعرضت حركة 23 مارس لاعتقالات، ولجأ مجموعة من الرفاق إلى فرنسا، وهناك تم الالتقاء بمحمد بنسعيد، وكان قد اختلف مع الفقيه البصري لأسباب لا أعرفها بالتدقيق، وكان يملك الشرعية الوطنية وتم ترشيحه ليقوم بهذا الدور في قيادة المنظمة.

س : لنعد إلى لحظة الاعتقال، بعد اعتقالكم إلي أين تم اقتيادكم أنتم الثلاثة؟

ج : قضينا يومين كاملين في الكوميسارية، ثم نقلونا إلى درب مولاي الشريف الذي قضيت فيه مدة تمتد من 5 نوفمبر 1974 إلي 15 يناير 1976، حوالي سنة وثلاثة أشهر، كان معنا رفاق آخرون أحيلوا على وكيل الملك في 20 غشت 1975، أما نحن مجموعة 26 الذين كان من بينهم ابراهام السرفاتي، فقد احتفظ بنا في درب مولاي الشريف إلى حدود 15 يناير 1976.

س : بماذا يكون المعتقل مطالبا خلال هذه المدة الطويلة التي يقضيها في درب مولاي الشريف؟

ج : يخضع أولا للاستنطاق، فدرب مولاي الشريف عبارة عن عمارة منقسمة في طابقها السفلي إلى جناحين أو جهتين، جناح للاستنطاق وجناح للإقامة، ويكون المعتقلون معصوبي الأعين ومقيدي الأيدي وممددين فوق لحاف على الأرض، ويقضون الليل والنهار هكذا ينتظرون.

من أراد أن يذهب إلى المرحاض لقضاء حاجته فعليه أن يطلب الإذن من الحراس، و الجواب يكون حسب مزاج الحراس، فمنهم من يوافق ومنهم من يتلذذ بالرفض. فترة درب مولاي الشريف كلها مرت بهذا الشكل: التعذيب، أو التهديد بالتعذيب، والاستنطاق، والإقامة تحت رحمة أفراد السيمي. فالزمن ليس له أي قيمة في هذا المكان، فالإنسان في حالة انتظار دائم أو يأس ممل.

س : و هل كانت أسركم على علم بأنكم اعتقلتم؟

ج : بالنسبة لي فقد اختفيت في نظر أسرتي منذ 9 مارس 1973، إلى أن اعتقلت في 2 نوفمبر 1974، لذلك فاختفائي بالنسبة للأسرة قد حدث في فترة سابقة قبل اعتقالي.

وعلى العموم، كانت الأسر تعلم من خلال التسريبات التي كانت تصلها بطريقة أو بأخرى، بأن السلطة لم تكن تعترف بوجود معتقل سري اسمه درب مولاي الشريف، وذلك لاعتبارات بوليسية. وظل الوضع علي هذا الحال إلى أن أحلنا على السجن المدني باغبيلة حيث شرعنا في مسيرة أخرى، فلقد أحلنا على قاضي التحقيق بعد أن تم عرضنا علي وكيل الملك.

س : ما هي التهم التي كانت موجهة إليكم؟

ج : كانت التهمة الموجهة إلينا تهمة مشتركة وعامة، موجهة إلي التنظيمين معا، إلى الأمام و23 مارس، في حين أن الأحكام كانت متفاوتة حسب المسؤولية في القيادة الوطنية أو المحلية، وكانت التهمة هي: الاعتداء والمؤامرة التي كان الغرض منهما القضاء علي النظام وإقامة نظام آخر مكانه، وتدبير المؤامرة للمس بسلامة الدولة الداخلية وتأسيس جمعيات بصفة غير قانونية بالنسبة للجميع.

س : هل كنتم تعترفون بهذه التهم أم كنتم تنفونها؟

ج : طبعا التهم، من الناحية القانونية وليس السياسية، كانت غير صحيحة، أين هو الاعتداء؟ وأين هي المؤامرة؟ في تجربة الحركة الماركسية اللينينية، صحيح كانت هناك جمعيات سرية وهذه (جريمة) عقوبتها

ربما لا تتجاوز ثلاث سنوات على ما أذكر، هي آراء وأفكار ومنشورات تتضمن كأهداف استراتيجية بعيدة، تحقيق التصور الماركسي للدولة والمجتمع، ورغم الاعتدال الذي ميز مواقف أصحاب الصحراء مغربية، فإن الشرطة القضائية والمحكمة برئاسة السيد أفزاز، عاملا جميع المعتقلين، كأنهم في منظمة واحدة يقودها ابراهام السرفاتي الذي قال أمام المحكمة: عاشت الجمهورية الصحراوية عاشت الجمهورية المغربية.

س : مثل هذا القول ألم يكن يخلق أي مشكل لكم أنتم الذين كنتم تحاكمون معه، لأنه كان قولا كفيلا بتأزيم وضعيتكم أثناء المحاكمة؟

ج : هذا الأمر يعود لموقف النظام وموقف السرفاتي، من جهة أخرى فإن عقلية النظام التقليدي لم تكن تتعامل مع الأفكار والآراء، كانت تتعامل مع الأشخاص بعقلية أبوية، فالسرفاتي هو القائد ومن معه مجرد أتباع، سواء أكان موقفهم من الصحراء يختلف معه أم لا؟ و كان أيضا موقف السرفاتي في الاتجاه النقيض، فالرأي الذي كان السرفاتي يقتنع به، ينبغي أن يكون الجميع مقتنعا به، فلم يفكر في أصحاب رأي الصحراء مغربية، بل اعتبرهم مجرد منهزمين!! إذن فالنظام كان في اعتقاده يربي أبناء عاقين في لحظة غضب، فأنزل عليهم عقوبات قاسية، والسرفاتي كان من وجهة نظر النظام يمثل هؤلاء العاقين، ويقودهم فكريا، ولذلك لم يعترف النظام بمن يختلف مع السرفاتي.

س : ألم يكن الأمر يتضمن رسالة مفادها أن النظام يمكن أن يتساهل في كل شيء، ما عدا في قضية الصحراء؟

ج : لا أعتقد ذلك، لو كان الأمر على هذا النحو، لميز بين من لهم موقف مع مغربية الصحراء، ومن يساند موقف تقرير المصير، بل كان النظام سنة 1977 ما زال يتوهم أن النزاع حول الصحراء سيكون قصير الأمد، ومن جهة أخرى، فإن مسلسل الهامش الديمقراطي الذي سينطلق سيهمش الحركة، وليس معنى هذا انه كان يستهين بالسرفاتي ومن معه، فيما يخص قضية الصحراء، ولكنه أغفلها في صك الاتهام، لأن من شأن ذلك أن يؤدي إلي تكييف آخر للتهمة، وركز في دعايته على الإلحاد والمؤسسات، وقيادة السرفاتي للحركة بالذات.

س : ما هي المدة التي حكم عليك بها؟

ج : 30 سنة سجنا نافذا، قضيت منها في السجن المركزي بالقنيطرة حوالي 15 سنة، من 2 نوفمبر 1974 إلى 7ماي 1989.

س : هل كنت تتوقع أنك ستقضي هذه المدة كلها في السجن؟

ج : أعتقد أن كل إنسان لم يسبق له أن خبر الاعتقال من قبل، من الصعب عليه أن يتصور منذ البداية، وحتى بعد مرور بعض الوقت، أنه سيقضي كل هذه المدة داخل السجن، غير أن التكيف مع الأمر الواقع المفروض شيئا فشيئا يجعل المرء يعتاد علي الحياة الجديدة، ويواجه مصيره بنوع من الاستسلام والتحدي أحيانا لأن الرفاق الآخرين، السرفاتي ومن معه سياسيا، كانوا ينظرون إلي موقفنا من الصحراء، وموقف القوى الديمقراطية منها بنوع من التشكيك في مدى مصداقيته كموقف وطني مبدئي، وليس موقفا لمجرد التقرب من الجهات السلطوية ، علما بأن موقفنا من الصحراء كان متخذا قبل الاعتقال. ورغم ذلك صدرت أحكام ضدنا بثلاثين سنة و20 سنة و10 سنوات، وقلة قليلة حكم عليها بخمس سنوات.

س : لماذا الاختلاف في الأحكام، ما هو الأساس الذي تم الاستناد إليه في إصدار أحكام بشكل تختلف من مجموعة لأخرى؟

ج : صدرت الأحكام استنادا إلي طبيعة المسؤولية القيادية في التنظيم إلى حد ما، فالسرفاتي ومن معه في قيادة إلى الأمام حكم عليهم بالسجن المؤبد، في حين صدرت أحكام 30سنة في حق أعضاء القيادة في منظمة 23مارس، وما تبقى من قيادة إلى الأمام، وأحكام تتراوح بين 20 سنة و10سنوات و5 سنوات في حق باقي الأطر والمناضلين داخل التنظيمين.

ويمكن التأكيد مرة أخرى على أن عقلية النظام التقليدية ذات المنحى البطريركي الأبوي في العلاقات السياسية قد أثرت في الأحكام والمعاملة، فبالإمكان إجراء مقارنة بين المغرب وتونس لتوضيح الفرق في العقلية: فنفس الحركة الماركسية – اللينينية التي كانت وقتها في تونس، وتم اعتقال أعضائها في عهد بورقيبة سنة 1973 لم تتجاوز الأحكام التي صدرت في حق أعضاء القيادة 3 سنوات سجنا نافذا.

س : مع ذلك فإن الملاحظ هو وجود سكوت شبه متفق عليه حول هذه الفترة التاريخية التي عاشها الغرب، فالحديث عن تاريخنا الحديث وبالتحديد منذ الاستقلال إلي اليوم، يتم علي أساس انه كان كله تراض وتوافق، وأن الصراع الذي كان لم يتجاوز حدود بعض المناوشات البسيطة التي كان يقع التغلب عليها في إطار أرحب، هذا السكوت عن هذه المرحلة من تاريخ المغرب كيف، وبماذا يمكن تفسيره؟

ج : قد يكون التفسير لدى ذوي الاختصاص من المؤرخين، ورغم أنني لست من هؤلاء، إلا أنه يمكن القول بأن التاريخ السابق، أي الماضي، نفكر فيه دائما بالحاضر الذي نحياه، فحتى لو كان المرء مؤرخا محايدا وأكاديميا ولا علاقة له بالسياسة المباشرة، فإنه يفكر في الماضي بالحاضر، سواء من حيث المنهج أو الوثائق المتوفرة لديه، أو من خلال مستوى التطور الذي بلغه المجتمع الذي يعيش فيه.

س : والثقافة التي تكون سائدة.

ج : نعم والثقافة السائدة أيضا. أما إذا كنت تمارس العمل السياسي، فالمسألة تصبح أكثر تعقيدا والتباسا، لان أي موقف معين من حدث معين، ما زالت امتداداته قائمة، يكون له تأثير مباشر أو غير مباشر علي الصراع الراهن والموقع الراهن. ولذلك فإن إعداد الشروط الموضوعية للقيام بتقييم علمي وموضوعي لهذه المرحلة، أو أية مرحلة مازالت لها امتدادات، يتطلب تطوير مرحلة التوافق السياسي والتقدم خطوات نحو التناوب الديمقراطي الذي سيمكن من إعادة هيكلة الفكر والمشهد السياسي في البلاد.

فهذا التطور العام والمتقدم هو الذي سيسمح بتجاوز الكثير من الحساسيات وإعادة قراءة الماضي بطريقة عقلانية، فما زال هناك من يحاول قراءة التاريخ وفق الطريقة التي قد تضفي على موقفه أو موقعه نوعا من الشرعية. فعندما يصبح الحاضر هو الأهم الذي يضفي على الموقف أو الفكرة الشرعية المنطقية والعقلية، والتاريخ مجرد درس للقراءة والعبرة، عندها فقط، يصبح التاريخ أو الماضي يندرج ضمن دائرة العقلنة وقابلا للفهم الموضوعي.

س : هل يتعذر في المرحلة الراهنة أن تكون لنا قراءة موضوعية وعلمية للتاريخ تتجاوز التجاذب السياسي القائم حاليا حول قراءته، بعيدا عن التوظيف السياسي لمد الأجيال الحاضرة بوقائعه الموضوعية؟

ج : سأعيد التأكيد علي ما قلته سابقا، ولكن بطريقة أخرى، أية قراءة للوضع السياسي الراهن تبين لك أن هناك من يساند التوافق السياسي القائم ويسنده، وهناك من هو ضده، وهو حدث كبير من الأحداث الفاصلة في التاريخ، كل معسكر يقرأ التاريخ بطريقته الخاصة، بالطريقة التي تسند رأيه، وحتى داخل المعسكر الواحد، وخصوصا اليساري الذي أنتمي إليه، تجد من يزور الوقائع والأحداث لحساب ذاتي وأناني، وليس لحساب سياسي أحيانا. وهذا من أكثر الوسائل ابتذالا لتقييم الأحداث والوقائع.

حدث التوافق السياسي الذي وقع في المغرب قلص إمكانية التطرف في الأحكام والمواقف، لأنه اعتبر مدخلا سياسيا هاما للمصالحة الوطنية والاعتراف بالرأي الآخر، وإيجاد الحدود الدنيا لاقتحام ميدان التقدم، انه شئنا أو أبينا، درس بليغ في الاعتراف بالخطأ التاريخي بطريقة ما ومحاولة للتصحيح، وهذا الحدث أطلق العنان لمراجعة ماضي التجربة السياسية الرسمية، حتى لا أقول اليمينية واليسارية، سواء أكانت التجربة ماركسية أو اشتراكية ديمقراطية، ولو بشكل خجول. وفي هذا الإطار يمكن إدراج مذكرات عبد الهادي بوطالب من جهة، ومذكرات السرفاتي من جهة أخرى، وشروع كثير من العقلاء في هذا المعسكر أو ذاك في القيام بنقد ذاتي على الطريقة العلمية، وليس على الطريقة الكنسية العتيقة، أو الكيدية، فهناك من بدأ ينقب في جحور الماضي، ليس من أجل الاقتراب من حقيقة الوقائع والأحداث، ولكن من أجل الطعن في التجربة السياسية الراهنة.

فكلما تم التمييز بشكل موضوعي وواع بين الثابت والمتحول في الوجود والصراع الوطنيين، كلما نمت عناصر القراءة الموضوعية للتاريخ، فالثابت هو الوطن وتقدم الوطن والشعب المغربيين، والمتغير هو الاختلاف، وبين الثابت والمتحول ينبغي أن نتعود على رسم الحدود الدنيا حول المتغير والاتفاق الكلي حول الثابت، وهذا النوع من الثقافة سوف يترسخ أكثر في المستقبل، وذلك مع ترسيخ شروط الانتقال من التوافق السياسي إلى التناوب الديمقراطي.

س : هذا يعني أنه بقدر ما سيستمر السؤال مطروحا حول الحاضر، بقدر ما سيستمر مطروحا كذلك حول الماضي والقراءة التي تترتب عن ذلك، وعلى الجيل الحالي الانتظار لكي يأتي الوقت الملائم للإطلاع على تاريخ بلاده؟

ج : في الحقيقة الحاضر دائما هو الموجود، هو قوام الصراع والخلاف... أما الماضي فقد يصبح مجرد ثقافة، والمستقبل تطلع، في حين يبقى الحاضر المعاش هو الموجود الملموس والقائم، والذي يريد

أن يتحدث عن الماضي بنبرة محايدة يتعين عليه أن يبني الحاضر على أسس متينة، لكي يمكن الأجيال المقبلة من الإطلاع على ماض أكثر قربا من الحقيقة التاريخية ويخدم التقدم في الحاضر والمستقبل.

س : بعد مرور هذه الفترة الزمنية علي خروجك من السجن، وبعد التعذيب والحرمان من الحرية وما تعرضت له من اضطهاد في مرحلة من مراحل عمرك، ألا تجد للدولة التي قامت بكل هذا القمع ضدك، بعض المبررات، لكونها أقدمت علي ما أقدمت عليه ضدك؟

ج : إذا فهمت السؤال، يمكن أن أقول إن أغلبية الذين كانوا في الحركة الماركسية اللينينية، كانوا قد اختاروا في وقت من الأوقات اختيارا معينا، وكان اختيارهم يحتمل التعرض لكل الإجراءات القمعية التي قد يقدم عليها النظام ضدهم، وكان الجميع يؤمن بالكفاح المسلح أو حرب التحرير الشعبية، وبالتالي فهو على استعداد للاستشهاد في ساحة الحرب، ولذلك فإن الاعتقال والاضطهاد من طرف النظام يعتبر من هذه الزاوية عاديا وطبيعيا.

ولكن من زاوية أخرى، وفي إطار فضح طبيعة النظام القمعية واللادمقراطية، حتى بالمقارنة مع نظام كالنظام التونسي، كما سبق القول، تشعر بأن النظام المغربي كان أكثر قمعا وقسوة خصوصا من خلال مدد الأحكام التي صدرت ضدنا، كانت عقوبة من أجل العقوبة، ولم تكن عقوبة تستند إلى الأفعال وبناء على سلوك سياسي معقول، وعدم التمييز بين الذين كانوا يدافعون عن مغربية الصحراء ومن كان لهم موقف آخر، هؤلاء الذين كانوا يميزون بين الاثنين، وليس معنى هذا أني أبرر الاضطهاد الذي مورس على الذين كانوا يدافعون عن حق تقرير المصير للشعب الصحراوي، فهم كانوا قد اختاروا أيضا اختيارهم، وكانوا مستعدين لتقبل نتائج اختيارهم هذا.

س : باعتبارك واحدا ممن تعرضوا للاضطهاد، وقضيت ما يربو على 15 سنة وراء القضبان وتعرضت للتعذيب، انطلاقا من ماضيك هذا، ما هو تصورك للصيغة التي يتعين اتباعها لطي ملف الاعتقال والاختطاف السياسي في المغرب؟.

ج : يتعين في رأيي أن ننطلق من أن المبدأ الجوهري والأساسي الذي ينبغي أن يتحكم في سلوكنا السياسي في المرحلة الراهنة ببلادنا، هو التوافق لضمان الانتقال إلى المرحلة التالية التي هي التناوب الديمقراطي، والتوافق يتم أساسا حول القضايا الشائكة بين القوتين الرئيسيتين في البلاد، وأعني بهما المؤسسة الملكية والقوى الديمقراطية، وعلى رأسها الاتحاد الاشتراكي. التوافق ضروري وجوهري، لأنه

في البلدان التي وقع فيها طي الملفات المشابهة لم تكن في حاجة إلي توافق، أو كانت في حاجة إليه بطريقة مختلفة، ففي الشيلي مثلا أصبح النظام السابق كله موضع اتهام ومساءلة، وكذلك الأمر في الأرجنتين، أما في جنوب إفريقيا فقد أخذ التغيير طابعه الخاص ، في حين لم يحدث أي شيء من هذا القبيل في بلادنا. لذلك، أعتبر أن التوافق هو الوسيلة الوحيدة لطي هذا الملف أو على الأقل تحقيق شروط طيه، دون إحداث انتكاسة لمسيرة الانتقال الديمقراطي، وهي الأهم والضمان لعدم تكرار ما حدث. هذه هي الإمكانية الوحيدة المتاحة لحد الآن في المغرب لطي هذا الملف. ففي المجتمع المغربي عوامل الاضطراب والانشقاق كامنة، فيكفي أن نذكر بعض الاتجاهات الأصولية، وبعض الاتجاهات الأمازيغية المتطرفة، هذا فضلا عن قضية الصحراء، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الصعبة. لهذه الاعتبارات أظن أن طي هذا الملف لا يمكن أن يتم إلا بالتوافق الذي يساعد على التقدم وليس العكس، لأن المساءلة، من حيث المبدأ، ينبغي أن تمتد إلى النظام السابق ككل وخصوصيتنا لم تؤد بنا إلي وضع كهذا، ولا يمكن من الناحية الأخلاقية أن أقوم بعزل بعض الأفراد الذين كانوا ينفذون الأوامر وأن ألبسهم التهمة كاملة. والحد الأدنى المقبول الآن، في رأيي، هو تقديم اعتذار رسمي من قبل الدولة وإن كان الاهتمام بطي الملف هو بمثابة اعتذار عملي وتعويض الضحايا ماديا ومعنويا، وفيما يخص المحاسبة فيمكن أن يكون فيها توافق . أشعر أحيانا وكأن المواقف الأخرى التي تريد محاسبة المنفذين وحسب ، وتسقط الموقف السياسي من التوافق السياسي القائم علي ملف الاعتقال ليست موفقة. فعندما تصبح المؤسسة الملكية بسلطات واضحة ومحددة دستوريا من الناحية التنفيذية، وفوق الجميع من الناحية الروحية والرمزية، ويكون لنا برلمان يعكس الخريطة السياسية الحقيقية للبلاد بدون تزوير أو تلاعب، وتكون الحكومة ذات صلاحيات أقوى ومنبثقة من هذا البرلمان، وتصبح الثقافة الديمقراطية سائدة، آنذاك يمكن الحديث عن المساءلة والمحاسبة والديمقراطية بدون توافق.

س : لا يمكن بناء المستقبل في استقلال تام عن الحاضر والماضي، ولا يمكن إحداث قطيعة بين المراحل التاريخية للمجتمع، فالتخوف قائم من أن تكون لمرحلة ما يسمى حاليا بالانتقال الديمقراطي امتدادات في المستقبل، بحيث نؤسس خلالها لتقاليد قد تضر بإمكانية تجاوزها مستقبلا، بعبارة أوضح، قد تصبح هذه المرحلة لحظة يترسخ فيها مبدأ الإفلات من العقاب والمحاسبة.

ج : من حيث المبدأ لست مع الإفلات من العقاب، فأنا مع المحاسبة والعقاب، ولكن في الشروط التي تسمح بتحقيقهما، فأنا لا أريد الرجوع إلى الوراء وإلى أخطاء الماضي، فمن بين تلك الأخطاء

التشبث بموقف معين دون أن نعير أي اعتبار للآخرين ولتطورات المجتمع، وأن نظل أسرى له، لذلك أقول، إذا كانت شروط العقاب السياسية متوفرة، وتسمح بتطبيقه بشكل عادل لا يميز بين صاحب القرار والمنفذ، ومن غير أي إخلال بالسير العادي للمؤسسات، فأهلا وسهلا ومرحبا به. ولكن إذا كانت هذه الشروط منعدمة، وإذا كنتُ أدعو للعقاب لمجرد إرضاء نفسي، فأعتقد أن سلوكا من هذا القبيل قد انتهى سياسيا، فمواقف سياسية من هذا النوع انتهت، ولم يعد هناك مجال لممارستها. فالتفكير ينبغي أن ينصب حول المصلحة العامة للبلاد ككل، والوسائل والسبل التي تسمح بالتقدم، فأنا من المتضررين، ولاعتبارات تخصني لا أمانع في أن يعاقب الذين اعتدوا علي في جسدي وفي حريتي، ولكن إذا كان ذلك سيتم على حساب المصلحة العليا للبلاد ككل، فأنا أفضل أن أتخلى عن محاسبتهم، إلى أن تتوفر شروط تحقيق ذلك سياسيا، ومن هنا ينبغي التوافق حول كيفية طي هذه الصفحة، فبالإمكان مثلا إعفاء بعض المسؤولين من مناصبهم، رغم أن ذلك قد يتضمن نوعا من الغبن ضد بعض المسؤولين الذين كانوا مجرد منفذين في وضع معين كان سائدا في البلاد.

س : هؤلاء المسئولون لم يكونوا مجرد منفذين، لقد كانوا حاكمين واستفادوا ماديا واجتماعيا واحتكروا ثروة البلاد لأنفسهم ولذويهم، وحرموا منها الأغلبية المطلقة من أبناء الشعب، فالمسؤولية تقع عليهم هم كذلك فيما عاشه المغرب من مآس، لأنهم كانوا بالأساس يدافعون عن مصالحهم وامتيازاتهم الطبقية؟

ج : أكيد هناك مسئولة جماعية، إذ يوجد هؤلاء الذين نعرفهم ونتحدث عنهم، ويوجد آخرون نعرفهم، ولكن لا أحد يتكلم عنهم، وإذا أردنا أن نحاسب ونحاكم، فيتعين علينا لكي نكون عادلين ومنطقيين مع أنفسنا، أن نحاكم الجميع، لكن هل الشروط العامة التي تعيشها البلاد تسمح بذلك، طبعا الجواب هو لا، ولهذا أقولها من جديد، ليس لنا من مفر لطي هذا الملف سوى التوافق فيما بيننا على الصيغة التي ينبغي أن يطوى بها، فهذا هو السبيل الوحيد الممكن والكفيل في رأيي بتجنب البلاد الارتداد إلى الوراء.

عبد الله بوهلال

لما أفرج عني انتابني شعور بأن صاحب الدكان رجل أمن متخف في دكانه

س : الأخ عبد الله بوهلال نود أن نفتتح معك هذا الحوار حول تجربة الاعتقال السياسي التي عشتها بالسؤال حول ظروف ولحظة اعتقالك فما هو اليوم والشهر والسنة التي تم اعتقالك فيها؟

ج : الاعتقال السياسي الأول، الذي كان إلى حد ما طويلا بالمقارنة مع الاعتقالات المتعددة التي تعرضت لها بسبب مشاركتي في المظاهرات وفي الأنشطة الحزبية، هذا الاعتقال كان يوم 16 يوليوز 1963 ، وذلك حوالي الساعة 10 صباحا.

س : ماذا كان عملك في الوقت الذي اعتقلت فيه؟

ج : كنت متفرغا للعمل الحزبي في المنطقة التي كنت أقطن فيها والتي كانت تمتد من بلفدير وروش نوار إلى سيدي مومن، وطبعا في مدينة الدار البيضاء، وكنت مسؤولا عن مجموعة من الأنشطة الحزبية، كما كان يقوم بذلك مجموعة من إخوتي مثل الشهيد عمر بنجلون والمرحوم عمر المسفيلي، والأستاذ بلقاضي رحمه الله، وكنت في نفس الوقت أشتغل في التعليم الحر.

س : هل كنت مناضلا من ضمن مناضلي القاعدة الاتحادية أم كانت لك مسؤولية حزبية؟

ج : كنت كاتبا للفرع بهذه المنطقة التي أشرت إليها، لقد كنت مسؤولا رفقة مناضل آخر توفي مؤخرا رحمه الله واسمه عبد الرحمان بن الطيب، وكانت في هذه الدائرة أحياء عمالية ومعامل مثل كوزيمار وشركة لوسيور، كما كانت فيها دور للصفيح وأحياء شعبية، وكنا نبني خلايا حزبية في هذه الأحياء، ونعقد اجتماعات دورية للمناضلين، ونناقش خلالها مستجدات الأوضاع بالمغرب وعلى مستوى الحزب، وكان من جملة من ساهموا في تأطير هذه المنطقة الشهيد عمر بنجلون رحمه الله.

س : كان الشهيد عمر بنجلون في الدار البيضاء في بداية الستينيات؟

ج : نعم كان يشتغل في البريد، وكان مديرا للمركز الجهوي للبريد بالدار البيضاء، إذ حينما عاد من فرنسا بعد إنهائه دراسته الجامعية، حصل على وظيفة بالبريد.

س : رغم أن عمر بنجلون كان مديرا لمركز جهوي للبريد، وكانت له مكانة اجتماعية راقية، مع ذلك، فضل الانتماء للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، للنضال مع الفقراء وأبناء الطبقة المسحوقة؟

ج : بالرغم من مركزه الاجتماعي الذي يمكن اعتباره بمقاييس تلك الفترة مركزا مرموقا، كان المرحوم عمر يجتمع بالمناضلين من أبناء الأحياء الشعبية، وأبناء دور الصفيح، وكان يخالطهم ويحاورهم في كل الأوقات والفصول. فنحن نعرف كيف تكون أزقة هذه الأحياء في فصول الشتاء، وكان عمر رحمه الله يقتحمها ويتجول فيها، ويلتقي بالمناضلين في كل مكان مخصص للقاءات ولعقد الاجتماعات. قد كان يملك سيارة صغيرة يتنقل بواسطتها بين الأحياء والمدن للأغراض الحزبية.

س : كان وقتها متزوجا؟

ج : كان ما زال أعزبا، وكان بقدر ما يهتم بعمله الإداري، يهتم أيضا بالعمل النضالي.

س : كيف كانت العلاقات الإنسانية بين المناضلين في هذه الفترة، هل كانت علاقات صداقة وأخوة ومحبة وإخلاص، أم كانت تشوبها الذاتيات والحزازات وأحيانا المقالب كما نلاحظ في الوقت الراهن؟

ج : الفترة التي أتحدث عنها ليست لها أي صلة على مستوى نوعية وطبيعة العلاقات بين المناضلين بالفترة التي أعيشها اليوم، وهذا يؤلم، فبقدر ما كان المناضلون يشتغلون بصمت وبنكران ذات، ومن غير تسابق أو حب للظهور وللوصول بسرعة، بقدر ما أصبحوا اليوم يتصرفون وكلهم حزازات، وضغائن لبعضهم البعض، وترويج للإشاعات الكاذبة والمغرضة لهذا ضد ذاك. فهذا المستوى من الممارسات لم أعهده من قبل منذ أن انخرطت في الحزب وأنا شاب، لقد كانت العلاقات بين المناضلين كلها محبة وأخوة وتعاون وتضحية، للأسف هذه القيم بدأت تتلاشى وتضمحل اليوم.

س : هل كان من السهل على الإنسان أن يكون مناضلا اتحاديا في هذه المرحلة؟

ج : لا، لم يكن باب الانخراط في الحزب مشرعا لكل من يريد الدخول إليه، كان مطالبا بالمرور

من عدة مراحل، كان المرشح للانخراط في الحزب يتدرج عبر عدة مراحل ويخضع للمراقبة، ويتكلف مناضلون آخرون بمعرفة مقر سكناه، وعلاقته بسكان الحي، وسمعته في حيه، وبعد الحصول على التزكية ينخرط في حلقة المتعاطفين ضمن 3 أو 4 اتحاديين لهم أقدمية لكي يخضع للتأطير والمراقبة قبل الحصول على العضوية الكاملة. لم يكن الانخراط في الاتحاد يتأتى إلا لمن يتم التأكد بأن دافعه للانخراط في الحزب هو خدمة الشعب، وليس الوصول لمآرب أخرى وفقا لطموحات لا علاقة لها ببرنامج الاتحاد، لم تكن الأمور كما هي عليه اليوم.

س : ما هي الشروط التي كان من اللازم توفرها في الشخص الذي يريد الانخراط في الاتحاد؟

ج : الإيمان القوي بمبادئ الاتحاد، والشجاعة التي تمكنه من الانخراط في الاتحاد، لم يكن بإمكان العديد من الموظفين حمل جريدة التحرير خوفا من القمع الذي كان مسلطا على الناس، فالذي كان قادرا على المجابهة وتحمل تبعات الانتماء للحزب هو الذي كان يسعى للانخراط فيه.

س : في اللحظة التي ألقي عليك فيها القبض ماذا كنت تفعل؟

ج : كنت قد غادرت السجن المدني للدار البيضاء بعد 10 أيام من الاعتقال بحكم صادر بالبراءة لفائدتي، وبمجرد وصولي إلى المنزل اتصل بي أحد الإخوان وحذرني من الذهاب إلى الكتابة العامة، أي المقر المركزي للحزب الذي كان مطوقا وألقي القبض فيه على عدد من المناضلين كانوا مجتمعين به، وفي هذه اللحظة تم إنشاء لجنة في الدار البيضاء لكي تقوم بإنجاز المهام التي كان مكلفا بإنجازها الإخوان الذين تم اعتقالهم من المقر المركزي. ولقد طبع منشور، وتقرر توزيعه لفضح المؤامرة المدبرة ضد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

وحصلت على نصيبي من المنشورات لكي أوزعها في المنطقة التي كنت أشرف عليها تنظيميا، وعقدت اجتماعا بمنزلي ضم إخوانا آخرين من بينهم إبراهيم الحلاوي رحمه الله الذي كان وقتها صهري أي زوج أختي، والحسين حلوم، وعبد الرحمان بن الطيب، وبوحمو، وكان الهدف من الاجتماع هو تحديد المهام فيما بيننا لتوزيع المنشور الذي كان بحوزتي، من أجل فضح ما تعرض له الاتحاد. بعد الانتهاء من الاجتماع وقف الحلاوي وخاطبني قائلا: بوهلال إذا كنت على استعداد للدخول إلى لسجن بسبب توزيع هذا المنشور فقط، فأنا لست مستعدا لذلك، فإذا كنت سأسجن ينبغي أن يتم ذلك بسبب فعل أهم من توزيع منشور.

س : قال هذه الجملة وانصرف؟

ج : نعم قالها وانصرف وبقيت تلك الكمية من المنشورات لدي، وفي الغد وضعتها في قفة تحت ثياب متسخة ثم امتطيت دراجة نارية من نوع سوليكس كان قد سلمني إياها المرحوم إبراهيم الباعمراني، الأستاذ المحامي، لكي أتنقل بواسطتها في المنطقة التي كنت أشرف عليها تنظيميا، وخرجت متجها عند أحد أصهاري الذي كان يشتغل حارسا في مرآب. وبمجرد اقترابي من المرآب ظهرت لي بعض الوجوه الغريبة التي كانت تنظر إلي بتركيز فشعرت أنهم رجال للأمن.

س : كانوا ينتظرونك في هذا المكان؟

ج : لا، جاؤوا لاعتقال صهري إبراهيم بلمليح الذي كان يشتغل حارسا للمرآب، وبعد اعتقاله ظلوا في المكان لمعرفة من سيأتي عنده، لقد شعرت بكونهم رجال أمن فدخلت المرآب، وتركت فيه دراجتي النارية ثم غادرته، وكان من عادتي المجيء للمرآب حيث أدع فيه الدراجة النارية بانتظام.

مشيت بضع خطوات وبعدها دخلت دكانا كانت لي سابق معرفة بصاحبه، وأردت أن أضع عنده القفة التي كانت تحتوي المنشورات للتخلص منها، وتعقبني أحد رجال الأمن إلى الدكان ثم دخله، وتوجه إلي بالسؤال: هل من عادتك أن تترك باستمرار دراجتك النارية في ذلك المرآب، فأجبته من حين لآخر، لأن صهري هو الذي يحرسه، فعاد وسألني مجددا، لماذا لم أزره في منزله الذي كان فوق المرآب، فكان ردي أنني لم أقم بذلك تجنبا للإزعاج، فأدخل يده في القفة وأخرج منها منشورا وطلب مني قراءة ما يتضمنه ؟

س : ألم يكونوا يحسنون القراءة ؟

ج : لم يكونوا يجيدون القراءة بالعربية، فقرأت لهم المنشور، فسألني أحدهم ما هي مهنتي فكان جوابي أنني طالب، وهذا منشور للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وهو حزب شرعي، ويضم بعض أساتذتي، لذلك أساعدهم في توزيع هذه المناشير، وكان اعتقادي أنني قد اعتقل لفترة زمنية لن تتعدى بضعة أيام، ثم سيقع الإفراج عني كما تعودت على ذلك، ولكن لما زج بي في سيارة من نوع بوجو، ومن خلال الطريقة التي تم بها الزج بي في السيارة، شعرت أن الأمر مختلف هذه المرة، لقد وضعوا البانضا فوق عيني، والأصفاد في يدي، فانتابني إحساس مغاير للأحاسيس الأخرى التي كانت تنتابني في الاعتقالات السابقة، ففي هذه المرة أحسست بالرهبة والخوف.

س : ما هو مضمون المنشور الذي كنت مكلفا بتوزيعه؟

ج : استنكار اعتقال المناضلين الاتحاديين من القاعدة والقيادة وأعضاء اللجنة الإدارية الوطنية آنذاك، وفضح الأساليب البوليسية التي كان يمارسها النظام ضد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

س : ما هو السبب المباشر الذي بموجبه تعرض الاتحاد لحملة القمع سنة 1963؟

ج : كان هناك الموقف من الانتخابات، ثم الطريقة التي كان يفكر بها إخوان آخرون ويتحركون في إطارها، والتي لم تكن من تخطيط الحزب. لقد وضعت في فيلا بنحمو وكانت تشبه دار المقري في الرباط. مكثت محتجزا فيها لمدة 3 أشهر، ولم أكن وحدي، كان معي مناضلون آخرون.

س : كم كان عددكم؟

ج : يصعب علي تحديد العدد لأنني كنت معصوب العينين خلال هذه المدة، ولكن مع ذلك تعرفت على بعض الإخوان من خلال أصواتهم مثل: إقبال، أباحمو رحمه الله، السي عبد الرحمان اليوسفي، كان معتقلا معنا في هذه الفيلا.

س : خلال مدة ثلاثة أشهر التي قضيتها في هذه الفيلا، كيف قضيتها، هل خضعت خلالها للتعذيب وللاستنطاق؟

ج : نعم، خضعت للاستنطاق عن علاقتي بابراهيم الحلاوي الذي كان في حالة فرار، وكذا عن علاقتي بصهري الآخر ابراهيم بلمليح الذي حكم عليه سنة 1963 بقضاء 15 سنة سجنا نافذا وراء القضبان، وكنت أسأل عن علاقتي بالإخوة الاتحاديين الذين كانوا متهمين بتدبير مؤامرة لقلب النظام. وبطبيعة الحال خضعت للتعذيب، وكان عمري 23 سنة.

س : كنت طالبا بالفعل؟

ج : لا، كنت أدرس في التعليم الحر، زعمت أمامهم أنني طالب لأبرر الدوافع التي كانت وراء توزيعي للمناشير الصادرة عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، على أساس أن مناضليه يقتنون لي الكتب والدفاتر والمستلزمات الضرورية لمتابعة دراستي، وفي هذا الإطار أنا بدوري أساعدهم في توزيع مناشيرهم.

س : بعد قضاء ثلاثة أشهر في فيلا بنحمو تم الإفراج عنك؟

ج : حملوني في سيارة ووضعوني في ملتقى طرق، وأنا الآن أسكن بجانبه، لقد أزالوا البانضا عن عيني والأصفاد من يدي، وهددوني لكي لا أتحدث لأي كان عما وقع لي، ولما تركوني وحدي، لم أدرك المكان الذي أوجد فيه، ولم أتبين الاتجاه الذي ينبغي علي أن أسير فيه للوصول إلى منزل أسرتي.

فما كان مني إلا أن سألت صاحب دكان عن الطريق المؤدية إلى المدينة، فاستفسرني إن كنت غريبا عن الدار البيضاء، ولما أجبته أنني من قاطنيها، سألني كيف أكون من قاطنيها ولا أعرف الطريق المؤدية إلى المدينة، فانتابني شعور بأن صاحب الدكان رجل أمن متخف في دكانه، فبادرته بالقول إذا أردت أن تدلني على الطريق فذاك، وإذا رفضت فلا داعي لاستنطاقي، فوجهني إلى الوجهة التي يتعين علي سلكها، ووقتها تمكنت من ضبط المكان الذي أوجد فيه، وأدركت المسار الذي ينبغي علي قطعه للوصول إلى المنزل.

س : هل كنت في هذه اللحظة متزوجا؟

ج : لا، تزوجت متأخرا بسبب ممارستي للسياسة وتعلقي بها.

س : وأسرتك ، أبوك وأمك وإخوتك، هل كانوا على علم بالمكان الذي كنت توجد فيه خلال مدة الثلاثة أشهر هذه؟

ج : أبي كان معتقلا معي في هذه القضية، فهو بدوره قضي 3 أشهر مختفيا عن الأنظار، فأنا كنت في فيلا بنحمو، وهو اقتيد إلى طريق بوسكورة، لقد اعتقلنا في نفس اليوم، فأغلب أعضاء الأسرة الذكور، كانوا رهن الاعتقال: أنا وأبي وصهري إبراهيم بلمليح والتيجاني، كلنا كنا في معتقلات سرية، وإبراهيم الحلاوي كان في حالة فرار...

س : هل كانت أسركم على علم بأنكم مختطفون؟

ج : فيما يخصني، تعودت والدتي على البحث عني في الكوميساريات، لأنني كنت أعتقل بشكل دوري من جراء مشاركاتي في المظاهرات، ولذلك تعودت رحمها الله على البحث عني عند أجهزة البوليس كلما شعرت بأنني لم أعد حرا طليقا، ونفس الأمر قامت به هذه المرة أيضا، لقد تجولت في مراكز الشرطة وسألت عني، ولما تعذر عليها العثور علي توقفت عن البحث وأخذت تنتظر.

كنت على علم بأن أبي اختطف، وكان معي في نفس السيارة لحظة الإفراج عني، ولما أنزلت من السيارة وطلب مني مغادرة المكان سألتهم عن أبي هل سيطلق سراحه بدوره، وهددوني بإعادتي إلى المعتقل من جديد إن أنا تمسكت بمعرفة المصير الذي سيكون لأبي من بعدي.

س : كيف كانت اللحظة التي دخلت فيها إلى منزل أسرتك، كيف تم استقبالك من طرف أفرادها؟

ج : كانت المفاجأة كبيرة بالنسبة لأمي، وانهمكت في البكاء، وتحلق حولي أعضاء الأسرة فرويت لهم قصة اختفائي والمكان الذي كنت محتجزا فيه، وبعد حوالي ساعتين التحق بنا والدي، فلقد تركه البوليس في غابة قرب بوسكورة، وتدبر الأمر إلى أن وصل إلى المنزل رغم أنه لم يكن يملك نقودا.

س : والإخوان الذين كانوا معكم في نفس الفيلا ماذا كان مصيرهم؟

ج : نقلوهم إلى الرباط، إلى دار المقري، وبعد التحقيق أحيلوا على السجن، وحوكموا في إطار محاكمة 1963 المشهورة التي كانت تضم مجموعة من المناضلين الاتحاديين من مناطق مختلفة من المغرب، ومن هؤلاء من لا زال على قيد الحياة، ومنهم من توفي رحمة الله عليهم جميعا.

س : كيف كانت الأحكام الصادرة ضد المناضلين الاتحاديين في هذه المحاكمة؟

ج : كانت أحكاما قاسية، أحكام بالإعدام، ومن جملة الذي حوكموا بالإعدام الفقيه البصري، وعمر بن جلون الذي كان مازال شابا، وكذلك مومن الديوري...

س : هناك من يقول إن الحركة الاتحادية كانت في بداية مشوارها السياسي تفكر بالمنطق الانقلابي، كان لديها خلاف مع النظام، إن لم نقل صراعا قويا معه. وأصبحت تعتبر أن العنف هو الوسيلة الوحيدة لحسم هذا الصراع؟

ج : قد اتفق معك على كون جزء من الحركة الاتحادية كان يفكر بالمنطق الانقلابي، أما الحركة ككل فلا، فرغم أنني لست في موقع قيادي، يمكن لي مع ذلك القول إن بعض قياديينا لم يكن لهم أي علم بما يقوم به إخوة آخرون.

س : الذين لم يكن لهم علم، ربما كانوا يتظاهرون بأنهم ليسوا على علم، وذلك في إطار تبادل للأدوار كان متفقا عليه من طرف الجميع؟

ج : هذا محتمل، ولكن أنا أجيبك حسب علمي الشخصي، فأنا لم أكن عضوا قياديا في الحزب لكي أقدم جوابا قطعيا عن هذا السؤال، ولكن فيما يتعلق بي، فأنا أيضا ساهمت، ولو بشكل متواضع، فيما كان يسعى جميع الإخوة لتحقيقه، ولذلك أقولها وبكل صراحة: لا أعتبر نفسي أنني كنت مظلوما سنة 1963 حين اعتقلت وعذبت واستنطقت. لقد كنت أتصرف في إطار عقلية كانت سائدة، اليوم عندما أراجع بكل هدوء شريط حياتي، وما كنا نفكر فيه ونخطط له ونعمل من أجل إدراكه، أشعر شخصيا أنني ربما كنت على خطأ.

س : ربما كانت هناك أسباب موضوعية تحتم على الاتحادي أن يفكر في تلك المرحلة، بنفس الطريقة التي كان يفكر بها، فالنظام لم يترك للناس وقتها أي خيار سوى القيام بما قاموا به؟

ج : ولعل هذا هو الذي دفع بعض الإخوان الاتحاديين للتفكير في العمل بهذا الأسلوب الذي قد يكون فرض عليهم بحكم الاعتبارات الموجودة في الواقع آنذاك، وحتى لا أخفي عن القارئ شيئا، فأنا لا أبرئ نفسي منه، ولا أقول إنني كنت خارج نطاق تأثيره، فأنا أتحمل فيه نصيبي من المسؤولية، ولو أنها مسؤولية جزئية حسب موقعي النضالي.

س : والمرحوم المهدي بنبركة، هل تذكر الاجتماعات التي كان يرأسها وكنت تحضرها وأنت في ريعان شبابك، ووقع كلماته وخطبه عليكم أنتم شبيبة الحزب وقتها.

ج : إذا لم تخني ذاكرتي فآخر مرة رأيت فيها الشهيد المهدي بنبركة كانت عقب الحادثة التي تعرض لها في وادي الشراط قرب بوزنيقة والتي كما تبين اليوم كان الهدف منها تصفيته جسديا، رأيته في مقر الحزب، وكان يصعد الدرج، وكانت جبيرة في عنقه، لأنه تعرض لجرح في عنقه أثناء محاولة اغتياله، ومع ذلك كان يصعد الدرج، رغم الجرح، بحيوية وخفة ورشاقة أكثر مني أنا الشاب.

س : من خلال استقراء تاريخ الحركة الاتحادية يقف الإنسان على حقيقة أن هذا التاريخ كله مواجهة مع القمع الشرس والاضطهاد الذي لا حدود له، ولكن رغم الإرهاب الذي مورس على الحركة الاتحادية على امتداد تاريخها لم ينل منها وظلت دائما صامدة ومقاومة وحاضرة وسط الشعب، بماذا يمكن تفسير صمودها هذا؟

ج : المناضلون الاتحاديون الحقيقيون المؤمنون بمبادئ الاتحاد وخطه النضالي لم يكونوا يعرفون الخوف والتردد، فأنا ، هذا العبد الضعيف، بعد أن اختطفت في سنة 1963 لمدة 3 أشهر وبعد أن أفرج

عني، لم أرهب، بل مباشرة بعد ذلك انطلقت في ممارسة نشاطي السياسي بشكل عادي، وكأن أي شيء لم يقع، كنت أركز بالأساس على مساعدة عائلات المعتقلين والذين في حالة فرار، بتزويدهم بما يقتاتون به.

كنت أقوم بهذا العمل رفقة مناضلين آخرين، فأنا الذي كنت أتولى كل شهر إيصال مبالغ مالية لهذه الأسر لمساعدتها على تدبير شؤونها، فرغم أن تلك المبالغ المالية كانت محدودة، إلا أنها كانت ترفع من معنويات الأسر وتشعرها بأنها مؤازرة من طرف إخوان لها.

س : ألم يكن هذا القمع الذي تتعرض له الحركة الاتحادية يساهم في الحد من إشعاع الحزب ويقلص من حضوره في الشارع المغربي؟

ج : بالعكس تماما، فالقمع لم يكن يؤثر بشكل سلبي على الحركة الاتحادية، بل كان يوسع من قاعدتها ويعطيها إشعاعا كبيرا بين المواطنين، فكلما كان القمع يكبر ضد الحزب كان حجم الالتفاف الجماهيري حوله يكبر أيضا.

س : وهل كان للحزب في هذه اللحظة إشعاع كبير في أغلب المدن المغربية؟

ج : كان له إشعاع حتى في البادية، وكانت تعقد اجتماعات اتحادية على المستوى الوطني، وكان يأتيها المناضلون من قمم الجبال، ويساهمون فيها بكل ما أوتوا من إمكانيات، فإشعاع الحزب كان قويا جدا رغم القمع الشديد الذي كان ممارسا عليه.

س : رغم أن الحزب لم يكن يتوفر ساعتها على وسائل الاتصال بالجمهور، من نوع الجرائد والمجلات.

ج : كانت للحزب جريدة التحرير التي تم توقيفها عن الصدور بشكل تعسفي، ولكن قبل منعها، كان الناس في محلات بيعها بالدار البيضاء يتخاطفون على اقتنائها، ولأن البادية لم تكن تصلها الجريدة، فكان سكان بعض المناطق البدوية من بني ملال مثلا يكلفون واحدا منهم بالمجيء إلى المدينة لشراء الجريدة، ويأخذها لقريته لكي يقرأ محتوياتها على السكان، فالاتحاد كان موجودا في المدن بكثرة وبقوة، ولكنه لم يكن غائبا عن البوادي.

س : وهل تتفق معي على أن هذا الإشعاع الذي كان في الماضي للحزب بالشكل الذي تتحدث عنه الآن، قد تقلص اليوم، ولم يبق كما كان سابقا؟

ج : أظن أن سبب تقلص إشعاع الحزب في السنوات الأخيرة يعود إلينا نحن، فخلافاتنا مع بعضنا البعض تصدم الرأي العام، فعندما تقرأ بلاغا في جريدة الاتحاد الاشتراكي له مضمون معين، ثم تطلع على بلاغ صادر عن جهة أخرى يطعن في قيادة الحزب وفي شرعيتها، ويتهمها بكل الاتهامات، فكيف تريد لإشعاع الحزب أن لا يتقلص، وهذا ليس وليد اللحظة بل هو وليد سنوات.

س : وكيف وأين عشت حدث اختطاف واغتيال الشهيد المهدي بنبركة؟

ج : كنت في السجن، لقد اعتقلت في قضية شيخ العرب، فلقد خرجت من السجن في يوليوز 63 من فيلا بنحمو في الدار البيضاء، واستأنفت ممارسة نشاطي الحزبي، وفي يناير 1964 تم اعتقالي مجددا في قضية شيخ العرب.

س : وما علاقتك أنت بقضية شيخ العرب؟

ج : العلاقة هي أنني صهر إبراهيم الحلاوي الذي كان مع شيخ العرب في نفس الخلية، لقد اختفى إبراهيم الحلاوي في منطقة سوس لبضعة شهور، ولما عاد إلى الدار البيضاء ربط الاتصال بي، وأخذت أزوده بما يحتاجه، وأساعده، على الاتصال بأختي، وعلى رؤية أبنائه الذين كانوا مازالوا صغارا، وكنت أتحايل على رجال الأمن لكي لا يتعقبوا خطواتي.

فكنت لا أخرج رفقة أختي من المنزل، بل نتواعد في مكان بعيد عن الحي حيث تقطن، ثم ننتقل معا بين عدة أمكنة قبل التوجه إلى المنزل حيث كان يقطن بسيدي معروف. وحين اكتشف البوليس تواجد الحلاوي في الدار البيضاء، وتبين من المكان الذي يقيم فيه، قصده رجال الأمن واقتحموه، ولكنهم لم يعثروا على الحلاوي.

س : على من عثروا مكانه؟

ج : على شخص اسمه بيهي، وقد عذبوه ولما سئل عن الأشخاص الذين يزورون الحلاوي في المنزل الذي يقيم فيه ذكر لهم اسم عبد الله بوهلال، وضغطوا عليه ليدلهم على عنواني، فما كان منه إلا أن رضخ للضغوط وقادهم إلى المنزل، ولما كنت أترقب أنهم سيأتون بحثا عني، قررت مغادرة الدار البيضاء وتوجهت إلى مدينة مكناس.

س : لماذا ذهبت إلى مدينة مكناس؟

ج : اختفيت عند أحد أقاربي وأخذت أبحث عن وسيلة من الوسائل للخروج من المغرب، واللجوء إلى دولة أجنبية.

س : ما هي الدولة التي فكرت في اللجوء إليها؟

ج : الجزائر هي التي كانت في ذهني، لم أكن أتوفر على المال الضروري، وفي مكناس بدأت في البحث عن إمكانيات مادية تساعدني على مغادرة المغرب صوب الجزائر، ولما جاء البوليس إلى المنزل ولم يعثروا علي، استنطقوا أمي، وقاموا بإلقاء القبض على أختي التي كانت معلمة، ومارسوا عليها التعذيب، فأعطتهم عناوين أفراد عائلتي في جميع أنحاء المغرب، وهكذا توزع أفراد الأمن بحثا عني، البعض منهم قصد مدينة مراكش، والبعض الآخر ذهب إلى الرباط، ومنهم من توجه إلى مكناس.

س : تبدو وكأنك في هذه اللحظة أصبحت الشغل الشاغل للدولة برمتها، لقد تحركت بكل وسائلها من أجل اعتقالك؟

ج : ربما لم أكن أنا المستهدف من جميع تحركاتهم هذه، فبالنسبة لهم كنت ربما مجرد الخيط الذي سيوصلهم إلى إبراهيم الحلاوي الذي من خلاله سيصلون إلى شيخ العرب، فهذا هو السبب وراء هذه الهالة والضجة المثارة حولي. كانت الطريقة التي تعقبوني بها إلى مدينة مكناس ملفتة للانتباه، فلما وصلوا إلى المنزل حيث كان يقطن أخي الذي اختفيت عنده، كانوا مجموعة من رجال البوليس طوقوا الدار، وكانوا مدججين بالأسلحة، لدرجة أن قاطني الحي اعتقدوا أنهم جاؤوا لاعتقال شخص يتاجر في المخدرات، ولما ألقي علي القبض بعد أن حاولت الفرار من الباب الخلفي للمنزل، وجهوا لي ضربة بعقب البندقية في رقبتي مازالت آثارها بادية إلى اليوم وقادوني وسطهم وهم يحيطونني من جميع الاتجاهات.

س : هل كنت قوي البنية لكي يضربوك بعقب بندقية؟

ج : لا، كنت ضعيفا ونحيفا جدا، وكان عمري 24 سنة، ألقي علي القبض واقتادوني إلى درب مولاي الشريف ومارسوا علي تعذيبا لا يمكن تصوره، والذين عذبوني منهم محمود عرشان، وسفيران، التونسي، السبع، حجاج، اليوسفي قدور، والمالكي، فمنهم من تقاعد ومنهم من لا زال على قيد الحياة.

س : ألا تصطدم بهم صدفة في الطريق؟

ج : مؤخرا التقيت بأحدهم في السويقة، وكنت رفقة زوجتي نشتري الخضر، وكان هو يفعل الشيء نفسه، ولقد دليت زوجتي عليه، وحدثتها فيما فعله بي في وقت سابق.

س : ألم ينتبه إليك وأنت تحادث زوجتك في شأنه؟

ج : بلى. نظر إلي وشعر أنني أتكلم عنه مع زوجتي، وتعرف علي، فما كان منه إلا أن أشاح بوجهه وانصرف. لقد مارسوا علي تعذيبا جهنميا، تعذيبا لا يمكن أن يطاق أو حتى أن يتصوره المرء .

س : ما هي الاعترافات التي كانوا يودون انتزاعها منك؟

ج : المكان الذي يوجد فيه الحلاوي، والمشكل هو أن الدار التي كنت على علم بأن الحلاوي يختبئ فيها، كان قد هجرها، ولم يعد يأتي إليها، فبعد أن جاءها البوليس واعتقلوا منها من كان موجودا فيها، فمن المؤكد أن إبراهيم الحلاوي لم يكن من البلادة إلى الدرجة التي سيعود فيها إلى دار مطوقة بالبوليس السري الذي كان يبحث عنه، ولذلك لم أكن أعرف حقيقة أين يوجد الحلاوي لكي أطلع البوليس على مكانه وأعترف لهم به، كما كانوا يريدون، فالأمر كان يتجاوز إرادتي.

س : لعل البوليس كان يعتبر أنك تعرف أين يوجد الحلاوي، ولكنك ترفض الاعتراف لهم بالمكان الذي يختبئ فيه، ضمانا لأمنه وحمايته؟

ج : ولهذا مارسوا علي تعذيبا لا يمكن وصفه، فأنا مازلت إلى اليوم أعاني من مخلفات التعذيب الذي تعرضت له سنة 1964، ولقد قضيت أياما وليالي أعاني من التعذيب إلى أن أصبت بمرض القلب، فاضطروا للتوقف عن تعذيبي ونقلي إلى المستشفى لكي أخضع للعلاج، وفي هذه اللحظة علمت أن المهدي بنبركة قد وقع اختطافه في باريس.

س : وهل كنت تتوقع أن المهدي بنبركة سيختطف وسيغتال بتلك الطريقة الوحشية التي اختطف واغتيل بها؟

ج : لم أكن أتصور ذلك بتاتا، فالمهدي بالنسبة لنا، كان، حقيقة، مستهدفا كشخص وكحركة، ولكننا كنا نعتقد أنه يتخذ جميع الاحتياطات الضرورية لكي لا يقع بين أيدي أعدائه وما أكثرهم، ولقد فوجئت مفاجأة كبيرة حين علمت أنه اختطف.

س : وهل علمتم لحظتها في الحركة الاتحادية أنه تم اغتياله؟

ج : لا، شخصيا كنت كما أشرت، في السجن لما علمت باختطافه، وكان في البداية يراودنا جميعا أمل في العثور عليه والإفراج عنه.

س : وكم مر من الوقت لكي تتأكدوا أن المرحوم المهدي بنبركة وقع اغتياله؟

ج : بالنسبة لي ومن خلال قراءتي الشخصية أظن أنه إلى حدود 1967، كنا نعتقد أن المهدي بنبركة ما زال على قيد الحياة، كان صعبا علينا استساغة موته بتلك الطريقة المفاجئة والبشعة: أن يختطف ويغتال، وألا نعثر حتى على جثته لنبني له قبرا نزوره كما نفعل مع باقي شهدائنا وقادتنا.

س : ومتى خرجت من السجن بعد عملية الاعتقال هذه؟

ج : خرجت مباشرة بعد حرب يونيو 1967، لقد حكم علي بثلاث سنوات دون احتساب الأيام التي قضيتها عند الشرطة، وكانت التهمة هي عدم التبليغ عن إبراهيم الحلاوي، ولقد دافعت عن نفسي خلال المحاكمة بالقول إنه كان يتعذر علي التبليغ عن صهري الذي كان بمثابة والدي، لأنه كان يشرف على مساعدتي في متابعة دراستي، وكان ينفق علي وأنا تلميذ، ولذلك لم يكن بإمكاني التبليغ عن إنسان كان يعاملني بكل هذه الطيبة، ولي معه علاقة القرابة، ومع ذلك، أصدر القاضي اللعبي حكما ضدي بالسجن لمدة 3 سنوات.

س : من هم الأشخاص الذين حوكموا معك في نفس المحاكمة؟

ج : كان معي إبراهيم الحلاوي الذي ألقي عليه القبض بعد المعركة الشهيرة التي خاضها رفقة شيخ العرب ضد البوليس، ولقد ألقي القبض كذلك على باعقيل، وبوشوا، والزوليفي..

س : وما هي الأحكام التي صدرت ضدهم؟

ج : ابراهيم الحلاوي صدر ضده حكم بالإعدام، وباعقيل، والذي اسمه جوهر وتوفي مؤخرا، حكم عليه ب 30 سنة سجنا نافذة.

س : وشيخ العرب هل كنت تعرفه وأنت شاب في صفوف الحزب؟

ج : لا لم أكن أعرفه.

س : ألم يكن مناضلا اتحاديا؟

ج : بلى، كان مناضلا اتحاديا، وهذه حقيقة لا يمكن لأي كان أن ينكرها، ولكنه كان من الجناح الراديكالي الذي كان يفكر بمنطق من يريد تغيير الوضع في المغرب مهما كانت الوسيلة المعتمدة.

س : تحول شيخ العرب في وقت من الأوقات إلى أسطورة، فالناس كانت تتحدث عن كونه يخيف النظام، وعجز البوليس عن وضع اليد عليه، وأنه لا يخاف، ويجيد التخفي ..هل هذه الأوصاف كانت فعلا تنطبق على شيخ العرب؟

ج : لم يكن شيخ العرب يجيد التخفي، كان رجلا شجاعا ولا يهاب أي أحد، وأروي للقارئ ما يشبه حكاية وقعت له مع أبا عقيل الذي كان يساعده بالانتقال من مكان لآخر بواسطة دراجة نارية، وفي إحدى المرات كان شيخ العرب يضع قبعة (بيريه) فوق رأسه، ولما كانت الدراجة النارية منطلقة بسرعة سقطت" البيريه" بفعل هبوب ريح معاكسة من فوق رأسه، ووقعت قرب رجلي أمن كانا بزيهما الرسمي، وكان أبا عقيل، رحمه الله، يريد ترك البيريه ومتابعة الطريق، ولكن شيخ العرب أوقفه، وتوجه صوب رجلي الأمن وأخذ بيريته من بين أقدامهما، وعاد وامتطى الدراجة النارية خلف أبا عقيل، الذي تابع قطع الطريق، فرغم أن البوليس كان يبحث عنه في كل مكان، فإنه لم يكن يأخذ الاحتياطات الضرورية، فالرجل لم يكن يجيد التخفي كما يشاع.

س : وما هو تكوينه الثقافي؟

ج : كان له تكوين عادي ، فالرجل يقرأ ويكتب وشارك في المقاومة ضد الاستعمار، فهو واحد من خيرة رجالات المقاومة، وانخرط في الحزب وكان يناضل بصدق في صفوفه وفقا لأسلوب العمل الذي كان يرتضيه.

س : الملاحظ هو أنه استنادا للمعايير الحالية، فإن الذين ينضمون إلى صفوف الأحزاب، هم في الغالب أصحاب التكوين الجامعي والدراسات العليا، فكيف أن أناسا في الستينيات كانوا ينخرطون في أحزاب ثورية ويناضلون في صفوفها إلى حد فقدان حياتهم دفاعا عن قناعات آمنوا بها رغم أن تكوينهم الثقافي كان بسيطا ومحدودا؟

ج : ليس بالضرورة أن يتخرج الإنسان من الجامعة لكي ينخرط في حزب سياسي، فأنا مثلا من مستوى الثانوي ولجت عالم السياسة، وكان أبي رحمه الله في الحركة الوطنية والمقاومة وعنه تربيت على الاهتمام بالشأن السياسي، فليس من اللازم أن يكون للمرء تكوين جامعي لكي يمارس السياسة،

فالحزب مؤسسة للتكوين السياسي المهم أن تكون للإنسان قناعة وإيمان بقضية واستعداد للدفاع عنها والنضال من أجلها.

س : وهل تتذكر اليوم الذي قتل فيه شيخ العرب؟

ج : كنت في درب مولاي الشريف، وفي اليوم الذي خرج البوليس لتطويقه وإلقاء القبض عليه أو قتله قاموا بذلك أمامنا، لقد رأيناهم وهم يخرجون من درب مولاي الشريف مدججين بالأسلحة، كان شيخ العرب وإبراهيم الحلاوي وأوزي في منزل هذا الأخير، ولقد وشى بهم أحد الوشاة، من هو؟ الله أعلم، وتم تطويق منزل أوزي، وانطلق تبادل إطلاق الرصاص بينهم وبين البوليس، وأظن أن الرصاص أصاب رجلي أمن أو ثلاثة، وماتوا على الفور.

وساعتها غادر الثلاثة المنزل الذي كانوا يوجدون فيه، وتمكنوا من النجاة في هذه الواقعة، وبعدها تفرقوا، فإبراهيم الحلاوي ذهب إلى درب ميلا عند امبارك أوشوا، الذي لازال على قيد الحياة، وأوزي اختبأ عند الفقيه الشرحبيلي، وشيخ العرب كان يقيم في مبروكة عند حارس من القوات المساعدة، ولعل هذا يذكرني بحادث طريف عشته، فأنا كنت في مستشفى ابن رشد، وكان هذا الحارس يتكلف بحراستنا، وكنت الوحيد من السجناء أوجد في وضعية معتقل سياسي، وكان الآخرون من معتقلي الحق العام، وكان هذا الحارس يمتطي عربة للعجزة ويتفكه بها على البوليس قائلا: ها هو شيخ العرب سيأتي من النافذة ليقتلكم، وكان شيخ العرب يقيم مختبئا عنده في منزله. وكان هذا الحارس يعطف علينا أنا وأخ شيخ العرب الذي كان معي في السجن، ولم نكن علي علم بأن شيخ العرب يوجد مختبئا عنده في منزله.

س : وكيف وصل البوليس لهؤلاء الثلاثة، شيخ العرب وإبراهيم الحلاوي وأوزي؟

ج : في الأيام الأخيرة شعر شيخ العرب أن رفيقه أوزي بدأ ينهار، ولما اختفى عند الفقيه الشرحبيلي أوصاه شيخ العرب بأن يراقبه بشكل جيد، لأنه أحس بأنه إذا اختلى بنفسه فبالإمكان أن يسلم نفسه للبوليس ويوصلهم إليهم، ومرت مدة طويلة جدا كان فيها البوليس بالدار البيضاء والرباط يبحث عن إبراهيم الحلاوي وشيخ العرب.

وفي أحد الأيام كان الفقيه الشرحبيلي يتوضأ لأداء صلاة الفجر، فاستغفله أوزي وخرج من المنزل، ووقف في أكبر شارع، وكانت سيارة للبوليس، في طريقها صوب هدف محدد، فاستوقفها

وقدم نفسه للبوليس الذي حمله للكوميسارية، ومنها جاء بهم عند امبارك الزوليطي الذي كان يعرف أين يقيم كل من شيخ العرب وإبراهيم الحلاوي، فاقتادهم إليهما، فشيخ العرب تبادل معهم إطلاق الرصاص رفقة الرجل الذي كان يحرسنا، ولقد سقطا صريعين وماتا معا.

س : وبالنسبة لإبراهيم الحلاوي؟

ج : بالنسبة لإبراهيم الحلاوي جاءه البوليس إلى درب ميلا حيث كان يقيم، وطوقوا المنزل، وتبادل معهم إطلاق النار ورماهم بقنبلة لم تنفجر، وكان في يديه مسدسان يطلق منهما الرصاص في اتجاه البوليس، إلى أن أصيب وسقط جريحا فألقي عليه القبض، وخضع للعلاج..

س : بعد إلقاء القبض عليك صدر ضدك حكم ب 3 سنوات قضيتها جميعها في السجن؟

ج : حوكمنا في مراكش، رغم أن الوقائع كلها جرت في الدار البيضاء، وقضيت المدة المحكوم علي بها كلها في السجن.

س : وماذا عن ظروف خروجك من السجن بعد قضاء المدة التي حكم عليك بها؟

ج :لم أشعر عائلتي بيوم خروجي، قررت أن أغادر السجن وحدي تجنبا لإثارة البلبلة لدى أفراد الأسرة، ففي الأيام الأخيرة لسجني كنت أعيش على وقع الأخبار الوافدة عن سير معارك الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1967، وكانت الأنباء التي تصلنا من الحراس كلها سارة ومفرحة ومبشرة بانتصار العرب.

وفي اليوم الذي خرجت فيه من السجن اقتنيت جريدة العلم بعد شراء تذكرة الحافلة، وكانت العناوين على ثمانية أعمدة تتحدث عن الهزيمة، وكانت الأنباء مفجعة، فلقد خرجت من السجن، وكان المفروض أن يكون خروجي فرصة للشعور بالفرح والسرور، ولكنني صدمت بالهزيمة، واستقالة جمال عبد الناصر، واحتلال إسرائيل لأراض عربية. كانت الأنباء صاعقة بالنسبة لي، خصوصا بعدما راج من انتصارات حققها العرب.

س : ماذا فعلت عقب خروجك من السجن؟

ج : استرحت لبعض الوقت، وقمت بزيارة العائلة التي كانت تقطن في مكناس والتي تسببت في إزعاجها واعتذرت لها عما وقع، وبعد ذلك استأنفت نشاطي الحزبي كموظف في مقر الحزب بعد أن

تمت الوحدة بين الاتحاد المغربي للشغل والاتحاد الوطني للقوات الشعبية عقب اعتقال المحجوب بن الصديق، وكنت أقوم بمهام نضالية.

س : لنمر الآن إلى الاعتقال الثالث الذي تعرضت له سنة 1973، كيف تم اعتقالك هذه المرة؟

ج : كنت أشتغل في مقر الحزب، وكنت أتولى إيصال نشرة الحزب إلى العديد من المحامين والأطباء والأطر، وكنت أتقاضى عن هذا العمل راتبا شهريا يبلغ 300 درهم، وكان يكفيني لشخصي، لأنني لم أكن متزوجا، ثم جاءت فكرة إنشاء جريدة فلسطين للسي الوديع الأسفي، واقترح عليه المرحوم عبد الرحيم بوعبيد أن اشتغل معه في أسبوعية فلسطين ، وكنت الوحيد المتفرغ لهذه الجريدة، وكنت أستكتب بعض الإخوان للمساهمة فيها.

وكان المرحوم عمر بنجلون هو المشرف الذي يعطي التوجيه، وهو الذي كان يكتب دائما الافتتاحية بالفرنسية، وكانت الأسبوعية تتضمن الأخبار المتصلة بالقضية الفلسطينية، وكنا نسرب فيها بعض الأخبار ذات الطبيعة الوطنية، لأن الصحافة الاتحادية كانت ممنوعة، وكنا من خلال الأخبار المنشورة في أسبوعية فلسطين نشتغل بمنطق إياك أعني واسمعي يا جارة.

س : وهل كانت أسبوعية فلسطين تلقى رواجا في السوق المغربية؟

ج : كان لها قراؤها الحريصون على شرائها، وكان المناضلون يتولون توزيعها، فأنا كنت أشتغل فيها، وحين كانت تصدر ، كنت أخرج بكميات كبيرة منها لأبيعها في مرس السلطان، وفي المقاهي. وبعد توقيف فلسطين جاء الاجتماع التاريخي للجنة المركزية لمدينة فاس والذي صدرت عن قرارات 30 يوليوز 1972، والتي تم فيها الفصل بين النقابة والحزب، ففي هذه الفترة كان الحزب قد أصدر كتيبا أشرفت على تصحيحه وإخراجه بتوجيه من عمر بن جلون رحمه الله، إلى أن صدرت جريدة المحرر بشكل أسبوعي فالتحقت للاشتغال بها، وكنت أيضا المتفرغ الوحيد في المحرر.

س : من هم الإخوان الذين كانوا يشتغلون معك في تلك الفترة في جريدة المحرر؟

ج : مصطفى القرشاوي، وكان يكتب فيها محمد الجابري، وعبد اللطيف جبرو، كانوا كلهم يكتبون في المحرر دون الحصول على تعويضات، وكنت الوحيد الذي أتقاضى تعويضا عن عملي بها، وكان راتبي في المحرر هو 600 درهم شهريا، وللحقيقة وللتاريخ، فأنا لم يكن ينقصني أي شيء مع

المرحوم عمر بن جلون، كنت أذهب إلى مكتبه كمحام، وبمجرد أن يراني كان يبادرني بالقول، جئت من أجل النقود، وكان يمدني بما أحتاجه.

س : وكيف حدث واعتقلت في سنة 1973؟

ج : كانت جريدة التحرير تصدر أسبوعيا، وكانت تخضع قبل الصدور لرقابة قبلية، وكان مجيد بنجلون وزيرا للأنباء، وكان يتوصل عن طريق رجال الأمن بالعدد، وأظل أنتظره لكي يطلع على محتوياته ويسمح لنا بالصدور، وكنا نظل ننتظر إلى حدود الساعة الثانية أو الثالثة صباحا أنا والعمال لكي نطبع العدد، وإلا فإن رجل الأمن كان يعود بمحضر ويطلب مني توقيعه، ويكون متضمنا لقرار بمنع العدد من الصدور . ومكثت على هذا الوضع إلى أن اعتقل عمر بنجلون سنة 1973.

س : وفي أي إطار اعتقل عمر بن جلون؟

ج : في إطار أحداث مولاي بوعزة، لقد اتهم بالمشاركة فيها، وألقي القبض على أحد المناضلين الذي كان عائدا من الخارج، وكانت في حوزته ورقة تحتوي على لائحة لأسماء يريد الالتقاء بأصحابها، وكان من ضمنها اسم عمر بنجلون، وهكذا اعتقل، وبقيت أنا بأمر من الحزب أسهر على إصدار الجريدة أسبوعيا.

ولأن الجريدة كانت تحجز باستمرار، فإنني كنت أغير في كل عدد فقط الصفحة الأولى، بحيث أزيل منها المواد التي تعترض عليها الرقابة وأستبدلها بأخرى، وأغير أماكن المواضيع وبعض العناوين ثم أرسل العدد كل أسبوع لوزارة الإعلام لكي يخضع للرقابة، وأبقى على اتصال بمجيد بنجلون، كنت أزعجه بالاتصالات الهاتفية حرصا على إصدار التحرير، ويبدو أنهم فكروا في إلقاء القبض علي لكي يتخلصوا من هذا الإزعاج الذي كنت أسببه لهم بالإصرار على إصدار التحرير، وهكذا اعتقلت.

س : كيف ألقي عليك القبض؟

ج : ألقي علي القبض يوم 1 1 أبريل 73، لقد جاؤوا لاعتقالي في الجريدة، وتمكنت بمساعدة بعض عمال مطبعة دار النشر من القفز من علو عدة أمتار للفرار من البوليس، ولما وصلت إلى درب الكبير جلست في مقهى وأخذت أفكر في تسليم نفسي على اعتبار أني لم أقم بأي شيء يستلزم الفرار أو المتابعة أو الاعتقال، ولكني كنت أتخوف من أن يمارس علي التعذيب كما حدث ذلك في 1963 و 1964، واضطررت للجوء عند عدد من الأصدقاء أطلب منهم السماح لي بقضاء ليلة واحدة عندهم،

لأنني ملاحق من طرف البوليس، أقضي ليلة واحدة أستجمع فيها تركيزي وأفكر في ماذا سأفعل، وسأنصرف لحال سبيلي، جميع الذين اتصلت بهم رفضوا ولم يقبل أي أحد منهم السماح لي بالمبيت عنده. وحوالي الساعة الواحدة صباحا توجهت عند المناضل فجري، وبعد أن طرقت الباب تعرفت ابنته علي من صوتي فسمحت لي بالدخول، فاستقبلني أبوها رحمه الله واستفسر عن سبب مجيئي في هذه الساعة المتأخرة من الليل، فأفدته بأنني مطارد من طرف البوليس، وأبحث عن مكان أقضي فيه هذه الليلة لكي أرتاح قليلا وأفكر فيما ينبغي فعله، وكان رده رحمه الله: المنزل منزلك بإمكانك أن تقضي فيه ليلة أو شهر أو 3 أشهر أو سنة، وما سيسري عليك يسري علي أنا كذلك، وكان موقفا شهما منه.

قضيت في منزله 3 أيام، وكنت أبعث أبناءه لاقتناء ما أحتاجه من الدكان المجاور لمنزله، وكان ابنه الهاشمي فجري مازال طفلا غرا. ثم قررت العودة إلى منزل أسرتي اعتقادا مني بضرورة المواجهة لأنني لم أقم بأي شيء يستوجب اعتقالي، وفي يوم السبت 11 أبريل 1973، أي بعد اعتقال الأخ عمر بنجلون بحوالي شهر، دخل البوليس إلى المنزل، كانوا ثلاثة، وطلبوا مني مرافقتهم، ونصحوني بارتداء الجلابية الصوفية السوداء، ووضعوا البانضا على عيني، واقتادوني لمركز الدرك بالحي الحسني، وانتابتني رهبة وخوف من أن تلصق بي تهمة المشاركة في أحداث مولاي بوعزة، خصوصا أن تلك المنطقة كانت خاضعة للدرك الملكي، ولم أتنفس الصعداء إلا بعد أن أخذني البوليس من رجال الدرك، واقتادوني إلى درب مولاي الشريف.

س : تنفست الصعداء لأنك أدخلت إلى درب مولاي الشريف؟

ج : كنت أتخوف من أن أرمى بتهمة المشاركة في أحداث مولاي بوعزة، رغم أنني لم يكن لي أي علم بها، ووجودي لدى الدرك كان يدفعني للتفكير في هذا الاتجاه.

س : كم قضيت هذه المرة في درب مولاي الشريف؟

ج : لم تكن المدة طويلة، سبقني إلى هناك إخوان آخرون اعتقلوا قبلي، كان من بينهم عبد العزيز بناني، وعمر الخطابي وتوفيق الإدريسي، ولسوء حظنا أن بعض الإخوان تم إيداعهم في السجن المركزي بالقنيطرة، وكان التفكير في محاكمتهم بمحكمة عسكرية. بينما تم الاحتفاظ بنا نحن، وكان معي الأخ محمد مؤيد، واقتادونا إلى المعتقل السري المعروف بالكوربيس.

و قضيت به سنة كاملة وأنا ب البانضا والأصفاد، فأنا لم أخضع لأي استنطاق، لا في درب مولاي الشريف، ولا عند الدرك، ولكنهم تركونا في الكوربيس عرضة للجوع لدرجة أنني كنت في بعض الأحيان أتخيل الخبز في كل شيء حتى في أطراف السجناء.

س : لم تكن تخضع في الكوربيس لا للاستنطاق ولا للتعذيب؟

ج : أبدا، إلى أن أوشكت على إنهاء سنة، وقتها نودي علي، ومن خلال شقة صغيرة للبانضا بين أنفي وعيني، تبينت أن الذي كان يستنطقني في مكتب بالكوربيس ضابط عسكري، وسألني لماذا تم اعتقالي، وأفدته بأنني أنا أيضا أطرح هذا السؤال، فأنا لا علم لي بالأسباب التي كانت وراء اعتقالي، وسألني إن كنت نقابيا فقلت له : أن لا علاقة لي بالنقابة، وعاد وسألني إن كنت طالبا فأجبته بأنني لست طالبا، واستفسرني عن مهنتي فكان ردي صحفي بجريدة التحرير فانتفض قائلا: كان عليك الإدلاء بهذا الكلام مبكرا (كولها من الصباح) وبعد قضاء سنة في الكوربيس أعدنا إلى الكوميسارية، وأرغمنا على التوقيع على محاضر مزورة ليس فيها ولو كلمة واحدة صحيحة.

س : ما هي الاتهامات التي وجهت إليكم؟

ج : اتهمنا بأننا كنا نقوم بإنشاء خلايا مسلحة لزعزعة الاستقرار وقلب النظام، وأن الذي كان يترأس خليتنا هو مصطفى القرشاوي، وأننا كنا نفكر في القيام بثورة.

س : كان بإمكانك أن ترفض التوقيع على محضر مزور؟

ج : هل كان لدينا الاختيار ، كنا نوقع مرغمين على ذلك، وإلا كنا سنتعرض لأبشع أنواع التعذيب، فالجميع وقع على محاضر لم يكن موافقا على ما تضمنته بتاتا، ثم أخذنا إلى المحكمة، وكان أغلب المعتقلين من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، كانت نظرات المواطنين إلينا توحي بالاستغراب من أوضاعنا، لأننا كنا متسخين وضعيفي البنية الجسدية ومنهوكي القوى، وكنا نثير الإشفاق.

الحياة في الكوربيس لم تكن تختلف كثيرا عن الحياة في تازمامارت، والفرق هو في المدة الزمنية الطويلة التي قضاها المعتقلون في تازمامارت قياسا للذين كانوا في الكوربيس، أما الجوع والبرد والقهر والإذلال وعدم اعتراف الدولة بالسجين، وعدم زيارة الأقارب للمعتقل... فنفس الأمور كانت في كليهما، لا خلاف بين هذا وذاك.

لقد اعتبرت بعض أسر الذين كانوا معنا في الكوربيس أن ذويها توفوا، واتخذت كل الإجراءات والطقوس التي يحث عليها الدين الإسلامي فيما يتعلق بالذي يفارق الحياة، بحيث تمت تلاوة القرآن على أرواحهم واعتبروا في عداد الموتى.

س : كم قضيت في السجن عقب هذا الاعتقال؟

ج : 3 سنوات، ثم أفرج عنا في سراح مؤقت بعد حدوث انفراج بين الحزب والنظام، فإلى حدود سنة 1976 كنت مازلت في السجن، لقد انعقد المؤتمر الاستثنائي لسنة 1975 وأنا وراء القضبان، وبعثت ببرقية إلى المؤتمر أبارك أشغاله، وتليت برقيتي داخل المؤتمر، ولم تكن عائلتي على علم باليوم الذي سيفرج فيه عني.

الوحيد الذي كان في استقبالي عندما تم الإفراج عني هو مصطفى القرشاوي، لقد أخذني مباشرة من السجن إلى مقر الجريدة، حيث وجدت الإخوان الذين كانوا يشتغلون فيها في انتظاري، وكان من بينهم عبد الجليل باحدو، ومحمد البريني، وحسن العلوي.. ولقد وقفت على سير العمل بالجريدة، وبعد ذلك ذهبت إلى منزل أسرتي . قضيت مدة 15 يوما من غير عمل طلبا للراحة، ثم نودي علي للاشتغال مجددا في جريدة المحرر...

أحمد الحبشي

لم أصدق أنني حوكمت بـ22 سنة سجنا نافذا

س : الأستاذ أحمد الحبشي في أي يوم، وفي أي شهر، وفي أي سنة، تم اعتقالك الاعتقال السياسي؟

ج : تاريخ اعتقالي هو يوم 7 نونبر 1974، وهذا التاريخ يحيلني باستمرار إلى لحظة كنت قد عشتها مع بعض الزملاء والرفاق، وهي ليلة الاعتقال، ففي هذه الليلة كنت في منزل المرحوم محمد الركاب، وكنا بصدد إنجاز مشروعين اثنين، الأول يتعلق بتشكيل شركة سينمائية، والثاني يتعلق بإنشاء جمعية ستسمى العزائم ، كنا نعد للجمع العام الأول يوم الأحد، ويوم الأربعاء ليلا كنت رفقة الركاب وفاضل يوسف والأستاذ درغام، والفنان محمد الروداني رحمه الله، وفي تلك الليلة، كنا في نقاش مطول من أجل إنجاز هذين المشروعين، كنت أشتغل في المسرح، واهتم المرحوم محمد الركاب بتجربتنا المسرحية، ونسج علاقات معنا، كما نسجها معنا الأستاذ مصطفى الدرقاوي، وفنانون آخرون، و كنا نلتقي في منزل الركاب ونناقش الهموم الثقافية وكيف يمكن للفنانين أن يساهموا في دعم النضال الذي كانت تعرفه تلك المرحلة.

س : ماذا كنت تفعل في اللحظة التي تم اعتقالك فيها؟

ج : كنت في منزل الركاب، ولم أغادره، إلا في الخامسة صباحا، وكان علي أن أذهب للمدرسة على الساعة 7 صباحا، لكي أقدم الدروس للتلاميذ، ولقد اقترح علي المرحوم الركاب أن أقضي بقية الليلة عنده، ولكنني رفضت الاقتراح وقررت الذهاب إلى منزل أسرتي لكي أنام بعض الشيء، واستيقظ للذهاب إلى المدرسة، ولقد حملني في السيارة الأستاذ درغام وكان برفقتي يوسف فاضل الذي كان يسكن بجوارنا، وحوالي الساعة السابعة إلا خمس عشرة دقيقة، جاءتني والدتي وأخبرتني أن شخصين في الباب يسألان عني، واعتقدت أنهما من زملائي، فقلت لها دعيهما يدخلان، فكان ردها

أنها لا تعرفهما، وأنهما ليسا من أصدقائي المعتادين... وبطبيعة الحال أدركت أن الأمر يتعلق بأفراد من البوليس، فخرجت للتأكد مما كانا يريدان، فطلبا مني أن أرافقهما..

س : وبماذا أدركت أنهما أفراد من البوليس؟

ج : كانت حملة الاعتقالات قد انطلقت، وكنت أتوقع أنني سأعتقل في أي لحظة، ولقد اتخذت جميع الاحتياطات التي كانت تبدو لي ضرورية، فلقد أفرغت المنزل من الكتب، ومن كل الأشياء التي كنت اعتبرها أدلة أو حججا قد تستخدم ضدي، لقد كنت أتوقع الاعتقال، ولكن الأمر لم يكن قطعيا ونهائيا، فأنا لم أكن مسؤولا مباشرا في التنظيم، كنت عضوا في نطاق خلية، والذي لم أكن على علم به، هو أن الرفيق الذي كان على علاقة مباشرة معي في نفس الخلية، قد اعتقل.

س : وما هو التنظيم الذي كنت عضوا فيه والذي على إثره وقع اعتقالك؟

ج : كنت في تنظيم 23 مارس، وعندما اعتقلت كنت رفيقا، أي إطارا في التنظيم، وعلي مسؤوليات تنظيمية، وفي الواقع، فأنا كنت في التنظيم لحظة نشوئه، وإنما الذي كان حاصلا هو أن الرفاق المسؤولين كانوا يقبلون بالانخراط في التنظيم لأي مرشح للانخراط فيه، وفقا للتدرج تبعا لمراحل معينة، فحينما اعتقلت كنت رفيقا في تنظيم 23 مارس.

س : هل كانت لك مسؤولية محددة داخل التنظيم؟

ج : لا، لم تكن لي أي مسؤولية، سواء في اللجنة المحلية للدار البيضاء، أو في اللجنة الوطنية، لقد كنت مناضلا من مناضلي القاعدة...

س : كيف حدث وانخرطت في تنظيم 23 مارس؟

ج : في الحقيقة كنت أعتبر نفسي اتحاديا رغم أنني لم تكن لي أي صلة تنظيمية بالاتحاد، كانت لدي علاقة بالأستاذ عبد الله المنصوري وذلك في إطار الجو الثقافي، ومع الأستاذ مصطفى القرشاوي، ومع أحمد الطالبي، لقد كانوا أساتذتنا في الثانوية، وكنا نظهر لهم كتلاميذ نشيطين ولنا نضج معين، ولذلك كانوا يقربوننا منهم، ويتعاملون معنا كأصدقاء لهم، ويستضيفوننا في بيوتهم، فمثلا، عبد الله تيغزري كان أستاذي في الثانوية، ولكن خارج الثانوية كنا أصدقاء، أجالسه في المقهى وأذهب عنده للمنزل فإلى حدود لحظة الاعتقال كنا أصدقاءه. وفي سنة 1972 ذهبت إلى فرنسا وأنا عضو في التنظيم دون أن يكون لي ارتباط كبير به، لقد كنت أتوصل بالنشرات وأوزع مناشير المنظمة.

س : في أي إطار ذهبت سنة 1972 لفرنسا؟

ج : من أجل السياحة، ولكن في فرنسا التقيت بالأستاذ احمد الطالبي الذي كان قد لجأ لفرنسا تجنبا للاعتقال، وبعد عودتي من فرنسا أعددت تقريرا عن زيارتي لها، ثم سلمته للتنظيم، ولقد عثر البوليس فيما بعد على هذا التقرير وركز عليه، وأخذ يعاملني على أساس أنني كنت الخيط الرابط بين الداخل والخارج، فأحمد الطالبي كان متابعا في قضايا الاختيار الثوري مع الفقيه البصري، وتبعا لذلك أصبحت في نظر البوليس المنسق بين التنظيمين 23 مارس والاختيار الثوري، فذهابي إلى فرنسا كان بالنسبة للبوليس بغاية التنسيق، وكانوا يسألونني خلال الاستنطاق عن السلاح... فالأستاذ أحمد الطالبي ظل على اتصال بي عبر المراسلة، وكان الإعداد جاريا فيما يبدو لأحداث مارس 1973 التي وقعت في مولاي بوعزة..

س : هل وجدت نفسك منساقا وسط هذه الأحداث حتى بدون علمك؟

ج : وجدت نفسي في سياق علاقات ومهام كبيرة جدا، فالأستاذ أحمد الطالبي بعث لي برسالة وطلب مني الاتصال بالأستاذ سالم يفوت، الذي كنت قد التقيته لأول مرة في باريس عند أحمد الطالبي، كان اللقاء عابرا، وكانت تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها الأستاذ سالم يفوت الذي كان معروفا كمثقف وكقلم.

س : إلى أي تنظيم كان ينتمي وقتها الأستاذ سالم يفوت؟

ج : ليس لي علم بالتنظيم الذي كان ينتمي إليه، ولكن على كل حال، فهو أيضا قد اعتقل وعاش محنة الاعتقال، وأظن أنه كان يمثل الجناح السياسي لتنظيم الاختيار الثوري... المهم هو أنني لم أتصل به وفقا لما ورد في الرسالة التي بعث لي بها الأستاذ أحمد الطالبي... بعد مدة وجيزة انطلقت حملة الاعتقالات التي شملت سالم يفوت ومصطفى القرشاوي وعمر بنجلون، وقبل الاعتقال كنت قد التقيت بالأستاذ عبد الله تيغزري ومصطفى القرشاوي، ودار الحديث حول الوضع السياسي في المغرب والتأهب للاعتقالات التي كانت قد انطلقت على أشدها، وبطبيعة الحال لم يكونوا على علم بعلاقاتي بتنظيم 23 مارس.

س : كانا يتعاملان معك على أساس أنك مناضل اتحادي ؟

ج : كنت أخفي عنهما حقيقة انتمائي لتنظيم 23 مارس، وفي الواقع كانت لدي رجل هنا، وأخرى هناك، فالاتحاد الوطني للقوات الشعبية كان هو حزبي، ولكن الحركية كانت في تنظيم 23 مارس عبر توزيع المناشير...

س : ألم يكن يخلق لك أي إشكال الانتماء في وقت واحد لتنظيمين سياسيين مختلفين ؟

ج : شخصيا أقول لا، وبكل صراحة لم يكن لي وقتها الوضوح الذهني الكافي لكي أميز الاتحاد عن المنظمة، فبالنسبة لي الجميع كان يفكر ويخطط ويعمل من أجل القيام بثورة لقلب النظام، فالفرق لم يكن واضحا لدي، ولكن فيما بعد بدأت أميز بين التنظيمين.

س : الملاحظ الأخ أحمد من خلال سردك لمجموعة من الأسماء والأحداث، هو أن الجهة التي كانت تحمل الفكر الاشتراكي والثوري والاحتجاجي هي أسرة التعليم، فهي ناضلت وقاومت وكانت مسكونة بتغيير الواقع المغربي...

ج : هذا صحيح فالسياسة في المغرب مارسها بشكل مكثف رجال ونساء التعليم وكذلك المحامون، والسبب يعود إلى أن رجال التعليم كانوا دائما أكثر الناس وعيا واتصالا بالثقافة والفكر، وبالتالي كانوا الأكثر ديناميكية، بالإضافة إلى أن أغلب الوظائف التي كانت تشغلها الشبيبة المتخرجة من الكليات والمعاهد ومدارس التكوين، كانت وظائف في قطاع التعليم...

س : وربما حتى الأساتذة والمعلمون كانوا يتصرفون على أساس أن لهم رسالة ينبغي أن يبلغوها للطلبة والتلاميذ، ومضمون هذه الرسالة هو العمل على تغيير الواقع...

ج : مع الأسف هذا الهم لم يعد يشغل بال الأسرة التعليمية كما كان الأمر عليه في السابق، لقد كان مثلا فضاء الثانوية فضاء يساعد التلميذ على التحفيز على المعرفة، وكان يخلق التلميذ المجتمعي المندمج في هموم مجتمعه والمنشغل بمشاكله وقضاياه، وكان حتى الفضاء الثقافي ملائما، كان عدد الجمعيات الثقافية كبيرا جدا، وكان هناك انسجام وتكامل بين ما يجري في المدارس والثانويات وبين ما يقع في المحيط الاجتماعي، كان الأساتذة لا يكتفون بإعطاء الدروس وإلقاء المحاضرات في الثانويات والكليات، ويتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كانوا دائما على استعداد للمساهمة في كل الأنشطة التي

كانت تنظمها الجمعيات الثقافية، فكنا بمجرد ما نطلب من أي أستاذ الحضور لإلقاء محاضرة في دار الشباب مثلا، كان يستجيب على الفور لدعوتنا ويأتي ليحاضر ويناقش مع الشباب...

س : وبماذا يمكن تفسير غياب ذلك الحماس اليوم لدى الأسرة التعليمية؟

ج : أعتقد بأن ضغوط الوضع الاقتصادي والاجتماعي تمكنت من الأسرة التعليمية وتغلبت عليها، وتمكن النظام في النهاية من استيعاب هذه الفئة الاجتماعية، وجعلها تنشغل مع الكراء أو البناء والقروض الاستهلاكية، كما أن المدرسة والكلية لم تعد تضمن للمتخرج منها عملا يقيه ضروب الزمان، فالطالب الحاصل على شهادة جامعية يجد نفسه في الشارع، لا تفيده شهادته في أي شيء... فأنا مثلا توقفت عن الدراسة في الرابعة ثانوي، وبسهولة ولجت مدرسة المعلمين وتخرجت معلما، أما السياسة العامة في البلاد فإنها لم تكن تخطط للمستقبل ولإيجاد منافذ لتشغيل الشباب فيما بعد...

س : لنعد إلى لحظة الاعتقال... لما خرجت ووجدت رجلي أمن في الباب، ماذا قالا لك وكيف تعاملت معهما؟

ج : قدما نفسيهما إلي، وطلبا مني أن أرافقهما لأن شخصا ما قد ذكر اسمي، وأعربا عن رغبتهما في أن يكون الذي ذكر اسمي على خطإ، وطلبا مني اصطحابهما للتأكد من الأمر في عين المكان، غير أن الطريف في لحظة الاعتقال يتجلى في كون أسرتي كانت تتابع الحركية الدائبة التي كانت لدينا في المنزل من خلال الزيارات المتكررة والمتعددة التي كان يقوم بها أصدقائي الكثر لمنزلنا، ومن خلال قراءتي للكتب والأنشطة الموازية التي كنت أقوم بها، كانت أسرتي قلقة من أنشطتي هذه، وكانت والدتي تعبر لي دائما عن مخاوفها مما أقوم به، خصوصا أنني كنت الوحيد الذي أشتغل في الأسرة وأوفر لها دخلا قارا ومضمونا..

س : كان لوالدتك خوف من تعرضك للاعتقال؟

ج : كان لديها هذا الهاجس، وكانت تفتعل أمامي بعض القصص من نوع أنه التقاها شخص ما في الطريق وطلب منها أن تنصحني بالابتعاد عن كل ما قد يضرني وقد يسبب لي مشاكل... المهم بعد أن جاء البوليس أخذت أختي تصرخ وتبكي وتقول لي: ألم نكن ننهاك عما أنت فيه؟ وكانت وكأنها تقر قبلي بأنني منتم لتنظيم سياسي محظور وخطير وأستحق بموجب ذلك أن أعتقل، وهكذا

تم وضع القيد في يدي والعصابة على العينين، وانطلقت السيارة بنا، وتوقفت في مكان ما لوقت وجيز، أحسست أن الغرض من الوقوف كان هو إشعار جهة ما باعتقالي، ثم توجهوا بي إلى درب مولاي الشريف.

س : قبل الدخول لعالم درب مولاي الشريف، هل كنت لحظة اعتقالك منخرطا بوعيك الكامل في صفوف اليسار الجديد وكنت على استعداد لأداء ضريبة هذا الانتماء، أم العكس هو الذي كان حاصلا أي أن انتماءك لليسار الجديد جاء عن طريق الصدفة ولم يكن اختيارا مفكرا فيه بشكل متأن؟

ج : شخصيا كنت أمارس العمل المسرحي، وكانت لدينا تجربة مع جان بول سارتر، فمسرحياته كنا تقريبا نحفظها عن ظهر قلب، كنا نستظهر نصا لمسرحية الذباب مثلا. كانت تكتسح الساحة الثقافية موجة الوجودية بما تعنيه من رفض لبعض القيم، بالإضافة لاهتمامنا بالسياسة وبالوضع القائم الذي كنا لا نقبل به، وكانت الحركة الاتحادية هي طليعة النضال في المغرب، فإذن كنا داخل هذه الأجواء، وانطلاقا من الوجودية يمر الإنسان في الغالب نحو الماركسية، لأن هناك صلة فكرية بينهما هي التي تتجلى في الرفض لما هو قائم.

كنا مهيئين فكريا لكي نصبح منخرطين في 23 مارس، وأخذنا نشتري كتب ماركس ولينين ونقرأها، والإخوة الذين كانت لهم تجربة التنظيم وجدونا جاهزين للانضمام إليهم، وكنا نطرح الكثير من الأسئلة ونبحث لها عن أجوبة، فأنا أتذكر لقاء مع المرحوم عبد الرحيم بوعبيد والشهيد عمر بنجلون في دار بدرب الكبير، ولقد طرحنا عدة أسئلة عليهما، وكانت مدققة ومحرجة، وكان رد عمر بنجلون رحمه الله أن الأجوبة على هذه الأسئلة ستكون في الوقت المناسب.

س : الأسئلة التي كنتم تطرحونها من أي نوع كانت وما هي طبيعتها؟

ج : أسئلة حول العلاقة الممكن نسجها مع النظام ونحن نحمل فكرا اشتراكيا وثوريا وجذريا، وكان كل من المرحومين عبد الرحيم بوعبيد وعمر بنجلون يحاولان استيعاب قلقنا وغضبنا وتفهمه، وكما أسلفت، ففي هذا الوقت كنت على صلة بتنظيم 23 مارس، ولكنني ورفاقي كنا ما زلنا في طور البحث عن الفرق بين الاتحاد والمنظمة، ويمكن لي القول إنني كنت أعتبر تنظيم 23 مارس امتدادا للإتحاد الوطني للقوات الشعبية، فهما معا أسرة واحدة...

س : ألم تكن قيادة تنظيم 23 مارس تنتقد قيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية؟

ج : كان التركيز وقتها منصبا على النظام أساسا، وبطبيعة الحال في وسط الطلبة كان الشعار الذي يرفع هو: لا إصلاح لا رجعية/ قيادة ثورية، بمعنى أن قيادة الاتحاد إصلاحية، وبطبيعة الحال كنا نتأثر بالأجواء التي كانت سائدة بين الطلبة في الجامعة، والتي كان يصلنا صداها، لقد كانت الحوارات والنقاشات بيننا حامية الوطيس وفي نفس الوقت خصبة ومفيدة، كنا نجلس في المقاهي جماعات، ونناقش القضايا السياسية بصوت مرتفع ودون أي احتياط...

س : ألم تكونوا مدركين لخطورة الوضع في المغرب وللمآل الذي يمكن أن يؤول إليه من كان يتكلم وقتها في السياسة؟

ج : كان هناك حماس واندفاع كبير من طرفنا كشبان، كنا نهتم بالسياسة ومنشغلين بها، ولم نكن نتخوف من الاعتقال وأستطيع القول إن الاعتقال السياسي كان مفخرة للذي يتعرض له، وكنا قد عشنا تجربة للاعتقال الذي كان قد تعرض له الأخ فاضل يوسف، لأننا اشتغلنا كاشتراكيين وكماركسيين بمفهوم خاص لنا في مجال المسرح، وحاولنا على مستوى الجمعيات الاشتغال لتوسيع تأثيرنا داخل المسرح، ومن أجل تغيير توجهه، وأن نحول الصراع داخل الثقافة وداخل المسرح ضد الرموز التي كنا نعتبرها تلك الساعة تمثل النظام.

س : ومن هي الرموز التي كانت تمثل النظام في المسرح في نظرك ؟

ج : الطيب الصديقي بطبيعة الحال، كنا نعتبره رمزا للنظام في المجال المسرحي، ورمزا للثقافة السائدة، كنا نعتقد أنه ينبغي أن تتم التعبئة ضده، وضد أعماله، وإذا تم لقاء ما معه يتعين التصدي له، وكنا نشتغل لخلق اتحاد مسرحي للمدينة برمتها، اتحاد يكون له تجاه نضالي ويخرج من القوقعة التي كان يدور فيها، كانت لنا تجربة خاصة في مسرح الباسم ثم مسرح الأحمر..

س : هل تمكنت تجربتكم المسرحية من خلق تجاوب من طرف الجمهور معها، أم أنها ظلت نخبوية ومعزولة في نطاق ضيق؟

ج : أظن أننا قدمنا مسرحية رائعة لقيت استحسانا من طرف الجمهور وتفاعل معها، ولقد اعتقل بسببها يوسف فاضل، وكان عنوان هذه المسرحية هو الكيرة أي الحرب.

س : ما هو باختصار مضمون هذه المسرحية؟

ج : كنا قد قررنا تأسيس مسرح ملتزم ينسجم مع هموم المواطنين وتطلعاتهم، لقد أصبح لدينا إلمام بالمسرح، لأننا اشتغلنا في فرقة مع التسولي وأنجزنا معه عدة مسرحيات ودخلنا في تجربة بريشت واطلعنا عليها، وأصبحنا على اقتناع بضرورة إنجاز مسرح يعالج قضايا المواطنين بشكل ملتزم، وتصادف هذا مع إحداث حرب أكتوبر 1973 التي تواجهت فيها الجيوش العربية، مع إسرائيل، فقررنا التفاعل مع هذا الحدث وأن ننقله للخشبة، وأخذنا نناقش الموضوع بشكل جماعي، كيف تفاعل الشعب المغربي مع حرب 1973، والذين ساهموا في هذا النقاش هم: فاضل يوسف، ومحمد جبران، ومحمد السحماوي، والتحق بهذه التجربة فيما بعد شفيق السحيمي، وبطبيعة الحال كان الأخ محمد الركاب، وراء هذا العمل بشكل أو بآخر، وكما كان الموضوع هو تفاعل المغاربة مع الحرب، كان السؤال هو كيف نستهل المسرحية، ولأن البداية كانت الاستعداد للحرب والتفاعل معها، كان لابد من التطوع للمشاركة فيها، فبعد الحماس جاء التطوع، وكان المشهد الأول أمام ثكنة عسكرية قصدها الناس للتطوع.

س : والمشهد الثاني؟

ج : المشهد الثاني كان في السوق، وفي البادية، فالمكان الذي يلتقي فيه سكان البوادي هو السوق أمام بائع الإسفنج واللحم المفروم (الكفتة)، فهذا هو الفضاء الذي يلتقي فيه الناس، ثم عندما توقفت الحرب ماذا كان رد فعل المواطنين، لماذا توقفت؟ هل كانوا موافقين على توقفها؟ وكانت النتيجة التي وصلت إليها المسرحية هي أن الأنظمة هي التي كانت وراء توقيف الحرب، وكانت الغاية من المسرحية هي أن نطرح هذا السؤال: لماذا توقفت الحرب، وحين خرج الجمهور من القاعة بعد متابعة المسرحية كان السؤال المطروح على أفواه الجميع هو لماذا توقفت الحرب؟ لقد تم اعتقال يوسف فاضل بعد عرض المسرحية..

س : هل كان معكم في نفس التنظيم؟

ج : نعم كان معنا في نفس التنظيم، لقد صمد أمام الضغوطات التي مارسها عليه البوليس، ظل معتقلا وخاضعا للاستنطاق لمدة شهر بكامله، وكان يسأل عن المسرحية والجهة التي حرضته على

كتابتها، ونفى أن تكون له علاقة بأي جهة ما، وأن المسرحية كانت من بنات أفكاره وهو المسؤول عنها، وأذكر أنه بعد قضائه لشهر رهن الاعتقال أفرج عنه، وكان في شهر رمضان، لقد خرج في شتنبر، واعتقل معنا مجددا في نونبر، و ركز عليه البوليس أثناء الاستنطاق، لأنهم شعروا أنه تلاعب بهم في السابق.

س : هل كان الاشتغال بمسرح على هذه الصيغة موضع اتفاق من طرفكم جميعا، كيف حدث واتفقتم كلكم على الاشتغال بمسرح كله جرأة وتحد للسلطة؟

ج : لم تكن الصيغة الجديدة التي أخذنا نشتغل بها في مسرحياتنا موضع ترحيب من طرف الجميع، فبعض الإخوة أعربوا عن تخوفهم من الاتجاه الذي أعطيناه لأعمالنا وبدأوا يعترضون على ذلك، ومن ضمن هؤلاء الفنان محمد بن إبراهيم، كان هو رئيس الفرقة، وطرح علينا بشكل واضح الابتعاد عن فرقته والبحث عن فرقة أخرى للاشتغال فيها، وهكذا أسسنا فرقة مسرحية أخرى أطلق عليها اسم المسرح الأحمر.

س : من الذي يرأسها؟

ج : ترأستها في البداية قبل أن أعتقل، فلقد اعتقلت وأنا رئيسها، قدمنا مسرحية خلفت صدى طيبا بعد عرضها، والقصة تتحدث عن شخصين يلتقيان أمام حديقة للحيوانات، فواحد بورجوازي والآخر فقير، ونشب خلاف بينهما حول كرسي في الحديقة، من الذي يحق له الجلوس عليه، وفي نهاية القصة يموت الإنسان الفقير وهو فرح لأنه منع الإنسان البورجوازي من الجلوس على الكرسي، لقد دخلا في حوار، ويتبين للجمهور من خلال هذا الحوار الانتماء الطبقي لكل واحد منهما، ولقد قمنا باستغلال فضاء المسرحية، وكان معنا مخرج جيد الذي هو نور عبد اللطيف، لقد أضاف هذا المخرج الشيء الكثير لتلك المسرحية لكي يعكس الصراع الاجتماعي الحاصل في المجتمع، حيث ظهر البورجوازي بشكل بشع جعل الجمهور يرفضه، ويتعاطف في نفس الوقت مع الإنسان الفقير، كانت مسرحية ناجحة، وكنا نسير على هذا النهج، فلقد كنت أشتغل رفقة يوسف فاضل ونحن في التنظيم.

س : كنتما في التنظيم وتشتغلان على الواجهة المسرحية؟

ج : كانت لنا خلفية أن هذا المسرح يتعين أن يمضي وفقا لتصورنا السياسي وقناعاتنا الإيديولوجية، وكان الأمر مختلفا بالنسبة للإخوة الآخرين، فلقد كانوا معجبين بالنصوص المسرحية وبالتوجه الجديد الذي أصبحنا نشتغل عليه، ولكنهم كانوا في نفس الوقت يتخوفون مما نحن فيه، بحيث لم تكن لديهم

الإرادة التنظيمية للمضي بعيدا في الخط الملتزم، فأنا لا أقول إنهم كانوا ساذجين ولا يعرفون ما يفعلون، لا، كانوا هم أيضا معارضين للنظام ولسياسته، ولكن بلا رغبة في الذهاب إلى حد المواجهة، و تبين لهم فيما بعد أننا لا نراعي ربما تحفظاتهم، ولقد فكرنا في إنجاز مسرحية نعالج فيها الصراع الذي كان قد بدأ يظهر مع الإسلاميين.

س : لم يكن الصراع قد انطلق بعد، بين اليسار والقوى الإسلامية؟

ج : كان قد انطلق وفكرنا في معالجته مسرحيا، وأن نبرز من خلال نص مسرحي إلى أي حد يمثل الإسلاميون الماضي والرجعية والتخلف من وجهة نظرنا، وتفجر خلاف بيننا نحن الإخوة الذين كنا نشتغل في نفس الفرقة، فهذه المسرحية تم التفكير في انجازها بشكل جماعي و تكلف الأخ محمد جبران بكتابة جزء من المسرحية على أن يكتب يوسف فاضل الجزء المتبقي، ففي الجزء الذي كتبه جبران تحدث فيه عن قرية تعيش مشاكل، ولإيجاد الحلول لهذه المشاكل كانت هناك وجهة نظر الفقيه الذي كان يعيش في القرية، ومن جهة أخرى كانت هناك وجهة نظر سكان آخرين كانوا معارضين لما كان يقوله الفقيه، وفي نهاية الجزء الأول يموت الفقيه بشكل تراجيدي، بحيث يجده السكان ميتا بشكل غريب، ولقد وقفنا عند هذه القضية ورفضنا موت الفقيه، على اعتبار أننا لا ينبغي أن نفكر في قتل الدين نهائيا، وبعض الإخوان تشبثوا بموت الفقيه، فيما بعد اكتشف الإخوان أننا ننتمي إلى تنظيم سياسي محدد لأن أحد الرفاق السياسيين أخذ يحضر معنا للنقاشات وللإعداد للعروض، وبطبيعة الحال كان تفكير هذا الرفيق السياسي ينصب على أن يقحم الجميع ويوظفه في التنظيم، بحيث إنه إذا كان مطروحا الاختيار بين العمل في المسرح أو الانخراط في التنظيم فإنه كان يفضل التنظيم.

س : ألم يكن عملكم على الواجهة المسرحية أفيد وأهم بكثير للتنظيم؟

ج : بطبيعة الحال، فالمثقف والفنان يتعين أن يشتغل في مجال تخصصه وأن يبتعد كل البعد عن التنظيم في عمله اليومي المباشر، ولنأخذ مثلا عبد القادر الشاوي، كان مثقفا بارزا في تلك المرحلة وكان يشتغل في اتحاد كتاب المغرب وكان عضوا نشطا في المجال الثقافي، ولكن كانت له مسؤوليات تنظيمية، ولما التقيته في خلية للتعليم كنت أعرفه سلفا كمثقف، وككاتب، وكان من الجائز جدا أنني إذا ما اعتقلت وعذبت فأول من قد أعترف به هو عبدالقادر الشاوي...

س : ربما وجود مثقف له إشعاع داخل التنظيم قد يساعد على استقطاب شباب آخر للانتماء لنفس التنظيم؟

ج : ولو، فهذا هو الجانب الإيجابي في العملية، ولكن عندما نأتي بمثقف كبير للتنظيم، وهو الذي بإمكانه أن يقدم الشيء الكثير في الثقافة، فإنه يحكم عليه بالموت في المجال الثقافي، فعندما يتم تكليفه بخلايا أو لجن تنظيمية للاجتماع بأعضائها وبكتابة التقارير، فإن الوقت الذي من المفروض أن يخصصه للثقافة يتم نزعه منه ... وبالعودة إلى الفرقة المسرحية فقد أصبح بعض الإخوان يغلبون النقاش السياسي ، مما جعل آخرين يتحفظون عن المسار الذي تمضي فيه الفرقة، ولكي تستمر التجربة وتحقق النجاح المتوقع منها، قررت الانسحاب من الفرقة.

س : لماذا قررت الانسحاب؟

ج : أصبحت أشتغل خارج الدار البيضاء بمدينة برشيد تحديدا، وبالتالي لم تكن لدي إمكانية الحضور باستمرار لاجتماعات وأشغال أعضاء الفرقة، فلقد كنت آتي للدار البيضاء فقط في نهاية الأسبوع، وهكذا انسحبت من الفرقة ولكنني مكثت على اتصال بأعضائها، وأنجزنا مسرحية أخرى تحت عنوان الطفل في المدينة، وكتبها يوسف فاضل، وحاولت هذه المسرحية، أن تعكس دور الشبيبة في المجتمع، فالطفل في المسرحية تبحث عنه المدينة بأسرها بغاية قتله لأنه ارتكب فعلا لا يعجب الحاكم، وكانت المسرحية مليئة بالرموز والإيحاءات، وبدأت فرقتنا تعرف في المدينة بأن لها مسرحا متميزا عن الإخوان البدوي والطيب الصديقي.. وكان النقاش مع الجمهور حول المسرحية ينطلق بعد نهاية كل عرض...

س : هذه الأنشطة المسرحية التي كنتم تقومون بها ألم تثر إليها انتباه الأجهزة القمعية، ألم تلتفت إليها؟

ج : في الحقيقة بعد استرجاع أطوار تلك المرحلة، وحتى بعد أن ألقي القبض علينا، تبين أن البوليس لم يكن مهتما كثيرا بتجربتنا المسرحية، كان يركز كثيرا على الجانب السياسي ممثلا في الإتحاد الوطني للقوات الشعبية والتنظيمات اليسارية الأخرى، فالجانب الثقافي كان البوليس لا يكترث به بشكل كبير، وكان بإمكاننا التركيز عليه كثيرا.

كانت في المغرب حركة ثقافية في مجملها يسارية مضمونا وشكلا، وإذا رجعت مثلا إلى العلم الثقافي ستجد أنها كانت تنشر للعديد من الأقلام اليسارية، كان من الصعب على أي مثقف أن لا يقول عن نفسه إنه ماركسي أو مادي، وأنا أتساءل لماذا لم تهتم الأحزاب السياسية الوطنية بدعم تلك التجربة لكي تظل مستقلة عن السياسة، وأن يظل المثقفون يقومون بدورهم ... كانت المقرات الحزبية دائما مجالا لأنشطة ثقافية ذات بعد سياسي، ولقد تربينا في هذه الأجواء، بحيث كنا بانتظام نتابع المحاضرات التي يلقيها الأساتذة والمناضلون، وهذه الأجواء هي التي ساعدت على بناء تفكير متقدم، لقد كانت المرحلة خصبة ومنتجة.

س : صحيح كانت هناك هيمنة ثقافية يسارية في الساحة الثقافية الوطنية، ولكن هذه الهيمنة لم تكن تراعي في بعض الأحيان الخصوصيات الثقافية المحلية، فالعديد من قوى اليسار كانوا ينظرون إلى الدين مثلا نظرة فيها نوع من الازدراء، ولم يكن المثقف في بعض الأحيان قادرا على الإعلان بأنه يصلي ويصوم... لكي لا يتهم بالتخلف والرجعية... هذه النظرة للدين ألم يكن لها استقبالا انعكاس سلبي على الثقافة اليسارية عموما...؟

ج : كانت هناك شروط ناضجة للعمل الثقافي في المغرب، ولكن سوء التعامل مع هذا الوضع الثقافي هو الذي أدى فيما بعد إلى الإضرار بالعمل الثقافي نفسه، وكما أشرت في سؤالك تجلى سوء التعامل في النظرة التي كانت سائدة عن الدين، فأنا أذكر أن الصيام كان غير موجود في الكليات، فالأغلبية المطلقة للطلبة كانوا لا يصومون ويأكلون ويشربون ويدخنون داخل المدرجات، وبطبيعة الحال كان سلوك الطلبة هذا ناتجا عن نزعة الرفض والتمرد على قيم المجتمع التي كانت سائدة، بالإضافة للمسؤولية التي كان يحملها البعض للدين عن تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. فلقد تحدثنا عن المسرحية التي فجرت خلافا كبيرا بين أعضاء فرقتنا والتي كنا نريد فيها قتل الفقيه بشكل تراجيدي وبشع، لقد حاولنا استثمار انتفاضة قبائل أولاد خليفة وحاولنا أن نستنبط منها نصا مسرحيا لتترك صدى وسط الجمهور...

س : ألم تسقطوا في مسرح يركز على ترديد الشعارات، قبل التركيز على البعد الفني والجمالي في النصوص؟

ج : كنا على وعي بهذه المسألة وكنا نسعى لتجنب الوقوع في هذا الخطأ، فالكثير من الشبان تبدو لهم أحيانا الكتابة سهلة بحيث يكتفي بالسب والشتم وترديد الشعارات والمقولات الجاهزة. لذلك كنا نتجنب مثل هذه الكتابات ونركز على المواضيع التي لها عمق وفيها أحداث تربط الإنسان بواقعه،

وتجعله يفكر فيه من خلال الوقائع الموجودة في النص المسرحي، فكتابات يوسف فاضل وحتى محمد جبران كانت ناضجة، وقاومت السقوط في ترديد الشعارات السهلة والجاهزة، وأذكر أن أول مسرحية كتبها محمد جبران لم يقبلها منه أي أحد، وكان عنوانها الصفر.

س : لماذا لم يقبلها أي أحد منه؟

ج : كانت تتحدث عن شخصين مسحوقين يشتغلان في التعاون الوطني، وكانا يحكيان مشاكلهما، وظهر حدث المسرحية وكأنه لا يتحرك، ولقد قمنا باستغلال فضاء هذه المسرحية للتطرق للعديد من مشاكل المجتمع من خلال هذين الشخصين المسحوقين اللذين كانا يصارعان من أجل الحصول على لقمة الخبز، ولقد اشتغل على هذه المسرحية الأستاذ السحماوي وقام بمجهود جبار في إخراجها، ولما عرضت خلفت صدى إيجابيا جدا، وجعلتنا نبرز كفرقة وكأسماء، وأذكر أنه عقب هذه المسرحية دخلنا في علاقة مع محمد الركاب الذي أصبح مرتبطا بنا بشكل كبير، وأصبح فيما بعد هو رئيس الفرقة، ولما شاهد الطيب الصديقي المسرحية أعجب بها، وقال لمحمد جبران اعطني ذلك الصفر لكي أكبره..

فهذه المسرحية تمكنت من أن تشد إليها الجمهور لمدة ساعة ونصف وهي تروي فقط قصة شخصين يشتغلان في التعاون الوطني بعد أن ينتهيا من عملهما ويجلسان أمام المركز الذي تجمع فيه أدوات عملهما، وينهمكان في الحديث عن معاناتهما ويدخلان في تشخيص فضائهما ومعاناتهما، لقد كانت المسرحية بسيطة ولكنها عميقة وجميلة... كنا نشتغل كثيرا في تجربتنا على الإيحاءات، لقد شخصنا أول مسرحية أنجزها يوسف فاضل وكانت تحت عنوان وراء الباب، إنها الأولى التي دخل بها لعالم المسرح، فهذه المسرحية تتحدث عن شخص جاء يسرق مقبرة، فيلقي عليه القبض من طرف الموتى، ويشرعون في محاكمته على أعماله السيئة التي يقوم بها في الدنيا، وكان هذا أول عمل مسرحي يتميز بنظرته الفانطازية، لقد اشتغلنا على هذه المسرحية بالضبط سنة 1965، فيوسف فاضل هو الذي كتب المسرحية وأنا الذي أخرجتها، وخلفت صدى كبيرا في الساحة المسرحية، واهتمت بها وقتها وزارة الشبيبة والرياضة.. ففي هذه المسرحية أخذ الأموات حريتهم في توجيه النقد للأوضاع السائدة في المجتمع. وكنا قد اشتغلنا على مسرحية أخرى تحت عنوان خبايا القصور، وكانت تدور حول المشاكل الموجودة داخل قصر...

س : لنعد إلى لحظة الاعتقال، حين وصلت إلى درب مولاي الشريف ماذا وقع؟

ج : تم استبدال ثيابي وقدمت لي التوجيهات الضرورية بأن لا أتكلم ولا أتحرك من مكاني وإذا أردت شيئا ما علي أن أنادي على "الحاج" ، وقبل إلحاقي بالإخوان الآخرين الذين اعتقلوا قبلي تركوني معزولا وحدي في ممر لبعض الوقت.

س : ما هي الحكمة من وراء تركك لوحدك معزولا في ممر؟

ج : يتركونك تعيش هاجس الترقب والانتظار والقلق والتساؤل عما سيقع، بحيث تسمع أنين الذين يمرون قربك، أنينهم من جراء التعذيب، وتظل على هذه الوضعية لا أنت بالنائم ولا بالمستيقظ، وتعيش في أجواء كابوسية، وتتمنى التخلص من لحظة الانتظار هذه وأن يتصلوا بك ليفعلوا بك ما يشاؤون، فالمهم هو أن تخرج من جحيم الانتظار، ولكن إذا كانوا في حاجة ملحة لانتزاع معلومات محددة من المعتقل يفترضون أنها في حوزته، فإنهم يباشرون عملية التعذيب لحظة اعتقاله، إذ بمجرد دخوله تنطلق آلة التعذيب، وفي حالتي فلقد كان المسؤول عن التنظيم هو الذي دلهم على اسمي، وعندما ألقي علي القبض كان جميع أعضاء خليتي قد عرفوا، والإعدادات جارية لاعتقالهم، لذلك لم يكن لديهم إلحاح في تعذيبي لانتزاع اعترافات مني، ولقد أخذوا يسألونني فيما بعد عن علاقتي مع الفقيه محمد البصري..

س : هل كانت لك علاقة ما بالفقيه البصري؟

ج : في الحقيقة كانت هناك علاقة غير مباشرة، فلقد ذهبت إلى فرنسا ولم تكن لدي الإمكانيات المادية لاقتناء تذكرة العودة إلى المغرب، ولقد ساعدني الإخوان الاتحاديون الموجودون في فرنسا، ووفروا لي ثمن التذكرة على اعتبار أنني في رأيهم داخل تنظيم الاختيار الثوري ، وفيما بعد أخذ البوليس يسألني عن بعض الوثائق التي عثروا عليها، وعن بعض العمال الذين كانت لي بهم علاقة، وقررت مع نفسي أن لا أدلهم على أسمائهم مهما كان الأمر، لأنني كانت لي بهم علاقة عائلية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كنت أعتبر أن اعتقال هؤلاء العمال الذين كنت على علاقة بهم سيشكل أكبر هزيمة سأتلقاها في حياتي.

وكما أشار إلى ذلك عمر الزايدي فإن المناضل خلال التعذيب إذا تغلب على الخوف واستحضر جميع السيناريوهات المحتملة وأعد الأجوبة الملائمة عنها، فإنه يستطيع أن يصمد ويراوغ، وأنا أيضا اشتغلت بهذه المنهجية، ولما سئلت عن العمال أجبتهم بأنني فعلا كنت على اتصال بهم بتكليف من

المنظمة، وكنت ألتقي بهم في حديقة وأزودهم بالوثائق فيها، وكنا نبحث عن مقر لنعقد فيه اجتماعاتنا، أي أنني لا أعرف أين يوجدون حاليا... وسألوني عن مناضل آخر كان يعد تقارير كثيرة، وكانت لي علاقة به، وكان هذا المناضل لا يتوقف عن كتابة التقارير عما يجري في الشارع، ولأنها كانت تقارير جميلة فلقد كنت أسلمها للمنظمة، ولقد قدموها لي في درب مولاي الشريف وسألوني عن صاحبها، وعلى الفور كان جوابي أن الذي كان يكتب هذه التقارير سافر إلى السويد، وبالنسبة لي كان في حقيقة الأمر في المغرب، قلت لهم إنه سافر إلى السويد من باب التستر عليه، وصدقوني وطوي الملف واعتبروه هاجر إلى السويد، والغريب هو أني بعد أن خرجت من الاعتقال وسألت عنه قيل لي إنه هاجر فعلا إلى السويد...

س : كم قضيت في درب مولاي الشريف؟

ج : 10 أشهر بلياليها ونهاراتها، فلقد اعتقلت بعد عزيز الوديع، ثم اعتقل صلاح بعدي، أي في اليوم الموالي، فرقمي كان لدى البوليس هو 30 وعزيز 29، فلقد اعتقل في السابعة مساء وأنا في السابعة صباحا، لقد كنا على استعداد لتحمل تبعات الاعتقال، ولكن الملاحظ هو أن البوليس لم تكن تهمه المعلومات بقدر ما كان يحتاج إلى تعذيب المعتقل، كان الضرب أحيانا من أجل الضرب بحيث يتم ضرب المعتقل على القدمين اللتين يمشي بهما للمواعيد، فهو لا يستنطق من أجل الحصول على معلومات لإعداد محضر من أجل عرضه على القضاء، إنه يستنطق ليضرب وليعذب، فالبوليس لا يكف عن الضرب إلا إذا أعرب المعتقل عن نيته ورغبته في التعاون معه بتزويده بكل المعلومات سواء تلك التي يبحث أو لا يبحث عنها...

س : وما هي المدة التي تم الحكم عليك بها؟

ج : 22 سنة سجنا نافذا، ولم أصدق في بداية الأمر أنني حوكمت بهذه المدة ونفس الأمر بالنسبة لباقي الرفاق، فبعد أن تلي علينا قرار الإحالة وأطلعنا على ما كانت تطالب به النيابة من حكم بالمؤبد وبثلاثين سنة، وكان ذلك في ساحة السجن، كنا نضحك حين كان الموظف يقرأ علينا قرار الإحالة، واعتبرنا أن هذا شيء مستحيل. وحتى عندما تلقينا الأحكام كانت معنوياتنا مرتفعة ولم نصدق الأمر في البداية، وفي الواقع لم نشعر بقيمة الأحكام التي صدرت في حقنا إلا بعد مرور حوالي 3سنوات في السجن، ساعتها تأكدنا أن الأحكام كانت جدية، ولقد كنا في تنظيم 23مارس أقرب إلى الواقع، وكما

أشار إلى ذلك سابقا الأستاذ علال الأزهر، فإن المنظمة رفعت شعار التراجع المنظم والتركيز على التكوين، في حين أن رفاق إلى الأمام كانوا يعتبرون أن النظام في أزمة خانقة، وأن الجماهير مستعدة للقيام بثورة، وأن هناك ضرورة لبناء الحزب تحت نيران العدو. جاءت لحظات أصبحنا نعتقد فيها أن من المحتمل أن نقضي في السجن المدد المحكوم علينا بها، ولا شك أن تسليمنا بهذا الأمر الواقع ساعدنا بمعنى من المعاني علي الصبر والتحمل والاستعداد لاحقا للنضال داخل السجن..

س : كان احتمال قضاء المدد المحكوم عليكم بها في السجن أمرا واردا؟

ج : كنا ملزمين بالتعامل على هذا الأساس، لقد رتبنا حياتنا وأوضاعنا ووضعنا برنامجا على أساس أننا سنقضي المدد المحكوم علينا بها وراء القضبان، وكان هناك احتمال ثان وهو أن بالإمكان أن نخرج من السجن، لأنه بدأت حركية سياسية في البلاد، وكان الإخوة في الاتحاد الاشتراكي قد دخلوا في تجربة المسلسل الديمقراطي، والتي كانت إمكانية الانفراج فيه واردة، خصوصا وأن تنظيمنا في الخارج استمر في اشتغاله، واتخذ موقفا مساندا لاستكمال المغرب لوحدته الترابية، ودخل في علاقة تعاون وتفاعل مع القوى الوطنية لتجاوز مرحلة الانعزال، واندمج في صيرورة النضال الديمقراطي والصراع في إطاره، وبالمناسبة لقد كان الشهيد عمر بنجلون رحمه الله هو الذي ينوب عني كمحام رفقة بعض الرفاق الآخرين، ومع الأسف فلقد زارنا في السجن لمرة واحدة ثم اعتقل بعد ذلك.

س : ومتى وكيف خرجت من السجن؟

ج : خرجت في غشت سنة 1984، وكان قد بدأ نوع من الانفراج السياسي، فلقد صدرت جريدة أنوال، وتشكلت منظمة العمل الديمقراطي الشعبي، وبرزت في الساحة أجواء سياسية مغايرة استدعت وفرضت الإفراج عنا...

العربي خروج

التجويع كان واحدا من الأساليب الفتاكة للتعذيب

س : الأخ العربي في أي يوم وفي أي شهر وفي أي سنة وقع اعتقالك الاعتقال السياسي؟

ج : قبل الإجابة على السؤال أود في البداية أن أشير إلى أن هذه المبادرة أعتبرها محاولة للتأريخ لمرحلة تاريخية عاشها الشعب المغربي، ومن المفروض أنه لا ينبغي التستر على الوقائع والأحداث التاريخية لتلك المرحلة، فهي تاريخ وملك مشترك للشعب المغربي، ومن حق الجيل الحالي وحتى الأجيال التي ستليه الإطلاع على هذه المرحلة من تاريخ المغرب لتكون على بينة منها وتستفيد من معطياتها وحقائقها، فكما هو شائع فإن الذي لا يعرف تاريخه محكوم عليه بإعادة إنتاجه.

أما فيما يخص تاريخ الاعتقال، فإنني تعرضت مرات متعددة للاعتقال، فلقد اعتقلت سنوات 1963 و 1973 و 1981، و 1983، وهذه كلها فترات للاعتقال، ففي سنة 1963 اعتقلت وأنا ما زلت صغيرا جدا، إذ لم يكن عمري يتجاوز بعد 17 سنة وكنت ما زلت طالبا، غير أن الاعتقال في هذه المرة كان لمدة قصيرة جدا...

س : كم دامت؟

ج : لم تدم طويلا، فالاعتقال الذي طال الإخوان في الدار البيضاء كان فيما أعتقد بتاريخ 16 يوليوز 1963، وفي تلك الليلة تم اعتقالي من طرف رجال الدرك في إحدى القرى بالخنيشات بنواحي سيدي قاسم، وكان قائدا على تلك المنطقة وقتها أحد القواد ممن عملوا مع المستعمر، وأصبح في وقت لاحق مساعدا كبيرا لأوفقير، كان اسمه زروال وكان من ضمن الموقعين على عريضة خلع محمد الخامس ومبايعة بن عرفة، وفيما بعد جيء بي إلى الرباط بعد أن قضيت لدى الدرك الملكي حوالي 3 أيام، ثم قضيت حوالي 10 أيام في إدارة الدرك الملكي بالرباط ليفرج عني بعدها، أما الاعتقال الذي حدث في سنة 1973 فلقد تم في شهر مارس وتحديدا صبيحة يوم السبت أي حوالي الواحدة صباحا، 29 مارس 1973، وكان معي لحظة الاعتقال في منزلي الأخوة : الطيب منشد، وعبد الجليل باحدو، ومحمد الجبيلي رحمه الله...

س : كانوا ضيوفا لديك؟

ج : كانوا ضيوفا لدي، وكنا نتذاكر في إطار عادي حول القضايا التعليمية والوضع السياسي في المغرب، لأن في تلك اللحظة كانت الاعتقالات تشمل المناضلين الاتحاديين بشكل متتال ومتلاحق، كنا في منزلي نتذاكر حول ما يقع في المغرب، وإذا بباب العمارة يفتح رغم أنه كان مغلقا، بحيث لم أعلم كيف تم فتحه، وسمعت دقا على باب منزلي، ولما فتحت وجدتني في مواجهة 4 أشخاص..

س : في هذه اللحظة هل كنت متزوجا أم أعزبا؟

ج : كنت متزوجا، وكانت معنا في المنزل زوجة الأخ مصطفى الملحاوي الذي كان قد تم اعتقاله قبلي بأسبوع. فوجئنا بوجود 4 أشخاص أمام الباب، كانت وجوههم تشي بأنهم شباب أعمارهم تدور في فلك الأربعين سنة، وكان معهم رئيس قسم الاستعلامات لمدينة سلا، لقد انصب اهتمامهم على تفتيش منزلي، وتم التفتيش بشكل دقيق في جميع الغرف، وبعثروا الكثير من محتويات المنزل، ثم وضعوا العصَابات على أعيننا وأخذونا معهم، وأتذكر أنني ارتديت جلابتي، فوضعوا القب فوق وجهي وقبله البانضا، وأخذونا في سيارتين حسب ما أظن.

س : ما هي المهنة التي كنت تزاولها حين تم اعتقالك؟

ج : كنت رجل تعليم، وكان الإخوة الطيب منشد وعبد الجليل باحدو ومحمد الجبيلي، في هيأة التعليم أيضا.

س : بعد إلقاء القبض عليكم إلى أين تم اقتيادكم؟

ج : تم اقتيادنا إلى كوميسارية الرباط، وبعد إجراء أخذ المعلومات أدخلنا إلى زنزانة، ولقد أدركت فيما بعد أن الذين ألقوا القبض علينا هم عناصر من الفرقة الوطنية DST وكانت تعمل تحت إمرة قدور اليوسفي والحمياني...

س : عندما كنت في منزلك رفقة الإخوة منشد وباحدو.. هل كنتم تتوقعون أن هناك إمكانية لاعتقالكم في تلك الظروف، أم أن الاعتقال لم يكن واردا؟

ج : أنا شخصيا كنت أتوقع أنه سيقع اعتقالي، فأنا أتحدث عن نفسي، ولا يمكنني أن أجيب على هذا السؤال فيما يتعلق بالأخوة، فعشية ذلك اليوم أو حوالي الساعة الرابعة مساء كنا في الرباط، وكنت

في شارع محمد الخامس والتقيت بإخوة مناضلين وجلسنا معا في المقهى، وكنت أشعر بوجود حركة غير عادية من حولي، لقد كنت أحس أنني مراقب ومتابع، ولذلك أخذت أتوقع الاعتقال، فالعديد من رفاقي كانوا قد اعتقلوا، فالالتحاق بهم كان بالنسبة لي أمرا واردا.

س : من هم رفاقك الذين اعتقلوا قبلك، وأصبحت نتيجة لذلك تتوقع أنت أيضا الاعتقال؟

ج : على رأسهم عمر دهكون رحمه الله، والملياني، ومصطفى اجدايني رحمه الله، والأخ مصطفى الملحاوي الذي كان يقطن قريبا من منزلي، فلقد اعتقل يوم الجمعة، وأنا اعتقلت في الجمعة الموالية.. هؤلاء الشباب اعتقلوا ووجهت لهم تهمة السعي لقلب النظام، وفي الواقع كان هذا الشباب ثوريا وثائرا أساسا ضد الأوضاع الفاسدة آنذاك، وكان هؤلاء الشباب كلهم اتحاديين، فإذا كان هناك من أسست السجون وأنشئت من أجله في الأصل وفي البداية، فإنها بلا شك الحركة الاتحادية، فالتعذيب والاختطاف والقهر مورس بعد الاستقلال على الاتحاديين، فهم الذين استهل بهم النظام القمع والبطش لأنهم كانوا الأوائل الذين عارضوه، فكان لابد من أن يرميهم في المخافر والزنزانات والمعتقلات السرية، وجاء بطبيعة الحال بعد الاتحاديين شباب آخر من مختلف الفصائل والتيارات. هذه الفصائل خرجت في الحقيقة من جلباب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. فالإنسان الاتحادي هو الذي تجلت في شخصه ظاهرة الاعتقال السياسي في مغرب ما بعد الاستقلال..

س: بعد أن ألقي عليكم القبض وتم اقتيادكم للكوميسارية ماذا جرى؟

ج : خضعت لجولتين من التعذيب والاستنطاق، وكان الاستنطاق يمتد لأكثر من ساعة، فالذي كان يوجه لي الأسئلة كان يقف وراء ظهري، والآخرون كانوا يحيطون بي من كل جهة، ولا حاجة للتذكير بنوعية الكلام الذي يوجه للشخص خلال الاستنطاق، فهو كله ساقط وبذيء والقصد منه إهانة المعتقل والحط من كرامته، لقد كانوا من حين لآخر يزيلون العصابة عن عيني لينظروا فيها موجهين لي أسئلتهم، ولذلك أنا أعرف بعضهم..

س: هل مازلت تلتقي بهم إلى اليوم؟

ج : نعم مازلت ألتقي بهم لمرات متعددة إلى حدود اليوم.

س : وهل تشعر أنهم مازالوا يتذكرون أنهم عذبوك واستنطقوك؟

ج : أعرف أنهم يتذكرونني ويعرفونني جيدا، فكلانا يعرف الآخر، فأنا أذكر جيدا قسمات ووجوه كل الذين عذبوني باستثناء المسؤول الذي كان يقف خلف ظهري، فهذا هو الوحيد الذي لا أعرفه . وبطبيعة الحال فإن الاستنطاق يكون دائما مصحوبا بالتعذيب، وعندما أقول التعذيب فإنني أقصد كل أشكاله وضروبه التي قد تخطر أولا تخطر على البال، فمن جراء العنف الذي مورس علي خلال التعذيب اضطروا لحملي لمرتين إلى المستشفى، فلقد كنت أسقط في غيبوبة تامة وأصبح قاب قوسين أو أدنى من الموت، فيكونون مضطرين لأخذي إلى المستشفى قصد العلاج واسترداد عافيتي بعض الشيء ثم يستأنفون التعذيب من جديد... لقد قضيت في الكوميسارية بالرباط حوالي 10 أيام، وجاء لزيارتنا مدير الأمن وقتها الذي كان اسمه ربيع، لقد تفقد أحوالنا ليتأكد بنفسه كيف تتم عملية التعذيب، هل على أشدها أم لا..

س : ما هي الأوقات التي يمارس فيها التعذيب؟

ج : غالبا في الليل، وابتداء من العاشرة إلى حدود الفجر يقضي الإنسان الليل على وقع الصراخ الناجم عن ألم التعذيب، صراخ حاد وفظيع على امتداد الليل بكامله، وهذا الصراخ في حد ذاته عندما كان يسمعه المعتقل كان هو لوحده يشكل مصدرا للتعذيب والترهيب والتخويف، فأنا أذكر أنه يوم السبت حوالي الساعة 1 زوالا أخذونا نحن مجموعة ممن كنا معتقلين في الكوميسارية، وأفرجوا عن الإخوة الطيب منشد، وعبد الجليل باحدو، ومحمد الجبيلي، فلقد كان البوليس يسألني عن العلاقة التي تربطني بهم، وكان جوابي أن علاقتي بهم لا تتجاوز حدود الصداقة، وأن لا صلة لهم بممارستي السياسية أو الفعل الذي أفكر فيه..

س : ما هي نوعية الممارسة السياسية التي كنت تمارسها، والتي في ضوئها رفض البوليس الإفراج عنك، في حين أطلق سراح رفاق لك اعتقلوا معك؟

ج : فيما يخصني كانت اهتمامات البوليس منصبة عن علاقتي بعمر دهكون والتنظيم الذي يشرف عليه، والأسلحة، والهجوم الذي نعتزم القيام به..

س : هل كانت لك فعلا علاقة بعمر دهكون...؟

ج : تابعت دراستي مع عمر دهكون في نفس المدرسة، و كنا نقطن في وقت من الأوقات في منزل واحد، وكانت تربطنا علاقة حميمية، والأكثر من هذا فإن الأخ عمر دهكون عندما حكم عليه غيابيا بعشرين سنة سجنا نافذا في محاكمة مراكش، كان يوجد في سلا، وكنا على اتصال مستمر به.

س : رغم أنه كان محكوما بهذه المدة من السجن؟

ج : رغم أنه كان محكوما بهذه المدة، كنا على اتصال به، ونلتقي بانتظام، فلقد كان لدينا اقتناع راسخ بأن الحكم الصادر في محاكمة مراكش سنة 1971 ضد عمر دهكون، كان نتيجة محضر ملفق ومنفوخ ومبالغ فيه من طرف البوليس، صحيح أننا كنا ننتقد الوضع ونسعى بجميع الوسائل وبكل الإمكانيات من أجل تغييره، ولكن المجموعة التي كانت تشتغل مع النظام وكانت تفكر بعقلية الانقلاب عليه بشكل حقيقي هذه المجموعة هي التي كانت تتهم أي شخص يناضل من أجل تغيير الوضع في اتجاه أحسن، بأنه يفكر بمنطق الاعتداء على المؤسسة الملكية. لقد كنا ننتقد الوضع الفاسد ونحتج عليه ونسعى لتغييره فما أظن أن الشباب الذي أعدم، مثل مصطفى جدايني، والملياني، وعمر دهكون.. هذه القافلة من الشهداء، ما أظن أنه كانت لهم مشكلة شخصية مع المؤسسة الملكية، لقد كانوا ضد وضع فاسد، ويسعون لتغييره.

س : كان هناك صراع بين الاتحاديين والنظام، وهذا الصراع كان يتعين أن يدار في إطار القانون، ولكن التفكير في حمل السلاح والخروج عن حدود ما هو مسطر ومرسوم، لم يكن النظام ليقبل بذلك؟

ج : ولكن عندما يكون النظام يلجأ لجميع الأساليب والوسائل من أجل تصفية حركة سياسية معينة لكي يظل مسيطرا على وضع فاسد بمجموعة من الانتفاعيين الذين لا يفكرون لا في حاضر البلاد ولا في مستقبلها، كيف ستتعامل هذه الحركة معه، خصوصا عندما يحرمها من كل الوسائل القمينة بممارستها للعمل السياسي، وعندما يلغي حتى الحد الأدنى من الهامش الديمقراطي، ومن حرية الصحافة، وتغلق أبواب المقرات، وتمنع الصحف... ماذا يبقى لهذه الحركة سوى الدخول بكل الوسائل في مواجهة مع النظام، فالذين كانوا يؤزمون الوضع بمثل هذه الممارسات هم الذين كانوا يسيئون للمؤسسة الملكية ويضعونها في مواجهة مع قوى سياسية من المفروض أن تكون لها كامل حريتها في ممارستها للفعل السياسي انطلاقا من قناعاتها الذاتية..

س : ما هي التهم التي وجهت لعمر دهكون، وتم على إثرها الحكم عليه بالإعدام، وتنفيذ هذا الحكم فيه وفي بعض رفاقه؟

ج : لقد كنا على اتصال دائم بالأخ عمر دهكون، ولقد كان شابا ديناميكيا ويتحرك كثيرا، وكان في بعض الأحيان يغادر المغرب صوب الخارج، وكانت له شبكة علاقات واتصالات يتم في إطارها

النقاش والحوار حول الوضع في المغرب، كانت رياح الثورات والتغيير تهب بشكل عاصف ومسيطر على الشباب، ولأن الوضع في المغرب كان وضعا فاسدا بكل المقاييس، فإن كل الشباب المغربي، وعلى رأسهم عمر دهكون ورفاقه، كانوا يتحركون بكل الوسائل لتغيير هذا الوضع الفاسد، ومن أجل هذا حكم عليه ورفاقه بالإعدام.

س : ما هي الظروف التي اعتقل فيها عمر دهكون؟

ج : أعتقل في منزل الأخ الملياني بالدار البيضاء، لقد كان خارجا من المنزل، وجاء البوليس واقتحموا المنزل حيث كان يقيم، وأخذوا ينتظرونه، ولما جاء إلى المنزل وفتح الباب للدخول وجدهم في انتظاره...

س : لنعد إلى الكوميسارية التي كنت معتقلا فيها في الرباط، ماذا وقع بعد تعذيبك هناك؟

ج : أخذونا من الرباط إلى الدار البيضاء، قضينا في الكوميسارية بالرباط 10 أيام، ثم أخذونا في أحد الأيام حوالي الساعة 1 زوالا، وقطعوا بنا طريقا لمسافة زمنية تقدر بساعتين، كنا في فاركونيتات، ولما وصلنا إلى مكان محدد كانوا يقصدونه، تركونا وقوفا حوالي ساعة ونصف، كنا نسمع خلالها الصراخ الصادر عن أشخاص كانوا يتعرضون للتعذيب، ثم أدخلونا إلى الداخل، وتم توزيعنا على غرف، ووقتها أدركت أنهم جاؤوا بنا إلى درب مولاي الشريف..

س : من هم الذين أخذوهم معك من الرباط إلى الدار البيضاء، وإلى درب مولاي الشريف تحديدا؟

ج : تبين لنا فيما بعد أننا كنا نسمى مجموعة الرباط أو مجموعة عمر دهكون..

س : ممن كانت هذه المجموعة مشكلة؟

ج : كانت مكونة من 7 إخوان، وهم عبد ربه، ومصطفى الملحاوي، والرباطي إبراهيم، ومقريش ابراهيم، وثلاثة إخوان لم أعد أذكر أسماءهم، وأستسمح عن ذلك، لأنني لم أكن أعرفهم سابقا.. فالثلاثة الأوائل كنت على علاقة بهم، في حين لم أكن أعرف الآخرين.. لقد مكثنا لبعض الوقت في درب مولاي الشريف، وتم إخضاعي للاستنطاق مجددا به، وذلك تحت كل أنواع وأشكال التعذيب، مما اضطرهم لحملي في إحدى الليالي إلى المستشفى لتلقي العلاج، لأنني تلقيت من الضرب وأساسا

على ظهري، ما جعلني غير قادر على تحمل المزيد، وبعد أن قضينا حوالي 12 يوما بدرب مولاي الشريف، أخذونا إلى المعتقل السري الآخر الذي سنعرف لاحقا بأنه يسمى الكوربيس.

س : حملوكم من درب مولاي الشريف إلى الكوربيس بدون مقدمات ولا تمهيد، جاؤوا وحملوكم؟

ج : حملونا بدون مقدمات، وكانت مجموعتنا هي المجموعة الأولى التي دشنت هذا المعتقل السري المسمى الكوربيس، كانت هي الأولى التي دخلته، وكانت هي آخر من غادره، فنحن الستة غادرنا درب مولاي الشريف وتم اقتيادنا إلى الكوربيس، في حين ظل الأخ مصطفى الملحاوي في درب مولاي الشريف، وهذا أمر لم نكن على بينة منه في حينه.

س : حين تم اقتيادكم إلى الكوربيس، كيف وجدتموه بالمقارنة مع درب مولاي الشريف؟

ج : الكوربيس أفظع بكثير من درب مولاي الشريف، ولا يعني هذا أن درب مولاي الشريف كان مكانا لائقا ومعتقلا تحترم فيه الحدود الدنيا لحقوق الإنسان ولكرامته، لا، فهو أيضا معتقل سري، ووظيفته تدمير إنسانية الإنسان وسحقه، ولكن بالمقارنة مع الكوربيس فإنه يبدو ربما أرحم وأشفق، لقد قرأت بعض الكتب والوقائع التاريخية التي تتحدث عن السجون والقهر الذي يمارس فيها على السجناء وحاولت إجراء مقارنة بينها وبين الكوربيس، وما أظن أنها أفظع منه، فالتعذيب الموجود بهذا المعتقل مختلف تماما، وله طابعه الخاص الأعنف والأخطر. لقد كان عددنا في بداية الأمر قليلا، ولكن لم يمض أسبوع على وصولنا حتى كانت القاعات الثلاث للكوربيس قد امتلأت عن آخرها بالمعتقلين.

س : ما هي نوعية المعتقلين الذين كانوا يوجدون معكم في الكوربيس؟

ج : جميع شرائح الشعب المغربي وفئاته كانت موجودة بهذا المعتقل، من الطبيب إلى المهندس، إلى المحامي، إلى الفلاح، إلى الأستاذ، إلى الطالب، إلى العامل والمرأة... لذلك قلت في بداية الحوار أن الاعتقال السري جزء من تاريخ الشعب المغربي الذي يتعين عليه ومن حقه الاطلاع عليه، فهذا تاريخ ينبغي الحديث عنه ليتمثله الشعب بأسره.

س : كانوا يأتون بالمعتقلين بالجملة إلى الكوربيس ؟

ج : كانوا يأتون بالثلاثين أو بالأربعين أو العشرين فردا ليزج بهم دفعة واحدة داخل هذا

المعتقل، لقد امتلأت جميع كوميساريات ومعتقلات وسجون تلك الفترة، ولم يعد لهم من مكان يأتون بالمعتقلين إليه سوى الكوربيس، لقد تكدست قاعاته الثلاث عن آخرها، وكانوا في هذه اللحظة يخصصون لكل معتقل مساحة أرضية لا يتجاوز عرضها عرض زليجتين، على ألا يتجاوزهما، وعندما كان يريد أن ينام، كان مجبرا أن ينام إما على جانبه الأيمن أو الأيسر. وكان لباسنا عبارة عن بذلة كاكية وعندما تتلاشى وتتمزق كانوا يزودوننا بخرق بالية لا تصلح لأي شيء...

س : هل كان يمارس عليكم التعذيب في الكوربيس؟

ج : لم نكن نتعرض للضرب وللاستنطاق، ولكننا كنا نعذب بأساليب ربما أخطر من الضرب، وإحدى الوسائل الفتاكة للتعذيب كانت هي التجويع.

س : ألم يكونوا يزودونكم بالطعام؟

ج : في البداية كانوا يقدمون لنا نفايات العلف التي كانت تقدم للبهائم في الضيعات، لقد كانوا يقومون بغليها في الماء الذي يتضمن رائحة الصابون، وتسلم إلينا، وكنا مجبرين على أكل هذا «الطعام»، ولم يكن لنا أمام هذا الأمر أي اختيار، لقد دامت الوضعية من حيث نوعية الأكل على هذا المستوى لمدة 6 أشهر، حيث بعد هذه المدة تم أخذ مجموعة من المعتقلين ووزعوهم على أقاليمهم، ومنهم من أخلي سبيلهم، ومنهم من كان يحتفظ بهم في معتقلات أخرى... وذلك بعد أن تم إعدام إخواننا عمر دهكون ومجموعته والذين كان عددهم 21 مناضلا، لقد اعدموا كلهم دفعة واحدة...

س : وكيف كانت علاقتكم بالأشخاص الذين كانوا مكلفين بحراستكم داخل المعتقل؟

ج : الذين كانوا مكلفين بحراستنا، هم مجموعة من منطقة عين الشعير التي ينحدر منها الجنرال أوفقير، فرغم أنه شارك في المحاولتين الانقلابيتين و «انتحر» ، ظل نظامه سائدا في الكوربيس، وظل رجاله هم المكلفون بحراستنا، والأكثر من هذا كانت زيارات لمسئولين كبار تنظم للكوربيس، فمنهم العسكريون ومنهم المدنيون، كانوا يأتون لزيارتنا وللوقوف على أحوالنا والتأكد من أنها تسير من سيء إلى أسوأ منه، وعندما كانوا يوجدون في داخل المعتقل، كان الحراس رغم العصابات السوداء

التي على أعيننا والأصفاد في أيادينا، كانوا يأمروننا بأن نغطي رؤوسنا بعد أن نتمدد أرضا على هيأة النيام، وذلك تحاشيا لإمكانية أن نعرف نحن من هم الذين جاؤوا لزيارتنا.

س : ولماذا كان هؤلاء المسؤولون الكبار يأتون أصلا لزيارتكم، في الكوربيس؟

ج : كانوا يأتون من أجل التلذذ بمنظر مجموعة من المعتقلين في أقصى درجات العذاب...

س : ألم يكن هناك أي مجال لفتح حوار معهم حول أوضاعكم؟

ج : نحن لم نكن نملك حتى حق أن نرفع الغطاء عن رؤوسنا وأن نستوي في جلساتنا، وبالأحرى أن ننظر إليهم ونخاطبهم وندخل معهم في حوار، فهذا أمر كان خارج نطاق الممكن، لقد كان من المستحيل على المعتقل في مثل هذا الظرف أن يزيل الغطاء من فوق رأسه والعصابة عن عينيه، فمن أين له بإمكانية توجيه الكلام لمسؤولين كبار جدا جدا...

س : إذا كان مسئولون كبار يأتون لزيارتكم في الكوربيس، فهل هذا يعني بأن الأمر كان يتعلق بسياسة محكمة كانت تنهجها الدولة في هذا الشأن، ولم يكن الخطأ فقط خطأ بعض المسؤولين؟

ج : كانوا يأتون للتلذذ بمنظرنا ونحن في الجحيم ثم ينصرفون، وأظن أن عناصر منهم ما زالوا إلى اليوم في مواقع القرار.

س: من هي هذه العناصر؟

ج : على أي، إذا كتب لهم قراءة هذا الحوار، فلاشك أنهم سيتذكرون أنهم فعلا جاؤوا إلى الكوربيس، ووقفوا على واقع كان فيه مجموعة من أبناء الشعب يتعذبون ويتألمون في معتقلات سرية، بدون أمر لا من قضاء، وأحيانا لم تكن توجه لبعضهم حتى تهم معينة... فبعد 6 أشهر خف الضغط شيئا ما على مستوى عدد المعتقلين، وفي هذه اللحظة سنقول تجاوزا أن نوعية الأكل بدأت تتحسن، وأظن أنه رغم هول المحن، فإن المناضلين الذين كانوا يعتقدون مع أنفسهم أنهم اعتقلوا دفاعا عن قضية ما، لم تكن نوعية الأكل بالنسبة لهم هي الأساس...

س : أثناء وجودكم بالكوربيس ألم تحدث حالات لوفيات أمامكم أو حالات لجنون وانهيارات ؟

ج : أثناء وجودنا بهذا المعتقل السري وقعت الكثير من مثل هذه الحالات، فأنا أتذكر أن أحد المعتقلين من مدينة سلا اسمه الشتوكي، توفي بالكوربيس، لقد أصيب بمرض بسبب البرد، ولم يستطع أن يقاوم فمات، إذ لم يكن هناك وجود لأي طبيب، والذي كان معنا في طابق علوي ممرض ليس

له دواء، يوهم المعتقلين المرضى بأنه يزودهم بالدواء، وأحيانا كان ينهر المرضى ويشتمهم ويأمرهم بالعودة من حيث أتوا حين كانوا يقصدونه بحثا عن بعض المسكنات والأدوية. لقد أصيب بعض المعتقلين بالجنون، فكما قلت لقد توفي زكريا العبدي في الكوربيس، وكذلك الشتوكي...

س : زكريا العبدي ما زال في عداد المختفين؟

ج : مات في الكوربيس، وربما ستكون جثته في PF3 أو تم تذويبها في حوض الأسيد، أنا أذكر أنهم جاؤوا بمناضل كان اسمه زيد وميدو لقد وصل محمولا في كاشة، ولم يعد يقدر على القيام بأي حركة من جراء التعذيب الفظيع الذي مورس عليه، لقد كنا نحمله بشكل جماعي إلى المرحاض من أجل قضاء حاجته الطبيعية... لقد توفي معتقلون في الكوربيس وجن آخرون، وهناك من انهار وأخذ يكفر بكل القيم والمثل التي كان يؤمن بها قبل الاعتقال.

س : ألم تفكروا في خوض صيغ نضالية احتجاجا على الأوضاع المزرية التي كنتم توجدون فيها؟

ج : قمنا بالاحتجاج مرتين، الأولى قدم لنا فيها وقت الأكل فول جد رديء، وكان إلى جانبي مجموعة من المناضلين كبار السن من آيت حديدو، وكانوا مناضلين بكل معنى الكلمة، كلهم مقاومة وتحد وصمود، ولما قدموا لنا ذلك الفول الرديء رفضنا في البداية تسلمه منهم لأنه لم يكن مطهيا بشكل جيد، ولقد اتفقنا جميعا على رفض تسلمه، ولكن أحد الإخوان يعز علي أن أذكر اسمه، هو الذي كسر طوق الاتفاق، إذ تخلى عنا وتقدم لأخذ حصته من الفول، وأكلها... وما حز في نفسي هو أن هذا الأخ كان قبل الاعتقال مسؤولا كبيرا على رأس منظمة طلابية، وعندما تسمعه وهو يتكلم يتهيأ لك وكأنه واحد من أكبر ثوار العالم، ولكنه لم يستطع أن يتخلى، ولو من باب التضامن مع رفاق في السجن، عن حصة من الفول الرديء.. هذه الحالة الاحتجاجية التي عشناها والتي أجهضها ذلك القائد الزعيم، لم تكن معممة على باقي القاعات، لقد عشناها فقط نحن الذين كنا في القاعة الثالثة.

أما في المرة الثانية التي نظمنا فيها حركة احتجاجية في الكوربيس فكانت في الفاتح من رمضان، فلقد تأخر الحراس في تزويدنا بطعام الفطور، فأخذنا نردد دفعة واحدة اللطيف، وكان الحراس إذا دخلوا قاعة معينة يسكت المعتقلون الموجودون فيها، بينما يردد الآخرون في القاعتين الأخريين اللطيف... وهكذا دواليك لوقت مهم، ولقد حدثت بعد هذه الحركة الاحتجاجية مجزرة في حقنا.

س : كيف حدثت هذه المجزرة؟

ج : كما هو معلوم فإن الكوربيس كان تابعا في نظامه لدرب مولاي الشريف فالمسؤولون عنه كانوا هم الذين يشرفون على الكوربيس ولما بلغهم خبر الاحتجاج الذي قمنا به جاؤوا بفرقة مدربة وقضينا ليلة كلها ونحن نتعرض للتعذيب، ففي الكوميسارية يتعرض الإنسان لضرب منظم، أما في الكوربيس فإن الضرب كان تلك الليلة بشكل عشوائي وهمجي، إذ يتلقى المعتقل الضرب بالكرباج أينما اتفق، سواء في الرأس أو العين، أو الأنف... وتصور أن الإنسان يتعرض لضرب بهذا العنف بعد أن يكون قد قضى أكثر من 6 أشهر في معتقل سري، وهو عرضة للجوع، وللبرد، وللقمل الذي كان موجودا بالكوربيس طبقات ومستويات... الصغير، والمتوسط، والكبير.. وكان بعض الحراس يسمحون لنا في بعض الأحيان بأن "نفلي" ثيابنا من القمل على أشعة الضوء المنبعثة بشكل قوي من المصابيح الكهربائية التي كانت تنير القاعات، فكم من مرة استيقظت ليلا ووجدت الأخ نوبير الأموي "يفلي" ثيابه من القمل... وبعد قضائنا لحوالي 8 أشهر بالكوربيس أخذت رفقة أعضاء مجموعتي إلى درب مولاي الشريف.

س : لماذا؟

ج : الاستنطاق من جديد، وذلك بعد أن أصبحنا كالأطياف وكالهياكل ولم نعد نقوى على الحركة، فلقد كان مسموحا لنا بالذهاب فقط للمرحاض والعودة منه إلى المكان حيث نجلس، لم يكن مسموحا لنا بالمشي وبالتحرك، فحتى في السجون النازية كان المعتقلون يساقون للغابات من أجل جمع الحطب أو القيام بأعمال شاقة في أماكن مختلفة مما يؤدي بالسجناء للقيام بالحركة وبنوع من الرياضة، أما نحن فكنا نترك للموت البطيء، وأظن أن الذين كانوا يأتون لزيارتنا كانوا يفعلون ذلك من أجل التأكد من أننا في طريقنا للموت والانقراض، وبعد انتهائهم من الزيارة كانت درجة الضغط ترتفع، مما كنا نستنتج معه أن الهدف من كل زيارة لنا من قبل كبار المسئولين كان هو التحريض على قتلنا بشكل بطيء...

س : لنعد لدرب مولاي الشريف.

ج : في درب مولاي الشريف بدأ التحقيق معنا والتعذيب من جديد، وبعد ثلاثة أيام أعادونا إلى الكوربيس الذي بقينا فيه إلى حدود ماي 1974 ثم أحلنا على محكمة الجنايات بالرباط التي قامت

بتكييف التهمة لنا، وفي هذه الفترة كان إخواننا قد حوكموا في القنيطرة، ومنهم من تم الحكم عليهم بالبراءة وألقي عليه القبض ليقتادوا مجددا إلى معتقل سري بتمارة، وذلك رغم أنف القانون، وبعض الإخوان كانوا قد أعدموا.. ولما وصلنا إلى السجن المركزي بالقنيطرة تنفسنا الصعداء، لقد وجدنا أمامنا عمر بنجلون، وتوفيق الادريسي، ومصطفى القرشاوي، واسماعيل المومني.. لقد كنا جميعا في حي واحد..

س : أحلتم على قاضي التحقيق قبل أن يأمر بإيداعكم في السجن؟

ج : أحلنا عليه، واذكر أننا دخلنا إلى مكتبه بالبانضات على أعيننا، فأنا شخصيا لم تنزع العصابة عن عيني إلا أمام قاضي التحقيق من طرف رجل أمن، ولما رآني قاضي التحقيق قال على الفور: أخرجوه... أخرجوه... لقد كان منظرنا مفزعا ورائحتنا كريهة وثيابنا متسخة وممزقة، لقد كنا عبارة عن موتى خرجوا من القبور، وبعد أن كيفوا لنا تهمة السعي لقلب نظام الحكم، وتكوين عصابة مجرمين، واشعال النار.. بقينا حوالي سنة في السجن المركزي بالقنيطرة، وأذكر أنه قبل الإفراج عن بعضنا في غشت 74 كان المرحوم بوعبيد قد ذهب في زيارة إلى الهند من أجل الدفاع عن قضية الصحراء. وكان داخل السجن نقاش فيما بيننا حول هذه القضية.

س: كان هناك من مع ذهاب عبد الرحيم بوعبيد للهند دفاعا عن قضية الصحراء، ومن ضد هذا الذهاب؟

ج : كان هناك نقاش داخل السجن، فمقرات الحزب كانت مغلقة والمناضلون في السجون بتهم واهية، وأعدم البعض منهم بتهم ملفقة، فهل كان لزاما أن يذهب الكاتب الأول للحزب في مهمة مكلفا من قبل النظام، لقد كان هناك نقاش، فلما خرج الإخوان في 8 غشت سنة 1974، في ليلة الإفراج عنهم تم إعدام المهتدي، والملياني وآخرون، فلقد وقع الإفراج عن سبعة، وتم في نفس الوقت إعدام سبعة آخرين.. أما نحن فلم يفرج عنا إلا في شهر مارس 1975، وفي إطار السراح المؤقت، وبعد شهرين حوكمنا في محكمة الرباط، وصدرت في حق أغلبنا أحكام بالبراءة، أما الأخ عمر بنجلون فلقد نفذ فيه في الشارع حكم بالإعدام كان قد صدر ضده سابقا..

س : وكلمتك الختامية لهذا الحوار؟

ج : ما يمكن أن أقوله هو أن هذه المعاناة التي عاشها الاتحاديون والمناضلون عموما من قهر واضطهاد في السنوات الخوالي، أصبحت ملكا للشعب المغربي، ولم تعد في حوزة لا زيد ولا عمر، وكما قلت في البداية فهذا تاريخ ينبغي أن يُعرف ونتحدث عنه، فما وصلنا إليه من هامش للديمقراطية والذي نتمنى أن يتطور، لم نصل إليه عن طريق الصدفة أو تكرم علينا به هذا أو ذاك، لقد عبدت طريق الوصول إليه جثث المناضلين الأوفياء وأرواح الشهداء الذين تركوا وراءهم أيتاما وأرامل، فالاتحاد الاشتراكي حزب ضحى وناضل لتأسيس عمل ديمقراطي، ولذلك فإن المطلوب من الإخوان الذين يتبوأون اليوم موقع المسؤولية الحكومية استحضار هذا التاريخ وهذه التضحيات أثناء قيامهم بعملهم.

عبد الله زعزاع

كان الإنسان يصير شيوعيا دون قراءة كتب ماركس أو لينين

س : الأستاذ عبد الله زعزاع ما هو اليوم والشهر والسنة التي تم اعتقالك فيها؟

ج : اعتقلت يوم الاثنين 28 يناير 1975.

س : أين كنت حين تم اعتقالك؟

ج : عدت برفيق، إلى المنزل الذي كان يقطن فيه، كنت مكلفا بكراء الشقق للرفاق الذين كانوا متابعين من طرف البوليس، تركته في المنزل، ثم توجهت صوب مدينة الدار البيضاء، كان لي موعد مع رفيق آخر، تركت الدراجة الهوائية التي كنت أتنقل بها عند الحارس في طريقي إلى الموعد المعلوم، في لحظة ما شعرت بنوع من القلق.

س : من هو الرفيق الذي كان لك موعد معه؟

ج : رفيق كانت المنظمة قد طلبت منه اتخاذ إجراءات أمنية، أي الاختفاء عن الأنظار لكي لا يقع اعتقاله، ورفض الامتثال للأمر الاحتياطي، واستمر يتصرف عاديا، وقررنا توقيفه من التنظيم، ولكن مع ذلك بقيت على اتصال به.

س : بقيت على اتصال به في إطار الصداقة التي كانت تجمعكما؟

ج : لا، الاتصال به كان في إطار سياسي.

س : هذا يعني أنك لم تنضبط لقرار اتخذه التنظيم؟

ج : قرار التنظيم القاضي بتوقيفه كان في رأيي متناقضا، لأن المنظمة كانت من جهة تتخذ مجموعة من الإجراءات الاحتياطية، غير أن التمسك الحرفي بهذه الإجراءات، كان سيؤدي بنا إلى الانعزال عن الجميع، لذلك، كان محكوما على المناضلين باتخاذ إجراءات معينة، ولكنهم كانوا لايلتزمون بها، فقواعد التنظيم كانت كلها في خطر، ولكن كان لابد من التواصل فيما بين المناضلين.

س : كان لك موعد ثم ماذا جرى؟

ج : كنت على موعد مع رفيق أمام سينما فوكس التي أزيلت اليوم، ونتيجة للقلق الذي انتابني قررت مع نفسي المرور إلى المكان حيث لدينا موعد، والانصراف بسرعة، ولما وصلت إلى المكان، ازداد شعوري بالقلق، وسيطرت علي بعض الشكوك، كانت خفيفة، ولكن كنت في غير حالتي الطبيعية.

س : عندما تتحدث عن كونك انتابتك شكوك، فما هو مصدر هذه الشكوك؟

ج : جئت إلى الموعد أمام باب السينما، لاحظت أن شخصا ما كان يراقبني، وينظر إلي بانتباه وتركيز، وفي الواقع مثل هذه الحالة كنا نعيشها لمدة طويلة، خصوصا بعد أن انطلقت عملية الاعتقالات، ففي بعض الأحيان كنا نشعر بالقلق، بمجرد أن نلاحظ أن إنسانا ينظر إلينا بنوع من التمهل. ولما انتبهت لوجود ذلك الشخص أمام باب السينما قررت العودة من حيث أتيت لمغادرة المكان، ومشيت حوالي 50 خطوة، وإذا بي أشعر أن يدا تمسك بي، وفي الحال أضيفت إليها أياد أخرى، وأسقطت على الأرض، واجتمع بعض المارة حولنا، وحضر رجل أمن يرتدي البذلة الرسمية، وفي الحال تم وضع القيد في يدي، والعصابة على العينين، وأقحمت في سيارة..

س : حدث الاعتقال في أي ساعة؟

ج : حوالي الساعة السابعة مساء.

س : عندما ألقي عليك القبض هل رافقت البوليس عن طيب خاطر أم أنك أبديت بعض المقاومة؟

ج : كانت لدي فرصة وجيزة من الوقت لا تتعدى 10 ثوان للتخلص من الشخص الذي ألقى علي القبض، ولكن في تلك اللحظة، شعرت بنوع من الارتباك والجمود، ولم أكن متأكدا من أن الأمر يتعلق باعتقال بسبب انتمائي السياسي، ولكن حين التحق بمن ألقى القبض علي 8 أو 10 أفراد، وأسقطوني أرضا، لم تعد لي أي إمكانية للتخلص منهم.

س : وما هي المهام التي كنت مكلفا بها داخل التنظيم حين تم اعتقالك؟

ج : كنت عضوا في اللجنة الوطنية التي كانت مكونة بكاملها بكتابتها الوطنية من حوالي 10 أفراد، وكنت أساعد الكتابة الوطنية في تنفيذ العديد من القرارات بالدار البيضاء، لأن أغلبية أعضاء الكتابة لم يكونوا من الدار البيضاء، وإنما بالملموس منذ اعتقالات نونبر 1974 إلى أن اعتقلت في يناير

1975، أي حوالي ثلاثة أشهر، أصبحت وظيفتي العملية هي كراء المنازل وإيواء الرفاق المتابعين بها، وأسهر على نقلهم إلى مواعيدهم، وأقتني لهم الحاجيات الغذائية.

س : هل كان من السهل عليك أداء هذه الوظيفة لفائدة تنظيم كان مراقبا بشكل دقيق من طرف الأجهزة الأمنية، خصوصا بعد موجة الاعتقالات التي شملت العديد من أطره؟

ج : كان من الصعوبة بمكان على أجهزة البوليس مراقبة تنظيمنا بشكل محكم والتسرب إلى صفوفه، فهذا أمر لم يحدث على المستوى العملي، ولكن هذا لا ينفي كون أن البوليس حين كان يقوم باعتقالات واسعة في صفوف المناضلين في الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، فإنه كان يفرج عنهم ليراقبهم من بعيد، ثم ينظم في وقت لاحق اعتقالات ليطلع على سير الأوضاع، وماذا طرأ على الساحة من مستجدات، أما أن يكون قد سرب أشخاصا داخل المنظمة ليقوموا بأنشطة في لجانها وأجهزتها، فهذا أمر لم يكن في اعتقادي ممكنا.

س: عندما تقول الأستاذ عبد الله إن المنظمة كانت تكتري المنازل للرفاق المختفين عن أنظار البوليس، وتوفر لهم الأكل والشرب، هذا يتطلب إمكانيات مادية، هل كانت للمنظمة الإمكانيات المالية اللازمة لتحمل مثل هذه النفقات والمصاريف؟

ج : كانت الإمكانيات ضئيلة جدا، والفترة التي أنفقنا فيها الشيء الكثير كانت هي الثلاثة أشهر ما بين نونبر ويناير، وعلى المستوى المادي الذي ساعدنا هو الرفيق عبد الله الحريف.

س : ماذا كان يشغل عبد الله الحريف؟

ج : كان مهندسا، واضطر هو أيضا للدخول إلى السرية، وكان في حوزته مبلغ مالي يساوي حوالي مليونين ونصف سنتيم، كان عازما أن يقدمه تسبيقا لاقتناء شقة يقطنها، أخبرناه بأننا في حاجة ماسة إلى بعض المال، فما كان منه إلا أن سلمنا الرأسمال الذي كان يملكه، وأظن أن هذا المبلغ كان مشتركا بينه وبين زوجته التي لم تمانع في أن يسلمنا المبلغ المذكور.

س : وكم كنت تبلغ من العمر لحظة اعتقالك؟

ج : 30 سنة.

س : لماذا لم تفكر في الاختفاء عن أنظار البوليس؟

ج : بشكل عام لم يسبق لي أن كنت متابعا أوشعرت أن البوليس يلاحقني، فأنا كنت أتحرك بصفتي الحقيقية، ولكن كانت لدي بطاقات وطنية مزورة أكتري بها الشقق للرفاق المتابعين والمبحوث عنهم، ففي الشارع و الأماكن العمومية كنت أتصرف كعبد الله زعزاع، ولكن أثناء الكراء كنت أقدم لأصحاب الملك والوسطاء بطاقات مزورة.

س : كانت لديك بطاقات وطنية مزورة؟

ج : نعم، كنت في اللجنة التقنية المكلفة بالتزوير.

س : وحين تم اعتقالك إلى أين وقع اقتيادك؟

ج : إلى درب مولاي الشريف، ولقد بدأ الاستنطاق في السيارة التي كانت تقلنا، لقد كنت جالسا في المقعد الخلفي محاطا برجلي أمن من اليسار واليمين، وفي السيارة انطلق الضرب والشتم والضغط، وكانوا يسألونني عن اسمي، ولما كنت أقول لهم عبد الله زعزاع، كانوا يعتبرون أنني اكذب عليهم، وأغالطهم، وأن حتى بطاقتي الوطنية مزورة، وفي اللحظة الأولى كانوا يسألون عن مقر المنظمة ثم عن عبد الله التمسماني، ولم يكونوا على علم باسمه الحقيقي، ولكن فقط الاسم الحركي الذي هو الضب، وكانت هذه هي المرة الأولي التي اسمع فيها هذا الاسم، لأنني لم تكن لي نهائيا أي علاقة بالقطاع الطلابي، ولم أكن علي اتصال بالاتحاد الوطني لطلبة المغرب، كان يصلني فقط صدى هذه المنظمة، لقد دخلت إلى المنظمة، وأنا عامل في المكتب الوطني للكهرباء.

س : تنظيم إلى الأمام كان موجودا بكثافة في الوسط الطلابي والتلاميذي، أنت من موقعك كعامل، كيف تم التحاقك بهذا التنظيم؟

ج : على عكس ما هو سائد، في الفترة التي انخرطت فيها داخل تنظيم إلى الأمام، كان هذا التنظيم له وجود فعلي في وسط الطبقة العاملة، لا أقصد بتواجد فعلي، اكتساحا كبيرا وشاملا للطبقة العاملة، ولكن كان هناك مجموعة من المهندسين الذين جاؤوا من الجامعة المغربية إلى المعامل، وكانوا مناضلين في صفوف إلى الأمام، ومارسوا تأثيرا وسط الطبقة العاملة، ولقد حدث انحسار لهذا الحضور بعد سنة 1972 نتيجة المتابعات التي أعقبتها.

س : لننطلق منك أنت الأستاذ عبد الله من موقعك، كيف أصبحت منخرطا ومناضلا في صفوف اليسار الجديد؟

ج : كان الفكر الاشتراكي مسيطرا بشكل شبه كلي على كل الأوساط الاجتماعية، ووسط الشباب على الخصوص، وكانت التأثيرات العامة للقضية الفلسطينية، ولحرب الفيتنام، والانتصارات التي كانت تحرزها في الميدان، قوية، كان الإنسان يتحول إلى شيوعي من دون أن يقرأ، لا كتب ماركس ولا لينين ولا غيره. كان شبابنا يفكر ويحلم بإنجاز ثورة تتحقق عبرها الاشتراكية، وتسود المساواة بين أفراد المجتمع، ويتم القضاء على النظام الطبقي.

س : لماذا اخترت تنظيم إلى الأمام بالتحديد؟

ج : الجواب بسيط، فالأحزاب السياسية لم تعد موجودة في ذلك الوقت، وانخرطت في تنظيم إلي الأمام لأنه هو التنظيم الوحيد الذي وجدته أمامي، فأي تنظيم سياسي أجده أمامي كنت على استعداد للانضمام إليه.

س : كانت هناك أحزاب سياسية، وكانت تناضل بشراسة ضد القمع، وكانت في صراع حاد مع النظام، فمثلا الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، كان حاضرا في الساحة.

ج : كان من الممكن أن أسجل نفسي في صفوف هذا الحزب، ولكن لم يكن هناك من يربط معك علاقة مستمرة على أساس العمل النضالي الذي تقوم به في الساحة، أي في المعمل.

س : لماذا لم تنخرط في الاتحاد المغربي للشغل، وتنشط في صفوفه باعتبارك واحدا من الشغيلة؟

ج : ومن قال لك إنني لم أكن منخرطا في صفوف الاتحاد المغربي للشغل، لقد كنت اشتغل في إطار مكتب نقابي تابع لهذه المنظمة، فأنا كنت في المكتب الوطني للكهرباء، ورسميا كان الاتحاد المغربي للشغل موجودا بهذه المؤسسة، لم يكن له وجود فعلي عبر النضال والصراع والمواجهة مع الإدارة، كان موجودا عبر أجهزته، وكان هدفنا هو إحداث مكتب نقابي في سياق صراع مع قيادة المنظمة من أجل دمقرطة العمل النقابي، وفي صراع مع الإدارة للدفاع عن مصالح الشغيلة، فهذا هو الجو الذي كنت أشتغل فيه في الاتحاد المغربي للشغل، فعملي كان بالنسبة لي ينصب حول التصدي للممارسات البيروقراطية، وانضمامي لتنظيم إلى الأمام تم في ظل هذه الأوضاع.

س: كنت مناضلا ثوريا، وتحلم بتغيير جذري، ومع ذلك كنت نقابيا في الاتحاد المغربي للشغل الذي كان يعتبر منظمة نقابية بيروقراطية ورجعية بلغة ذلك العصر، ألم يكن هذا الأمر يشعرك بأي تناقض؟

ج : عندما انخرطت في صفوف الاتحاد المغربي للشغل، لم أكن قد أصبحت عضوا في تنظيم إلى الأمام، فأنا كنت عاملا ضمن العمال، ولم يكن أمامنا أي خيار سوى إنشاء مكتب نقابي للدفاع عن مصالحنا وحقوقنا المهضومة، وانطلاقا من صراعنا مع الإدارة في هذا المكتب الوطني، تعارفنا مع مناضلين آخرين إلى أن أصبحت عضوا نشيطا في تنظيم إلى الأمام.

س : هل يمكنك أن تحدث القارئ بإيجاز عن الطريقة التي يتعامل بها البوليس مع مناضل تم اعتقاله، كيف كان يتم التصرف معه؟

ج : كان يخضع لأشكال وأنواع متعددة من التعذيب، فمن الناحية التقنية أصبحت اليوم وسائل التعذيب وطرقه معروفة، فهناك عنف الاعتقال والصيغة التي يتم بها، فهذا في حد ذاته نوع من الإرهاب، يليه الضرب على كافة أجزاء الجسم، والخنق بالماء، والصعق بالكهرباء، وفيما يخصني فلقد اعتقلت في الساعة 7 مساء، واستمر تعذيبي حوالي 30 ساعة تقريبا، بشكل مسترسل.

س : 30 ساعة بشكل مسترسل؟

ج : كانت تمر لحظات وأوقات ينصرف فيها الذين كانوا مكلفين بالتعذيب للأكل وللاستراحة، ثم يعودون إلى عملهم من جديد، وبعد هذه 30 ساعة، اعترفت لهم بعنوان المنزل الذي كان فيه الرفيق الذي أشرت في بداية الحوار إلى أنني رافقته إليه، قبل أن أتوجه إلى المكان الذي كنت فيه على موعد مع شخص آخر، لقد اعتقدت مع نفسي بعد مرور 30 ساعة، من الصبر والتحمل، أنني أعطيت ما يكفي من الوقت لرفيقي لكي يفهم انه ألقي علي القبض، ويغادر المكان الذي كان يوجد فيه، ولكنه للأسف لم يبرح المكان فاعتقل، وبعد 24 ساعة أخرى من التعذيب اعترفت للبوليس بمنزلين آخرين وبعنوانيهما، وألقي القبض على الرفاق عبد الله الحريف، وإدريس بنزكري، والهيلالي فؤاد، بينما تمكن عبد الفتاح الفاكهاني والمشتري بلعباس من مغادرة المنزل الذي كانا يسكنانه.

س : ألم يخلق لك فيما بعد اعترافك للبوليس بعناوين المنازل التي كان فيها بعض رفاقك، وألقي عليهم القبض نتيجة لهذا الاعتراف، ألم يخلق لك أي مشكل معهم، ألا يمكن أن تتهم من جانبهم بأنك قصرت علي مستوى الصمود أمام آلة التعذيب؟

ج : في جميع الصراعات والحروب والأنشطة السياسية، دائما يقع خسران مجموعة من الناس في الطريق، فهناك من يشعر بالتعب، وهناك من يعترف تحت التعذيب، ومن لا يقبل الاستمرار على نفس الخط والاختيار، فإذا كانت المنظمة المناضلة قد خلقت لنفسها قوة اجتماعية تغذيها وتضمن لها البقاء والاستمرار، فإنها تستطيع البقاء والاستمرار حركة جماهيرية قوية. أي أنها هي التي تصمد.

أما عدم صمود الأفراد، ففي اعتقادي لا يمكن بناء حركة سياسية على أساس صمود الأفراد في وجه الآلة الجهنمية للتعذيب، فخلال هذه اللحظات الرهيبة ربما تكون الفرصة مواتية للمناضل لكي يقوم بإعادة تقييم لتجربته النضالية والسياسية، فأنا يمكن لي أن أقول لم يهزمني التعذيب، فالذي حز في نفسي هو مسار وتطور المنظمة التي كانت جماهيرية، وكيف أن إشعاعها بدأ يتقلص تدريجيا إلى أن أصبح أغلب أطرها متابعين ولا يزداد عددهم، وأصبحنا لا نقوم بعمل سياسي ولكن فقط بعمل تقني.

س : ماذا تقصد بتقني؟

ج : عمل تنظيمي داخلي، لقد كان لدينا تصور، لا أعرف كيف أصفه، فنحن كنا نقول لبعضنا، إذا اعتقل المناضل يتعين عليه أن لا يفكر في التعذيب، عليه أن ينساه وأن يفكر في أمر آخر، ولكن الأمر الذي تفكر فيه تجد أنه ليس في أحسن حال.

س : ما هو الأمر الذي يمكن التفكير فيه أثناء التعذيب، فأنت حسب بعض رفاقك أبديت صمودا لحظة التعذيب؟

ج : الأمر الذي يمكن التفكير فيه هو الثورة، أما بخصوص الصمود لحظة التعذيب، أظن أنه في هذه اللحظات يكون الإنسان في صراع كبير مع نفسه ومع رغبة جلاديه في انتزاع الاعترافات منه، فهو لا يريد أن يجهر للبوليس بالأمكنة التي يوجد فيها رفاق لهم كامل الثقة فيه، ويحبهم، ولا يريد أن يزج بهم في السجن، ويتمنى أن لا يعتقلوا لكي يحافظوا على التنظيم، وهناك آلة جهنمية للتعذيب تطحنه لتنتزع منه الاعترافات، وعلى أي فأنا أعرف أن هناك تقديرا كبيرا من جانب رفاقي لتجربتي تحت التعذيب، بمن فيهم هؤلاء الذين تسببت في اعتقالهم، فهم يكنون لي احتراما قويا، ولم يسبق لهذا المشكل أن أثير بيننا.

س : هل كان هذا الأمر ينطبق على كل الرفاق في علاقاتهم مع بعضهم البعض بعد الاعتقالات والظروف التي جرت فيها؟

ج : بشكل عام جميع المناضلين، خصوصا المناضلون القاعديون ينتظرون من مناضل، أساسا إذا كانت لديه مسؤولية، أن يكون في مستوى معين من الصمود، أن يراوغ، ويتحايل، وأن لا يقدم معلومات هامة بسهولة. فهذا أمر مشروع، ولكن الاعترافات للبوليس يتم في بعض الأحيان استغلالها سياسيا، وحدث هجوم ليس فقط على الأشخاص، ولكن حتى على تياراتهم السياسية، مثلا السهولة التي تم بها اعتقال الرفاق في 23 مارس، كان يتم بواسطتها الربط بين الصمود والانتماء السياسي، واستغلت ضد قيادة هذا التنظيم، وكانت هناك مزايدات ومغالطات، وما وقع للرفاق في 23 مارس سنة 1974، تكرر مع القاعديين في سنة 1976 وأصبحوا بدورهم في السجن في موقف سياسي كان يبدو ضعيفا، إذ في سنة 1974 كانت الاعتقالات نسبيا محدودة، أما في 1976 فلقد جرفت الحملة قاعدة واسعة من الرفاق والمناضلين، وأصبح هذا المعطى يستغل سياسيا ضد القاعديين..

س : ما هي المدة الزمنية التي تم الحكم عليك بقضائها في السجن؟

ج : حكم علي بالسجن المؤبد.

س : هل كنت وحدك من حكم عليه بالمؤبد؟

ج : لا، كنا 5 أشخاص حكم علينا بالمؤبد، هذا العبد الضعيف، وابراهام السرفاتي وعبد الفتاح الفاكهاني، وبلعباس المشتري، وعبد الرحمان نوضة.

س : لماذا حكم عليكم أنتم الخمسة بالمؤبد، هذا الحكم يبدو أنه كان قاسيا؟

ج : إذا قبلت منطق الحكم على الرفاق الآخرين ب 20 و30 سنة، كان عاديا أن يحكموا علينا بالمؤبد، لأنهم كانوا يعتبرون أننا نحن هم القياديين، طبعا التقديرات تختلف من شخص لآخر، فأنا مثلا كنت مجرد عضو في اللجنة الوطنية، ولكن كانت لي علاقة خاصة بالكتابة الوطنية التي كانت تشكل قيادة المنظمة، لذلك تم الحكم علي، معهم بالمؤبد.

س : ألم تكن لديكم مواقف سياسية محددة دفعت إلى إصدار أحكام متشددة ضدكم أكثر من الرفاق الآخرين؟

ج : سؤالك حاليا مغاير عن السؤال السابق، فأنا كنت أجيبك بناء على الاعتبارات الداخلية للمنظمة نفسها، رفاق لهم نفس الموقف، ولكن حسب المسؤوليات توزعت الأحكام الصادرة في حقهم، أما عندما تطرح السؤال بهذه الصيغة فأنا سأجيبك بالقول إن الحكم الصادر ضدنا وقتها لم

يكن حكما قاسيا، لقد كنا حركة ثورية تخطط للإطاحة بنظام كنا نعتبر أنه غير ديمقراطي، وأنه ليس من إمكانية للتعامل معه سوى بالإطاحة به.

من هذا المنطلق، شخصيا لم أكن أنتظر أنه سيكون متساهلا معنا، هذا من جهة، أما من جهة ثانية، فإن التركيز انصب على تنظيم إلى الأمام، لأنه كان تنظيما سريا فعالا، فأنا أذكر أن اليوسفي قدور كان يقول لي خلال التعذيب والاستنطاق، كنا نعتبر أنكم تعدون بالآلاف، وأنتم 40 فردا، وتثيرون هذه الضجة كلها في البلاد..

س : ألم يكن للأمر أي علاقة بموقفكم من قضية الصحراء؟

ج : أبدا، لم توجه لنا أي تهمة تتعلق بقضية الصحراء، أنا لا أتكلم عما قيل أثناء المحاكمة، فهذا شيء آخر، ولكن في محاضر الشرطة وفي صك الاتهام الذي وجه لنا، لم يكن هناك ما يشير إلى قضية الصحراء، فالتهم كانت موحدة بالنسبة لجميع المعتقلين: المس بأمن الدولة، محاولة قلب النظام الملكي لإقامة نظام جمهوري، التزوير، تشكيل منظمة سرية. لذلك، لا يمكن إقحام موضوع الصحراء في الحكم الذي صدر ضدنا.

س : وماذا كان رد فعلكم عند سماعكم لنص الحكم الصادر ضدكم؟

ج : غنينا بصوت واحد نشيد : لنا يا رفاق لقاء غدا/ سنأتي ولن نخلف الموعد.

س : لعلكم بترديدكم لهذا النشيد كنتم تخففون عن أنفسكم وطأة وقسوة الحكم الصادر ضدكم، وأنا أسألكم عن دوافعكم وأحاسيسكم الباطنية؟

ج : بالفعل ينبغي أن يستحضر الإنسان الظرف الذي صدرت فيه الأحكام، لقد كنا مجموعة من المناضلين، تخلينا لسنوات قبل الاعتقال عن مهننا وعلاقاتنا العائلية، وانخرطنا في حركة ثورية، وقضينا سنة وما يزيد في درب مولاي الشريف، وكنا قريبين بشكل متفاوت من إمكانية الموت، وبعد الحكم تشعر بأنك ما زلت في قلب المعركة السياسية، وأن شراسة النظام تعبر عن ضعفه. ومع كل هذه المعطيات تشعر بقسوة الحكم، ولكنك تستنتج أن عليك الاستمرار في المعركة، ولذلك رددنا ذلك النشيد.

س : استمر لديك الأمل في أنك ستخرج من السجن، وستواصل المسير في درب النضال رغم أنك كنت محكوما بالمؤبد؟

ج : بطبيعة الحال، ولكن هذا لا ينفي أن الإنسان يشعر بالحنين والشوق إلى الحرية، لأن كونك محكوما بالمؤبد، فإنك تختلف في وضعك عن الآخرين، فباقي الرفاق يحسبون ما قضوا من السنوات في السجن، وما تبقى لهم للخروج منه، أما المحكوم بالمؤبد، فإنه لا يحسب إلا الأيام التي مرت، ولذلك يختلف وضعه عن وضع الذي حكم عليه بمدة محددة.

س : كيف يعيش المناضل حياته داخل السجن وهو محكوم بالمؤبد؟

ج : لا يعيشها على وتيرة واحدة، فغالبية الأوقات يعيشها في صراع مع الآلة القمعية للنظام عبر الاحتجاج، اتخاذ مواقف، أي أنه يكون في نضال حتى داخل المؤسسة السجنية، وهناك لحظات خاصة يشعر فيها بحاجياته الذاتية والطبيعية، ومع المدة تسكن الإنسان فكرة أن هذا الوضع سوف يستمر إلى ما لانهاية، ويبدأ في البحث عن نضالية، أو عن مبررات لكي يستمر في الصراع ضد أعدائه من أجل ضمان حقه في البقاء والخروج من السجن لمعانقة الحرية بفضائها الرحب.

س : ألا يتهيأ لك الأستاذ عبد الله زعزاع أن مواقف اليسار الجديد عموما ومنظمة إلى الأمام على الخصوص كانت متطرفة بالقياس إلى المواقف السياسية التي كانت سائدة؟

ج : الأسئلة المطروحة اليوم وبالحدة التي تطرح بها، هي نفسها التي كانت تشغل بال اليسار الجديد في بداية السبعينيات، ويتعلق الأمر بقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، وماذا نريد أن نفعل بالمغرب، لأننا عندما نقول عن موقف ما إنه متطرف، فأظن أنه ينبغي علينا أن نقارنه بموقف آخر، لم يكن متطرفا وكان صائبا، فما هو هذا الموقف؟ هل هو الذي زكى المخزنة؟ إذا كان هذا هو الاعتدال فأنا شخصيا لا أفهم الاعتدال على هذا النحو، واعتبر أن عبارة متطرف التي اقترنت باليسار الجديد، لم تكن أبدا مطابقة للواقع، ففي تلك اللحظة لم يكن أمامنا من خيار إلا العمل على إسقاط النظام.

س : إسقاط النظام والسعي لذلك، فعل مخالف للقانون، ويعاقب عليه بقوة بالقانون؟

ج : أنا لا أعترف بالقانون غير الديمقراطي، وحتى اليوم، وفي الوقت الحالي، فإن أي قانون يكون مناهضا للديمقراطية، ويحول دون إقرارها، يتوجب رفضه، والعمل على إزاحته بكافة الوسائل.

س: الصراع من أجل الديمقراطية ينبغي أن يتم بالأسلوب الديمقراطي، وليس بالخروج عن القانون، والتفكير في حمل السلاح.

ج : لدينا حاليا معطيات جديدة في الوضع السياسي، وما كنا ندعو إليه من ضرورة تغيير النظام وإسقاطه، فرض تحولات في البلاد تسمح لنا اليوم بالعمل مع المواطنين، ففي بداية السبعينيات، كان العمل إلى جانب المواطنين يؤدي بصاحبه إلى السجن، فمنذ بداية الحوار ونحن نتحدث عن مناضلي 23 مارس و إلى الأمام والأحكام الصادرة ضدهم بسبب مواقفهم السياسية، رغم أنه كان معنا في السجن مناضلون حكم عليهم ب 20 أو30 سنة سجنا نافذا من غير أن يكونوا أعضاء لا في 23 مارس ولا في إلى الأمام، سجنوا لأنهم كانوا مناضلين فقط في صفوف الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، ورافضين لسياسة المخزن، لم يكن لديهم، لا سلاح، ولا موقف من الصحراء، ورغم ذلك حكم عليهم ب 20 أو 30 سنة.

س : قد تكون الأحكام التي صدرت ضدهم، تمت عن طريق الخطأ؟

ج : الخطأ يكون استثنائيا، سنفترض أن الحكم على هؤلاء كان خطأ، رغم أنه لم يكن كذلك، ولكن ماذا عن تازمامارت؟ هل هي أيضا شيدت عن طريق الخطأ؟ وماذا عن قلعة مكونة؟ وأكدز؟ والفلاحون في البوادي الذين كانت تنتزع منهم أراضيهم، ويحشرون في السجون، لأنهم احتجوا بشكل سلمي. هل هذا أيضا وقع عن طريق الخطأ؟ الجواب طبعا هو لا، فالأمر يتعلق إذن بمنهج كان مطبقا بتخطيط وإحكام.

س : هناك من يقول إن مثل هذا الكلام الذي تتحدث به الآن صادر عن إنسان طوباوي، كان عضوا في منظمة طوباوية، اجتمع أعضاؤها فيما بينهم، وقرروا بشكل منعزل عن حركة المجتمع والتاريخ القيام بثورة، بحيث لم يكن لديهم فكر سياسي علمي، يدرس، ويخطط، ويتحرك بشكل مضبوط، ويعرف ماذا يريد...

ج : المجتمع لا يتغير بدون طوباوية، فإذا كان هؤلاء الشباب طوباويين، فهم اليوم موجودون في قلب المجتمع المدني وفي ميادين أخرى، فما كان يعتبر بالأمس طوباويا، أصبح اليوم في متناولهم، إنهم يعملون مع المواطنين، وما زالوا إلى اليوم طوباويين، فيما يخص نوعية المجتمع الذي يحلمون ببنائه في المستقبل، ففي جمعية الميتر حيث أنشط اليوم، أعتبر نفسي منهمكا بفكر طوباوي في بناء مجتمع مغاير ومختلف عن السائد.

س : كأفراد وكأشخاص يمكن القول إنكم فعلا متواجدون وسط المجتمع، ولكم دور نشيط فيه، ولكن كتنظيم سياسي، ألا يجوز القول إنه تلاشى وانتهى؟

ج : التنظيمات والأحزاب ليست إلا مجرد وسائل لتحقيق أغراض معينة، وشيء عادي أننا ننتقل من مرحلة إلى أخرى في أساليب عملنا، فالمجتمع المغربي عرف في السنوات الأخيرة تحولات كثيرة وعميقة، ومن الطبيعي أن الأحزاب والتنظيمات التي كانت تشتغل في تجاوب مع حاجيات وضع سابق، تتلاشى مع الأمل في بروز تنظيمات أخرى، تتجاوب مع حاجيات المرحلة الجديدة، وذلك بناء على ممارسات اليوم وحاجياته.

س : التحولات التي تحدثت عنها لا تخص المغرب، لقد طالت العالم بأسره، فالمعسكر الاشتراكي انهار برمته، ألا يشكل انهياره بالنسبة لكم سببا في الإحساس بالضيم واليتم، أنتم الشباب الذي كان في صفوف إلى الأمام، ودخل السجن بسبب إيمانه بالاشتراكية، فالاتحاد السوفياتي كان نموذجا لكم في وقته، وها هو قد انهار؟

ج : إذا كان الاتحاد السوفياتي نموذجا، فهو كان بالنسبة لي نموذجا لدولة وليس لليسار، ففيما يخص اليسار أنا أفهمه على أساس أنه ديمقراطي وجمهوري وأممي، فهذه هي القيم التي ناضلت من أجلها، وإذا انهار المعسكر الاشتراكي كما جاء في سؤالك، ستظل هذه القيم سائدة، وسوف لن تموت. لا أتصور أن رفض استغلال الإنسان لأخيه الإنسان سيتلاشى ويزول كفكرة، وستتوقف البشرية في يوم من الأيام عن النضال لكي لا تتحقق فكرة زوال الاستغلال، فمن الممكن أن تنهار تجارب في التسيير والتدبير، فهذا وارد وحدث كما عشناه مع تجربة المعسكر الاشتراكي وفي تجارب أخرى، ولكن ما دامت قيم التضامن ورفض الاستغلال سائدة، فهي تسمح للمناضل بالعمل من أجل خلق تصور جديد لبناء مجتمع جديد. حقيقة، لا يمكن لنا القول إن لدينا مشروع دولة واضح، ولكن أظن أنه بالعمل أولا مع المعطيات الجديدة، وإشراك المجتمع المدني ، يمكن للأحزاب السياسية أن تؤسس لمشروع دولة جديد، أو إنشاء أحزاب سياسية تأخذ بعين الاعتبار التحولات التي وقعت، وتوظفها للوصول إلى تغيير المجتمع، فالمطلوب اليوم هو تجديد القيم التي دافع عنها اليسار، لأن الملاحظ هو أن قيم اليسار يتم التخلي عنها، فاليسار اليوم لا يعبر عن هويته، فهو يتكلم ببرنامج لا يختلف عن برامج الأحزاب اليمينية، لذلك أظن أنه ينبغي إحياء قيم اليسار وإعادة إغنائها.

س: اليسار في جميع أنحاء العالم حين يكون في المعارضة يتحدث للرأي العام بلغة يسارية، ولكن بمجرد وصوله إلى الحكم ينصهر في دوامة الليبرالية، ويصبح من أكبر المدافعين عن الخوصصة والرأسمال، ويتخذ التدابير التي تزكي الفوارق الطبقية الصارخة.

ج : أنا لا أريد في هذه المرحلة إقامة تطابق بين اليسار والتنظيمات التي رفعت شعاراته، فأنا أعتقد أن اليسار قيمة إنسانية تخترق كل المجتمعات، وإذا كانت هناك تنظيمات يسارية تشارك في الحكم، فهي في نهاية المطاف، لا تشكل إلا جزءا من اليسار الموجود في الساحة، وعندما تختار تنظيمات خلال ممارستها للحكم قيم الرأسمالية وتتبناها وتدافع عنها، فبالنسبة لي لا يمكن الحديث مع هذه التنظيمات عن اليسار، لأن اليسار لا يجوز الحديث عنه، إلا بناء على القيم التي دافع عنها، والطرف الذي لم تعد له علاقة بهذه القيم وخرج عنها، فهو تخلى عن كونه يسارا.

س : اليسار الذي يتخلى عن قيمه، ربما يقوم بذلك، من منطلق مكره أخوك لا بطل، فالأمر لا يتعلق برغبة ذاتية، ولكن العالم كله يمضي في هذا الاتجاه، فهذه عولمة جبارة، إما علينا مسايرتها، أو أن القطار سيتركنا خلفه.

ج : أنا أتساءل، ألم يتركنا حاليا قطار العولمة خلفه، فهناك حوالي 40 ٪ من سكان الشعب المغربي مهمشون من دورة الاقتصاد الوطني، ومحرومون من أبسط الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، أي معنى لامتطاء قطار العولمة، إذا كان الامتطاء يتم على حساب نصف المجتمع، ولنأخذ مثلا الحوار الاجتماعي، ما هي الأطراف التي تتفاوض فيه؟ النقابات باعتبارها تمثل الشغيلة، والباطرونا، والحكومة، ولكن من الذي يمثل المهمشين في هذا الحوار، فهؤلاء ليسوا عمالا أو أرباب عمل أو طرفا حكوميا.

فلدينا اليوم في المغرب جيش بكامله من المعطلين، والذين ليس لهم من يمثلهم ويتكلم باسمهم، وفي الحوار الاجتماعي ثلاثة أطراف هي لوحدها التي تخطط للمغاربة برمتهم، تخطط لهم مستقبلهم، لا أحد اليوم يريد أن يتحدث عن واقع المعطلين، فهناك نظام سائد يحاول أن يحافظ على توازنه في إطار العولمة من غير الاهتمام بالشعب.

س : ولكن الملاحظ هو أن فئات واسعة من الشعب، هي أيضا تسلك نهجا سلبيا في بعض الأحيان، وليست حاضرة وفاعلة بقوة في كل المحطات النضالية، فكيف يعقل مثلا أنه أثناء استحقاقات انتخابية ترهن مصير الوطن، نعثر على نسبة كبيرة من المواطنين تبيع أصواتها بأسعار زهيدة جدا، أو لا تشارك إطلاقا في التصويت؟

ج : من الصعب جدا أن تضع إنسانا في السجن وتصب عليه اللوم لكونه موجودا في السجن، فالسؤال الذي يتعين طرحه هو لماذا وصل المواطنون إلى هذا المستوى، بحيث يبيعون أصواتهم أولا يشاركون بتاتا في الانتخابات، ففي اعتقادي النخبة لها دور كبير فيما آل إليه الوضع بالمغرب، ممارساتها هي التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه، وعلى هذه النخبة اليوم واجب النزول عند المواطن والعمل معه والإنصات إليه وإشراكه لتغيير الوضع.

لا يعقل أن تظل بعيدة عنه ثم تكيل له الاتهامات، يجب الإقرار بأن النخبة عزلت نفسها عن الشعب، إما باختيارات أو عن طريق القمع الذي سلط عليها، فليس حاليا للأحزاب السياسية صلة وصل بالمواطنين. ولم يقع تجديد القاعدة الحزبية، فالأطر الحزبية التي كانت في الستينيات والسبعينيات وسط أحياء شعبية ترقت اجتماعيا، وانتقلت إلى أحياء راقية أخرى، ونتج عن هذا فراغ، قد تملؤه نخب جديدة.

س : وبماذا تفسر كون فئات عريضة من الشباب والمناضلين الذين كانوا في صفوف اليسار انتقلت حاليا إلى الحركات الأصولية؟ لماذا القبول بهذه الحركات والانخراط فيها، في حين هناك نوع من التمنع في الانضمام إلى أحزاب سياسية ديمقراطية؟

ج : هل الأحزاب السياسية موجودة لكي ينضم إليها الشباب وينخرط فيها؟

س : هل تنفي وجود هذه الأحزاب؟

ج : نعم، عمليا ليست موجودة، مناضلو الأحزاب السياسية تفرغوا للصراعات الداخلية لهذه الأحزاب، وأهملوا بالمطلق القاعدة الشعبية، أنا لا افهم كيف نسي المناضلون أن تعزيز مواقعهم الاجتماعية في صفوف المواطنين هو الذي يسمح لهم بتغيير المواقع داخل المؤسسات الحزبية، لقد استهلكت الصراعات الداخلية وقت وجهد المناضلين، علما بأن الحزب لا يتطور بالصراعات البيزنطية أحيانا بين مناضليه، ولكن من خلال العمل مع المواطنين، فكيف تريد للشباب وللقوى الاجتماعية

الانخراط في مؤسسات حزبية لا تلتفت ولا تهتم بها، وكل وقت مناضليها يقضونه في التطاحن فيما بينهم، لاكتساب مواقع على حساب بعضهم البعض؟

س : هل كان واردا في ذهنكم في بداية السبعينيات حين كانت حركة اليسار تستقطب الساحة السياسية، أن الأصوليين سيكتسحون الساحة لاحقا؟

ج : لا، في بداية السبعينيات لم يكن يتهيأ لي أن النظام سيفتح الباب في وجه الحركة الإسلامية ليشجعها وينميها للتصدي لليساريين الذين كانوا يقبعون في السجون، ففي رأيي النظام هو الذي خلق الإسلاميين ورعاهم. ولكن لا أريد أن يعطي كلامي هذا الانطباع بأن الإسلاميين منتشرون بقوة وسط الشعب، وأنهم احتكروا الساحة السياسية لوحدهم، لا، فهذا قول ليس له أي أساس من الصحة.

أنا أعتبر أن القيم التي تخترق المجتمع المغربي العادي في الأحياء الشعبية هي قيم التقدم والديمقراطية والحداثة، وأنا أتكلم عن الإنسان العادي من أبناء الشعب، فالمشكل يتعلق بالنخبة التي فشلت في الاقتراب من المواطن وفي الإنصات لهمومه، وأظن أنه تم الانتباه لهذه الثغرة من طرف جمعيات المجتمع المدني التي تسعى اليوم للاحتكاك بالمواطنين والعمل إلى جانبهم بما يعيد لهم الأمل في العمل الجماعي.

س : وما هو رأيك في الكيفية التي يسير بها اليسار المغربي الشأن العام، فها هو يحكم اليوم بعد أن كان معكم لوقت طويل في المعارضة، فهل الرهانات التي كانت مطروحة عليه في الماضي، يسعى حاليا إلى ترجمتها في الواقع من موقعه في الحكم، أم أنه أصبح جزءا لا يتجزأ من منظومة قائمة، ويتصرف في إطارها مكتفيا بالتدبير اليومي لمعطيات المرحلة؟

ج : بالفعل اليسار الذي يشارك اليوم في الحكم، يكتفي بالتدبير اليومي لكل الملفات، ولكن من الصعب أن تطلب من جميع الأطراف التي تسير الشأن العام أن يكون لها موقف موحد، فكون أحزاب اليسار قررت المشاركة في الحكومة، فأنا أنظر لقرارها هذا من زاويته الايجابية، فعلى أي، هذه الأحزاب في المرحلة الراهنة أفضل من غيرها، ولكن هذا لا يعني أنني على اتفاق مع ما يقومون به، فأنا لا أتفق مع نهج يقف عند حدود محاسبة الحكومة، فينبغي علينا كمناضلين أن نحاسب أنفسنا، ماذا نفعل مع الشعب لبناء بديل، لأنه من المفروض أننا أصحاب مشروع مغاير لما تقوم به الحكومة، فإذا كانت جماهيرية الأحزاب المشاركة فيها بدأت تتلاشى، فإن الذين يكتفون بانتقاد هذه الأحزاب، هم أيضا جماهيريتهم ستتلاشى إن اقتصروا في عملهم على نقدها فقط، ولم يقدموا للمواطنين مشروعا بديلا.

فاطنة البيه

قلنا لهم بصوت مرتفع لسنا حريما أو جواري لكم

س : الأخت فاطنة البيه أفتتح معك هذا الحوار حول تجربتك مع الاعتقال السياسي بالسؤال التالي. في أي يوم وأي شهر وأي سنة تم اعتقالك؟

ج : تم اعتقالي بتاريخ 17 مايو 1977، فهذا هو التاريخ الحقيقي لاعتقالي، ولكن المحضر الذي قدمت من خلاله للمحاكمة كان يشير إلى أن إلقاء القبض علي كان في 23 مايو، وبذلك ضاع مني أسبوع بكامله، أي أنني قضيت في السجن 7 أيام زيادة على المدة التي حكم علي بها، وفي الواقع فأنا لم اعتقل ولكن تم اختطافي، لأن الاعتقال يجري عبر الاستدعاء بوثيقة رسمية توجه للمعني بالأمر، ويحضر على إثرها إلى الكوميسارية أو مركز الدرك... وبعد ذلك يلقى عليه القبض ويتم إدخاله إلى السجن، أما في حالتي فالأمر لم يكن على هذا النحو.

س : كيف كان إذن؟

ج : كنت في طريقي إلى منزل إحدى صديقاتي التي هي خديجة البخاري والتي اعتقلت معي، وذلك من أجل الإعداد معها للامتحانات التي كانت على الأبواب، ولما هممت بالدخول إلى منزل صديقتي، فوجئت بيد قوية تمسك بي، وتجذبني داخل المنزل، وهكذا اكتشفت أن الأمر يتعلق بالبوليس الذي اختطفني ليزج بي في متاهة لا أول ولا آخر لها.

س : ألم تكوني تتوقعين اعتقالك، بمعنى آخر، ألم ينتبك أي إحساس قبل لحظة الاختطاف أنك مراقبة ومتابعة من طرف البوليس؟

ج : لم يكن لدي أي أحساس بأنني متابعة ومراقبة من طرف البوليس، لقد كنت أتصرف بشكل عادي، أتابع دراستي الجامعية، وأقضي وقتي متنقلة بين المكتبة والحي الجامعي. وكانت حياتي عادية

وخالية من أي شبهة، ولم أكن اشعر أنني سأعتقل، وحتى في اللحظة التي اعتقلت فيها لم يكن يخطر ببالي أن فترة الاعتقال ستطول، كان يتهيأ لي أنه سيتم الإفراج عني بعد يوم أو يومين أو ثلاثة أيام على أبعد تقدير.

س : ألم تكوني ذات نشاط سياسي في تلك المرحلة التي كانت فيها الممارسة السياسية شبه محظورة؟

ج : ما هو المقصود بالنشاط السياسي؟

س : الانتماء لتنظيم سياسي له مواقف مناهضة للنظام؟

ج : لم يكن لي أي انتماء سياسي في الفترة التي اعتقلت فيها، كان لي ماض سياسي. انخرطت وأنا تلميذة في النقابة الوطنية للتلاميذ، والتي كان اليسار قد أنشأها في الثانويات، نظرا لغياب إطار نقابي يدافع عن مصالح التلاميذ ويؤطرهم، بطبيعة الحال هذا الجهاز كان سريا، ولقد اشتغلت فيه وأنا تلميذة، وحين التحقت بالكلية كان الاتحاد الوطني لطلبة المغرب محظورا، وهذا المنع لم يستسغه الطلبة، واستمر النضال من أجل رفع الحظر عن المنظمة ذات التاريخ النضالي الذي تخرج منها مناضلون كثيرون، والتي كانت تضم في صفوفها جميع التيارات والمشارب والاتجاهات، لقد كانت وعاء يشمل كل أحلام وأفكار الطلبة المغاربة. وقد كان حرمان الطلبة من هذه المنظمة هو أكبر تعسف ارتكبته السلطة ضد الشباب وقتها، ولذلك كان لابد من النضال ضد هذا القرار المتعسف المانع للاتحاد الوطني لطلبة المغرب، وكنت كجميع بنات وأبناء جيلي، نناضل في هذا السياق، ولعل هذا هو التنظيم الوحيد الذي كنت أنتمي إليه لحظة اعتقالي.

س : ألم تكوني تتوقعين أن نضالك في صفوف الطلبة لرفع الحظر عن المنظمة التي كانت تمثلهم، بإمكانه أن يسبب لك المتاعب بما في ذلك الاعتقال؟

ج : لم أكن لحظة اعتقالي أتوقع أنني سأعتقل، ولكنني منذ اللحظة التي اخترت فيها حياة النضال، كنت أدرك أنني قد اعتقل في يوم من الأيام، لأنني كنت على بينة بأن في المغرب خطابا واحدا رسميا وكل خطاب غيره هو خطاب محظور، وصاحبه مهدد بالاعتقال أو الاختطاف أو بالقتل. وتاريخ المغرب يتضمن شهادات في هذا الباب، فمنذ نعومة أظافري وأنا أستمع إلى أبي وهو يتجاذب أطراف الحديث مع أصدقائه عن اختطاف المهدي بن بركة.

فمن هذه الزاوية، يمكن لي القول إنني كنت أدرك أنني قد أعتقل بسبب مواقفي وآرائي السياسية، أو بتعبير أدق كنت أعلم أن أي شخص مختلف في مغربنا، فإن شيئا ما ينتظره، ويكون ما ينتظره، مختلفا أيضا. فاللغة التي كانت تخاطب بها السلطة المواطنين، ما زالت محفوظة ومتداولة إلى اليوم . لقد سبق لي أن تعرضت لاعتقال دام 24 ساعة، وكنت ما زلت تلميذة، ولقد أثار ذلك الاعتقال ضجة كبيرة، ونتجت عنه موجة من الإضرابات عن الدراسة طالت المغرب كله.

س : لماذا تم اعتقالك لمدة 24 ساعة؟

ج : لم يكن الأمر يرقى إلى مستوى الاعتقال بالمعنى الدقيق للكلمة، لقد كانت حملة لإلقاء القبض على التلاميذ الذين شنوا إضرابات، فالتلاميذ الذين كانوا في مظاهرات واحتجاجات أمام الإعداديات والثانويات، كان البوليس يلقي القبض على أي منهم، فكل من وجد أمامهم بالصدفة، كانوا يلقون القبض عليه، ويحملونه إلى الكوميساريات، وفي هذا الإطار ألقي القبض علي، وقضيت 24 ساعة في الحجز ثم أفرجوا عني. فالحملات البوليسية لم تكن وقتها منظمة ومحكمة، ولكنها بدأت منذ بداية السبعينيات تتهيكل وتنظم، لأن السلطة والأجهزة القمعية بدأت تشعر آنذاك أن هناك شيئا ما يتحرك في الواقع، وأن عليها أن تأخذه بالحسبان، وأن تُنظم لتجد لنفسها الوسيلة الناجعة للتعامل معه، وأعني به اليسار الجديد الذي كانت ملامحه وطلائعه قد بدأت تظهر إلى الوجود.

س : الأخت فاطنة تحدثنا في الحوار لحد الآن عن فاطنة التي تم اختطافها من طرف البوليس، ولكن ماذا عن الوالد والوالدة وبقية أفراد الأسرة؟

ج : أعتقد أن صورة والدي قد فرضت نفسها على بشكل لا يمكن تصوره، فهو رجل تقليدي محافظ، وقارئ للقرآن والشعر العربي والتاريخ العربي، فوالدي عاش منطويا على نفسه. لقد كانت له مساهمة بسيطة في الحركة الوطنية، وهو يرفض الحديث عنها، ولم يقبل الحصول على أي تعويض أو امتياز لقاء مساهمته هذه، ولن أتحدث عما فعله في مقاومة الاستعمار، لأنه قد ألزمنا وعاهدناه على أن لا نتحدث عن تجربته هذه، لأنها بالنسبة له، كانت جهادا في سبيل الله، ولا ينبغي أن يتباهى الإنسان بالحديث عنه.

كان والدي يعلم الناس اللغة العربية، ويساعدهم على حفظ القرآن، لقد كان فقيها عالما، وطلبت منه بعض قبائل الشاوية التي استقدمته من قلعة السراغنة، تعليم أفرادها وأبنائهم القرآن ومحاربة

الأمية، و خصص له منزل قرب المسجد، وحبَس في اسمه للقيام بهذه المهمة، وكانت له هيبته ومكانته ووقاره في القرية حيث كان يعلم سكانها، وهذا هو ما كان يجعلني دائما معجبة به، فهذا إن جاز التعبير، جانب وطني أخذته منه.

أما الجانب التحرري فإنني مدينة لوالدتي به، فوالدي كان يريدني أن أكون امرأة مختلفة، ولكنه كان يتعامل بشكل محافظ مع والدتي، وربما يعود الأمر إلى العاطفة الأبوية تجاه المرأة، فرغم أنه كان رجلا تقليديا، فإنه كان دائما يقول: الله اصطفى البنات على البنين: هذه العبارة كان يرددها باستمرار، ويوم وضعت طفلة احتضنها وردد نفس العبارة، وقال لي يتعين عليك أن تكوني سعيدة لأن الله رزقك طفلة.

س : ماذا كانت وظيفته لحظة اعتقالك؟

ج : كان متقاعدا، لقد عرضت عليه عدة وظائف بعد الاستقلال ولكنه رفضها.

س : ووالدتك؟

ج : والدتي كانت ربة بيت، ولكنها كانت تلح دائما علي بالقول إنها لا تريدني أن أكون مثلها، لا تريدني أن أكون امرأة تقع عليها سلطة الرجل. بطبيعة الحال، لم تكن توضح الفكرة بجلاء، لأنها لم تكن تملك الطاقة اللغوية للتوضيح، ولكن الفكرة كانت تصلني. لقد أدخلني أبي إلى المدرسة في وقت لم يكن فيه الآباء يفكرون في تعليم بناتهم في المدارس، وحافظ علي فيها حتى بعد الحصول على الشهادة الابتدائية، لأن أغلب البنات كان لا يسمح لهن بتجاوز هذا المستوى، وكان تعليمهن يدخل في سياق إعدادهن للزواج.

لقد فرضت نفسي على والدي من حيث نوعية العلاقة التي كانت تربطني به، والتي كانت ممتازة ومتميزة، ومن حيث اجتهادي في المدرسة، إذ كنت أحصل على نتائج جيدة ، لذلك أصر والدي على أن أتابع دراستي، وربما علي أن أكون مختلفة عن أولائك الفتيات اللواتي كن في سني، لقد كنت الوحيدة من بنات سني، التي غادرت بن احمد لمتابعة الدراسة في الدار البيضاء.

س : إذن هذا هو فضاء الأسرة الذي نشأت فيه؟

ج : نشأت على حب الشعر والبلاغة، وفصاحة اللسان وجمال الخط. فهذه الأشياء كان والدي يركز عليها كثيرا.

س : لنعد إلى لحظة اعتقالك، ماذا كنت تفعلين، في اللحظة التي ألقي عليك القبض فيها؟

ج : أشرت إلى ذلك في كتابي «حديث العتمة» لقد كنت أحلم، كانت في يدي دفاتري، وقصدت منزل صديقتي للإعداد للامتحانات ففوجئت بما وقع.

س : ماذا كان مستواك الدراسي؟

ج : كنت في السنة الأولى فلسفة.

س : الذي نعرفه هو أن هناك صورة نمطية عند المجتمع عن المرأة، فهي في نظر العرف السائد كائن مسالم وبعيد عن الاهتمام بالشأن العام وبالسياسة تحديدا، فكيف حدث وتغلبت على هذه الصورة النمطية التي لدى المجتمع عن المرأة، واخترت النضال السياسي الذي نتج عنه اعتقالك؟

ج : ثرت ضد هذه الصورة النمطية التي كانت لدى المجتمع عن المرأة، ولم أقبل أن تكون النساء حبيسات البيت، لقد كانت والدتي تبدو لي بطاقات خلاقة وهائلة، وكنت أتألم لكونها حبيسة البيت، ولا أخفيك أنني كنت اعتبر هذا منكرا، ولا أقبل به، فصورة والدتي التي كانت حبيسة البيت، لم أكن أتصور أنني سأعيد إنتاجها فيما يتعلق بحياتي الخاصة، ولذلك بدأ اهتمامي بكل ما يجري خارج المنزل، وأخذ الأمر ينمو ويتطور إلى أن أصبح اهتماما بالشأن العام وبالسياسة. وعلى مستوى التكوين الثقافي، فإن والدي درَسني «السيدة الحرة» وقرأت بإيعاز من أبي وأنا طفلة صغيرة حكايات «ألف ليلة وليلة» ووجدت في هذه الحكايات نموذج المرأة القوية التي تستطيع أن تقاوم وتواجه بشتى الأساليب، وهكذا ترسخت في ذهني قناعة أن المرأة في حقيقتها التي يتعين الوقوف عندها والانتباه إليها، ليست هي التي يسوقها المجتمع عنها، في صورة المسالمة الخنوعة المستسلمة للقوى التي تقهرها، ولذلك انتفضت ضد كل أشكال التدجين والتكبيل التي كانت، وربما مازالت، تخضع لها المرأة، وقررت أن أكون على صيغة مختلفة. ومن هنا كان اهتمامي بالسياسة وانخراطي في النضال.

س : هل كان من السهل تكسير هذه الصورة النمطية التي لدى المجتمع عن المرأة والتمرد عليها؟

ج : لا يهم بالنسبة لي، إن كان من السهل أو الصعب تكسير الصورة النمطية التي لدى المجتمع عن النساء، ولكن الأهم في ما يخصني، هو أنني كسرت هذه الصورة وحطمتها، لقد كنت أتألم حينما كنت ألاحظ أن أمي تتلحف لتخرج خارج البيت، ولطالما قلت مع نفسي إن هذا ظلم. أما حينما كانت

لا تستطيع الخروج من المنزل لوحدها، فإنني كنت أعتبر الأمر اعتداء علي حريتها، ولكن في نفس الوقت فإن أبي الذي تحدثت لك عنه، كانت تجمعني به علاقات خاصة وحميمية جدا، إلى درجة أنه هو الذي كان يعد القهوة وأتسلم الكأس من يديه لأرتشفها.

فوالدي كان ربما، كباقي الآباء العرب، له شخصية مزدوجة، فمن خلال ثقافته ومعايشته للاستعمار، كان متفتحا معي، ولكن ككل الآباء كان يخاف علي، ويتصرف متقيدا بالثقافة والأعراف المسيطرة في المجتمع، فعلمني الاعتماد على النفس. أما الطموح إلى الحرية، فوالدتي هي التي كانت وراء هذا الطموح، وهي التي دفعته ليكبر في دواخلي.

س : ولكن التجرؤ على ممارسة السياسة في فترة تاريخية كانت تمتاز بالقمع والبطش، بكل من يختار حياة النضال... هذا التجرؤ لم يكن في متناول الكثير من الرجال فبالأحرى النساء. أنت كيف حدث وقررت أن تكوني مجازفة، وُتقبلين على ممارسة السياسة؟

ج : بالإضافة إلى الظلم والاستغلال والقهر الذي كان سائدا في المجتمع، وخصوصا ضد الفئات الفقيرة والمحرومة... بالإضافة إلى هذا، كان الفضل يعود لأبي وأمي، ثم لأساتذتي، فأنا أذكر أن أستاذتي فاطمة الزهراء الزرويل كانت لها طاقة كبيرة وخلاقة في التدريس، لقد كانت تشرح لنا القصائد الشعرية بقوة تجعلنا نشعر ونحس ونتذوق نبض الكلمات في الأبيات الشعرية، وفي الحكم وفي الكتب التي كانت تدعونا لقراءتها.

الأساتذة الذين درَسونا، كان من بينهم عدد مهم يعتنق مبادئ سامية ويدافع عن قيم نبيلة، ومنهم تعلمنا التشبث بهذه القيم، وهم أيضا غرسوا فينا الروح الوطنية، وكانوا يحثوننا على التحلي بالشجاعة والجرأة والثبات على المبدأ، كما أنني من أصل قروي وفقير، وكما تعلم، فإن على القروي والفقير أن يكافح للعيش ويفرض نفسه، فالقروي الذي لا يجاهد ولا يصارع، لا يمكنه أن يعيش. إنه ملزم بالضرب في الصخر للحصول على كسرة الخبز. فالكفاح والجرأة والنضال كان بالنسبة لي يتم على كل هذه المستويات.

س : وما هي نظرة المجتمع لفتاة عاشت تجربة الاعتقال السياسي؟

ج : تشعر بالغربة، وأحيانا النبذ والنفي، ولكن هناك أيضا نوع من التضامن.

س : ألم يخلق تعرضك للاعتقال أي مشكل لعائلتك؟

ج : خلق اعتقالي مشكلا لأسرتي برمتها، بعض الناس أخذوا يتحفظون من زيارة أسرتي، ولم يقدروا علي مواساتها بسبب تعرضي للاعتقال.

س : هذا التبرم من أسرتك هل يعود فقط لكونك اعتقلت في إطار سياسي؟

ج : تعامل المحيط والمجتمع مع أسرتي كان يتضمن عدة مستويات، فإذا كان هناك التحفظ والتبرم، فلقد حدثت على هامش الاعتقال وقائع مفاجئة، فمثلا أخي وأنا، كانت لنا علاقة تقليدية، فنظرته وتعامله معي كان هو تعامل كل الشباب المغاربة مع أخواتهم، ولكن سلطته الذكورية في علاقته بي، تخلى عنها وتجرد منها في اليوم الذي اعتقلت فيه، وإلى اليوم لا أستطيع أن أذكر هذا الحدث دون أن تسيطر علي رغبة في البكاء.

فأخي كان يمنعني من الوقوف في باب المنزل مثلا، ويقسو علي، ولكنه في يوم اعتقالي، ولما زف إليه الخبر من طرف أبناء الدرب بعد إعداده نفسيا لتلقي خبر سيء، وقتها تخلى عن العقلية الذكورية، وتملكته في نفسيته وذهنيته، صورة مغايرة عن المرأة، وتضامن معي وآزرني، وكان أكبر سند لي في تجربة الاعتقال التي عشتها. لقد شعرت في لحظة من اللحظات، وكأنه كان يعتذر لي عما كان يصدر عنه تجاهي نتيجة الثقافة المجتمعية التي تربى في كنفها.

س : كيف تعامل معك البوليس لحظة الاعتقال، هل كان يراعي أنه يتعامل مع امرأة وأنه ملزم باحترام حرمتها وخصوصيتها كامرأة، أم ماذا ؟

ج : كان البوليس يعيش تناقضا كبيرا، فهو كان يرفض للرجال حقهم في ممارسة السياسة من موقع معارض، فلقد كان في المغرب خطاب وحيد، وهو الذي كان لزاما أن يمر بمفرده للعموم، وكل من كان يقول عكسه، كان ينبغي أن يسحق، فأحرى إن تعلق الأمر بامرأة. كان البوليس لا يتساهل مع الرجل المعارض ويعمل على محقه، فكيف سيقبل بأن امرأة تمارس السياسة وتعارض النظام ويلقى عليها القبض، وتخضع للتحقيق لكي تنتزع منها الاعترافات. فالبوليس كان يتهيأ لي أنه كان يشعر بالإهانة عندما قام باعتقالي، فالجلاد لا يتصور وجود معارضة من قبل الرجل، فبالأحرى المرأة. لذلك ربما لم يكن يقبل أن يتساهل معنا أو يراعي خصوصيتنا كنساء في الاعتقال.

س : لا فرق لدى البوليس بين الرجال والنساء؟

ج : لا، كان هناك فرق كبير، فالبوليس كان يستغل كل ما هو أنثوي في المرأة من أجل التجريح، لم يكن فقط لا يراعي أنه أمام أنثى ويتعين معاملتها بشكل أقل قسوة، ولكنه كان يستثمر جيدا فرصة أنه أمام أنثى لكي يبلغها الخطاب القمعي والسلطوي الذي ينبغي في نظره أن يكون سائدا.

س : هل تجريح البوليس الذي كان يستهدفك باعتبارك أنثى، كان يؤثر فيك؟

ج : أجبت على هذا السؤال في حوار كانت قد أجرته معي فاطمة المرنيسي حول تجربة اعتقالي السياسي، ولقد طرحت على نفس السؤال، وكان جوابي هو أن تجريح البوليس لم يكن يحرك أي شعرة في رأسي، فمن الممكن أن يتفوه شخص ما في الشارع بكلمة نابية في حقي، وقد تؤلمني وتسبب لي جرحا ولن أقبلها، ولكن أمام أجهزة القمع كنت قد تملكت مناعة ذاتية ضد الإهانة والتجريح، ولم أعد أعيرهما اهتماما، لأنني كنت أدافع عن قضية أومن بها أشد الإيمان.

س : وهل تجاوز البوليس أثناء استنطاقك الحدود المسموح بها في الاستنطاق؟

ج : لم تكن أمام البوليس أي حدود، لقد استعمل جميع الأساليب بما في ذلك التحرش الجنسي، والذي تحرش بنا جنسيا ليس الذي كان مكلفا بتعذيبنا، ولكن الذي كان يحرسنا، ولقد غوته نفسه في لحظة معينة وحاول أن يمارس تحرشا جنسيا...

س : وماذا كان رد فعلكن؟

ج : صدر صوت واحد من 7 نساء كنا معتقلات في درب مولاي الشريف، وحدث ذلك حوالي 5 صباحا، ولدي نص عنوانه «نساء الحكايا» صدر في مؤلف جماعي : التحرش الجنسي جريمة، أصدره مركز فاما، وكتبت عن هذا الحدث، وركزت على أن الصمت الذي كان طاغيا ومفروضا علينا تحول إلى كلام وصراخ واحتجاج، ولم يكن يتهيأ للذي تحرش بنا أن الأمر سيصل إلى الحد الذي وصله، وأننا سنصرخ وسنحتج، وأخذ يتصور وكأن خللا ما حدث، كيف أن هؤلاء النساء المقيدات الأيدي والمعصوبات الأعين والمحرومات من الكلام والتحرك إلا بالإذن المسبق، كيف يمكن أن يصدر عنهن كل هذا الصراخ والاحتجاج على التحرش بإحداهن.

س : احتجاجكن ضد هذا التحرش الجنسي، هل أسفر عن نتيجة ما، هل اتُخذ إجراء زجري ضد الشخص الذي مارس التحرش؟

ج : تم تغييره، ولم يعد مكلفا بحراستنا، وربما وقع نقله للعمل في جهة أخرى.

س : تقولين في كتابك حديث العتمة: بحر واسع هي قدرة النساء على المواجهة، بحر واسع لا حد له ولا قياس . هل فعلا للمرأة قدرة على المواجهة حتى في لحظات التعذيب؟

ج : ما اكتشفته ووقفت عليه هو أن للمرأة، فعلا، قدرة على المواجهة، وللأسف هذه القدرة للنساء على المواجهة لا يعترف لها المجتمع بها. المجتمع يقدم لنا صورة مغلوطة عن المرأة، وأظن أنه من أجل الحد من قدرة النساء على المواجهة، يتم تشويه صورتهن وسط المجتمع.

س : في الحوارات التي أجريتها مع مناضلين عاشوا تجربة الاعتقال السياسي، أغلبيتهم قالوا إنه من باب العبث والسوريالية أن يتصور المرء أن بالإمكان مواجهة الجلاد والصمود في وجهه وعدم إعطائه الاعترافات التي يبحث عنها، أنت تقولين الآن العكس.

ج : نعم كان من باب العبث والسوريالية مواجهة الجلاد والصمود في وجهه، ولكن فيما يتعلق بي قررت مع نفسي، وكذلك زميلاتي اللواتي كن معي في الاعتقال قررنا ألا نعترف للجلادين بأي شيء، وهذا ما حدث، لم نعترف لهم بما كانوا يريدون منا الاعتراف به.

س : ما هي نوعية الاعترافات التي كان الجلاد يحاول انتزاعها منكن؟

ج : كل شيء، مع من كنت؟ وأين كنت؟ وما هو التنظيم الذي تنتمين إليه؟ وماذا كنتم تعتزمون القيام به؟ هذه الأسئلة هي التي كان يطرحها علينا الجلاد، ويريد الحصول على اعترافات منا بشأنها، وكان جوابنا هو أننا غير راضيات على الواقع الحالي المغربي، ونسعى لتغييره في كافة المجالات: في التعليم، في التطبيب، في السكن، في العلاقة بين المرأة والرجل، في البحث عن المساواة، ومحاربة الفوارق الطبقية. كنا نجيبهم بإيجاز: إننا نريد الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

س : ولكن الوصول إلى غايات من هذا القبيل يتعين أن يتم بممارسات نضالية تندرج في إطار الشرعية والقانون، وأنتم شبيبة تلك المرحلة، رجالا ونساء، ربما كنتم تتحدون القانون والشرعية.

ج : الاشتغال في إطار الشرعية والقانون يجب أن يكون مصانا بحرية التعبير والحق في الاختلاف

والانتماء، ولكن في الفترة التي وقع اعتقالنا فيها، هذا الحق لم يكن قد اكتسب بعد، فكل شيء تقريبا كان محرما وممنوعا، والحرية النسبية الموجودة حاليا يعود الفضل في وجودها للكفاح الذي خاضه المجتمع في الفترة التي اعتقلنا فيها. فلولا النضال والكفاح خارج ما كان يسمى قانونا في ذلك التاريخ، لما توفرت للمغاربة هذه المؤسسات الموجودة حاليا والتي يشتغل فيها المناضلون في إطار القانون، علما بأن التعسف على القانون المعمول به مازال يظهر من حين لآخر.

س : السلطة لا تقبل أن يشتغل أيا كان، سواء تعلق الأمر بامرأة أو رجل، خارج نطاق القانون الجاري به العمل، حتى لو كان القانون جائرا، وأي تحرك خارج نطاقه يجيز للسلطة، وفقا لمنطقها، أن تعتقل أصحابه وأن ترميهم في السجون..

ج : يجوز للسلطة اعتقال شخص ما إذا اعتقدت أنه لا يحترم القانون ويتحداه، ولكنها ملزمة بأن تعتقله في إطار القانون وفي احترام تام لحقه كإنسان في أن لا يهان في كرامته، وأن لا يمارس عليه التعذيب، وأن يحاكم محاكمة عادلة تتوفر له فيها الشروط والضمانات اللازمة للدفاع عن نفسه، فهذا هو المطلوب من السلطة، فأنا قضيت في السجن مدة 3 سنوات دون محاكمة، ولقد اختطفت لمدة 7 أشهر من غير أن تعلم أسرتي المكان الذي كنت محتجزة فيه، هذا في حد ذاته تجاوز فاضح للقانون.

س : ماذا كانت تفعل أسرتك خلال هذه المدة؟

ج : بحثت عني في جميع الأماكن واستعملت جميع الوسائل لمعرفة المكان الذي كنت مختطفة فيه، لقد عانت أسرتي كثيرا خلال هذه المدة، فهي ربما من أصعب وأحلك اللحظات التي عاشتها، وأظن أنه إذا كان هناك من كتاب يتعين أن يؤلف حول الاعتقال السياسي، فيجب في نظري أن يكتب عن عائلات المعتقلين، فهذه العائلات هي التي بنت منظمات حقوق الإنسان في المغرب وليس المناضلون، لقد ناضلنا وخضنا إضرابات عن الطعام، ولكن عائلاتنا كانت تقول باستمرار إن الموت أهون علينا من ترك أبنائنا يموتون في السجون. فأسرنا اعتصمت أمام مبنى البرلمان، واحتلت المساجد، وخصوصا الأمهات، وأعتقد أن المناضلين مدينون بالكثير لعائلاتهم في الحرية التي ينعمون بها.

س : تقولين في فقرة من كتابك حديث العتمة، إنكم كنتم بين يدي عصابات القتل والرعب وأن التهديد بالقتل كان حقيقة وواقعا، هل فعلا كان الأمر إلى هذا المستوى من التجاوز والتحدي للقانون؟

ج : مات الكثيرون تحت التعذيب، أو عقب الإضرابات عن الطعام، لقد مات عبد اللطيف زروال

تحت ضربات سوط الجلاد، وماتت سعيدة المنبهي بعد إضراب طويل عن الطعام. فالجلاد الذي يضع مسدسا فوق رأسك ويهددك بالقتل، بعد أن يكون قد فشل في انتزاع الاعترافات منك، عقب ساعات طويلة من التعذيب، ما هي الضمانة التي لديك لكي تكون على يقين تام بأنه سوف لن يضغط على الزناد ليرديك قتيلا؟ من الذي سيمنعه من القيام بذلك؟ فأنت في مثل هذه الأوضاع، تشعر أنه قاتلك لا محالة.

س : في مثل هذه الحالات من الصعب على الإنسان أن يصمد في وجه الجلاد، خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بامرأة، فهكذا يمكن تصور الأمر...

ج : لم يكن لدينا ما نخسره، ففي مثل هذه الحالات صرخنا في الخامسة صباحا وقلنا لهم لسنا حريما، لسنا جواري لكم... صرخنا مرارا، وصفعنا وعذبنا، ولكن كان لابد من الصمود، لأنه كان الخيار الوحيد الممكن أمامنا، فبالنسبة لنا كان مطلوبا منا تقديم النموذج، وأنا أتفق معك على أن الأمر كان قاسيا جدا، وعندما أذكر ما عشناه، أقول مع نفسي، لو أننا لم نكن قاسيات مع ذواتنا، فمثلا الإضراب عن الطعام ألم يكن لحظة من أصعب اللحظات؟ أنا اليوم لا أقبل أن أسمع أن شخصا ما خاض إضرابا عن الطعام، وإذا حدث وبلغني خبر مضرب عن الطعام، فإنني أشعر وكأن مرضا ألم بي، وحاليا لا يمكن لي أن أشن إضرابا عن الطعام، مهما كانت الأسباب، ولكن في السجن، وفي تلك الفترة العصيبة، عشنا هذه التجربة المريرة والقاسية، وكان لابد من المرور منها لتحقيق مكاسب في السجن.

س : لنعد الأخت فاطنة إلى لحظة اعتقالك، إلى أين تم اقتيادك بعد الاعتقال؟

ج : إلى كوميسارية في بلاس بيتري بالرباط، وقضيت فيها 3 أيام رفقة معتقلات عاديات، وكان يتم تزويد المعتقلات بالطعام والشراب ماعدا أنا، وفي اليوم الثالث نقلت إلى درب مولاي الشريف الذي قضيت فيه 7 أشهر، ومنه إلى سجن اغبيلة حيث مكثت 20 يوما، ثم مكناس فيما بعد.

س : وماذا عن ظروف إقامتك بدرب مولاي الشريف؟

ج : حين وصلت إلى درب مولاي الشريف وجدت أمامي معتقلة سابقة، هي خديجة البخاري، ثم التحقت بنا كل من ماريا الزويتني، ووداد البواب، وفيما بعد لطيفة اجبابدي، وتبعتها نكية بودا، وكنا جميعنا في ممر، بالعصابة السوداء، ومجال تحركنا كان هو إما التحقيق أو المرحاض..

س : هكذا كانت حياتكن على امتداد 7 أشهر؟

ج : هكذا كنا على امتداد 7 أشهر، أشبه بأهل الكهف، وأظن أن كل الأشياء نسبية، فاللحظة الصعبة هي التي تكون منهمكا فيها، أما عندما تجتازها وتصير وراء ظهرك، فإنها تتحول إلى تاريخ، وأنا أتساءل كيف قضينا هذه المدة من دون الانهيار والجنون، ولعل السبب يعود إلى التربية أو الإيمان بالقضية، فالإيمان بعدالة قضية ما يساعد المؤمن بها على الصمود.

س : هل هذه المدة بدرب مولاي الشريف كانت كلها معاناة وألم وقسوة، أم كانت تتخللها من حين لآخر لحظات من الفرح والترويح عن النفس رغم قسوة المكان؟

ج : طبعا خلقنا عبر الكتابة على الجسد فضاء، حكينا فيه كل شيء، فجميع التفاصيل تحدثنا عنها، وروينا لبعضنا القصص والروايات والأفلام، وكنا نضحك وأحيانا نستغفل الجلاد ونسخر منه، لقد كنا نقاوم بكل الأساليب.

س : تستمر الحياة رغم قسوة الفضاء؟

ج : حياة من نوع خاص، تتكيف فيها مع الظروف، وتخلق لنفسك أجواء تتأقلم فيها مع الفضاء، لقد تمكنت من تقليم أظافري وتعديلها عبر حكهم في الجدار، لا يمكن للمرء أن يظل طول الوقت سجين الكآبة والألم، تأتي لحظات يشعر فيها بالأمل في الخروج من هذا المكان المغلق، وينهمك في صنع الأحلام، فيتهيأ له كأنه على وشك الإفراج عنه، فيعمه نوع من الفرح، فينطلق في الضحك أو الكلام أو الغناء، أو رواية القصص والأفلام لرفاقه، ويشمل الإحساس الذي يسيطر عليه باقي رفاقه، فتدب في الفضاء حركة غير عادية، حركة ملؤها الفرح والسرور ومفعمة بالحيوية والنشاط... إلى أن يأتي حدث ما، فيعكر الجو، ونعود إلى المنطلق وإلى الواقع، وهكذا ذواليك.

س : ألم تفكروا في خوض أي شكل من الأشكال النضالية في درب مولاي الشريف؟

ج : خضنا إضرابا عن الطعام في ذكرى استشهاد عبد اللطيف زروال، ودام الإضراب على ما أظن حوالي 24 ساعة، فالمهم هو أننا سجلنا الحدث، ففي هذا المكان المغلق وغير المعترف به من طرف الدولة، نظمنا احتجاجا على ممارسة قمعية للدولة ذهب ضحيتها مناضل من أبناء الشعب.

س : وماذا وقع بعد الانتهاء من التحقيق معكن؟

ج : أحلنا من درب مولاي الشريف على قاضي التحقيق، الذي أمر بإيداعنا في السجن باغبيلة حيث قضينا 20 يوما، ومنها نقلنا إلى مكناس، ولقد قضينا في السجن بمكناس مدة 3 سنوات بدون محاكمة، ولم نعرض على أنظار القضاء إلا بعد إضراب عن الطعام.

س : كم كانت مدة الإضراب عن الطعام؟

ج : 20 يوما، وأعتقد أن أفظع شيء هو الإضراب عن الطعام.

س : القارئ يسمع بالإضراب عن الطعام، ربما دون معرفة معناه، فما معنى الإضراب عن الطعام؟ وما هي الطقوس التي تسبقه وتلازمه؟

ج : قبل خوض الإضراب يتم بعث رسالة إلى الإدارة وإلى وزارة العدل لإحاطتهما علما بالأوضاع التي تعيشها وتحدد المطالب التي تدعو للاستجابة لها، وعندما لا تتوصل بأي جواب، تشعر الإدارة بإنذار بأنك ستخوض إضرابا عن الطعام، إذا لم تتم تلبية مطالبك، ثم تحدد مدة زمنية للحصول على جواب، وبعدها تبعث رسالة ثانية إلى الإدارة ووزارة العدل تشعرهما بقرار الإضراب، وتخبر العائلة والصحافة، ويقع إفراغ الزنزانة من كل الأطعمة التي تحتويها، ثم تنطلق رحلة الجوع والصمت..

س : كيف يتم قضاء أيام الإضراب عن الطعام؟

ج : ممددا فوق الغطاء، دون أكل ولا شرب، تقضي اليوم في القراءة وفي الانتظار، لكي يقع توجيه الدعوة إليك من أجل التفاوض، وينتج عن الإضراب أمراض وعاهات. فكل أعضاء الجسم تصبح موضع اختبار، وغير السليم والمعافى منها تظهر عليه بسرعة علامات الإضراب، ففي اليوم الأول تشعر وكأنك في شهر رمضان، وفي اليوم الثاني والثالث تتكيف مع الوضع، ثم يأتي وقت يُفتقد نسبيا الإحساس بالجوع، ويحل محله العياء والتعب والدوران.. ويصبح للإضراب عن الطعام طابع التحدي من أجل فرض مكاسب لفائدة السجين، ويتحول في وقت من الأوقات إلى نوع من العبث، وأعتقد أنه يتعين علينا أن نقوم بالمستحيل لكي لا نترك الناس تخوض الإضرابات عن الطعام، مهما كانت الاعتبارات.

فأنا مازلت إلى اليوم أعاني من مخلفات هذه التجربة المريرة، ونفس الأمر بالنسبة لصديقاتي ولمناضلين آخرين خاضوا اضرابات عن الطعام.

س : وماذا عن حياة النساء سجينات الحق العام اللواتي كن في زنزانات مجاورة لزنزانتك؟

ج : عالم مخيف وجانب مسكوت عنه، فأنا أشتغل حاليا في هذا المجال، ولقد بحثت عن كتاب واحد يتحدث عن السجينات ولكنني لم أجده، فالمرأة محرومة من الحرية داخل المجتمع، وعندما تحرم منها داخل السجن، فإن الحرمان يصبح مضاعفا، فنفس النظام القمعي السائد داخل السجون لدى الرجال، هو ذاته عند النساء، وربما بشكل أقوى، فما أقسى المرأة على المرأة، ولكن أظن أن هناك تحسنا طفيفا في هذا المجال.

س : وأثناء المحاكمة ما هي التهمة التي كانت موجهة إليك؟

ج : المس بالأمن الداخلي للدولة، ومحاكمتنا لم تكن عادلة، ولذلك رفضت الاستئناف لأنني اعتبرت المحاكمة في حد ذاتها ظلما. وأتذكر أن المحامي الذي كان يرافع دفاعا عني، أمسكني من ذراعي وتساءل أمام القاضي، هل هذا الذراع يمكنه أن يمس بأمن الدولة، هذه إهانة لأمن الدولة إذا كان ذراع من هذا الحجم يهزه.

س : هناك مفارقة عجيبة في محاكمتكن، فالمرأة في الواقع يهمشها المجتمع ويحكم عليها بالدونية، ولكنها تحاكم في محكمة بتهمة تهديد الأمن العام للدولة؟

ج : هذا يبين غياب تصور متناسق داخل المجتمع للتعامل مع قضاياه ومشاكله وأسئلته.

س : وبكم تم الحكم عليك؟

ج : 5 سنوات. قضيتها في الدراسات والأبحاث والقراءات وتربية السجينات ومساعدتهن، وفي الاحتجاج والتضامن والنضال...

س : وما هي الحالة النفسية التي يخرج بها المناضل من السجن؟

ج : الأمر يتعلق بالمناضل نفسه، فالسجن يعلم الشجاعة والصمود، ولكنه قد يتسبب للإنسان في الانهزام والانكسار، وأظن أن السجن الحقيقي كان بالنسبة لي هو بعد الإفراج عني، لقد شعرت بالغربة في المجتمع، وبصعوبة في الاندماج في المحيط من جديد، كان مفروضا علي أن أتعلم كل شيء من

جديد، ابتداء من الذهاب إلى السوق لاقتناء الخضر، مرورا بامتطاء الحافلة، وكيفية التدريس، وكيف أصافح الناس، وأتحدث إليهم عن السجن، وهم الذين لا يعرفون عنه أي شيء.

أحسست فعلا بغربة قاسية، ولذلك أحاول اليوم التركيز في العمل الجمعوي الذي أنا منخرطة فيه، أحاول تهيئة السجين لإعادة إدماجه في المجتمع، تهيئته من الداخل. والمشكل الكبير هو أنني دخلت السجن من أجل تحقيق فكرة وخرجت منه، ووجدت أن تلك الفكرة مازالت بعيدة عن التحقق، شعرت بنوع من النضج في فكري، ولكن أيضا بقدر من الإحباط. وما خفف عني، هو أن أبناء حينا استقبلوني بترحاب كبير، وأقاموا حفلا يوم الإفراج عني، واستمر الحفل إلى الخامسة صباحا، فالناس تميز وتعرف نوع القضية التي اعتقلت من أجلها، ولذلك تضامنوا معي، وعاملوني معاملة حسنة أشكرهم عليها من صميم قلبي.

أحمد راكز

أعتبر بشكل عام أن تجربتنا كانت رائعة جدا

س : الأستاذ أحمد راكز أود أن أفتتح معك هذا الحوار حول تجربة الاعتقال السياسي التي عشتها بسؤال عن تاريخ اعتقالك، ما هو اليوم والشهر والسنة التي اعتقلت فيها؟

ج : تعرضت لاعتقالات متعددة، وأظن أن القصد من سؤالك هو الاعتقال الذي نتج عنه سجن طويل الأمد، وهذا الاعتقال حدث يوم الأربعاء 5 نونبر 1974، عشية مؤتمر القمة الذي انعقد في الرباط، والذي نجم عنه الاعتراف العربي الرسمي بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وكان ذلك حوالي الخامسة مساء، وتم اعتقالي في مدينة دمنات.

س : ماذا كنت تفعل في دمنات؟

ج : كنت أدرَس اللغة الفرنسية بثانوية حمان الفطواكي بهذه المدينة، واعتقلت بعد أن نزلت من الحافلة التي أقلتني من مراكش، لقد تم نقلي إلى دمنات للتدريس بها، وكنت في غمرة اتخاذ الإجراءات اللازمة للإقامة بهذه المدينة. فبعد نزولي من الحافلة وجدت أن رجال الأمن كانوا ينتظرونني أمام باب الثانوية، قصدت مكتب المدير، فإذا بالحارس العام أو الناظر يفيدني أن بعض الأشخاص ينتظرونني، وقال لي إنهم من نيابة التعليم، وفي نفس اللحظة تقدم صوبي عنصران من رجال الأمن، وكان برفقتهما قائد دمنات، فتأكدوا من هويتي، وطلبوا مني أن أرافقهم، وأدركت على الفور أن الأمر يتعلق باعتقال لأغراض سياسية، فأنا كنت أترقب أنه سيقع اعتقالي.

س : ما الذي جعلك تتوقع أن بالإمكان اعتقالك؟

ج : الذي جعلني أتوقع الاعتقال هو حدوث اعتقالات سابقة في الدار البيضاء وفي مراكش أيضا التي جرت فيها اعتقالات خمسة أشهر قبل إلقاء القبض علي، كنت أتوقع أن أعتقل في الدفعات الأولى، ولكن بعض الرفاق لم يعترفوا بشكل صريح باسمي، خصوصا وأننا كنا وقتها نتحرك بأسماء حركية، وذلك في إطار الحفاظ على السرية.

س : ماذا كان اسمك الحركي؟

ج : كانت لدي ثلاثة أسماء حركية: بلبشير، ولغليظ وأيضا حنيقزات، لأنني كنت كثير الحركة، ولغليظ كان اسمي في القطاع الطلابي، وبلبشير في باقي القطاعات الأخرى.

س : ما هو التنظيم الذي كنت تنتمي إليه لحظة اعتقالك؟

ج : تنظيم 23 مارس.

س : و متى انخرطت في هذا التنظيم؟

ج : الانتماء إلى المنظمة تم بشكل متدرج، وحدث ذلك بالضبط في 1970.

س : كيف حدث وانخرطت في منظمة 23 مارس، وما الذي جعلك تنخرط في هذا التنظيم بالتحديد؟

ج : الانتماء للمنظمة تم بشكل عفوي، لقد كانت في طور التأسيس، والانتقال من مرحلة الحلقات إلى مستوى التنظيم المركزي، وكنت أنشط أساسا في قطاع التلاميذ بشكل عام، كنت منخرطا في النضال التلاميذي وكانت لدي ارتباطات سياسية بالشبيبة الاتحادية، وذلك لفترة قصيرة، ثم مع شبيبة حزب التحرر والاشتراكية، ولا داعي للتذكير بكوني لم أحصل على أي بطاقة للعضوية طوال فترة انتمائي السياسي.

س : ما الذي دفعك كشاب للخروج من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ثم حزب التحرر والاشتراكية للانضمام لمنظمة 23 مارس؟

ج : كانت فورة من الانتقادات توجه وقتها من طرف الشبيبة للطبقة السياسية، وكانت مراكش تعيش نقاشات سياسية حامية الوطيس، وواكبت هذه النقاشات، وتابعتها، ولاشك أن هزيمة 1967 أحدثت زلزالا كبيرا في نفوس الشبيبة العربية، فأخذت نظرتها إلى العمل السياسي وإلى النخبة السياسية تتسم بطابع الحدة والانتقاد والشك في كل مواقفها السياسية.

فالشباب العربي كان يتوقع تحرير فلسطين وانتصار القضية الفلسطينية على أيدي الجيوش العربية، فإذا بهذه الجيوش تهزم، وإسرائيل تتوسع في أراض عربية احتلتها بالقوة، والقضية الفلسطينية تدخل في متاهات لا حدود لها.. يضاف إلى هذا قنوات الاتصال التي فتحتها، في ذلك الوقت، قيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع القصر، فهذه كانت بالنسبة لنا هي النقطة التي أفاضت الكأس.

س : لنقف عند القضية الفلسطينية، أثار انتباهي أن كل الذين تعرضوا للاعتقال السياسي وأجريت معهم حوارا حول تجربتهم هذه، يلحون على كون القضية الفلسطينية كان لها دور حاسم في تحديد انتماءاتهم السياسية، وبالتالي تعرضهم لاحقا للاعتقال، بماذا يمكن تفسير ذلك؟

ج : نعم كان لها دور حاسم وأساسي بالنسبة للأطر التي قادت حركة الانشقاق والخروج على الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وحزب التحرر والاشتراكية، فلقد طرح القرار 242، وصودق عليه، وجاء بعده مشروع روجرز الذي بموجبه تم توقيف حرب الاستنزاف التي كانت تخوضها مصر ضد إسرائيل، ثم كان أيلول الأسود، والمجزرة التي ارتكبها النظام الأردني ضد الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون في الأردن.. فهذه كلها أحداث وقعت، وكان لها وقع كبير على الشبيبة المغربية التي كانت تواكب وتتفاعل بقوة مع ما يجري في منطقة الشرق الأوسط.

س : مواقف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية كانت في كل هذه القضايا أقرب بكثير لمواقف الشارع المغربي، وكان مناضلو هذا الحزب يساندون بقوة الشعب الفلسطيني ويدعمونه، لذلك لا يمكن الخروج من جانبكم وقتها عن هذا الحزب بسبب القضية الفلسطينية؟

ج : صحيح كانت هناك مواقف واضحة للاتحاد الوطني مساندة للقضية الفلسطينية، ولكننا كنا نؤاخذ على القيادة انعدام الديناميكية والتحرك لتفعيل هذه المساندة في تلك المرحلة. كنا نشعر أن هناك نوعا من الانتظارية، وغياب إجراءات عملية لبلورة المواقف السياسية الداعمة للشعب الفلسطيني، لقد كانت داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية المجموعة التي شكلت فيما بعد وبلورت قرارات يوليوز1972.

فهذه المجموعة كان لها إيمان بقضية الشعب الفلسطيني، ومن هذا المنطلق تم، فيما بعد، إصدار جريدة فلسطين بإشراف الشهيد عمر بن جلون، ثم جاءت كذلك الجمعية المغربية لمساندة الشعب الفلسطيني، ومع ذلك كنا نشعر نحن شبيبة تلك المرحلة بأن التطورات التي عاشتها القضية الفلسطينية لم تكن مواكبة، بالشكل الثوري الذي كنا نريده، وأن هناك نوعا من الانتظارية في مواقف النخبة السياسية من معاناة ونضال الشعب الفلسطيني.

س : وفي رأيك الأستاذ راكز ما الذي جعل الشبيبة المغربية في بداية السبعينيات، وإلى اليوم، تواكب القضية الفلسطينية وتعتبرها قضية وطنية، رغم أن الأمر يتعلق بصراع يعتبره البعض بعيدا عنا

جغرافيا؟ بماذا نفسر كون هذه القضية شكلت عاملا من العوامل المهمة التي أدت إلى خروج قطاع من الشبيبة عن مؤسسات حزبية كان ينتمي إليها لتشكيل تنظيمات بديلة؟

ج : تتداخل في الأمر عدة عوامل، على رأسها العامل الأساسي المشكل للهوية المغربية ذات التكوين العربي الإسلامي، وعندما أتحدث عن الجانب العربي فأنا أتكلم عن جزء من البعد الثقافي المكون للهوية المغربية، ولا أتكلم عن العرق، حتى لا نثير حفيظة الإخوة الذين يدافعون عن الأمازيغية ونتهم بالإقصاء من جانبهم، يضاف إلى هذا وجود تداخل قوي بين المسألة السياسية الداخلية في المغرب، والقضية القومية، على اعتبار أن النخبة السياسية المتنورة في العالم العربي كانت ترى أن أغلب الأنظمة العربية هي أنظمة تابعة وذيلية للغرب، بل الغرب هو الذي أنشأها وكونها ووضع لها الحدود، وهو الذي يرعى استمرارها على قيد الوجود إلى اليوم.

ففي الأصل، هذه الأنظمة مدينة في وجودها على الخريطة السياسية لبريطانيا وفرنسا، وتم ذلك، في ارتباط كبير بالمرحلة الاستعمارية. أما بالنسبة للمغرب، كانت هناك إذن إشكالية الترابط بين الاستعمار الجديد والسياسة الداخلية في المغرب من جهة، والامبريالية والصهيونية من جهة ثانية، فالأنظمة العربية التي كان من المفروض أنها تساند القضية الفلسطينية وتدعمها، تخلفت عن القيام بهذه المهمة التي كان من الضروري أن تنجزها، وذلك للاعتبارات التاريخية ولتداخل مصالحها مع الاستعمار الجديد، مما أدى إلى تشابك النضال، وضرورة أن ينصب ويجمع بين ما هو داخلي وقومي..

س : في نهاية الستينيات كيف كنتم تتلقون خطابات الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، كيف كنتم تجدونها وتتفاعلون معها؟

ج : فيما يخصني والمجموعة التي كنت أشتغل معها كانت تبدو لي غير متقدمة، فبالنسبة إلينا، بمجرد أن وافق جمال عبد الناصر على مشروع روجرز، فإن نظامه أصبح لا يختلف عن باقي الأنظمة العربية الأخرى، أقول هذا الكلام وأعرف أن فيه مبالغة، ولكن كانت في ظني هذه هي نظرتنا للأشياء، لقد صدمنا في عبد الناصر رغم أن الموقف الذي كانت تسمح له الظروف باتخاذه، كان هو ذلك الذي اتخذه، فنحن لم نقبل الأمر منه، ولم نتفهمه، وأدخلناه في خانة البورجوازية الصغيرة، وبدأنا نصنفه في إطار الأنظمة التي تحكم باسمها.

س : جمال عبد الناصر يحظى بتقدير كبير من طرف قوى اليسار والأحزاب التقدمية عموما، فكيف يمكن اعتباره من طرفكم أنه كان لا يختلف عن باقي الحكام الآخرين؟

ج : لاشك في ذلك، فجمال عبد الناصر يحظى اليوم بتقدير كبير في صفوف اليسار العربي، والسبب في رأيي يعود إلى كون العالم العربي عاش وضعا ارتداديا أكثر بكثير مما كان عليه في عهده، فبعد وفاته تولى السادات دفة الحكم، وأدار شؤون الدولة المصرية بطريقة فصلت مصر عن محيطها العربي، وجعلت منها جزءا لا يتجزأ من المنظومة الأمريكية ومصالحها وامتيازاتها في المنطقة، وتم التخلي عن الدور الريادي لمصر في قيادة العالم العربي.

إنه لشيء عادي أن يظل اليسار العربي ينظر باحترام لعبد الناصر، لأنه ظل رغم النكسة والضغوط التي مورست عليه يرفض أن يتخلى عن مشروعه التحرري والوحدوي. فتقدير عبد الناصر هو في واقع الأمر ناتج عن تقييم لتاريخ المنطقة من الجوانب السلبية لذلك التاريخ، وفي نهاية الستينيات، لم تكن متاحة لنا نحن شبيبة تلك المرحلة إمكانية تقييم التاريخ بشكل استباقي، لذلك كنا نعتبر أن جمال عبد الناصر حاكم لا يختلف عن الحكام العرب الآخرين.

س : تحدثنا عن الاعتبارات القومية التي كانت وراء خروج قطاع من الشباب عن المؤسسات الحزبية التي كان ينتمي إليها، وإنشاؤه لتنظيمات جديدة، وماذا عن الاعتبارات الداخلية؟ ماذا عن فتح قنوات الاتصال من طرف الأحزاب السياسية مع القصر، كيف حدث ولم تقبلوا أنتم شباب تلك المرحلة بهذه الخطوة، وهل فعلا أدت إلى خروجكم عن الأحزاب التي كنتم تناضلون في صفوفها؟

ج : فتح قنوات الاتصال من جانب الأحزاب السياسية مع القصر كان عنصرا أساسيا لإثارة سخطنا على تلك الأحزاب وقياداتها، كانت عاملا أساسيا لظهور اليسار الجديد بكل مكوناته، فالحوار مع القصر كان مرفوضا من جانبنا، فإذا اعتبرنا أن اليسار حاجة موضوعية في المغرب فإننا ننطلق من سنة 1965، كان اليسار حاجة موضوعية لتأطير النهوض الشعبي الذي عبر عن نفسه في 1965، فلقد شكلت أحداث 23 مارس لهذه السنة قطيعة نهائية بين الحكم وأحزاب المعارضة وقتها، وأساسا الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. لقد حصد الرصاص في هذه السنة متظاهرين عزلا، وسقطت أرواح بريئة، وحدث هذا لأول مرة بكل الثقل الذي عاشه المغرب المستقل، بصرف النظر عن أحداث الريف لسنة 1958 التي غطى عليها النفس الوطني للحركة الوطنية التي كانت مازالت تعيش على نشوة طرد الاستعمار من المغرب، أما في سنة 1965، فإن الوضع كان مختلفا، لقد تم طرد الحركة الوطنية من الحكم، وحرمت من تسيير الشأن العام، وصارت كلها في المعارضة، ثم وقع اغتيال الشهيد المهدي بنبركة ..

بعد هذه الوقائع والأحداث لم يعد للشباب المغربي وقتها طاقة للحوار مع القصر، وفتح صفحة جديدة معه على أنقاض الماضي، ولذلك صُعقنا حين علمنا أن قيادات الاتحاد الوطني تتحاور مع القصر، وعلى رأس القيادات المرحوم عبد الرحيم بوعبيد.

س : الاتحاد الوطني للقوات الشعبية كان رافعا لشعار جثة المهدي بيننا وبين الحكم، كيف أمكن لشبيبة تلك المرحلة أن تحاسبه على لقاء مع القصر قد يكون عابرا أو استكشافيا، أو أي شيء آخر؟

ج : وربما هذا هو الذي صدمنا، كيف أن حزبا كان يرفع شعارا من هذا القبيل، ومع ذلك تجري قيادته اتصالات بالقصر، لقد تربى شباب تلك المرحلة وترعرع على الفكر الاتحادي، فأنا مازلت أذكر، وأنا طفل صغير، نوعية الشعارات التي كان يرفعها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في مقاطعته للدستور. لقد رضعنا العداء للمخزن في هذا الحزب، ابتداء من سنة 1959، بل من الذي خلق بيننا وبين المخزن كل ذلك العداء، إنها ثقافة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي تحول فيما بعد إلى الاتحاد الاشتراكي.

لقد هال الشباب أن هناك قمعا رهيبا مسلطا على الجماهير، وأن أطر الحزب ومناضليه تطبخ لهم الملفات للزج بهم في السجون، وفي نفس الوقت، تقوم القيادة الحزبية بإجراء اتصالات بالقصر، مثل هذا المنطق لم نكن نستسيغه.

س : القيادة السياسية لأي حزب تتصرف دائما بمنطق أنها قيادة، فأحيانا تشعر، ربما لمعلومات أو معطيات تتوفر عليها لوحدها، أن عليها أن تحاور، أو تقوم بممارسات تاكتيكية للوصول للغاية نفسها التي يكافح باقي المناضلين كل من موقعه لإدراكها...

ج : المنطق الذي تتكلم به الآن هو منطق طارئ في المغرب، وظهر إلى عهد قريب، سابقا الثقافة التي كانت سائدة هي ثقافة الصراع والمواجهة، فمن جهة كان القمع والاستبداد من طرف المخزن، ومن جهة أخرى كان النضال بكافة الوسائل لاجتثاث أدوات القمع والساهرين عليه، لم تكن لدينا تربية سياسية تدعو للحوار السياسي، لذلك لم نكن نفهم أو نقدر أن من حق القيادة الحزبية إجراء اتصالات وفتح قنوات للحوار مع المسؤولين عن القمع والاستبداد، الوضع مختلف اليوم، ومقبول من القيادة أن تحاور وتفاوض وتبحث عن أرضية مشتركة للتفاهم مع القوى الفاعلة في الحقل السياسي، ولكن بشرط ألا تتنازل عن خطها السياسي ومبادئها الكبرى.

س : انطلاقا من وعيك الحالي، إذا طلب منك أن تقوم بقراءة سريعة لسلوككم السياسي أنتم شباب تلك المرحلة، إلى أي حد ترى أنكم كنتم على خطأ أو على صواب؟

ج : لا يمكن الحسم في الإجابة على هذا السؤال، إذا لم نقم بتحديد منطلقات الحسم فيه، فهل يتعلق الأمر بالمنطلق المثالي، أو السياسي أو البراغماتي، أو السياسي السياسوي، فعلى مستوى المثل أعتبر بشكل عام بأن تجربتنا كانت رائعة جدا، لأن الثقافة السياسية السائدة حاليا بكل سلبياتها لم تكن حاضرة عندنا في تلك المرحلة، كنت أنظر إلى الأبيض على أساس أنه أبيض، وإلى الأسود باعتباره أسودا، وكان المناضل يناضل دفاعا عن قيم ومبادئ، من غير أن يبحث لاعن مقعد برلماني، ولا عن عضوية في مجلس بلدي، أو استشاري، كان يدافع عن أفكار نبيلة جدا، قد تكون طوباوية، ولكنها شريفة ونزيهة، هذا عن تجربتنا من المنطلق المثالي.

أما من المنطلق البراغماتي بالمعنى الواقعي الذي يمزج بين ما هو تاكتيكي واستراتيجي للوصول، في لحظة سياسية محددة، إلى غرض سياسي معين، فلقد كنا نبالغ بعض الشيء، ولا نأخذ بعين الاعتبار المحيط السياسي الذي كنا نعيشه، وكان لسلوكنا هذا ما يبرره، ولكن إذا تكلمنا بالمنطق السائد حاليا السياسي السياسوي، فيمكن أن نقول عن أنفسنا إننا كنا أطفالا. فاليوم التشبث بالمثل والقيم التي كنا نؤمن بها في بداية السبعينيات ونهاية الستينيات والحديث وفقا لمنطقها، قد يجلب لصاحبه الاتهام بكونه أحمقا، أو ساذجا، أو لا علاقة له بالسياسة.

س : في تلك المرحلة من هي الشخصيات السياسية التي كنت من موقعك كشاب تنظر إليها باعتبارها رموزا وتشكل قدوة بالنسبة لك، تتمنى لو أنك كنت مثلها؟

ج : في مراكش مثلا كنت معجبا بالسيد محمد الحبيب الفرقاني، وعلى المستوى الوطني كان المهدي بنبركة يشكل بالنسبة لي رمزا كبيرا حتى حين كنت في صفوف منظمة 23 مارس.

س : رغم أن المهدي بنبركة كان اتحاديا، مع ذلك كان يشكل رمزا بالنسبة لك؟

ج : كنا في المنظمة نعتبر أنفسنا امتدادا لخط المهدي، فتنظيم 23 مارس كان يقول عن نفسه إنه الجناح الثوري داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وأنه امتداد له في الساحة الوطنية، فالمرجع الأساسي للممارسة السياسية بالنسبة لنا كان هو الاختيار الثوري للمهدي بن بركة.

س : الأستاذ أحمد راكز هل يمكن القول إن مدينة مراكش كانت هي المهد الذي نشأت وترعرعت فيه منظمة 23 مارس، هل هي منبع هذا التنظيم؟

ج : كانت مهدا أساسيا لنشوء المنظمة، ومشتلا لبروزها، فالعناصر الأساسية التي قادت حركة الخروج عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والتي شكلت فيما بعد تنظيم 23 مارس كانت في أغلبيتها من مدينة مراكش.

س : ولماذا شكلت في رأيك مراكش مهدا رئيسيا لبروز تنظيم 23 مارس؟

ج : ربما كان للوضع العام للشبيبة الاتحادية في مراكش دور في هذا الشأن، كانت مراكش تعيش وضعا ثقافيا متميزا ، فلقد كانت فيها جمعية الرابطة الفكرية، والجمعية اليوسفية، وكان النقاش الثقافي غنيا ومتقدما، الأمر الذي أسفر عن بروز شباب من المدينة بتصور اعتبر مع نفسه أنه تصور جديد للعمل السياسي سيخرج به من إطار الانتظارية، ليلج إلى الفعل الثوري المنتج الذي له مردودية مادية مباشرة لفائدة الجماهير الشعبية الكادحة.

س : وحين تم اعتقالك في دمنات أمام باب الثانوية أين تم اقتيادك وكيف تم التعامل معك؟

ج : تم وضع القيد في يدي والعصابة السوداء على عيني وتم اقتيادي إلى مدينة مراكش.

س : هل كانوا يتكلمون معك في الطريق أثناء اقتيادك من دمنات إلى مراكش؟

ج : أبدا، لقد تم وضعي في سيارة فاركونيت، وتوجهت السيارة صوب مراكش، ولما وصلناها أدخلت في قبو كان به سجناء سياسيون آخرون، قبو يسري عليه نفس النظام الذي كان يجري به العمل في درب مولاي الشريف، لقد قضيت حوالي 30 يوما وأنا أتنقل بين المعتقل السري بكوميسارية مراكش ودرب مولاي الشريف.

س : ولماذا كان يتم نقلكم، بين مراكش ودرب مولاي الشريف؟

ج : كنا نخضع للاستنطاق في معتقل مراكش وفي درب مولاي الشريف، وذلك بناء على الإطار التنظيمي الذي كنا نشتغل فيه، لقد توسع نطاق الاعتقالات، وشملت، ابتداء من 2 نونبر، عددا كبيرا من أطر المنظمة، وأخذت أبعادا واسعة، وهكذا اضطر البوليس لجمع المناضلين وفقا للأقاليم التي كانوا يوجدون فيها، وكذلك قضيت ما بين شهر أو شهرين وأنا في نقل مستمر بين مراكش ودرب مولاي الشريف الذي تحول إلى مقر نهائي للاعتقال السري وللتعذيب والاستنطاق.

س : كم قضيت في درب مولاي الشريف؟

ج : 9 أشهر بالضبط.

س : أنت أيضا لم تسلم من التعذيب؟

ج : بالطبع، ولقد نقلت إلى المستشفي من جراء التعذيب عدة مرات، لقد أنزلت من الطيارة، وأنا أتقيؤ الدم بسبب الضرب والتعذيب، وحملت إلى مستشفى مولاي يوسف لتلقي العلاج لأنني كنت على وشك الموت. في مراكش كان يعذبني ضابط اسمه منير، ولقد توفي لاحقا بمرض السرطان. وضابط يسمى البكاي، وفي درب مولاي الشريف كان يشرف على تعذيبي ضابط اسمه جسوس، وواحد يدعى قصبيطر، وقد أصبح اليوم صاحب طاكسي.

س : عندما يعود المعتقل من المستشفى بعد أن يسترد عافيته من التعذيب، هل يستأنف الاستنطاق معه بنفس الأسلوب والطريقة أم أن الوضع يتغير بعض الشيء؟

ج : بالنسبة لي، في المرة الأولى التي تقيأت الدم، وفي المرة الثانية عندما نقلت إلى مستشفى 20 غشت، خفت نسبيا حدة التعذيب، أصبحوا يقللون من المدة المخصصة للضرب وللتعنيف، فبدل ساعة بكاملها أو ساعة ونصف، صاروا يكتفون ب 15 دقيقة ثم يتوقفون ليتركوا لي فرصة أسترد فيها وعيي وأنفاسي، ثم ينطلقون مجددا في طقوسهم التعذيبية .

س : وما هي الاعترافات التي كانوا يودون انتزاعها منك؟

ج : أسماء الأشخاص الذين ينتمون للتنظيم وهيكلته ومستواه، ولقد علمت الحكم الذي سيصدر ضدي وأنا تحت التعذيب.

س : وكيف علمت به؟

ج : الضابط الذي كان مكلفا بتعذيبي والذي اسمه منير كما أسلفت، قال لي سواء صمدت أم لم تصمد، أو اعترفت أو لم تعترف، فالحكم الذي سيصدر ضدك هو 20 سنة.

س : هل يعني هذا أنك رفضت الاعتراف بما هو منسوب إليك رغم التعذيب الشديد الذي تعرضت له؟

ج : كنت أتلاعب وأراوغ أثناء تقديم الأجوبة على الأسئلة التي كانت تطرح علي في إطار الاستنطاق، كانوا يريدون الوصول إلى مجموعة من الحقائق حول بعض المناضلين والإطارات التنظيمية، التي لم يتمكن البوليس من معرفة عناصرها لتفكيكها. لا يمكن لي أن أزعم أنني صمدت

حتى النهاية رافضا الاعتراف، وما أظن أن أي مناضل يقدر على الصمود ولن يعترف لأجهزة البوليس بأي شيء، فالصمود المطلق في وجه التعذيب غير موجود.

الذي كنا نلجأ إليه هو التماطل في الاعتراف، وتجنب كشف الأشياء الجوهرية التي تشعر أن البوليس لم يتمكن من الوصول إليها من رفاقك الذين تعرضوا قبلك للتعذيب، ولكن عندما تلاحظ أن هناك أشياء تم الاعتراف بها من قبل رفاقك، فساعتها يبدو لك أن لا حاجة للإنكار، وتعترف أنت بها كذلك، لكي تخفف عنك بعض الشيء، هول التعذيب. كنت أخضع للتعذيب على يد الضابط منير الذي كانت لي به سابق معرفة من خلال التعذيب الذي مارسه علي في مرات سابقة كنت قد اعتقلت فيها وقدمت للمحاكمة وسجنت.

س : نفس الضابط هو الذي كان يشرف على تعذيبك في كل الاعتقالات التي تعرضت لها؟

ج : نعم، لأنه قبل السبعينيات كانت الاستعلامات العامة في مراكش غير مهيكلة وغير منظمة ولا تتوفر على الإطار البشري الكافي للعمل، ولكن بعد المظاهرات والاضطرابات التي عرفتها المدينة، أصبح لديها جهاز خاص بالاعتقال السياسي، وكان ذلك الضابط المسمى منير عنصرا رئيسيا في هذا الجهاز، وأثناء كل الاعتقالات التي كنت أتعرض لها كان يستنطقني بما فيها هذا الاعتقال الذي نتحدث عنه. ولقد التحق بالفرقة الوطنية التي أسست سنة 1972 وكانت تسهر على التعذيب والاستنطاق بدرب مولاي الشريف إذ كان يحضر في الاستنطاقات المتعلقة بالأطر القادمة من مراكش.

س : وكم هي المدة الزمنية التي حكم عليك بها؟

ج : 20 سنة، رغم أن ملفي كان فارغا.

س : ولكنكم كلكم تقدمتم كمجموعة واحدة للمحاكمة بمحضر واحد وتهم موحدة؟

ج : عرضنا على المحكمة بتهم موحدة، ولكن التهم لوحدها لا تكفي لإدانتنا والحكم علينا بالمدد الطويلة التي حكم علينا بها، ينبغي أن تتوفر الأركان المادية لإصدار الحكم بالإدانة، هل كانت أمام أنظار القاضي قرائن وأدلة تثبت التهم المنسوبة إلينا؟ فخطورة التهم تستمد مما يؤكدها ويثبت أننا كنا نقوم بفعل مادي يستوجب العقاب عليها.

س : ولكنكم اعترفتم أمام البوليس بكل ما نسب إليكم من تهم؟

ج : أنا شخصيا أعتقد أن اعترافاتي تحت التعذيب، لا ينبغي أن يتجاوز الحكم الصادر ضدي بسببها 5 سنوات سجنا نافذا.

س : اعترفتم بأنكم كنتم تفكرون في قلب النظام وإقامة جمهورية بديلا عنه، وأنكم كنتم على استعداد لحمل السلاح من أجل الوصول إلى هذه الغاية، وتنتظر أن يصدر حكم ضدك ب 5 سنوات؟

ج : كان هناك بعض من هذه الاعترافات، ولكن أمام القاضي، ظلت تصريحاتنا ودفاعنا عن أنفسنا منصبا على كوننا نناضل من أجل إقرار نظام ديمقراطي، في إطار الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، ولكن الذي وقع هو أن المحاضر عممت من طرف البوليس، ووضع الجميع في خانة واحدة، لكي تكون المحاكمة صورية، لأن الأحكام كانت جاهزة ومقررة سلفا.

س : هل في رأيك الحكم الذي صدر ضدك كان حكما جائرا؟

ج : كان أكثر من جائر، لأن الأركان المادية للتهم المنسوبة إلي لم تكن متوفرة.

س : بعض المناضلين من مجموعتكم قالوا إن الحكم عليهم بمدد طويلة كان أمرا عاديا ومتوقعا، على اعتبار أنهم كانوا يفكرون في قلب النظام؟

ج : نعم أنا كنت أفكر في قلب النظام، ولكني لم أقم بما يؤدي إلى قلب النظام، وهذا هو الفرق، فأنا لم أكن في إطار الفعل المادي للقلب، ولكنني في جريمة الرأي، وفي إطارها، فلو طبق القانون، فإن الحكم الصادر ضدي لم يكن ليتعد 5 سنوات، وهو الحكم الأقصى في مثل هذه الجرائم.

س : ولماذا في رأيك كانت الأحكام الصادرة ضدكم قاسية إلى تلك الدرجة؟

ج : بالنسبة لي هناك ثلاثة اعتبارات أدت إلى إصدار تلك الأحكام بكل القسوة التي رافقتها، وأظن أن العنصر الأساسي فيها هو العداء المخزني، فالمنطق الذي تكلم به إدريس البصري مع خالد الجامعي، وأحمد الميداوي مع أبو بكر الجامعي، هو الذي كان سائدا أثناء محاكمتنا، كيف نجرؤ ونتطاول على المخزن ونفكر في إزاحته من موقعه، فهذا العامل السياسي السيكولوجي للمخزن كان حاسما في إصدار الأحكام التي صدرت ضدنا بالقسوة التي كانت عليها. والعنصر الثاني هو قضية الصحراء، فرغم أنها لم تكن ضمن التهم الموجهة إلينا، فإنها حضرت خلال الجو العام للمحاكمة، لقد استثمرها المخزن

ليقدمنا للرأي العام وكأننا غير وطنيين، وضد الوحدة الترابية للبلاد، مع العلم أن منا من كانوا مع مغربية الصحراء، وأنا لم يثر معي بتاتا مشكل الصحراء عند البوليس، وأكثر من هذا، الوثيقة الوحيدة التي وجدت معي تقول إن الصحراء مغربية.

لقد تم تطويقنا بقضية الصحراء لعزلنا وضربنا، أما العنصر الثالث فيتعلق بالظرفية السياسية التي كانت تعيشها البلاد، فلقد اعتقلنا بعد أحداث مولاي بوعزة لسنة 1973، والتي تشابك فيها ما هو داخلي مع ما هو خارجي عن طريق ليبيا والجزائر، فبالمقارنة، أفعالنا نحن مع أفعال مولاي بوعزة لم تكن تساوي أي شيء، لقد كنا نشتغل في إطار المنظمات الجماهيرية، كنا نوزع المناشير، ولم يكن لدينا سلاح، ومشاريعنا في هذا الباب كانت مشاريع محتملة، ولم تتجسد فعلا ماديا، ومع ذلك كانت الأحكام قاسية.

س : وكم قضيت في السجن؟

ج : كنت آخر من خرج من مجموعة 77، ولقد قضيت في السجن 17 سنة و 3 أشهر.

س : لماذا كنت آخر من خرج من المجموعة، لماذا لم يتم الإفراج عنك مع الدفعات الأولى؟

ج : الأمر كان يعود لتقييم المخزن، فالعفو كان يتم بناء على التقييم المخزني، بالإضافة إلى أنني حوكمت ب 10 سنوات إضافية، وأنا في داخل السجن، فلو لم يكن يوجد الإدماج في القانون الجنائي لكان علي قضاء 32 سنة سجنا نافذا.

س : وما هي أسباب محاكمتك وأنت في السجن؟

ج : مشاركتي في أحداث مراكش التي وقعت سنة 1984.

س : وما علاقتك أنت بهذه الأحداث، وأنت كنت في داخل السجن؟

ج : حدثت اعتقالات في صفوف مناضلي المنظمة، واعترفوا بكوني ساهمت معهم في التخطيط لإثارة ما اعتبر اضطرابات ومظاهرات بمراكش.

س : هل فعلا ساهمت من داخل السجن في التخطيط للأحداث التي اندلعت في المغرب سنة 1984؟

ج : نعم، قمنا بإعادة التنظيم من داخل السجن، وشكلنا مجموعات للاشتغال خارجه، ولما

اندلعت المظاهرات وحدثت الاعتقالات سنة 1984، تم الاعتراف بمشاركتي في التخطيط لإثارتها، فأحلت مجددا على أنظار القضاء، وحكم علي بعشر سنوات إضافة للعشرين الأولى، لقد تمت محاكمتي في الرباط.

س : كان بإمكانك نفي مشاركتك في الاضطرابات التي وقعت خارج السجن أو التخطيط لها، فأنت قانونيا، كنت في موقع قوة لأنك كنت مسجونا وقت اندلاع المظاهرات.

ج : قمت بنفي التهم التي وجهت لي، ولكن كانت توجد وثائق تثبت أنه كانت لي علاقة بما جرى، فلقد وضع البوليس اليد على النشرة التي كان يصدرها المناضلون خارج السجن، وكانت تتضمن مواد من معتقلين كانوا في السجن.

س : كيف فكرت وأنت في داخل السجن في المساهمة في التخطيط لمظاهرات خارجه، ألم يكن الاعتقال بالنسبة لك عبرة تعتبر منها؟

ج : لا ، لأن المناضل في السجن يحاول أن يعقلن سلوكه ويخرج ببعض القناعات، فإما أنه يقرر أن يصمد ويواجه ويتحرك للتغلب علي قسوة السجن، وإما أنه سيستسلم له وسينهار أمام جبروته، وقد يصل الأمر إلى الانهيار العصبي والجنون. ولكن إذا عقلن المعتقل سلوكه، فإنه يقرر في النهاية الصمود والتصدي والاستمرار في النضال بصيغ متعددة، وكان هذا هو القرار الذي استقر عليه رأيي، ورأي رفاق آخرين.

س : السجن فضاء الغاية منه هي قهر إرادة الإنسان ودفعه للتقوقع داخل ذاته والابتعاد كليا عما يجري في محيطه، أنت في داخله كنت تقوم بأنشطة نضالية أدت إلى إعادة محاكمتك وإصدار حكم إضافي عليك بعشر سنوات.

ج : لم نكن السجناء السياسيين الأولين في العالم وفي المغرب الذين قاموا بمثل هذه الأفعال، سبقنا للاعتقال السياسي آخرون، ولقد ألفوا كتبا وروايات ونظموا قصائد شعرية حول هذه التجربة، وكانت مؤلفاتهم تشكل زادا فكريا ووجدانيا بالنسبة لنا، فالتجربة التاريخية لمناضلين عاشوا قبلنا تجربة الاعتقال السياسي أفادتنا، ولاشك أنها ساعدت الكثير منا على تكوين قناعة الصمود والاستمرار في النضال من داخل السجن، لكي لا يقع الاستسلام لقهره وطغيانه.

س : وحين خرجت من السجن، كيف وجدت المحيط الذي كنت تعيش فيه قبل اعتقالك؟

ج : وجدت أن تحولات كثيرة طرأت عليه، ابتداء من الأسرة إلى العائلة، إلى الرفاق، وإلى الشارع وأفراد المجتمع .

س : ألم تشعر بعد خروجك من السجن، واصطدامك بالتحولات التي وقعت في المجتمع بنوع من الندم على اختيارك النضال السياسي مع ما نجم عنه من ضريبة أديتها من حريتك؟

ج : لم أشعر بالندم، ولكنني أحسست بالإحباط.

س : الإحباط من ماذا؟

ج : الإحباط لأننا كنا نحلم، ولكننا استيقظنا على كوابيس، فالاتجاه الذي يسير فيه المغرب مغاير تماما لما كنا نحلم به، ونعمل على تحقيقه، كنا نحلم بإسقاط النظام الكمبرادوري، فإذا بالكمبرادورية تتقوى بشكل لم نكن نتصوره، كنا نفكر في القضاء على الليبرالية والرأسمالية والاستغلال، فإذا بالليبرالية صارت شعارا يرفعه اليسار قبل اليمين، كنا نطمح لزرع قيم نبيلة في مجتمعنا، فإذا بقيم الوصولية والانتهازية تصبح عملة رائجة، كنا نسعى إلى تأطير الجماهير، فإذا بالجماهير تبتعد عن العمل السياسي وتنفر منه.

والنخب السياسية التي كنا نعول عليها، ونعقد عليها آمالا في القيام بدور كبير في تقدم المجتمع ودمقرطته، هذه النخب فشلت حتى في المهام التي حددتها لنفسها، وتراجعت عن الشعارات التي كانت ترفعها، وأصبحت تقبل بفتات الموائد التي كانت ترفضها. فهذا التدهور الذي تعيشه البلاد على مستويات متعددة، هو الذي يجعلني أشعر بالإحباط.

س : الوضعية في المغرب ليست كلها بهذا السواد، فلدينا حاليا حرية للرأي وللتعبير، وهامش من الديمقراطية يتطور بالتدريج؟

ج : لا أظن ذلك، صحيح أن في المغرب حاليا دينامية للقلم واللسان، ولكنها تظل دائما مسيجة بالثوابت، بحيث لا يمكنك أن تتجاوز الخطوط الحمراء، وأنا أظن أنه حتى في لحظات القمع الرهيب صدرت مقالات ونشرت مواضيع كانت جريئة جدا، فمثلا مجلة أنفاس كانت تصدر فيها مقالات قوية، مما يعني القول إن في المغرب حرية الرأي والتعبير ينعم بها المغاربة اليوم أكثر من الماضي، هذا القول فيه نظر، فهذه الحرية كانت دائما مسيجة بخطوط حمراء لا يسمح لأي كان بتخطيها.

س : المواطن لم يعد يعتقل اليوم ويسجن بسبب فكره ورأيه وممارسته للسياسة؟

ج : وفي أي إطار اعتقل نشطاء الجمعية المغربية لحقوق الإنسان وحكم عليهم بالسجن النافذ؟

س : كلمتك الختامية لهذا الحوار؟

ج : المغرب للأسف مفتوح على سيناريوهات متعددة يتمنى الإنسان من الله أن يحفظه من الكارثي منها ، لأنه إذا كان هناك ارتياح لدى جزء من النخبة للوضع الراهن، ففي جميع الأحوال تظل النخبة مجرد نخبة، بمعنى فئة لا تمثل بالضرورة عموم أفراد الشعب، يمكن للنخبة أن تتبوأ مقاعد لم تكن متاحة لها في الماضي، ويمكن القول إن النخبة حققت شيئا من ذاتيتها في ما هو قائم في هذه المرحلة، ولكن كم نملك من عدد العاطلين الحاملين لشهادات عليا؟ وكم من مواطن يعيش تحت عتبة الفقر؟ وما هي نسبة الأمية في صفوف المواطنين والمواطنات، وكم منهم لا يملك مأوى يلجأ إليه عند حلول الظلام؟ وما هو عدد المرضى الذين لم يجدوا أسرة لهم في المستشفيات وأدوية للعلاج؟

هل يمكن القبول بما يتعرض له المعاقون والمكفوفون؟ الاتحاد الاشتراكي الذي كان، أحببنا أم كرهنا، العمود الفقري في السابق للمعارضة، هو اليوم الحزب الحاكم سواء أحببنا أم رفضنا كذلك، وفيما يخص المعارضة، فاليوم ليست لدينا معارضة، وعناصر اليسار الجديد الموجودة حاليا في الساحة كلها تدور بشكل أو بآخر في إطار برنامج الاتحاد الاشتراكي. فمن الذي سيملأ الساحة؟ الإسلاميون طبعا، أنا لا أخاف من الإسلاميين، ولا أومن بمعالجة ملفهم عبر القمع، فإذا كانوا ضرورة لمرحلة تاريخية لماذا لا يعيشها المغرب؟ ولكن ما أتمناه وأسعى إليه هو تقوية صف القوى الديمقراطية وجعلها حاضرة في الساحة بالفعل والممارسة.

رشيد فكاك

هكذا حاول ادريس البصري تجنيدي لكي أصبح مخبرا سريا

س : الأخ رشيد في أي يوم وأي شهر وأي سنة تم اعتقالك الاعتقال الذي سيؤدي بك فيما بعد إلى سنوات من السجن؟

ج: بعد حوالي 4 أشهر من الاعتقالات التي كانت قد انطلقت في نونبر 74، كنت قد دخلت في السرية، ثم قررت في وقت لاحق أن أسلم نفسي للبوليس.

س : كيف كنت تعيش في السرية؟

ج: كنت أعيش متنقلا بشكل خفي بين أفراد عائلتي في الدار البيضاء وبن أحمد، وكنت قد انسحبت رسميا من التنظيم حوالي 7 أو 8 أشهر قبل انطلاق حملة الاعتقالات التي شملت المناضلين، واجتمعت مع أفراد أسرتي وأخبرتهم بأنني سأسلم نفسي للبوليس، أو بتعبير أدق قررت أن أضع نفسي رهن الاعتقال، لأنني كنت أعتقد أنني رغم استقالتي من التنظيم، فإنني خضت صراعا مريرا مع جهاز الدولة، وكنت بمقاييس تلك الفترة أتوقع الاعتقال.

س : ماذا فعلت حينما قرَّ عزمك على أن تضع نفسك رهن الاعتقال؟

ج : كانت أسرتي تعيش في مضايقات كثيرة ومتنوعة من طرف رجال الأمن، ولم أتحمل هذا الأمر، فأنا سبق لي أن مارست السياسة عن قناعة، فلقد كنت ماركسيا لينينيا، ثم جاء وقت بدأت أضع فيه هذه النظرية موضع تساؤل ونقد سواء على المستوى الفلسفي أو السياسي أو الاجتماعي وذلك رغم صغر سني. لقد عشت الانشطار والتذمر، ولا يعني هذا أنني ندمت على اعتناق الفلسفة الماركسية اللينينية، ولكن لكوني وصلت إلى خلاصة أنني ومجموعة من رفاقي، رغم القيم النبيلة، وصدق نوايانا وانتمائنا لهذا الوطن وإيماننا بالمبادئ، والإحساس المباشر بالفقر والشقاء.. رغم كل هذه الاعتبارات، فإنني كنت في خطأ سياسي كبير.

س : ما هو هذا الخطأ السياسي الكبير؟

ج : بدأت أشعر أن العمل السياسي السري أصبح يضايق العمل الجماهيري العلني، أي القيام بمهمة المشاركة في النضال الديمقراطي. لقد كنا ننتمي إلى الجامعة، وقبلها إلى الثانويات. وأنا قبل تأسيس الحركات الماركسية، أي منذ 1967 ارتبطت بالعمال، حيث انتقلت من الدار البيضاء إلى مدينة بركان، واشتغلت مستخدما في شركة لكي أكون مرتبطا بالعمال، وقمت في إحدى الليالي بمبادرة أعتبر اليوم أنها كانت فوضوية وليس لها أي معنى، فلقد هجمت رفقة عاملين اثنين على معمل أحد الأغنياء، وكسرنا وخربنا بعض آلات المعمل، وأدى هذا إلى اعتقالنا والحكم علينا بالسجن لمدة شهر .. وعدت إلى الدار البيضاء لأشتغل في معاملها .. ومع مرور الوقت بدأت تتولد شيئا فشيئا لدي القناعة بأن العمل السري الذي كنا نشتغل فيه يتعارض مع مهمات النضال الجماهيري الديمقراطي.

س : ولكن العمل السري بالنسبة للتنظيمات الماركسية اللينينية كان اختيارا شبه مفروض عليها، لأنها كانت مضطرة لذلك؟

ج : أصبحت أعتبر أن الاستمرار في التشبث بهذا الأسلوب في العمل يشكل خطأ، كما أنني بدأت مراجعة النظرية الماركسية اللينينية، ليس في موقفها من الدين فحسب، ولكن فيما يتعلق بأنماطها الفكرية، وعلى رأسها الحزب الطلائعي الثوري، والطبقات، وخصوصية المجتمعات التي لم تكن قد مرت من مرحلة الرأسمالية، مثل بلدنا، لقد كان السؤال مطروحا من هي القوى الاجتماعية التي تجعلنا نمر من هذه المرحلة، أو تدفعنا للقفز على الرأسمالية، ثم مسألة الديمقراطية المركزية.

فمن خلال التمحيص ومواكبة ما كان يجري في العالم، خلصت إلى أن هذه كلها مقولة مستمدة من نظرية غير متكاملة وغير سليمة، وكان يكفي أن تبدي ملاحظات من هذا النوع، وتنتقد ما كان يجري في الاتحاد السوفياتي من قمع للحريات، سواء في عهد ستالين، أو برجنيف، لكي تلصق بك تهمة البورجوازي الصغير، أو الانحرافي أو الانهزامي.

س : هذا الذي تسوميه وعيا بخطإ النظرية الماركسية، من وجهة نظرك، لماذا جاءك في هذه اللحظة بالذات ولم تصله قبلها؟ لماذا انخرطت أصلا في تنظيمات ماركسية لينينية؟

ج : كنت تلميذا بثانوية مولاي عبد الله، وكباقي التلاميذ في تلك المرحلة من تاريخ المغرب كنت أهتم بالسياسة، وكنت أقرأ صحف المعارضة ومن بينها التحرير والمكافح، وكانت لنا في الثانوية

مجلة، وكنا منخرطين في النوادي، وكان يدرسنا أساتذة أكفاء منهم الأستاذ الدويب الذي كان عضوا في الحزب الشيوعي، والأستاذ كيف مارتيني الذي كان أحد أصدقاء المهدي بنبركة.. لقد كنا كشباب نناقش ونتأثر بما يروج في بلدنا وفي العالم العربي وفي الغرب، وكان معنا تلاميذ كانت لآبائهم انتماءات وطنية.

كنا نتساءل كيف أن المجلس الاستشاري الذي كان يرأسه المرحوم المهدي بنبركة لم يؤد إلى أي نتيجة، ولماذا جاء دستور 1962 بشكل ممنوح؟ ولماذا بعد ذلك شارك الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في الانتخابات؟ وكنا منقسمين حول الموقف الذي ينبغي اتخاذه من حرب الرمال التي اندلعت سنة 1963 بين المغرب والجزائر. وأتذكر أنني حينما كنت طفلا حضرت مع أفراد من أسرتي في البادية عملية الحرث الجماعي التي نسميها التويزة، وكان قائد هذه العملية هو المرحوم عبد الرحيم بوعبيد... في هذه الأجواء اطلعت سنة 1966 على الكتيب الأحمر لماوتسي تونغ، ثم قرأت الرأسمال لكارل ماركس، كما أن القنصلية التي كانت في الدار البيضاء للاتحاد السوفياتي كانت تزودنا بالكتب... وكنت أستمع بشكل مستمر عبر الراديو لخطب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر إلى أن جاءت هزيمة 1967، وكان وقعها كبيرا علي، ثم شيئا فشيئا بدأت تظهر في المغرب الحلقات الماركسية اللينينية، وكان على رأسها حلقة ستعرف فيما بعد ب "رب شرارة"، والتي كانت تضم حرزني ورفاقه.. في هذا الخضم انخرطت في صفوف الشبيبة الاتحادية، وفي حلقة ماركسية لينينية في نفس الوقت.

س : كنت تعيش ازدواجية في التنظيم؟

ج : في نظري كان هذا الانتماء المزدوج لتنظيمين مختلفين شيئا مفيدا، كان يتيح لي أن أتحرك جماهيريا في إطار الشبيبة الاتحادية، وفي نفس الوقت أشتغل في إطار حلقة ماركسية لينينية تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي، ففي هذا الإطار انخرطت وانتميت إلى الحركة الماركسية اللينينية التي كانت تسمى 23 مارس.

س : وما هو التصور الذي كان لديكم عن المجتمع المفترض بناؤه؟

ج : مجتمع شيوعي تنمحي فيه الطبقات، ويزول الاستغلال ويحكم فيه الفلاحون الفقراء والعمال بقيادة الحزب الطلائعي، وكانت تجري بيننا نقاشات لساعات طويلة حول الصيغة المناسبة لبناء

المجتمع في نطاق الديمقراطية الشعبية، وكنا على المستوى السياسي متفقين على نقد الأحزاب السياسية التي كنا نعتبرها إصلاحية أو تحريفية..

بطبيعة الحال كنا على علم بوجود تيارات داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، التيار التابع للاتحاد المغربي للشغل، والذي كان يمثله داخل الحزب المحجوب بن الصديق وعبد الله إبراهيم، ثم التيار البلانكي الذي كان يتزعمه الفقيه البصري، ثم التيار الإصلاحي الذي كان يتزعمه عبد الرحيم بوعبيد.

أما المهدي بنبركة فكان من وجهة نظري: شخصية لها بعد تراجيدي، كان الرجل في مفترق طرق، كان يعيش خارج المغرب، وفي وسط ثلاثة تيارات كبرى، التيار السياسي السلفي، وكان يمثله علال الفاسي، والتيار القومي الناصري أو البعثي، والتيار الماركسي اللينيني، وإلى جانب هذه التيارات، كان يوجد الفكر الليبرالي.. ففي ظل هذه التيارات المختلفة والمتصارعة كانت تدور نقاشاتنا، نحن شبيبة تلك المرحلة، تنطلق من غير أن تتوقف بحثا عن التصور الملائم لبناء المجتمع المغربي المثالي في رأينا والخالي من القهر والاستغلال.

س : يبدو من خلال المراجع التي ذكرتها أن مصدر تكوين فكر الشبيبة المغربية في ذلك التاريخ كان دائما خارجيا، ألم تكن في المغرب كتابات ومؤلفات لها وقعها الخاص عليكم؟

ج : بلى، لقد قرأت في وقت لاحق ما كان قد كتبه عبد الله العروي في مؤلفه الايديولوجية العربية المعاصرة، وأزمة المثقفين العرب، وأثار ما كتبه العروي في ذهني العديد من التساؤلات خاصة ما يتعلق بالتاريخانية، والمرور الضروري من المرحلة الليبرالية، ولو على المستوى الذهني فقط، ولكن بحكم غياب الطبقة البورجوازية، التي يمكنها أن تقود السفينة في هذا الاتجاه، فإنه كان يرى أن الدولة هي التي يجب أن تلعب هذا الدور، فكتابات المفكر عبد الله العروي كان لها تأثير قوي على تكوين وعينا، وإعادة صياغة مقاربتنا لواقعنا المغربي والعربي.

س : لنعد إلى لحظة الاعتقال، لماذا قررت تسليم نفسك لرجال الأمن، ماذا حدث بعد اتخاذك لهذا القرار؟

ج : كان بإمكاني مغادرة المغرب إلى الخارج ولكنني رفضت ذلك، فلقد اعتبرت أن لي مسؤولية سياسية، وأن علي تحمل أعباء وتبعات نشاطي السياسي، وما يمكن أن يترتب عنه، وهذا لا يعني أنني

أنتقد الإخوان الذين غادروا المغرب للجوء في الخارج، فأنا في سنة 1972 ساعدت الإخوة مسداد، والمريني ، والطالبي في فوج أول، والمحجوبي، وحمامة، في فوج ثان على مغادرة المغرب. لقد أشرفت شخصيا، مع أعضاء من أفراد أسرتي، على مساعدتهم في الخروج من المغرب، وشخص آخر اسمه عبد الرحمان زغلول كان رفقة عبد السلام الجبلي والتقيت به في الجزائر، لقد كان محكوما عليه بالإعدام، ووعدته بمساعدة زوجته وابنته التي كان عمرها 10 سنوات في الخروج من المغرب للجوء إلى الجزائر، ولقد أخذتهما من مدينة اليوسفية، وتمكنت من إخراجهما من المغرب، والتحقا به في الجزائر.

أقول هذا لأثبت للقارئ أنه كان بإمكاني مغادرة المغرب كما فعل رفاق آخرون، ولكنني قررت أن أتحمل مسؤوليتي عن نشاطي السياسي في بلدي المغرب، تجنبا للتقولات والإشاعات التي روجها البعض ضدي.

س : ما هو مضمون هذه الإشاعات التي تم ترويجها ضدك؟

ج : راج أنني أتعاون مع البوليس، وأنني تخليت عن الخط النضالي وتحولت إلى خائن، فقررت أن أضع نفسي رهن الاعتقال لأثبت للعالم أجمع أنني بريء مما أشيع عني، ولأتحمل كما أسلفت مسؤولية فعلي السياسي، فمن الوجهة الأخلاقية، لم أكن أقبل أن لا أتحمل تبعات ما كنت أقوم به، في حين كان رفاق لي خلف القضبان.

س : كيف حدث الاعتقال؟

ج : أفراد من الأسرة رتبوا كل شيء، تم الاتصال بالبوليس، وجاء رجلا أمن إلى منزلنا، وانخرطت في نقاش مطول معهما قبل أن أصطحبهما، وتم الاتفاق على أنني سأعترف بالأشياء والوقائع التي تخصني شخصيا، وأنني لن أتكلم في أمور تتصل بأفعال مناضلين آخرين. لقد كنت على علم بأن كل المقرات تمت محاصرتها، وأن التنظيم شل، وألقي القبض على جل عناصره، لذلك عقدت العزم على الاعتراف بما قمت به.

وهكذا خرجت مع رجلي أمن في الصباح من منزلنا، ووقع اقتيادي إلى كوميسارية المعاريف، وحوالي الساعة 12 زوالا، تم إغماض عيني، ووضعوا الأصفاد في يدي، وتوجهوا بي إلى ما سأعرف فيما بعد أنه درب مولاي الشريف، وكان أول سؤال وجه إلي هو الآتي : رشيد ماذا عندك؟ وكان جوابي، هو أنني لا أخفي أنني خائف من التعذيب، وهناك أشياء سأقولها لكم ولن أكذب عليكم، وهناك أشياء لن أدلي بها لكم مهما كان الأمر، فسمعت صوتا يقول : هذه أول مرة نسمع فيها خطابا من هذا القبيل.

س : مع من كنت في درب مولاي الشريف؟ من هم الذين كانوا معك في نفس الزنزانة؟

ج : طيلة المدة التي قضيتها في درب مولاي الشريف، كنت معزولا وحدي في ممر، ورأيت في إحدى المرات الشيخ عبد السلام ياسين في زنزانة قبالة الممر الذي كنت فيه.

س : لماذا لم يتم اختطافك واعتقالك على الطريقة التي اختطف بها كل الذين تعرضوا للاعتقال السياسي سنة 1974؟

ج : كنت أتحرك في إطار السرية، وكنت أستغل مقر إحدى النقابات التي أسسها الحاج محمد النتيفي وهو من أقربائي وكان عضوا سابقا في حزب الاستقلال ومحكوما عليه بالإعدام. أسس نقابة، وأطلق عليها اسم القوى العمالية، وكنت أختبيء في مقراتها لأنها كانت بعيدة عن الشبهات، إلى أن سلمت نفسي للبوليس في فبراير1975، أي أربعة أشهر بعد انطلاق حملة الاعتقالات التي كانت قد بدأت في نونبر 1974.

س : كم قضيت في درب مولاي الشريف؟

ج : حوالي 9 أشهر.

س : أحلت على المحكمة بعد هذه المدة؟

ج : بطبيعة الحال، ولكن قبل إحالتي على المحكمة طلب مني أن أكتب تقريرا يتضمن رأيي حول شخص الملك الحسن الثاني رحمه الله، ولقد تم التأكيد علي بضمانات شفاهية لكي أكتب في التقرير رأيي الحقيقي، دون خوف ولا تردد ولا تزييف. واعتبرت أن في المسألة خطورة ومسؤولية، وكان يتم اقتيادي يوميا إلى مكتب من الصباح إلى المساء، على امتداد شهر بأكمله، وكنت أظل وحدي أحرر التقرير المطلوب.

وحاولت في هذا التقرير سرد الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي أدت إلى الصراع والتصادم بين شخص الملك والمؤسسات الحزبية الوطنية، لم أكن مجاملا في التقرير، لقد طرحت فيه مشاكل المواطنين كما كنت أعاينها في المعامل وفي الأزقة وفي الدروب وفي الشوارع وفي البادية، وبين الشباب، وانتقدت البيروقراطية المتفشية في أجهزة الدولة، والإعلان عن حالة الاستثناء، وأظن أن هذا التقرير مازال في أرشيف الداخلية.

س : وبكم حكم عليك حينما عرضت على أنظار المحكمة؟

ج : حكم علي ب 32 سنة سجنا نافذا.

س : لماذا 32 سنة بالتمام والكمال؟

ج: هذا السؤال يصعب تقديم جواب دقيق حوله، فالأحكام كانت تصدر أحيانا بطابع مزاجي لا أقل ولا أكثر، فأنا مثلا كان لي موقف في سنة 1973 واضح وصريح، مع مغربية الصحراء. فلقد كتبت مذكرة ورفعتها إلى اللجنة الوطنية لتنظيم 23 مارس أدافع فيها عن مغربية الصحراء، ولما تم عقد الاجتماع لمناقشة المذكرة، تم رفضها من طرف الأغلبية، ومباشرة بعد ذلك، قدمت استقالتي من المنظمة بشكل رسمي، ولكن لما ألقي القبض علي، كان الحكم الصادر ضدي هو 32 سنة، وهذا يبين لك أنه من الصعب إدراك الاعتبارات التي كانت تتحكم في إصدار الأحكام ضد الذين كانوا في اعتقال سياسي رغم اختلافاتهم الفكرية ومواقفهم المتباينة من مجموعة من القضايا داخل نفس التنظيم.

س : ما هي المبررات التي اعتمدتها وأقنعتك شخصيا بمغربية الصحراء، وقررت في ضوئها الجهر بهذا الموقف أمام رفاقك الذين كانوا في أغلبيتهم، على ما يبدو، غير متحمسين لتبنيه؟

ج : الخلافات بين المناضلين كانت حول قضايا متعددة، من بينها متانة النظرية الماركسية، وشرعية النظام الملكي ، ثم مسألة الصحراء، فحين طرحت قضية الصحراء من قبل فرانكو الذي بعث برسالة إلى الملك الراحل الحسن الثاني يخبره فيها عزمه تنظيم استفتاء في الصحراء، وقام المغرب وقتها برفض هذه الفكرة واعترض عليها. في هذه اللحظة وقعت رجة داخل التنظيم حول قضية الصحراء، وبالنسبة لي كان الموقف محسوما، فالصحراء كانت من وجهة نظري مغربية ويجب أن تظل كذلك.

س : استنادا على ماذا قررت التشبث بمغربية الصحراء، والإعلان عن هذا الموقف داخل التنظيم؟

ج : استنادا على أسس فيها ما هو موضوعي، وفيها ما هو شخصي، فعلى المستوى الموضوعي، أنا أعتبر أن الصحراء تاريخيا كانت مغربية، لم يسبق لأي دولة أن كانت، عبر التاريخ في تلك المنطقة، فهذا الإقليم كان على امتداد تاريخ المغرب جزء لا يتجزأ من وحدته الترابية، وأظن أنه في سنة 1973 وربما قبلها، وخلال الإعداد الإسباني لمغادرتها، أصبح للصحراء المغربية مكان بارز في الخريطة الجيوسياسية العالمية، فالعالم كان يعيش في ظل حرب باردة، وكان الصراع محتدما بين القطبين: قطب ما يسمى

بالعالم الحر، والمعسكر الاشتراكي، والصحراء شكلت مجالا لهذا الصراع من خلال طرف إقليمي الذي هو الجزائر . وفيما يتعلق بي فإنني كنت أعتبر أن الصراع المغربي الإسباني حول الصحراء، هو صراع تتواجه فيه الأمة المغربية مع الأمة الإسبانية، فالأمر يخص مصالح إسبانيا كدولة وشعب وتاريخ واستراتيجية في المنطقة في مواجهة مع مصالح المغرب على هذا المستوى، ولعل هذه المقاربة تنطبق على الجزائر بدورها. ثم على النطاق السياسي كانت كل القوى السياسية المغربية والفاعلين في الحياة العامة الوطنية، ابتداء من المؤسسة الملكية، مرورا بالأحزاب والنقابات والجمعيات والمنظمات، الكل يعتبر أن قضية الصحراء قضية وطنية.

وفي رأيي كان خطأ فادحا أن نقوم نحن كتنظيم سياسي بعزل أنفسنا بهذا الشكل داخل المجتمع، فنحن كتنظيم كنا نعيش بسبب السرية في عزلة عن الشعب، والنظام كان يعمق هذه العزلة لضربنا، فكيف يجوز سياسيا اتخاذ قرار سياسي من الصحراء يسهل على النظام مأمورية ضربنا وسحقنا.

س : ربما كان التفكير السائد وسط أعضاء التنظيم، هو أن النظام قمعي ومتسلط، وكل قضية يتبناها أو يروج لها، فهي بدورها أداة لتبرير القمع والتسلط، بما في ذلك قضية الصحراء...

ج : كانت هذه نظرية خاطئة، وهذا ما كنت على خلاف تام حوله مع الإخوان في التنظيم. ففي ظني لم يكن من الجائز أن نجعل نحن من قضية الصحراء، التي هي قضية وطنية وعادلة، أن نجعل منها وسيلة، واستثمارها في مشروع سياسي لعزل النظام الملكي والإطاحة به.

فالأرض مغربية، لماذا لا نتشبث بها وندافع عنها حتى من موقع مناهضة النظام، ولذلك اعتبرت شخصيا أن موقف الملك في قضية الصحراء كان موقفا وطنيا، ولم أكن أجد أي حرج في الإعلان عن ذلك، فبالنسبة لي قضية الصحراء كانت تتجاوز هل نحن مع أو ضد النظام، ولكن هل نحن مع أو ضد الدولة المغربية بتاريخها واستراتجيتها، فالأمر أكبر من الملك، لأن الملك في نهاية المطاف يبقى مواطنا مغربيا، ولا يجوز لنا أن نعارضه للمعارضة.

س : هل يعني هذا أنك لم تكن من الرافضين لوجود المؤسسة الملكية أصلا في تلك المرحلة؟

ج : ستستغرب إذا قلت لك إنني كانت لدي في تلك الفترة مقاربة للمؤسسة الملكية تختلف كليا ربما عن رفاقي الآخرين، فالمؤسسة الملكية خلال 1973 و1974 وأثناء المخاض الذي كان المغرب يعيشه، كنت أنظر إليها من زاوية الشرعية التي كانت تحظى بها، فهذه الشرعية لها تاريخ عريق ممتد

لقرون طويلة من الزمن، وأظن أنه في فترة الاستعمار أعاد الشعب والأمة المغربية للمؤسسة الملكية شرعيتها، وقاموا بتجديدها، لأنها وقفت إلى جانب المغاربة ضد بطش الاستعمار.

بطبيعة الحال طرحت بعد الاستقلال الصيغة التي يجب أن يبنى عليها المغرب، وحدثت احتكاكات واصطدامات حول هذا الموضوع، ولكن حتى في اللحظات الحرجة جدا، ظلت الخيوط دائما متصلة بين المؤسسة الملكية والأحزاب السياسية المعارضة، فالجميع كان يعلم أنه يعيش في خضم تناقضات وصراعات السلطات والسلطات المضادة، وكان النقاش حول أي ملكية نريد، هل الدستورية والديمقراطية والاجتماعية، أم ذات النظام الرئاسي، والأساسي هو أن الشرعية لم يكن أي أحد يجادل فيها بشكل رسمي وعلني و واضح، وأنا شخصيا كنت أقول إنه لابد من اللجوء إلى قانون أسمى في البلد ألا وهو الدستور للاحتكام إليه والتقيد ببنوده.

س : وإذا كان الدستور غير ديمقراطي؟

ج : إذا كان الدستور غير ديمقراطي يتعين الاحتكام إليه والتقيد به أولا، ثم النضال في إطاره من أجل تغييره، وسياق تحليلي يصب فيما يتعلق بقضية الصحراء في اتجاه أنه ما دامت لدينا مؤسسة ملكية، لماذا إذا تبنت موقفا وطنيا ودعت لاستكمال جزء من الوحدة الترابية للوطن من دولة تغتصب هذا الجزء، لماذا لا نكون معها ومع الدولة في موقفها الوطني هذا؟ لماذا لا نتذكر أن إسبانيا كانت تعتبر أن المغرب في موقع ضعيف، لأنه كان قد عاش محاولتين انقلابيتين فاشلتين، وفي نطاق استراتجيتها لإضعاف المغرب اختارت الظرف المناسب لكي تنظم استفتاء في الصحراء المغربية من أجل فصلها عن الوطن الأم؟

س: هذه هي الاعتبارات الموضوعية التي جعلتك تدافع عن مغربية الصحراء، فماذا عن الاعتبارات التي أشرت سالفا إلى أنها شخصية؟

ج : أجدادي عاشوا في الصحراء، وأتوفر شخصيا على وثائق تتحدث عن كيف عاشوا فيها إلى جانب مولاي الحسن الأول ومولاي عبد العزيز، ومع الشيخ ماء العينين. كيف أقبل أن أرضا مغربية عاش فيها أجدادي لمئات السنين تنتزع من وطني، ولا أتفوه بأي كلمة؟

س : إعلانك عن موقفك المتشبث بمغربية الصحراء، ألم يخلق لك مشاكل مع رفاقك في السجن؟

ج : خلق لي مشاكل كثيرة، فبالإضافة للخلافات الفكرية التي تحدثت عنها، جاءت قضية

الصحراء كمشكل إضافي للمشاكل الأخرى التي كانت لدي مع رفاقي، لقد كنت في 1972 و1973 في قيادة المنظمة أي في مكتبها السياسي، وبحكم تطور الأشياء أصبحت مسؤولا عن الارتباط بالمناطق أنا وجبيهة رحال رحمه الله، وفي لجنة التوحيد مع أبراهام السرفاتي والمشتري بلعباس، وعلى إثر الخلافات الداخلية، قررت بشكل أخوي الانسحاب من كل هذه التنظيمات، وقبل ذلك، ذهبت إلى فرنسا والتقيت بالرفاق الذين كانوا موجودين هناك من أجل إنشاء لجنة وطنية، ولكن لما طرحت قضية الصحراء واحتدم الخلاف حولها قررت الاستقالة نهائيا من المنظمة.

س: هل كان داخل المنظمة مناضلون يشاطرونك نفس الرأي فيما يتعلق بقضية الصحراء، وكانوا هم أيضا يدافعون عن مغربية الصحراء...

ج : بطبيعة الحال، كان هناك المرحوم عبد السلام المؤذن، وعلال الأزهر، وربما لأسباب لا علم لي بها لم ينزلا بكل ثقلهما معي في الدفاع عن مغربية الصحراء، لقد اعتُبر موقفي وقتها داخل المنظمة موقفا يمينيا، وذلك رغم أن الصحراء مغربية.

س : موقفك هذا من قضية الصحراء ودفاعك عنها لم يؤخذ بعين الاعتبار أثناء المحاكمة، لماذا تم تجاهله في رأيك رغم أهميته المفترضة؟

ج : ربما كانوا يتوقعون أنهم قد يجندونني للإضرار برفاقي في السجن، نظرا للخلافات الكثيرة التي كانت لدي معهم، ولذلك اخترت أن أقضي مدة حبسي منفردا وحدي في زنزانة خاصة بي.

س : هل يعني هذا أنك تعرضت للضغط والتهميش من طرف رفاقك في السجن؟

ج : تعرضت لضغوطات لا حدود لها، حتى بعد المحاكمة، ولكن كما يقول إخواننا المصريون: سامح الله الجميع، فالمحامي الذي كان يرافع دفاعا عني هو الأستاذ محمد كرم، وأثناء المحاكمة طرح علي الرئيس هذا السؤال : هل كنت في تنظيم سري، فأجبته نعم كنت في تنظيم سري، وسألني ثانية : هل كنت تسعى لإسقاط النظام الملكي، فكان جوابي أنني كنت في تنظيم يحاول تغيير النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المغرب.

غير أن وكيل الملك تدخل، وانهمك في اتهامي بأنني أقول إن الصحراء ليست مغربية، وكان ردي هو أن موقفي معروف بأنني كنت مع مغربية الصحراء، ولكن انطلاقا من إيماني بالدستور الذي

يضمن حرية الرأي للمواطنين، فأنا أعتقد أن المطالبة بتقرير المصير للشعب الصحراوي أمر يدخل في نطاق حرية الرأي والتعبير، وسألني الرئيس قائلا: لنفترض أن سكان الدار البيضاء طالبوا بحق تقرير المصير، ماذا سنفعل معهم، وأجبته بالقول لا أظن أن سكان الدار البيضاء سيطالبون بتقرير المصير، ولكن إذا وضعنا هذا الافتراض، فسأجيبهم بأنهم على خطأ، وسأناقشهم في إطار الدستور من أجل إيجاد حل لهذا المطلب في نطاق الدستور دائما...

س : جوابك هذا قد يفهم في تلك المرحلة كأنه تشكيك في مغربية الصحراء؟

ج : هذا كان في الحقيقة هو موقفي الثابت، فأنا أؤمن بمغربية الصحراء بشكل مطلق، وبالنظام الملكي الدستوري، وأعبر عن اختلافي ومعارضتي للأشياء التي لا أتفق حولها، وأظل مواطنا يعيش مع أهله وذويه، ويعرف أن في البلد فقرا وقمعا واضطهادا، ويتعين تغيير هذه الأشياء واقتلاعها من أرضنا، ولكن لا أقبل أن أصادر من أي كان حقه في إبداء رأيه في أي قضية من القضايا، حتى لو كنت مختلفا معه بشكل جذري في رأيه.

س : القاضي قد لا يفهم جوابك على هذا الشكل الذي قدمته الآن؟

ج : وكيل الملك كان يطالب بالحكم علي بالمؤبد، ودافعت عن نفسي بالصيغة التي أشرت إليها، وحكم علي ب32 سنة سجنا نافذا.

س : كم قضيت في السجن؟

ج : 6 سنوات، وأفرج عني رفقة إخوان آخرين منهم عبد اللطيف اللعبي وحوالي 20 معتقلا.

س : بعد خروجك من السجن وانغماسك في الحياة مجددا، ما هي المشاكل التي واجهتك انطلاقا من كونك معتقلا سياسيا سابقا؟

ج : لما أفرج عني، التحقت بالجامعة كطالب، ففي السجن رفضت متابعة دروسي، كنت أقرأ القصص والروايات والمسرحيات والشعر، ولكنني لم أتابع دروسي الجامعية، وبعد الإفراج عني، تسجلت في كلية الآداب بعين الشق بالدار البيضاء، وفي نفس الوقت التحقت للاشتغال في المركز الثقافي الفرنسي في نطاق المسرح، وأخذت أنشط في الكلية التي كانت تعيش فراغا، فقمت بإنشاء نادي اسمه نادي القراءة، ثم المحترفات المسرحية.

س : ألم تتعقبك بعد الخروج من السجن المضايقات البوليسية؟

ج : بلى، كانت استدعاءات الحضور عند البوليس تتقاطر علي في كل مناسبة من نوع المؤتمرات التي تعقد في المغرب أو غيرها، وفي سنة 1981 بعثت برسالة لجامعة كندا بمونريال للحصول على منحة من أجل متابعة دراستي في الميدان السينمائى، ونظرا ربما لأنهم كانوا يعرفونني عن طريق منظمة العفو الدولية، فإنهم وافقوا على تزويدي بمنحة لمتابعة دراستي في كندا، وبطبيعة الحال واجهتني مشكلة جواز السفر، فتقدمت بطلب في هذا الشأن إلى عمالة الدار البيضاء، ولما قوبل طلبي في الحصول على جواز للسفر بالرفض، توجهت إلى مدينة الرباط، وقصدت وزارة الداخلية، وطلبت إجراء مقابلة مع وزير الداخلية إدريس البصري.

س : حدث هذا في أي سنة؟

ج : سنة 1981، طلبت المقابلة بشكل عادي، حددت صفتي بمعتقل سياسي، وأنه يريد مقابلة السيد الوزير في موضوع شخصي، واستقبلني إدريس البصري في مكتبه بطريقة ما زلت أذكرها إلى اليوم، فلقد كان منهمكا في قراءة الجرائد، ولما دخلت عليه في مكتبه لم يلتفت إلى وجودي لمدة تتجاوز 3 دقائق، مكثت خلالها أمامه وهو متفرغ لقراءة الصحيفة التي كانت بين يديه، وبعد أن انتهى من القراءة، تصنع الانتباه إلى وجودي بشكل مفاجئ في مكتبه، فدعاني للجلوس، وبادرني بالحديث بشكل انفعالي عن ماضي السياسي، والاعتقال الذي تعرضت له، وكان يركز على العلاقة التي تربطني بالدوائر العليا، لقد امتد وقت المقابلة إلى أن وصل لحوالي الساعة.

س : حول ماذا كنتما تتكلمان؟

ج : دار النقاش حول مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها المغرب، فموقفي كان واضحا، لقد كنت مع ملكية دستورية، غير أنني كنت أتحدث عن وجود الفقر والاستغلال والاستحواذ على الثروة الوطنية، وانعدام الديمقراطية، فبادرني بالقول إن الغرض من رغبتي في السفر إلى كندا هو الاستجمام والترويح على النفس، ثم أضاف وللاتصال بليبيا، وتساءل أمامي لماذا الذهاب إلى كندا، ولماذا لا أظل في المغرب، على أساس أن أعتبره مثل أخي الأكبر، وأن أتصل به في الوقت الذي أشاء...

س : هل كان يريد استقطابك لتجنيدك للاشتغال مخبرا؟

ج : هذا هو ما استنتجته، وما تبين لي فيما بعد، ولكن خلال تواجدي في مكتبه، فإنني تجاهلت ما كان يعرضه علي، وتصرفت كأنني لم أفهم أي شيء مما يريده مني، وعبرت له عن شكري، مضيفا أنني منذ زمان وأنا أحلم بمتابعة دراستي في المجال السينمائي، وأن أقصى ما أطمح إليه الآن هو الحصول على جواز سفر، للتوجه إلى كندا من أجل هذا الهدف، ولما أعود فإن بإمكاني أن أشتغل في أي عمل يعرض علي في نطاق الدولة المغربية.

ودعني ودعاني للعودة في اليوم الموالي، وفعلا كنت في اليوم الموالي في وزارة الداخلية، وقضيت فيها النهار كله من 9 صباحا إلى 8 مساء، وساعتها أطل علي الوزير في نهاية النهار، وسألني ماذا قررت، وأجبته بأنني مازلت على موقفي انتظر الحصول على جواز سفري، فأمرني بالعودة غدا، وبالفعل رجعت إلى وزارة الداخلية مرارا وتكرارا.

في النهاية، لم يعد الوزير هو الذي يستقبلني، ولكن فقط مدير ديوانه، ويسألني باختصار شديد، ماذا قررت، ويكون ردي هو رغبتي في الحصول على جواز السفر، وكان رد مدير الديوان الدائم هو أن السيد الوزير لم يعط تعليماته في هذا الصدد. واستمر الوضع على هذا الحال لمرات متكررة، إلى أن قررت التوقف عن الذهاب إلى وزارة الداخلية، وراسلت الكتابة العامة المكلفة بحقوق الإنسان لدى هيأة الأمم المتحدة مشتكيا من عدم حصولي على جواز السفر الذي لم أحصل عليه إلا في سنة 1999 بعد تدخل لدى إدريس البصري من طرف مدير المركز السينمائي السيد سهيل بنبركة.

س : كلمتك الختامية ؟

ج : ما أتمناه هو أن يمضي المغرب بعيدا في خطواته لإرساء دولة الحق والقانون والديمقراطية والتغلب على البطالة والحرمان والفقر، وأظن أنه لابد لنا من إعادة قراءة تاريخنا الحديث ومراجعته بشكل هادئ وموضوعي، لكي يتبين المواطن مما عاشه المغرب من وقائع وأحداث للمساعدة على التغلب على المعضلات التي تواجه بلادنا بعيدا عن النظرة الأحادية الجانب في إطار ديمقراطي وفي

نطاق الدولة الحديثة، فبالنسبة لي ليس كل مغربي إسلاميا، ولكنه مسلم، لأن الإسلام هو الذي طبع الحضارة والثقافة والهوية المغربية.

نحن كلنا مسلمون، وأعتقد أنه من الضروري تطوير ما أسميه بالديمقراطية الإسلامية الاشتراكية، ولكن في سياق يحترم الرأي والرأي الآخر ويؤمن بالتعددية وبالحداثة وبالحق في الاختلاف، ففي عالم اليوم تجاوز الإنسان المعاصر في جهات عديدة من العالم مفهوم الحداثة، وأصبح المطلوب منا ما هو فوق الحداثة.

عمر الزايدي

لهذه الأسباب حكم علي غيابيا بالمؤبد

س : الأستاذ عمر الزايدي أفتتح معك هذا الحوار حول تجربة الاعتقال السياسي الذي تعرضت له بسؤال حول اليوم والشهر والسنة التي تم اعتقالك فيها؟

ج : تعرضت لثلاثة اعتقالات، وأول اعتقال في مايو 1974، وحول أسباب الاعتقال فإنها تعود إلى كون المنطقة التي كنت أقطن فيها كانت تعيش على وقع تحرك عمالي، وطبعا من موقعي السياسي كمسؤول في لجنة التنسيق لتنظيم لنخدم الشعب، كنت ملتزما بأن أتحرك في وسط الطبقة العاملة وأن أسعى للمساهمة في نضالاتها، لكي نصل بالتنظيم إلى صفوفها.

س : في أي مدينة اعتقلت؟

ج : ألقي علي القبض في مدينة سلا، ولكن مدة الاعتقال قضيتها في مركز الشرطة بالرباط، وقد دام هذا الاعتقال 54 يوما.

س : هل كان الاعتقال سريا أم عرضت على أنظار القضاء؟

ج : اختطفت من مقر عملي حوالي العاشرة والنصف صباحا، وكنت أشتغل وقتها في الوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء، وكان هذا يدخل في إطار الخطة السياسية التي كان ينهجها التنظيم، والتي كانت تقتضي أن نتواجد ونشتغل في المراكز التي يوجد بها العمال. وتم اختطافي بتاريخ 23 مايو 1974، ومكثت رهن الاعتقال بمركز الشرطة خاضعا للتحقيق والاستنطاق، لقد تمكنا نتيجة للتحرك الذي قمنا به في وسط العمال، داخل عدد من المعامل مثل معمل النسيج بسلا، أن نفرض نوعا من التضامن على الصعيد الجهوي، وأعلن الاتحاد الجهوي عن إضراب تحت لواء الاتحاد المغربي للشغل، وخلقنا حركية للتضامن مع العمال المضربين، وسط التلاميذ والطلبة، وأصبح هناك جو جديد من المعارك، وكان عملنا من خارج الاتحاد المغربي للشغل وليس من داخله.

س : الاعتقال هل جرى بسبب نشاطك الذي تتحدث عنه وسط العمال، أم أنه تم لاعتبارات سياسية خارج هذا النشاط؟

ج : الجواب على هذا السؤال لم أتبين منه إلا في أوقات التحقيق، لقد كان التحقيق حول القضايا السياسية، وكانت الأسئلة تركز على انتمائي السياسي، والأمكنة التي كنا نجتمع فيها، والأيام التي كنا نعقد فيها الاجتماعات في إطار خلية كانت لنا بالرباط، والعنصر الجديد الذي كان قد طرأ على خليتنا، شخص أصبح فيما بعد عضوا في حزب سياسي، ثم اشتهر بأنه صار مخبرا واسمه صابر موسى.

س : كيف تمكن من ربط علاقة بكم إلى أن أصبح عضوا في خليتكم؟

ج : كانت له قرابة بأحد مناضلي الخلية، وكنت أثق فيه واقترح عليه الانضمام إلينا والتحرك معنا، وكان معروفا بانتمائه لتنظيم إلى الأمام ، وطلب مني وثائق التنظيم، ومنها نشرة لنخدم الشعب، وتسلم النشرة، وأخذ يحضر معنا لاجتماعات الخلية، وقد طلبت منه القيام أمامنا بتقييم لتجربته داخل إلى الأمام ولماذا قرر مغادرتها، ويبدو أنه كان يكفيه الحصول على بعض الوثائق ومعرفة من كان يجتمع مع خلية الطلبة في الرباط لكي يبلغ عنهم، وفي هذه الظروف، خصوصا بعد توزيع منشور فاتح مايو، وبعد أن سلمته نسخة منه جرت عملية الاعتقال، لقد كانت هناك محاولة لاعتقالي قبل الفاتح من مايو، غير أن البوليس أخطأ هدفه أثناء المحاولة الأولى .

فمن غريب الصدف أنه كان يوجد بالوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء، حيث كنت أشتغل، ثلاثة مستخدمين لهم أسماء متشابهة : عمر الزايدي، وعمر بوزيد، وعمر بوزيدي، ولقد اعتقل البوليس هذا الأخير، وتعرض للتعنيف، وأسيئت معاملته بشكل فظيع، قبل أن ينتبهوا للأمر، ويلقوا القبض علي، وأثناء الاعتقال، فهمت ما هي الأمور المطلوبة مني، وكان من رأيي أنه من الضروري مواجهة الوضع بالصمود، ولقد تعرضت لأساليب همجية في التعذيب، لأن البوليس كان في أمس الحاجة لمعرفة كل التفاصيل عن المجموعات اليسارية التي كانت قد ظهرت وقتها.

فالاعتقال الأول كان سنة 1972 من خلال المجموعة التي كانت تضم أحمد أحرزني، وفيما بعد أنيس بلافريج، وعبد اللطيف اللعبي، وكان البوليس يريد أن يعرف لأي تنظيم أنتمي، ولأي مجموعة، وهل المجموعات اليسارية تشتغل وتتطور، وكيف يتم ذلك، وإذا لم أكن ضمن واحد من هذه التنظيمات، فهل أنا ممن كانت لهم علاقة ما بأحداث 3 مارس 1973 التي اندلعت في مولاي

بوعزة. ولعل هذا ما جعل أصناف التعذيب تكون مكثفة وقوية جدا، خصوصا بعد اعتقال عنصرين آخرين من الخلية التي كنت أشرف عليها.

س : هل تم إلحاقهما بك حيث كنت تخضع للتعذيب والاستنطاق؟

ج : ربما هذا من حسن الصدف، فلقد ألحقا بي ووضعنا نحن الثلاثة في زنزانة واحدة، وطلبت من الأخوين اللذين كانا معي في نفس الزنزانة أن يتنصلا من كل ما كانت تقوم به الخلية، وأن ينسباه إلي، على أساس أنني أنا الذي كنت أتصل بهما وأخبرهما بما يتعين فعله، وأنه لم يكن لهما أي علاقة بالإشراف والتنظيم، لقد كنت مهيأ سلفا على أن المناضل أثناء خضوعه للتعذيب يتعين عليه أن يوفر دائما أجوبة محتملة لأسئلة ستلقى عليه من طرف أجهزة القمع والتعذيب.

س : وهل هذا ممكن؟

ج : نعم، يتعين على المناضل أن يهيئ في ذهنه باستمرار جوابا شبه مقنع لسؤال يفترض أنه سيطرح عليه من طرف البوليس، وأن يكون الجواب المزيف مغلفا لكي يظهر وكأنه الحقيقة، وذلك للحفاظ على جسم التنظيم سليما، ومواجهة التعذيب والقدرة على الصمود، والعنصر الأساسي الذي ينبغي أن يكون في المنطلق و القاعدة، هو أن يحسم بأن بإمكانه أن يموت تحت التعذيب، فإذا قام بهذا الحسم الوجودي مع نفسه وقرر تقبل الموت، فمن المؤكد أنه سيمتلك قوة وقدرة للصمود والمواجهة.

وطبعا هذا الحسم غير كاف لوحده، إذ يتعين إعداد خطة وسيناريو محكم للتعامل مع البوليس في لحظة التعذيب والاستنطاق. لقد صمدت لمدة 15يوما وأنا أقاسي، أمام أنظار الرفيقين الاثنين، ألوانا ملونة من التعذيب، فبالنسبة لهما فلقد نسبا كل شيء إلي، وانصب الاهتمام من جانب البوليس علي وحدي، وبعد 15 يوما تظاهرت بالانهيار، واصطنعت أنني أعترف لهم بالحقيقة.

س : ماذا اصطنعت كحقيقة؟

ج : قلت لهم لقد ألقيتم القبض علي في اللحظة التي كنت قد بدأت فيها في تشكيل تنظيم، أما هدف التنظيم فهو تغيير النظام.

س : فيما يخص الخلية التي كانت لتنظيم لنخدم الشعب في الرباط، هل كانت على صلة بباقي الخلايا في الجهات الأخرى من المغرب، أم أنها كانت تشتغل بشكل منعزل؟

ج : أنا كنت في قيادة وطنية وليس فقط في تنظيم محلي، وهذه هي المسؤولية الكبرى التي كانت ملقاة على عاتقي، فعندما ألقي علي القبض أصبحت مهمتي هي أن أحاول جاهدا لكي لا تتوسع عمليات الاعتقال لتصل إلى العمال وكل المنخرطين وقتها في تنظيم لنخدم الشعب، فهذا التنظيم انشق عن تنظيم "ب" الذي سيكون فيما بعد هو تنظيم 23 مارس، ولقد تم إنشاء لنخدم الشعب بناء على وجهة نظر كانت تقول إننا إذا كنا نريد تأسيس حزب للشعب فلا يمكن تأسيسه في القطاع الطلابي، لأن القطاع الطلابي ليس إلا جزءا من حركية هذا الشعب، ولكن يجب الاعتماد على العمال والفلاحين، ولذلك كان مطلوبا من المناضلين، في صفوف هذا التنظيم، التوجه مباشرة للعمل في القطاعات العمالية والفلاحية، وفقا لشروط تواجدهم، والنضال معهم في الظروف التي يناضلون فيها.

وكانت استراتجيتنا تنبني على أساس أنه لا يمكن حسم الوضع السياسي في البلاد إلا عن طريق ممارسة الكفاح المسلح، والحرب الشعبية الطويلة الأمد، وكان السؤال المطروح علينا هو متى سنشرع في ذلك؟ هل سنمارس السياسة ونظل على حالنا إلى أن يأتي يوم ما ونقرر فيه البداية؟ متى سيحدث ذلك؟ وفي غياب الجواب دعونا إلى إقامة ربط جدلي بين العمل السياسي والكفاح المسلح، ودعونا إلى الشروع في التأهيل لممارسة الكفاح المسلح، وهذا كان يتطلب منا البداية في تشكيل ما يسمى بخلايا الدفاع الذاتي وسط الشعب، في المعامل ومع الفلاحين، وكنا نعتقد بأنه لا يعقل أن العامل الذي يتعرض للعنف من طرف البوليس، يظل سلبيا ويتقبل الأمر، كنا نرى أنه ينبغي عليه أن يقاوم ويرد، وهنا كنا نفترض أنها ستتشكل إمكانية توفير شروط المواجهة، ولكي يتحقق كل هذا، ويصل المنطق إلى منتهاه كان لزاما على المناضلين، في رأينا، أن يتدربوا على حمل السلاح، وأن يقوموا من حين لآخر بعمليات ذات صدى.

س : عمليات ذات صدى من أي نوع؟

ج : من النوع الذي على إثره تم اعتقال المجموعة الأولى من مناضلي لنخدم الشعب، لقد كان التنظيم في حاجة إلى المال، ولأن المال عند الحكم في البنوك، لذلك خطط بعض المناضلين للهجوم على بنك في أكادير والاستيلاء على الأموال التي كانت توجد في خزائنه، هذه الأساليب كانت تبدو لنا وقتها ثورية، ولكن بالنسبة للجناح الآخر في تنظيم "ب" كان مثل هذا التصرف مخيفا وغير مقبول، وهذا

هو الذي أدى فيما بعد إلى صدور وثيقة "ب". ولكن فيما يتعلق بمن كانوا على الموقف الأول والذين أسسوا لنخدم الشعب ، فإنهم ساروا على توجههم، وأقدموا على تجارب وكانت أحيانا مهمة وملفتة، فلقد شاركنا في انتفاضة فلاحية، وكان لها وقع في المغرب كله .

س : أين وقعت هذه الانتفاضة؟

ج : بأولاد يسف في ناحية بلقصيري، وكانت مدينة بلقصيري سنة 1973 تعج بالمظاهرات والمواجهات، وذلك انطلاقا من ودادية الثانوية، ولقد ساهمنا وشاركنا فيها، وحتى النضالات العمالية التي خيضت في عدة جهات من المغرب كان لنا يد فيها.

س : لنعد إلى مركز الاعتقال حيث كنت رفقة اثنين من رفاقك، بعد قضائك لمدة 44 يوما في الاعتقال السري، هل أفرج عنكم أم تم تقديمكم للمحاكمة؟

ج : لم نقدم للمحاكمة، لقد أفرج عنا، فبعد أن ماطلناهم أثناء الاستنطاق، يبدو أنهم قرروا الإفراج عنا في انتظار استكمال المعطيات، فكما أسلفت قلت لهم إن التنظيم لم يتأسس إلا في اللحظة التي اعتقلنا فيها، ويبدو أن الحيلة انطلت عليهم، فبالنسبة لي كنت قد قررت مع نفسي أن أتحمل العبء على المستوى السياسي، ولكن تنظيميا كنت أسعى للحفاظ على التنظيم، لأنه إذا ضرب العمال، والخلايا التي كانت موجودة في سلا، وكذلك التنسيق الوطني، الذي كان مركزه بسلا، فهذا كثير جدا، لذلك لم يجدوا ما يقدموننا به للمحاكمة، فوقع الإفراج عنا من مقر الاعتقال السري دون عرضنا على القضاء..

س : هذا بالنسبة للاعتقال الأول، فماذا عن الاعتقال الثاني؟

ج : إذا كنتم تذكرون فإن حملات الاعتقالات وسط التيارات اليسارية، ابتداء من إلى الأمام إلى تنظيم 23 مارس ، فمنذ ضربة نونبر 1974، أصبحت الضربات متلاحقة. سنة 1975 كانت في المغرب اعتقالات، وكذلك الأمر بالنسبة لسنتي 1976 و 1977. وفيما يخصني فلقد جرت محاولة لاعتقالي سنة 1976، ففي شهر أبريل 1976 تم اعتقال مجموعة من مناضلي لنخدم الشعب، وذلك في إطار الحملة العامة التي كان قد شنها البوليس، وآنذاك قررت ترك المنزل حيث كنت أقيم، وصرت أقضي الليالي في أي مكان وكيفما اتفق، وفي فاتح مايو حاولوا اعتقالي في الرباط بعد أن اعتقل مناضل رفيق لي في الدار البيضاء.

س : كان مقررا أن يتم الاعتقال في خضم الاحتفالات بالعيد العمالي؟

ج : لا، كان مقررا أن أُعتقل في ليلة الفاتح، ومن حسن حظي أنني كنت لا أدخل المنزل خلال تلك الفترة، وكنت أراقب الوضع عن كثب، وفي ليلة الفاتح من مايو كنت قد قررت أن أقضي الليل في المنزل، وكنت لا محالة سأعتقل، ولكن ماذا وقع؟ لقد دخلت في تلك الليلة إلى السينما، وفي لحظة الاستراحة خرج أحد الشباب من السينما، وبعد لحظة عاد واقترب مني وهمس في أذني، إن البوليس جاؤوا إلى المنزل بحثا عنك، ومازلت أذكر أن ذلك الشاب زودني بمبلغ مالي قدره 10 دراهم، ولما انتهى الفيلم خرجت من السينما ودخلت في الحياة السرية.

س : كم قضيت في إطار السرية؟

ج : قضيت سنة.

س : ما معنى أن يعيش المناضل حياة السرية، كيف يفعل ليتأتى له ذلك؟

ج : في البداية قضيت شهرين خارج أي منزل، وبتعبير أدق لم أكن مستقرا في منزل محدد، لقد كنا نعتقد أن الأمر يتعلق بحملة للاعتقالات، وأي مكان يقصده المناضل قد يكون مستهدفا فيه من طرف البوليس، لذلك قررنا نحن أربعة مناضلين العيش على شاطئ البحر، على مقربة من مدينة سلا.

فلقد وجدنا مغارة صغيرة على الشاطئ ونظفناها مما كانت تحتويه من أحجار وأوساخ، ووضعنا فيها فراشا وأغطية متواضعة، وقررنا المكوث فيها وترقب ما يجري في الساحة السياسية، إلى أن همدت الأمور وتوفر لنا مكان آمن في الدار البيضاء فانتقلنا إليه. لقد كنا على شاطئ البحر نعيش بأدوات الصيد طوال النهار وكأننا صيادون، وفي المساء كنا نهجع إلى تلك المغارة وننام فيها، لقد مكثنا على هذه الحالة حوالي شهرين ثم انتقلنا فيما بعد إلى الدار البيضاء.

س : وهل من الممكن للمناضل أن يعيش حياة السرية في مدينة مثل الدار البيضاء؟ هل يمكنه أن يقوم بذلك بكل سهولة من غير أن ينكشف؟

ج : لكي يتمكن المناضل من العيش في حياة السرية ما هي الأشياء التي يتعين عليه أن يكون حريصا عليها؟ أظن أنه في مكان إقامته ينبغي ألا يلاحظ جيرانه أنه إنسان غير عادي، كأن يكون عاطلا، ولا يخرج في أوقات العمل، ولا يتصرف كباقي الناس، فهذا هو الأساس، فإذا كان المناضل يخرج في

أوقات العمل من المنزل، ويعود إليه بعد انقضاء ساعات العمل، ويقضي حاجياته بشكل طبيعي، وليس لديه زوار كثيرون، ولا يقضي الليالي الحمراء في السهرات الصاخبة. إذا تصرف الإنسان بهذا الشكل فإنه يمكنه أن يعيش إلى ما شاء في إطار السرية، ماعدا إذا حدثت اعتقالات أدت للوصول إليه.

س : المناضل محتاج إلى نفقات وإلى حاجيات مادية، كيف يمكنه تدبير هذه الحاجيات وهو يعيش حياة السرية؟

ج : هذا دور التنظيم الذي كان لزاما عليه القيام به، وفي فترة الاعتقالات لم يلق القبض على جميع عناصر التنظيم، وفيما يتعلق بتنظيم لنخدم الشعب كان من التنظيمات التي اعتقل منها أقل عدد من المنتمين إليه، وكانوا يتآزرون فيما بينهم، وعن طريق التعاون فيما بين عناصر التنظيم، التي لم تشملها حملة الاعتقالات، كنا نتدبر حاجياتنا في حياة السرية، وأظن أن طريقة التنظيم التي كانت لدى لنخدم الشعب ساعدتنا على الاستمرار والصمود في حياة السرية، فنحن لم تكن لنا هيأة مركزية وسياسية، لقد كان أسلوبنا في التنظيم أسلوبا عنقوديا، فكل واحد منا كان يعرف فقط أعضاء خليته، وليس باقي أعضاء التنظيم.

س : ربما هذا هو ما كان جار به العمل حتى بالنسبة لتنظيم 23 مارس في وقت من الأوقات؟

ج : ليس بنفس الشكل، ولدي نموذج في هذا الباب، فبالنسبة للنشرة، كانت نشرة إلى الأمام أو 23 مارس توزع بشكل واسع، أما بالنسبة لتنظيم لنخدم الشعب فكان يسحب منها على مقدار عدد الخلايا الموجودة لدى التنظيم، على أساس أن المسؤول عن الخلية كان هو الذي يقرأ النشرة، وكان يعدمها بعد القراءة، بحيث إن كل واحد في خلية من الخلايا كان يعتبر نفسه أنه في طور تأسيس تنظيم جديد.

س : إذا كان هذا الأسلوب في التعامل فيما بينكم يضمن لكم السرية اللازمة التي كنتم في حاجة إليها، ألم يكن يحرمكم إلى حد ما من ذلك الإشعاع الذي يسعى كل تنظيم لتحقيقه وسط الشعب؟

ج : هذا أكيد، وفي إطار عملية التقييم التي يجريها المناضل سيخلص إلى أن هذا الأسلوب في التعامل هو أسلوب عمل عسكري، وليس أسلوب عمل سياسي جماهيري لخلق تعبئة عامة وحركية وسط المواطنين. وربما هذا واحد من الأسباب التي جعلت لنخدم الشعب يكون تنظيما ضعيفا على المستوى الجماهيري، لقد كان بإمكانه خلق حركيات معينة في أماكن معينة من دون معرفة من الذي خلق تلك الحركيات و أنتجها.

س : ألا يفسر هذا السلوك من جانب لنخدم الشعب (موتها) وعدم حضورها في الساحة، في حين ظل لوقت لا بأس به لكل من تنظيم إلى الأمام و 23 مارس نسبيا بعض الإشعاع في وسائل الإعلام وفي صفوف اليسار؟

ج : أظن أن مناضلي لنخدم الشعب مازالوا حاضرين إلى اليوم في صفوف اليسار، وهم يشتغلون ويتحركون وينشطون كما ينشط كل مناضلي اليسار، أنتم تعرفون المناضل أحمد حرزني وعبده ربه وآخرين، فهل لكي نكون حاضرين في وسائل الإعلام علينا أن نتكلم عن أنفسنا في هذه الوسائل؟ لا أعتقد أن هذا هو الأسلوب الأنجع.

ولكن فيما يتعلق بالأسلوب التنظيمي، سواء بالنسبة لتنظيم إلى الأمام و لنخدم الشعب أو 23 مارس ، كانت هناك إمكانية للانتشار بشكل أفضل، لقد كنا على خطأ في أسلوبنا التنظيمي، لأن أي حركة للتغيير لا بد لها من قوة جماهيرية تحركها، ولكننا نحن في الوقت الذي كنا نتكلم فيه عن الجماهير، كان لأسلوب عملنا طابع عسكري وسري لم يساعد على التعبئة الشاملة لفئات واسعة من المواطنين.

س : هذا الأسلوب التنظيمي هل وقع الاختيار عليه بناء على «قصور» في التحليل لمعطيات الواقع، أم أن الأمر يعود لاعتبارات موضوعية كانت تفرضه عليكم وتلزمكم به؟

ج : هذا الأسلوب كان له من الجانب التربوي دور مهم، لأنه كان يدفع كل مناضل لكي يعتبر نفسه أنه هو مؤسس لنخدم الشعب، ولذلك كان يجتهد ويعمل ويبادر ولا ينتظر توجيهات، وكان هذا جانب مهم في أسلوب التنظيم الذي اعتمدناه، ولقد نتج عنه قيام المناضلين بالعديد من المبادرات النضالية التي أعطت نتائج مهمة، ولكن من جانب آخر لم يكن المناضل يشعر بذلك الدفء الذي يوفره له الإطار العام الذي يوجد فيه.

س : قضيت سنة في الدار البيضاء في إطار السرية، ثم ماذا وقع؟

ج : في الدار البيضاء اعتقلت في حملة كانت قد انطلقت فيما أعتقد سنة 1977 وبالضبط في شهر أبريل، وكنت علي موعد مع أحد المناضلين، ولما ذهبت إلى مكان الموعد، تمت ملاحقتي دون أن أشعر بأي شيء إلى مقر سكناي، وهناك تم الهجوم علي واعتقالي.

س : إذن اختفت حياة السرية وأصبحت مراقبا؟

ج : لا، الأشخاص الذين راقبوني جاؤوا إلى الموعد الذي كان لدي مع أحد المناضلين من رفاقي، فلقد علم البوليس بالموعد الذي كان لدي، ولذلك جاؤوا لمراقبتي وتتبعي إلى المكان الذي أقيم فيه، وألقي القبض علي في مقر سكناي.

س : إلى أين تم اقتيادك حين وقع اعتقالك؟

ج : مباشرة إلى درب مولاي الشريف، لقد كان من المفروض أن أعتقل ضمن المجموعة التي اعتقلت سنة 1976، ولكنني تمكنت من الإفلات إلى أن اعتقلت في أبريل 1977، وذلك بعد أن أصدرت المحكمة أحكامها في حق رفاقي الذين اعتقلوا في1976، وهذا هو السبب الذي دفع المحكمة إلى إصدار حكم غيابي ضدي بالمؤبد، لقد كنت من ضمن الإخوة 39 الذين صدرت ضدهم أحكام غيابية.

س : واستنادا على ماذا تم الحكم عليك بالمؤبد؟

ج : عادة عندما تكون القضية المعروضة على المحكمة لها طابع جنائي بالشكل الذي كانت عليه قضيتنا، فالقاضي في مثل هذه الحالة، غالبا ما يصدر الحكم الأقصى والذي كان في حالتي هو المؤبد، ولكن في القانون المغربي عندما يعتقل الشخص المحكوم عليه، فإن الحكم يسقط لذاته، وتعاد محاكمته مجددا.

س : كم قضيت رهن الاعتقال السري بدرب مولاي الشريف؟

ج : 8 أشهر، فالذي يدخل إلى درب مولاي الشريف يدخله في جو من الإرهاب والسب والشتم والضرب، واستعمال الكلام الساقط والسوقي، ويتم تجريد الإنسان من ثيابه بالتمام والكمال، ويسلم بذلة مكونة من قميص وسروال، ذات لون كاكي، والعصابة السوداء في عينيه، والقيد في معصميه، وأول أمر يوجه للإنسان، يتعلق باسمه، إذ يصبح بلا اسم، وينادى عليه فقط برقم.

س : ماذا كان رقمك؟

ج : تبدل رقمي ثلاث مرات من 52 إلى 18 ثم 67، وكان يمنع علينا الكلام نهائيا في هذا المكان، لا يمكن للمعتقل التكلم إلا إذا أخذ الإذن من «الحاج»، وإذا أراد الشرب أو الذهاب إلى المرحاض، يتعين عليه استئذان «الحاج»، ولأنني كنت ممن كانوا يشددون عليهم في التحقيق في البداية، فإنني كنت محروما من الاختلاط بباقي المعتقلين، ومكثت في مكان منعزل قرابة شهر.

وكما قلت سالفا، ففي الوقت الذي يتعين على المناضل أن يستحضر ضرورة الصمود والاستعداد للموت، لكي يواجه التعذيب والاستنطاق، فإنه يكون مطالبا، أن يستحضر في ذهنه سيناريو محدد لخلق الشروط الملائمة لإقناعهم بأنه أفشى كل الأسرار، وانتزعوا منه الاعترافات التي يبحثون عنها، وليس لديه ما يضيفه لهم. وفي هذا الإطار، قلت للجهة التي كانت تشرف على تعذيبي بأنني أنهيت أي علاقة لي بتنظيم لنخدم الشعب سنة 1974 عندما تم اعتقالي، وأن صلتي ببعض الأفراد من هذا التنظيم لا تتعدى الصلات الإنسانية المحضة، وأنا ليس لي أي علم بمواقفهم السياسية.

كانوا يركزون أثناء استنطاقي على علاقتي بالمناضل المنتصر البريبري، لأنه كان معي في السرية، وهو واحد من المناضلين الذين استشهدوا سنة 1983، لقد اعتقل ومات تحت التعذيب، لم يسبق له أن دخل السجن، وفي اللحظة التي ألقي عليه القبض فيها، كان لوحده، وكان عنصرا نشيطا جدا، وقام بدور فعال في التنسيق بين الجمعيات في الدار البيضاء لمناهضة والتنديد باجتياح إسرائيل للبنان سنة 1982، وكانت له علاقات جيدة جدا مع مكتب منظمة التحرير الفلسطينية. ولعب دورا بارزا وكان في قلب المعركة في أحداث 20 يونيو 1981، ومات أمام عينيه صديقان له حيث أطلق عليهما الرصاص، وفي سنة 1983 اعتقل، وغاب عنا حوالي 3 أيام، وإذا بنا نجده في مستودع الأموات بعين الشق، وقيل لنا وقتها إن القطار دهسه، وكان واضحا أنه توفي تحت التعذيب.

س : وبماذا كنت ترد حين كانوا يسألونك عنه؟

ج : بأنني فعلا أعرف المنتصر البريبري، ولكن لا علم لي بمقر سكناه، فنحن كنا نلتقي مرة في الشهر، وسئلت أين كنت ألتقي به، فأجبتهم بأن موعدنا كان يتم دائما في حديقة، وسألوني عن تاريخ الموعد المقبل معه، فقلت لهم إن تاريخه قد فات، ولكن من المتوقع أن نلتقي في نفس المكان وفي نفس الوقت في الأسبوع القادم. ولما جاء تاريخ الموعد المزعوم خرجت معهم في سيارة من درب مولاي الشريف، وأخذوا ينتظرون، وطبعا لم يكن لي أي موعد مع المنتصر، وكنت متأكدا بأنه لن يحضر لأن الموعد كان وهميا والمكان كذلك، وكانت النتيجة حفلة من التعذيب، ولكنني كنت أظل متمسكا بموقفي وثابتا في كلامي، بحيث أكرر على مسامعهم أنه فعلا كان لدي معه موعد ولكنه لم يحضر... وعلى هذا المنوال، مرت الفترة التي قضيتها في درب مولاي الشريف.

س : كم كان عدد الذين كانوا معتقلين معك في درب مولاي الشريف؟

ج : كنا مابين 120 أو 130 معتقلا.

س : هل كنتم كلكم معتقلين في إطار ملف واحد؟

ج : طبعا الملف واحد من حيث السعي لقلب النظام أو الإخلال بالأمن العام، ولكن التنظيمات التي كنا ننتمي إليها كانت مختلفة، لقد كان معنا مناضلون من 23 مارس وإلى الأمام ولنخدم الشعب، وكان معنا معتقلون كانت لهم علاقة بالبوليزاريو. وهذه هي ما سميت فيما بعد بمجموعة مكناس، ولقد تمت إحالتنا من درب مولاي الشريف إلى سجن عين برجة وقضينا فيه حوالي 25 يوما، وكنا في وضعية عزلة، وكان كل ثلاثة معتقلين في زنزانة وكنا نحن خمسة معتقلين في زنزانة.

س : لماذا تم وضعكم أنتم الخمسة في زنزانة؟

ج : كانوا يعتبرون أن ملفنا ثقيل،لأنه كانت لدينا سوابق، وكنا متابعين، وكان الأمر يتعلق بعبد الواحد بلكبير، وشنكو محمد، ونجيب البريبري، الذي كان قد اعتقل سنة 1976 وتم الإفراج عنه ضمن مجموعة 10 واعتقل مجددا معنا، وعبد الهادي بن الصغير، وعبد ربه، كنا نخرج للاستراحة نحن خمسة فقط، في حين كان باقي المعتقلين يخرجون للساحة دفعة واحدة، ولقد أحسوا أننا كنا نهييء للإضراب عن الطعام، احتجاجا على ظروف العزلة، وقبل تاريخ الإعلان عن الإضراب بحوالي 3 أيام، دخلت قوات التدخل السريع في شاحنات إلى قلب السجن، وفتحوا أبواب الزنزانات وتم شحننا في الشاحنات.

س : إلى أين تم شحنكم؟

ج : إلى مدينة مكناس، فمن عين برجة بالدار البيضاء تم نقلنا إلى مدينة مكناس، كنا حوالي 105 لأنه تم الإفراج عن حوالي 24 معتقلا في عين برجة مباشرة بعد أن عرضنا على أنظار الوكيل العام.

س : على أي أساس تم في رأيك الإفراج عن هؤلاء 24 معتقلا؟

ج : يصعب العثور على جواب شاف لهذا السؤال، فالطريقة التي كان يتصرف بها الحكم كانت تبدو لنا غير خاضعة لأي منطق، ومن الصعب أن تخضعها لتحليل علمي ومنطقي، فمثلا حالة مناضلين اسم كل واحد منهما نجيب البريبري، وعبد الحنين البريبري من المجموعة الأولى التي

حوكمت سنة 1977، فعبد الحنين لم تكن له أي علاقة بالتنظيم فهو ابن عم نجيب الذي كان يقطن معه في نفس المنزل والذي كان مناضلا في التنظيم، فالمفروض كان هو أن يطلق سراح عبد الحنين، وأن يحتفظ بنجيب، ولكن الذي وقع هو أنه تم إطلاق سراح نجيب في حين قدم عبد الحنين للمحاكمة، المؤكد هو أن البوليس كان شبه مقتنع أننا نحن الذين كنا في حالة فرار سنتصل بنجيب، وسيلقى علينا القبض، ولكننا نحن كنا منتبهين لهذا الفخ المنصوب لنا، ولذلك لم نسقط فيه، وجاء الاعتقال في سياق آخر.

قدمت هذا المثال فقط لأبين بأنه يصعب علي إعطاء جواب مقنع ومضبوط حول تصرفات الحكم في فترة من الفترات، فلقد كانت تصرفات غير خاضعة للعقل. وأقدم في هذا الإطار مثلا آخر، ففي ملف واحد حيث حوكم المناضلون، فجأة يتقرر الإفراج عن مجموعة منهم بدون أي سبب أو مبرر، بينما قد تجد معتقلين قدموا طلبات للعفو، ولكن مع ذلك، يتم الاحتفاظ بهم في السجن. بماذا يمكن شرح مثل هذه التصرفات.

س : ألا يمكن أن تكون شكلا من أشكال الحرب النفسية التي يقع شنها على المناضلين في السجن؟

ج : نعم تصبح حربا نفسية، وينهمك كل مناضل في طرح الأسئلة على نفسه وعلى زملائه، لماذا أفرج عن فلان وتم الاحتفاظ به رغم أنهما في ملف واحد. فهذه الأساليب كانت الغاية منها هز نفسية المناضلين وخلق الريبة والشك في نفوسهم، فالمرامي والأهداف تكون متعددة ومختلفة.

س : وماذا فعلتم حين وصلتم إلى سجن مكناس؟

ج : قضينا حوالي 15 يوما ثم دخلنا في إضراب عن الطعام، ولقد اعتبرنا أن الإضراب احتجاجي وحددنا له مدة أسبوع، وكان الغرض منه دفع المجموعة لكي تتكتل فيما بينها وتتجمع، لأنه عندما يتم الإفراج عن مناضلين من السجن، فإنهم يخلفون بخروجهم فراغا ملحوظا، فهم في الواقع طاقات للصمود وللذكاء وللتفاعل مع الأحداث، وكانت تندلع مشاكل وتقولات بين المناضلين، وبالطبع فإن خوض معركة نضالية في مثل هذه الظروف يعيد اللحمة إلى صفوف المعتقلين، ويكون لها دور تذويب الخلافات بينهم.

كما كان للإضراب هدف إسماع صوتنا والجهر بكوننا نرفض عملية نقلنا من الدار البيضاء وإبعادنا عن عائلاتنا، وكان الهدف الثالث هو التصدي لعنجهية مدير السجن وإشعاره بأننا سنواجهه

وسنقاوم كل مس بكرامتنا، وبطبيعة الحال أثمرت هذه المعركة نتائج ومكاسب، بحيث أصبحنا نطالب بحقنا في متابعة الدراسة لمن يرغب منا في ذلك، وفي التطبيب وفي التغذية الجيدة، والتنشيط الترفيهي والثقافي داخل المجموعة.

س : ما هي المدة التي تم الحكم عليك بها؟

ج : لم أحاكم وستستغرب إذا قلت لك إنني مازلت منذ 1980 إلى اليوم في وضعية السراح المؤقت، فنحن 5 مناضلين مازلنا في السراح المؤقت لأننا لم نمثل أمام المحكمة، ومع ذلك أفرج عنا.

س : كم قضيت في السجن؟

ج : قضيت 3 سنوات بدون محاكمة، وخرجت في سراح مؤقت بعد معركة طويلة، ففي البداية كان ملفنا جنائيا، وفي سنة 1978 خضنا إضرابا عن الطعام لتحسين وضعيتنا، وكانت النتيجة أن 18 مناضلا من مجموعتنا أفرج عنهم في سراح مؤقت، وأضيف إلينا 15 مناضلا في سنة 1979 ثم جيء فيما بعد إلى السجن بمناضلين آخرين، وكنا أثناء فترة الاعتقال نراقب ما يجري في الساحة السياسية، ونتابع كل التحركات التي كانت تقع فيها، وكنا بين الفينة والأخرى نخوض إضرابات محدودة لمدة 24 أو 48 ساعة للإعلان عن موقف من قضية من القضايا.

وكنا في نفس الوقت نتهيأ للمحاكمة، وبعد إعداد كل الشروط للدفاع عن أنفسنا أمام القاضي، طرح التساؤل علينا متى ستتم محاكمتنا بعد أن مرت ثلاث سنوات على اعتقالنا، فقررنا الدخول في إضراب عن الطعام تحت شعار محاكمة أو إطلاق سراحنا، لم يعد من المقبول بالنسبة لنا استمرار الوضع على ما هو عليه. ولقد هيأنا الظروف اللازمة لخوض الإضراب والتعبئة له والتضامن معنا في المعركة التي كنا مقبلين عليها.

وكانت المعركة ناجحة والشروط التي تمت فيها كانت لصالحنا، إذ مباشرة بعد أن دخلنا في إضراب بتاريخ 6 مارس 1980 وأعلنا عنه وبدأنا في تنفيذه بترديد الأناشيد وإفراغ كل ماله علاقة بالتغذية من زنزاناتنا، وتوجهت اللجنة المكلفة بالتفاوض عند الحارس المكلف بالجناح لتسليمه الرسالة التي تشعره بقرار الإضراب عن الطعام، وأتذكر أن جريدة المحرر في ذلك اليوم، وكان 6 مارس 1980، نشرت الخبر الذي يفيد بأننا نخوض إضرابا عن الطعام. مباشرة بعد ذلك وفي الساعة 12 أي منتصف النهار،

جاء إلى السجن قاضي التحقيق ووكيل الملك والطبيب الإقليمي ومدير إدارة السجون، وأظن الكاتب العام لوزارة العدل، وفتح النقاش مع اللجنة التي كانت مكلفة من قبلنا بالتفاوض معهم.

س : ممن كانت تتكون هذه اللجنة؟

ج : كانت تتكون من عبد الواحد بلكبير ومحمد حيثوم، وعبد ربه ومناضلين آخرين لم أعد أذكر اسميهما، ودخلنا مع اللجنة في المفاوضات، وكان عبد الواحد بلكبير سليط اللسان وله تكوين قانوني، فبادرهم بالقول، إذا كان الملف الذي نحاكم به يتعلق بأمن الدولة، فإن المطلوب والواجب يفرض عليكم مباشرته باستعجال، فنحن منذ 3 سنوات ونحن في الاعتقال، ولم يتم تقديمنا بعد للمحكمة، واليوم نحن نطالب إما بمحاكمتنا أو الإفراج عنا، وطلبوا منا مهلة 15 يوما للتفكير، فقلت لهم لا بأس، ها نحن في إضراب عن الطعام لمدة 15 يوما، وبعد أن تنتهي هذه المدة بإمكانكم الاتصال بنا، وطلبت من الإخوان أن نفض الاجتماع ونعود لزنزاناتنا، وفعلا خرجنا من المكان حيث كنا نتفاوض وعدنا للزنزانات...

وفي اليوم الموالي وكان الجمعة 7 مارس وضعوا طاولة في ساحة السجن وأخذوا يسجلون المعتقلين بأسمائهم وعناوينهم، وذهب بنا الظن إلى أنهم يخططون لتشتيتنا على السجون، ولكن في يوم السبت 8 مارس تمت المناداة على 47 معتقلا وأفرج عنهم، ولم نصدق الأمر في البداية إلى أن أكد لنا المدير بنفسه أن قرار الإفراج عنهم حقيقة لا مراء فيها، وأن كل المعتقلين سيطلق سراحهم بالتدريج، وبدأ الإفراج عن المناضلين يتم على دفعات إلى أن لم يبق في السجن إلا عبد الواحد بلكبير ومحمد شركو، ونور الدين غزة، وعبد السلام الفينا وعبد ربه، بالإضافة إلى بعض الصحراويين، وكان المدير يتصل بنا ويطلب منا توقيف الإضراب لأننا نحن أيضا سيطلق سراحنا قريبا، ولكن رفضنا توقيف الإضراب، وبعد 13 يوما من الإضراب تدهورت وضعيتنا الصحية بشكل حرج، فتم نقلنا إلى المستشفى الذي زارنا فيه قاضي التحقيق، وأجرى مع كل واحد منا، نحن الستة الذين كنا مازلنا في إضراب عن الطعام، تحقيقا حوالي الساعة الثامنة مساء ثم قرر بناء على فصول قانونية الإفراج عنا.

س : تم اتخاذ قرار الإفراج عنك في المستشفى وليس في المحكمة؟

ج : نعم اتخذ القرار من طرف قاضي التحقيق في المستشفى وذلك على إثر تكييف قاموا به للملف، لقد كان الملف جنائيا، أي نفس الملف الذي حوكم به المناضلون في سنة 1977، وأمام الضجة

التي أثارتها محاكمة 1977، سواء في داخل المغرب أو خارجه، تخوف الحاكمون من تقديمنا نحن أيضا للمحاكمة بنفس الشروط السابقة، مع ما قد ينتج عن ذلك من صخب وردود أفعال، لذلك قرروا تحويل الملف من ملف جنائي إلى ملف جنحي، وإحالة كل مجموعة على منطقة معينة لكي تحاكم فيها، وهكذا تمت إحالتي رفقة مناضلين آخرين على محكمة الدار البيضاء.

وفي كل المرات التي كان يوجه إلينا استدعاء للمثول أمام المحكمة، كان يتعذر عقد الجلسة لسبب من الأسباب، إلى أن توصلنا باستدعاء للمحاكمة عقب أحداث 20 يونيو 1981 حيث كان يُنظر في ملفات العديد ممن اعتقلوا عقب هذه الأحداث، فقررنا عدم الذهاب إلى المحكمة، وهكذا استمرت عملية التأجيل، من موعد لآخر إلى هذا اليوم. وبذلك ما زلت في سراح مؤقت منذ ذلك التاريخ إلى هذه اللحظة، والغريب في الأمر هو أنني اعتقلت سنة 1984 وتم الحكم علي بسنة سجنا نافذا، من غير أن يُثار معي أثناء محاكمتي كوني كنت لا أزال في سراح مؤقت.

س : وكيف تم اعتقالك سنة 1984؟

ج : كان الملك قد ألقى خطابا يوم الأحد ليلا وجاؤوا لاعتقالي في تلك الليلة، وتمكنت لحظتها من الإفلات، وفي الغد تأملت الأمر جيدا، وقلت مع نفسي أنا لم تعد لي ، لاعتبارات تخصني، أية علاقة بالتنظيم، فلماذا إذن الاختفاء عن أنظار البوليس وعدم مواجهته، لذلك توجهت إلى الكوميسارية وقدمت نفسي لهم، فقضيت ثلاثة أيام متتالية الاثنين والثلاثاء والأربعاء وأنا جالس فوق كرسي، وفي اليوم الأخير، وضعت العصابة على عيني وتم إنزالي إلى قبو، وشرعوا في تعذيبي دون أي سبب، فأنا لم أرتكب أي شيء أستحق عليه حتى المساءلة، وبالأحرى الضرب والتعذيب لمدة أسبوع بأكمله، فذنبي الوحيد تمثل في أنني كنت أشارك بعروض في بعض الندوات التي كانت تقام هنا وهناك ، وبعد إحالتي على المحكمة تم الحكم علي بسنة سجنا نافذا.

س : وما هي التهمة التي وجهت إليك وحكم عليك بموجبها بسنة؟

ج : كان في المحضر أنه بحكم أنني مناضل يساري، أنتمي إلى تنظيم إلى الأمام وإلى لنخدم الشعب، دفعة واحدة، وأنني أتعاطف مع منظمة العمل الديمقراطي الشعبي، وأنني عضو في النقابة الوطنية للتعليم، والجمعية المغربية لحقوق الإنسان، وحين انطلقت الأحداث اغتنمتها فرصة لتحريك الهواجس العدوانية لليساريين، وحرضتهم على الانتشار في الثانويات لحث التلاميذ على الخروج في

المظاهرات.. لقد لفقوا لي كوني أنني أنا الذي حركت في ساعات معدودة عددا هائلا من ثانويات الرباط التي كنت أطلق الصفير أمام أبوابها فليتف حولي التلاميذ وأقودهم في مظاهرات، وأنني كسرت واجهة القطار بالإضافة إلى 125 حافلة..

س : وأين كنت حقيقة في الوقت الذي اندلعت فيه المظاهرات سنة 1984؟

ج : حقيقة، كنت أُدرس بالصخيرات، والتلاميذ والأساتذة والإدارة شاهدون على ذلك.

س : وكلمتك الختامية لهذا الحوار؟

ج : أعتقد أننا تحدثنا عن جزء من المآسي التي عاشتها الشبيبة المغربية والشعب عموما في فترة من تاريخ المغرب. وأظن أن هذه المآسي جاءت نتيجة لكون المغرب كان يعيش اختناقا سياسيا لا يطاق، لقد كان الاستبداد شاملا وتاما، ولاشك في أن المناضلين الذين فجروا ديناميكية اليسار الجديد الذي كان يعتبر جديدا آنذاك، قاموا بذلك، ليس بغرض الدخول في صراعات مع أطراف يسارية أخرى موجودة في البلاد، ولكنهم تقدموا كعنصر إضافي لهذه القوى، طبعا كانت هناك صراعات فيما بين هذه القوى، وأظن أنها كانت ثانوية وغير ذات جدوى. فاليسار الجديد كان في العمق يشكل إضافة نوعية للحياة السياسية، وطالب بالوضوح السياسي، وتجلى مطلبه هذا في المؤتمر الاستثنائي للاتحاد الاشتراكي سنة 1975.

ولاشك في أن هذا اليسار قد عاش سلسلة متلاحقة من القمع مما لم يمكنه من طرح البرامج وتنظيم المواطنين حولها، بطبيعة الحال لا يمكن تفسير كل تاريخ اليسار بالقمع الذي تعرض له، ولعل هذا هو الذي أعطاه ديناميكية أصبحت تثمر توجهات ربما أكثر التصاقا بقضايا الناس وأكثر استعدادا للممارسة الجماهيرية الواسعة، وهذا ما لم يكن متوفرا في السابق، فحتى الهوامش والجزر الديمقراطية الموجودة في الساحة السياسية الوطنية اليوم، والتي خرجت بالنضال، فمن المؤكد أن اليسار ساهم فيها، مما يفتح آفاقا لتفاعل كافة القوى الديمقراطية لتحقيق شروط أحسن للنهوض بالبلاد.

محمد كرم

كان المعارض يعتبر معارضا بفكره وبقلبه وبيده

س : الأستاذ محمد كرم نود أن نفتتح معك هذا الحوار حول ظروف الاعتقال السياسي التي سبق لك أن عشتها بالسؤال الآتي في أي يوم وفي أي شهر وفي أية سنة وقع اعتقالك؟

ج : في الواقع يتعلق الأمر باعتقالين اثنين: الأول حدث يوم 26 مارس، عقب أحداث 3 مارس المعروفة بأحداث مولاي بوعزة، والاعتقال الثاني كان يوم 21 يونيو 1981 عقب الإضراب العام الذي دعت إليه الكنفدرالية الديمقراطية للشغل، والذي أعقبه ما يعرف بأحداث الدار البيضاء.

س : إذا كان ممكنا وضع القارئ خصوصا الشباب منه، في صورة أحداث 3 مارس 1973 والتي اشتهرت بأحداث مولاي بوعزة؟ ما هي هذه الأحداث، والأسباب التي أدت إليها؟

ج : بإيجاز، أحداث 3 مارس 1973 كانت ناجمة عن تسرب عناصر مغربية من الحدود الجزائرية المغربية إلى داخل الوطن، وتبين خلال المحاكمة التي انعقدت للنظر في هذه الأحداث ولمحاكمة مجموعة المتابعين في هذا الملف، الذين كان عددهم يربو على 160 معتقلا، عن طريق المحكمة العسكرية الدائمة، التي انعقدت بمدينة القنيطرة، واستعملت هيأة المحكمة، التي تشكلت لهذه الغاية، من الرئيس عبد اللطيف اللعبي، الذي كان قد ترأس عدة محاكمات سياسية مشهورة في المغرب، ومن جملتها محاكمة مراكش لسنة 1971، وكان إلى جانبه مستشارون ينتمون إلى تشكيلة مدنية وإلى تشكيلة عسكرية..

تبين من خلال صك الاتهام، ومن خلال النقاش والاستماع إلى المتابعين، أن الأمر كان يتعلق بمؤامرة ضد الأمن الداخلي للبلاد، هذا ما جاء في صك الاتهام الذي اشتمل على ما يفيد أن هناك تدبيرا مسبقا، وتداريب أقيمت في بعض الدول العربية، وبالخصوص في الجزائر وسوريا، وكانت تحت إشراف وتنسيق الفقيه محمد البصري، وعلى أن الوضع، انطلاقا من تحليل سياسي، كان ناضجا للقيام

بتمرد داخلي في الأطلس المتوسط، وعلى أنه بمجرد ما ستطلق الرصاصة الأولى، ستثور قبائل الأطلس والجنوب، وأن البلاد مهيأة لثورة عارمة وشاملة قد تحقق تغيير النظام في البلد، ولعل هذا هو ما جاء في صك الاتهام.

س : وما هي قراءتك اليوم لصك الاتهام هذا، وكيف كنت تنظر إليه في حينه؟

ج : الجواب الذي قدمه بعض المتابعين في هذا الملف خلال المحاكمة يفيد بأن الأمر يتعلق بتدريب للمشاركة في دعم الثورة الفلسطينية، وأن الأمر لا يتعلق باستهداف تغيير النظام في المغرب، ولكن الحقيقة من خلال ما لمسته شخصيا، من خلال المذاكرة مع المعتقلين، رغم النظام الذي كان متشددا داخل السجن المركزي بالقنيطرة، حيث إنه تم مباشرة عقب الأحداث اعتقال المئات من المناضلين، مع العلم بأن الحزب كان قد عرف حركته التصحيحية في 30 يوليوز 1972، وكان من المزمع أنه يقع تحضير للدعوة لمؤتمر كان مقررا أن ينعقد في سنة 1973 غير أنه انعقد بعد سنتين، وكان من المنتظر أن تصحح الأشياء داخل هذا المؤتمر، على أساس توضيح الخط الذي تبناه الحزب في مذكرة وبيان 30 يوليوز 1972، وهو التوجه الديمقراطي الذي أعلن عن اختياراته المؤتمر الاستثنائي.

كما لا ينبغي أن ننسى على أنه في شهر يناير 1973 تلقى كل من الشهيد عمر بنجلون والأخ محمد اليازغي طردين ملغومين، فطرد انفجر بالنسبة للأخ محمد اليازغي، وتأجل انفجاره بالنسبة للأخ عمر بنجلون إلى غاية 18 دجنبر 1975 . فمن خلال النقاش الذي أتيح لنا مع الإخوان الذي تسربوا على الخصوص من الجزائر، كان اعتقادهم أن الأمور ناضجة في المغرب، وأنه كان مطلوبا منهم القيام بدور داخل الأطلس.

س : وكيف كانت نظرة المناضل الاتحادي خارج منطقة الأطلس لأحداث مولاي بوعزة. هل كان يتعاطف مع أصحابها؟ هل كانت يتحفظ منها، هل كان بالإمكان أن يتصرف معها بنوع من اللامبالاة؟

ج : المتتبع لمسيرة الاتحاد، من 1959 إلى اليوم، يعرف أن القرارات الصادرة عن الاتحاد كان لها رأسان، قيادة الداخل وقيادة الخارج، ولم يتضح هذا الأمر إلا انطلاقا من المؤتمر الاستثنائي الذي أوضح أن ما يتقرر في الخارج ليس بالضرورة أن تكون القيادة في الداخل على علم به، ولكن ما يمكن لي أن أقوله في هذا الصدد هو أن معظم المناضلين كانوا ضد العمل البلانكي والمغامرة، عن طريق استعمال

العنف والسلاح. ولذلك، كان داخل المحاكمة نفسها، تميز من طرف الشرطة بين السياسيين الذين كنت من بينهم، وكذلك الشهيد عمر بنجلون، ومحمد اليازغي، وعبد العزيز بناني، واسماعيل عبد المومني، ومصطفى القرشاوي.. فهؤلاء كان يطلق عليهم مجموعة السياسيين، وبين غير السياسيين.

س : ولكن لماذا اعتقالهم أصلا إذا كانوا مجرد سياسيين، وليس لهم أي علاقة بأحداث مولاي بوعزة التي استعمل فيها العنف والسلاح؟

ج : كان من عادة أفراد البوليس، خلال وقوع أي حدث من الأحداث، أنهم يجمعون الأخضر واليابس، فالحدث كان يشكل مناسبة للاعتقال، لأن التأطير للمجتمع كان تأطيرا بوليسيا وأمنيا، وكان التوجه القمعي السائد يقوم على معادلة بسيطة: إما أنك مع النظام، وإما أنك ضد النظام، أي إما أنك موال، وإما أنك ضد النظام، فالمعارض كان يعتبر، لدى هذا التوجه الذي كان بوليسيا وقمعيا، وكان مهندساه هما أوفقير والدليمي وجماعتهما ، كان يعتبر المعارض معارضا بفكره، وبقلبه، وبيده.

فالمعارض لا ينتظر منه الخير، ولابد من محقه، وحين كانت تأتي مناسبة من المناسبات، كما حدث في سنة 1963، وفي سنة1969 كان الاعتقال يشمل أكبر عدد ممكن من المناضلين، وفي سنة 1973 كانت الطامة الكبرى لأن آلاف المناضلين ألقي عليهم القبض، وأغلقت المقرات الحزبية، ومنعت الجريدة، وصنف المناضلون، إما أنهم شاركوا في العمل المسلح، أو أنهم قيادة سياسية أحيلت على المحكمة بتهمة المس بالنظام العام والأمن الداخلي، وكانت المحكمة عسكرية، والباقي احتفظ به في الكوربيس في آنفا، وكان عددهم يناهز 1300 معتقل..

س : كم كان عمرك في اللحظة التي اعتقلت فيها سنة 1973؟

ج : كان عمري 29 سنة.

س : وماذا كان عملك؟

ج : كنت وقتها محاميا، كنت حاصلا على الإجازة في الحقوق، وكنت أمارس مهنة المحاماة، لأنني بدأت أمارس هذه المهنة كمتمرن ابتداء من 1967 إلى غاية 1970، ثم أصبحت محاميا رسميا ابتداء من مارس 1970.

س : ما هي الأحلام والمشاريع الكبرى التي كانت لديك كشاب في تلك الفترة ثم جاء الاعتقال ليحرمك من تحقيقها؟

ج : كنت كشاب في ذلك الوقت أحلم بمغرب تسوده العدالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وينعم فيه المواطن بالديمقراطية والحريات الفردية والحريات العامة، وبطبيعة الحال، كنت في بداية حياتي الزوجية أي أنني تزوجت سنة 1968، وكان لدي طفل ازداد سنة 1969، أي كان له أربع سنوات حين اعتقلت، لقد كنت في بداية حياتي العملية أشتغل على أساس أن يكون لي مكتب مستقل، وألبي حاجياتي الضرورية، وحاجيات أسرتي الصغيرة بما فيها أبي وأمي..

س : من هي الشخصيات السياسية التي كانت تبدو لك وأنت شاب رموزا ونجوما وكنت تتمنى أن تكون مثلها في كبرك؟

ج : كانت الشخصيات التي تمثل رموزا لنا في المجال السياسي بالمغرب معروفة، فالمهدي بنبركة وعبد الرحيم بوعبيد كانا بالنسبة إلينا رمزان نحترمها. ففيما يتعلق بي، لقد اقتربت كثيرا من المرحوم عبد الرحيم بوعبيد والشهيد عمر بن جلون خلال محاكمة مراكش، لأنني ساهمت كمحام في هذه المحاكمة، وكان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية شبه محظور، وكان يعيش ما كان يسمى بأزمة الوحدة، أو الاستمرار في الحوار مع الجناح النقابي. ولقد تشكلت هيأة من المحامين للدفاع عن المعتقلين الذين عرضوا على المحاكمة التي عرفت فيما بعد بمحاكمة مراكش الكبرى. فآنذاك، وقع لي احتكاك بشكل مستمر مع المرحوم عبد الرحيم بوعبيد...

س : هل رافعت كمحام دفاعا عن المعتقلين؟

ج : كان قد تقرر بأن لا نرافع، فلقد انسحب المحامون جميعهم في نهاية المحاكمة، وقرروا عدم المرافعة نظرا للخروقات التي صاحبت المحاكمة، ونظرا أيضا للملتمسات المبالغ فيها، التي تقدمت بها النيابة العامة، وكانت قد طالبت برأس أزيد من 20 معتقلا، أي دعت للحكم عليهم بالإعدام، والحال أن تلك التهم التي كانت منسوبة للمعتقلين أصبحت لاشيء أمام التهم التي نسبت للعسكريين الذين قاموا بالمحاولة الانقلابية في الصخيرات، فمحاكمة مراكش واكبتها محاكمة الصخيرات.

س : وأحداث 23 مارس 1965 ألم تشارك فيها؟

ج : لا، لم أشارك فيها، كنت طالبا في الرباط، والأحداث وقعت كما هو معلوم في الدار البيضاء، واعتقل خلالها أخي وأختي لأنهما شاركا فيها، وبعد هذه الأحداث وقع اختطاف الشهيد المهدي بن بركة، وشاركت في توزيع البيانات التي صدرت في ذلك التاريخ، وترجمة مقال كان أساسيا لأنه صدر بجريدة الاكسبريس، وقمنا بتوزيعه، وشاركنا في بعض المظاهرات الطلابية بمناسبة اختطاف المهدي بن بركة في الرباط.

س : وكيف كان وقع صدمة اختطاف واغتيال الشهيد المهدي بن بركة عليك؟

ج : لم تكن فقط صدمة، كانت زلزالا عنيفا ورهيبا، لأن المهدي بن بركة كان حلما بالنسبة للشباب، كما أنه كان رمزا ورائدا من رواد الدفاع عن القضايا الكبرى العادلة والإنسانية . قضايا العالم الثالث والقومية العربية، والإصلاح والتغيير في المغرب، كان رمزا بالنسبة لكل شاب، خصوصا وأنه رحمه الله اختطف وهو ما يزال شابا، لقد اختطف وعمره لا يتجاوز 40 سنة.

س : لماذا قررت وأنت شاب الانخراط في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، لماذا لم تفكر في الانتماء مثلا لحزب التحرر والاشتراكية؟

ج : كان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية هو الحزب الذي كنت أجد نفسي فيه، والحزب الذي كان مؤهلا لقيادة حركة التغيير في المغرب، وحزب التحرر والاشتراكية كان في نظري طبعة ثانية للحزب الشيوعي الفرنسي، فرغم أن قناعتي اشتراكية فإنني لم أكن أميل للحزب الشيوعي.

س : ألم يغريك ظهور الحركات الماركسية اللينينية في المغرب في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات بالانتماء لإحدى هذه الحركات، خصوصا وأنها كانت قد أصبحت موضة العصر بالنسبة للشباب آنذاك؟

ج : كنت أعتبر نفسي في اليسار، لأن حركة التصحيح تكون دائما على يسار حركة المحافظة، فبالنسبة لي كان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية هو الذي يمثل اليسار الحقيقي في المغرب.

س : كان الاتحاد يوصف من طرف اليسار الجديد بأنه حركة إصلاحية؟

ج : حركة إصلاحية بهدف إصلاح أي شيء؟ إصلاح الأوضاع في البلد على المستوى الدستوري

والسياسي والاقتصادي... فإنجاز إصلاحات كبرى في البلد، كما كان يدعو إلى ذلك الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، كان يعني القيام بثورة حقيقية، فأنا كنت أجد أن البرنامج الذي كان يدافع عنه الحزب هو برنامج منبثق من الطبيعة المغربية، ويتجاوب وينسجم مع الواقع الملموس للجماهير بأوسع فئاتها، والتي كان تواقة إلى التغيير، وكانت لي علاقات طيبة وعلاقات صداقة مع الإخوة في اليسار الجديد، وفي إطار مهمتي كمحام قمت بالدفاع سنة1972، عن الرفاق أعضاء مجموعة أنيس بلافريج، وأحمد حرزني وغيرهما، وكنت أدافع عن مجموعة من الإخوان منهم الأخ البردوزي والأخ عبد القادر الشاوي، وجمال بودرقة الذي كان فلسطينيا، وعبد اللطيف الدرقاوي، كانوا كلهم أصدقائي، وكنت أدافع كذلك عن الفنان محمد شبعة.

س : ألم تكن انتقاداتهم للحزب تنعكس بشكل سلبي على علاقة الصداقة التي كانت تربطكم؟

ج : جوابا على هذا السؤال سأفشي لك سرا، لما كانوا في السجن، كانوا يصدرون مجلة أنفاس وكانت منبرا يعبر عن رأي اليسار الجذري في المغرب، ولما اعتقلوا عرضوا علي أن أتولى إدارة مجلة أنفاس، لقد كان بيننا دائما حوار مفتوح، حتى في داخل السجن، أي في زياراتنا لهم في المزارات المخصصة للمحامين.

س : لنعد الآن إلى لحظة اعتقالك، أين حدث الاعتقال؟

ج : ستستغرب إذا علمت بأن اعتقالي تم بعد أن أنهيت المرافعة في أحد الملفات بمحكمة السداد آنذاك ، و التي كانت بدرب السلطان في الدارالبيضاء، لقد رافعت في أحد الملفات، ولما خرجت من قاعة المحكمة وبيدي بذلتي للمحاماة، وفي الأخرى محفظة تحتوي ملفات الموكلين، في باب المحكمة أوقفني شخص بلباس مدني وسألني عن اسمي، وطلب مني أن أرافقهم على أساس أنهم رجال شرطة.

س : وهل كنت تتوقع أن بالإمكان اعتقالك؟

ج : لم أكن أتوقع الاعتقال، ولكن احتمال الاعتقال كان واردا عند كل مناضل ناشط في مجال حقوق الإنسان، وفي الدفاع عن المعتقلين السياسيين، فالوضع لم يكن صحيا وسليما، ولذلك كانت كل الاحتمالات واردة، خصوصا بعد أن تم اعتقال جملة من الإخوان والأصدقاء الذين كنت مرتبطا بهم من بينهم الشهيد عمر بن جلون، والأستاذ محمد الحلوي، والمرحوم أحمد بلقاضي. لم يكن غريبا بالنسبة لي أن يقع اعتقالي رغم أنني كما أسلفت لم أكن أتوقع الاعتقال...

س : ألم تفكر في الاختفاء لبعض الوقت عن الأنظار ريثما تمر الحملة، أو مغادرة المغرب تجنبا للاعتقال؟

ج : كنت مقتنعا أشد الاقتناع أن العمل الذي أقوم به هو عمل مشروع، وفي إطار القانون، وبطبيعة الحال عندما تكون مقتنعا بأن عملك يتم في إطار القانون والشرعية، فإنك سترى أنه لا داعي للتوجس وللاختفاء ولأخذ احتياطات حتى، تجنبا للاعتقال، وبالأحرى التفكير في مغادرة المغرب.

س : عندما قام الشرطي بتوقيفك وطلب منك بأن ترافقهم ماذا حدث بعد ذلك؟

ج : طلب مني أن أصاحبه إلى سيارة سوداء اللون من نوع فياط 125، وكان معروفا أن هذا النوع من السيارات فياط سبسيال، هو للشرطة السياسية، فركبت في المقعد الخلفي، وطلب مني أحدهم أن أنحني لأختفي عن الأنظار، وغطى رأسي ببذلتي التي هي بذلة المحاماة، وكانوا 3 رجال للشرطة، واحد يقود السيارة، والثاني إلى جانبه في المقعد الأمامي، أما الثالث فكان يجلس في الخلف إلى جانبي...

س : قبلت ببساطة أن ترافقهم؟

ج : بكل بساطة، بحيث لم أطالبهم حتى ببطاقات هويتهم، ولما ركبت معهم في السيارة اتصل أحدهم عبر الراديو اللاسلكي برؤسائه، وأخبرهم بأن المهمة أنجزت، وبمجرد ما قطع مسافة معينة علمت أنهم في طريقهم نحو درب مولاي الشريف، لقد كنت أعلم بوجود معتقل درب مولاي الشريف، لأنني كنت أدافع كمحام عن معتقلين مروا من هذا المعتقل.

س : هذا المعتقل كان سريا، كيف تمكنت من التعرف عليه؟

ج : أنا ابن الدار البيضاء، ازددت فيها وأعرف أحياءها وشوارعها بشكل جيد، وأعرف، عن طريق مهنتي كمحام، أن عددا كبيرا من المعتقلين مروا من هذا المعتقل السري، وأنه خاص بالمعتقلين السياسيين . وكان الأمر كذلك، لقد تم اقتيادي إلى درب مولاي الشريف، إذ لما وصلناه، كانت ساحته بدون إسفلت مبلط، وساعتها وضعوا على عيني العصابة والأصفاد في يدي، وأدخلت في باب رئيسي، وطلبوا مني الجلوس في ساحة وأن أتكئ على جدار.

س : طلبوا منك الجلوس على كرسي؟

ج : لا، الجلوس أرضا، وأخذوا بذلتي ومحفظتي وعلمت فيما بعد أنهم قاموا بتسليمها

لشريكي في المحاماة بعد 3 أو 4 أيام، ولما جلست في تلك الساحة الداخلية شعرت بوجود ممر طويل، بسبب مجرى للهواء، وشعرت بوجود عدة معتقلين إلى جانبي، ولازلت أذكر أن أحد المعتقلين كان بجواري، وكان يردد باستمرار: الظلم صعيب/ الظلم صعيب. فهذه هي الجملة التي كان يرددها، بعد حوالي نصف ساعة، سمعت رنين أواني كانت ترمى في الممر، فلقد جاء وقت الأكل، ووضعوا أمامي صحنا من الألومنيوم، وكان يحتوي على الطعام الذي كان لا يسلم يدا بيد، ولكن يرمى الصحن أمام المعتقل، ليأكل ما بداخله، ولم تكن لدي ساعتها شهية للأكل، لقد اكتشفت أنني معتقل بدرب مولاي الشريف، وما أدراك ما درب مولاي الشريف.

س : من هم المعتقلون الذين تعرفت عليهم في اليوم الأول؟

ج : أظن أنني تعرفت في اليوم الأول على الأخ محمد أزغار، وربما تعرف علي قبل أن أدرك أنه كان بجواري، فبعد حوالي ساعتين، نودي علي، ليس بالاسم، ولكن وضع أحد الأشخاص يده على كتفي وطلب مني مرافقته، ودخلت لأحد المكاتب، وشعرت أنه كان يضم عدة أشخاص، ولازلت أتذكر السؤال الأول الذي طرح علي، وكان عن ما هي علاقتي بعباس بودرقة، و قلت هذا لعباس بودرقة لما التقيته، لأول مرة في السودان، في مؤتمر للمنظمة العربية لحقوق الإنسان.

وكان جوابي أنني أعرفه كمحام متمرن بمكتب الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد في الرباط، وفعلا كانت هذه هي حدود معرفتي بالأستاذ عباس بودرقة، لا أقل ولا أكثر، وبعد هذا الجواب انطلقت الحصة الأولى من التعذيب عبر الفلقة والجفاف، ومن بين الأسئلة التي طرحت علي، إن كنت أعرف عمر دهكون، وكان جوابي أنني أعرفه بالاسم، من خلال ملف محاكمة مراكش، لأنه كان متابعا غيابيا، ولأنني كنت أنوب على عدد من المعتقلين في هذه المحاكمة، فلقد كنت أعرف اسمه والدور الذي نسب إليه في محاكمة مراكش، ولم يسبق لي أن تعرفت عليه كشخص، لا في علاقة تنظيمية، ولا في علاقة إنسانية، وسئلت عن سبب تطوعي للدفاع عن المعتقلين السياسيين، ولماذا لم أطالب بأتعاب عن هذه الملفات. وكان ردي أن هذه قضية قناعة، وأن المحامي حر في أن يطلب الأتعاب وأن لا يطلبها...

وفي لحظة كنت خلالها معلقا في وضعية ما يسمى بالبيروكي سقطت العصَابة عن عيني لبرهة وجيزة، ولقد رأيت واحدا ممن كانوا يعذبونني، ولمحت تقاسيم وجهه التي رسمت في ذاكرتي إلى

اليوم، وعرفت فيما بعد أن اسمه مقبول، تعرض لحادثة سير فيما بعد، وتوفي نتيجة لها، وفي تلك الجلسة أوقفوا عملية التعذيب، وطلبوا مني التحرك لكي تسري الدماء في قدمي وساقي وطلبوا مني القفز، وبعد ذلك سمعت سؤالا لشخص قالوا له: عمر دهكون هل تعرف محمد كرم، وكان جوابه نعم أعرفه كمحام، وسألوه إن كانت له سابق علاقة بي، فنفى أن يكون قد سبق أن ربط علاقة بي، وأزالوا العصابة عن عيني وقالوا لي: انظر هل تعرف هذا الشخص، وكانت هذه أول مرة أرى فيها عمر دهكون، وكان ملتحيا كدليل على أنه قد اعتقل قبلي، وكان يرتدي بذلة كاكية.

س : بعد انتهاء الحصة الأولى من التعذيب بدرب مولاي الشريف ماذا طلب الجلادون منك، وماذا جرى بعدها؟

ج : أدخلت إلى الزنزانة خلال شهر يونيو 1973 حيث أنني قضيت في ضيافة الشرطة بدرب مولاي الشريف تقريبا شهرين ونصف، وكانت كلها بالبانضا والأصفاد، ونزعت مني ملابسي لارتدي بذلة كاكية، وأعطيت رقما، لأنه لا ينادى على المعتقل باسمه ولكن بالرقم، وقالوا لي إذا أردت أن تطلب شيئا من رجل الشرطة فناديه بالحاج.

س : كم كان عدد حصص التعذيب التي تعرضت لها؟

ج : تعرضت لثلاث حصص، وكانت من بين هذه الحصص، حصة يتم فيها استعمال آلة كهربائية كانت تسمى النحيلة ، توضع في الأماكن الحساسة للوجه، ولأنني لا أملك شعرا، فإنهم كانوا يضعونها فوق رأسي، وكانت تسبب ألما قويا للمعتقل، لأنها تطلق عليه شحنة كهربائية قوية، وما زلت أذكر أن عيد المولد النبوي تصادف مع وجودنا في درب مولاي الشريف، فتم استدعائي يوم العيد، ودخلت احد المكاتب، وكان الذي استنطقني هو قدور اليوسفي، فمن خلال المحاكمات السابقة، كنت أعرفه حتى من ملامح وجهه.

س : كيف كنت تعرفه من خلال المحاكمات السابقة؟

ج : كان يأتي في مرافقة المعتقلين للمحاكم، هو والحمياني، الذي كان رئيس الفرقة الوطنية، كانا يشرفان على جميع الاستنطاقات في درب مولاي الشريف بالنسبة لأحداث 3 مارس 1973، وتمت إفادتي خلال هذا الاستنطاق أن الشخص الذي أرسل الطرد الملغوم للشهيد عمر بنجلون قد ألقي القبض عليه، وأنه رهن الاعتقال.

س : وهل صحيح كان قاتل عمر بنجلون رهن الاعتقال؟

ج : لم يكن ذلك صحيحا، كانت كذبة واضحة.

س : وما هي الغاية من هذه الكذبة؟

ج : لست أدري، وبعد شهرين ونصف تقريبا تم اقتيادنا في عدة سيارات، وكنا بالأصفاد والعصَابات، وتم حشرنا في هذه السيارات، كنا مكدسين فوق بعضنا البعض، ولم تكن لنا إمكانية اختيار طريقة الجلوس، ومضت السيارات بسرعة لأنها كانت مرافقة بدراجات نارية، لكي يفتحوا أمامها الطريق، ووقع اقتيادنا إلى السجن المركزي بالقنيطرة.

س : من درب مولاي الشريف مباشرة إلى السجن المركزي بالقنيطرة؟

ج : قبل إحالتنا على السجن عرضنا على قاضي التحقيق في المحكمة العسكرية، أو بتعبير أدق أحلنا على النيابة العامة، لأننا عرضنا على أساس حالة تلبس، وكنا في حالة يرثى لها من حيث الأوساخ والروائح الكريهة المنبعثة من ملابسنا، كنا في نفق ننزل إليه بثلاثة أدرج، وكان عرضه لا يزيد علي 1.60 متر، وكان يضم حوالي 20 معتقلا، والذي كان يستلقي لينام على ظهره، كان يجبر على أن يرفع قدميه ليضعهما على الجدار، أما إذا نام على جنبه فإنه كان ملزما بأن يثني ساقيه نحو صدره، وكما قال الإخوان أحمد حرزني وعبد القادر الشاوي، وكل الذين أجريتم معهم حوارات في هذا الشأن، فإنه لم يكن للمعتقل حق الكلام مع رفاقه، والذي يضبط وهو يتكلم، فإنه كان يلاقي أشد العذاب.

س : أليس من المستحيل على السجين أن يتقيد بهذا الأمر ويحترمه، إنه في حاجة ماسة إلى الكلام؟

ج : نعم، ولذلك يتحايل المعتقل ليخاطب إخوانه المعتقلين معه، ولكن إذا ضبط فهو قد يعاقب بسبب ذلك، فمرة كان إلى جانبي المرحوم مصطفى اجدايني الذي نفذ فيه حكم الإعدام، كان يعذب أشد العذاب، وكان يأتي وكله مغمور بالمياه، ولا يقدر على حمل الخبز أو الصحن لتناول وجبته من الطعام ،الذي كان عبارة عن أكل بسيط جدا لكي يستمر المعتقل على قيد الحياة، فطيلة المدة التي قضيناها في درب مولاي الشريف، لم يسبق لنا أن تناولنا الخضر والفواكه، دائما العدس أو المحمصة، أو الخبز والشاي، فحتى في عيد المولد النبوي لم يكن الأكل متميزا.

س : لنعد إلى المحاكمة.

ج : أحلنا على النيابة العامة لأننا خضعنا لمسطرة التلبس، وتم الاستماع إلينا، وفيما يخصني فقد أنكرت كل التهم المنسوبة إلي.

س : ما هي هذه التهم التي نسبت إليك؟

ج : المس بأمن الدولة الداخلي، وتكوين تنظيم سري الهدف منه قلب النظام، ولقد أحلنا على السجن المركزي، ووضعنا في زنزانات منفردة، وكانت الغاية من ذلك هي فرض عزلة على المعتقلين لكي لا يتم التنسيق فيما بينهم أثناء المحاكمة.

س : وكيف كانت الظروف التي مرت فيها المحاكمة؟

ج : كانت المحاكمة في جو استثنائي، فالمحكمة العسكرية هي محكمة استثنائية، ولذلك فإن جميع نشطاء حقوق الإنسان والحركة الديمقراطية في المغرب يطالبون من زمان بإلغاء المحاكم الاستثنائية، بما فيها المحكمة العسكرية، كان الجو استثنائيا، فالمحكمة التي باشرت فيها الهيئة الجلسات، كانت مطوقة بأفراد الجيش، فحتى سطحها كانت فيه عناصر من الجيش، وكانوا مسلحين، وكان يتم مرافقة المعتقلين في شاحنات عسكرية من السجن إلى مقر المحكمة، ومنها إلي السجن.. وقبل تحرك الموكب الذي كان يتشكل من عدة شاحنات كانت تقل 165 معتقلا... وكان الموكب لا يتحرك إلا بعد أن ترافقنا طائرة مروحية تحلق فوق الشاحنات من السجن إلى غاية مقر المحكمة، الذي كان مدججا بمختلف فرق الأمن العسكري.

وكانت قاعة المحكمة صغيرة تستوعب بالكاد عدد المعتقلين، ولم تكن تتوفر الشروط للمحاكمة العادلة، لأنها كانت غير مفتوحة على أنظار الرأي العام، وخضع المحامون لسياج يبعد عن المحكمة بحوالي 700 متر، ولا يدخل أي محام إلى القاعة إلا إذا كان يملك بطاقة تسلم إليه من لدن النيابة العامة العسكرية، لكي يتمكن من اجتياز السياج الأول للأمن، ثم السياج الثاني، والثالث الذي كان في داخل المحكمة، فلم يكن يسمح لغير المحامين، وبعض الصحافيين الذين كانوا يتابعون المحاكمة، وعلى الخصوص جريدة العلم، وبطبيعة الحال وكالة المغرب العربي للأنباء، والإذاعة والتلفزة اللتان كانتا تسجلان كل فصول المحاكمة، لهما، أوربما لجهة أخرى..

س : وكيف كانت الأحكام الصادرة في حقكم؟

ج : نحن المجموعة التي كانت مصنفة سياسية، صدرت في حق أفرادها أحكام بالبراءة.

س : والمجموعة التي كانت مصنفة عسكرية؟

ج : كانت الأحكام تتراوح بين الإعدام والحكم بخمس سنوات، ونفذت أحكام الإعدام بعد أن طعنت النيابة العامة بالنقد في الأحكام الصادرة ضد هذه المجموعة واعتبرتها مخففة بالنسبة لبعض الأشخاص الذين كانت رؤوسهم مطلوبة، وكان هذا هو الثمن الذي أداه محمد اللعبي رئيس المحكمة الذي حوسب حسابا عسيرا لأنه لم يستجب لكل طلبات النيابة العامة للحكم بالإعدام، فالمجلس الأعلى قرر نقض الحكم، وارتفعت أحكام الإعدام إلى ما يزيد عن 20 حكما بالإعدام.

س : رغم الحكم عليكم بالبراءة، لم تخرجوا من السجن، فكيف وقع ذلك؟

ج : لقد حاولت الاجتهاد للوقوف حول إن كانت هناك سوابق حتى في الأقطار التي كانت مشهورة بالممارسات القمعية الشرسة، هل سبق لنظام بوليسي أو عسكري أن صدرت أحكام بالبراءة من محاكمة، وبعد ذلك يتم اعتقال الأشخاص الذين صدرت في حقهم أحكام بالبراءة من داخل السجن ليزج بهم في سجن آخر. فحتى الإجراء الشكلي القاضي بخروجنا من السجن بعد الحكم الصادر في حقنا لم يحترم، وداسوا على كل الاعتبارات القانونية والإنسانية، ولم يبق هناك أي اعتبار في حالتنا، فلقد جاءت عائلاتنا تنتظر في باب السجن، لأن الأحكام صدرت يوم الخميس 30 غشت 1973 على الساعة 11 والنصف صباحا، وكان منطوق الأحكام قد نقل مباشرة عبر الإذاعة، ولذلك جاءت الأسر بكثافة تنتظر خروج ذويها من السجن..

ولقد مكثنا ننتظر إلى حدود منتصف الليل، وقمنا بتوزيع ملابسنا وحاجياتنا على المعتقلين الذين كانوا قد حكموا بالسجن أو بالإعدام، وكنا نتوقع أننا سنخرج من السجن، إلا أنهم أخرجونا إلى ساحة السجن، ووضعوا الأصفاد في أيدينا والعصَابات في أعيننا، وطلب منا الصعود إلى شاحنات، كنا نتوقع وننتظر، بل كنا شبه متأكدين بأننا أفرج عنا، وأننا في طريقنا لذوينا، وإذا بنا نساق في شاحنات إلى مكان مجهول.

س : وما هو الشعور الذي سيطر عليك عندما وضعت العصَابة في عينيك والقيد في يديك ووضعت في الشاحنة؟

ج : شعوري الشخصي كان هو أن شيئا ما وقع في البلاد، وأنهم سيحملوننا لجهة ما قصد تنفيذ أحكام الإعدام في حقنا أو شيء من هذا القبيل، فهذا هو شعوري آنذاك أنا شخصيا، فربما تكويني القانوني، كان يتغلب علي أكثر من تكويني السياسي، وكنت أقول من المستحيل أن مثل هذه الأشياء تقع دون أن يكون الدافع لها عامل خارق وغير طبيعي، فهناك دائما شكليات، ومهما كان الظلم والتعسف وعدم التقيد بالقانون، فمن الضروري احترام الحد الأدنى ولو من الشكليات، وكون هذه الشكليات لم تحترم حتى في حدها الأدنى، فمعنى ذلك أن هناك شيئا ما طرأ في البلد، وأن المحظور يمكن أن يقع، وأن تنفذ أحكام الإعدام في الأشخاص الذين صدرت في حقهم أحكام البراءة، أو تصفيتهم. ولحسن الحظ لم تتم التصفية، ولكن وقع اقتيادنا إلى ثكنة عسكرية علمنا لاحقا أنها توجد في تمارة...

فلقد وصلنا إلى هذه الثكنة في جو رهيب يذكر بأفلام تتكلم عن الحرب العالمية الثانية أو الفيتنام. نزلنا من شاحنات تحت وقع أنوار كاشفة ولم نكن نعلم أين نحن، ثم وقع اقتيادنا، فيما بعد إلي غرفة كبيرة وسنعرف أنهم قسموا المجموعة المكونة من المبرئين إلى مجموعتين 40 في كل غرفة بنوافذ كبيرة كانت مشرعة، وتدخل علينا الأمطار منها وكذلك البرد القارس، لقد كان معي في نفس الغرفة الشهيد عمر بن جلون، ومحمد اليازغي، واسماعيل عبد المومني، واحمد بلقاضي، وتوفيق الادريسي، والدكتور عمر الخطابي. وفي الغرفة الثانية كان يوجد مصطفى القرشاوي وعبد العزيز بناني ومحمد العلوي، وقضينا في هذه الثكنة حوالي 6 أشهر بدون أن توجه إلينا أي تهمة.

س : ألم يخاطبكم أحد من المسؤولين في شأن هذه الوضعية التي كنتم فيها؟

ج : خاطبنا أحد المسؤولين في شهر دجنبر وطلب منا توقيع محضر لكي يفرج عنا، البعض وقع، وأنا رفضت التوقيع، لأنني طلبت الاطلاع على المحضر قبل التوقيع. وتبين فيما بعد أن هذا المحضر يتعلق بفبركة ملف جديد، أحلنا بموجبه على قاضي التحقيق، لأنه في منتصف فبراير تم تقسيم 165 معتقلا إلى 3 مجموعات، مجموعة مكونة من 32 معتقلا، أحيلت من جديد علي السجن المركزي بالقنيطرة، بتهمة محاولة اغتيال ولي العهد والتخطيط للهروب من السجن والسعي للاستيلاء على السفارة المغربية في لندن، والمجموعة الثانية أحيلت على المستشفى للإفراج عن أعضائها فيما بعد،

وهؤلاء كان عددهم قليلا... الأخ محمد الحلوي، وبلقاضي وآخرون، الأخ اليازغي نقل إلى إفران، ووضع تحت الإقامة الإجبارية إلى غاية شهر يونيو 74 حيث تم الإفراج عنه، والبقية أحيلت إما إلى قلعة مكونة، أو معتقلات سرية أخرى، وهناك أشخاص كانوا معنا في تمارة وعلمت فيما بعد أنهم في قائمة المختفين والذين افترقنا عنهم في شهر فبراير 1974 حيث كانت تلك آخر مرة رأيناهم فيها...

س : ألا يمكنك استنتاج الأسباب التي كانت وراء اختفاء من اختفوا؟

ج : ليس لي علم بالأسباب، ولكن فيما يخص بلقاسم وزان مثلا، كان ينتمي إلى القوات المساعدة، ولم يكن ربما مقبولا منه التورط في عمل من هذا القبيل.

س : وماذا وقع بعد أن وجه لكم قاضي التحقيق تهمة محاولة اغتيال ولي العهد؟

ج : أنكرنا هذه التهمة، وذكرت قاضي التحقيق بكوني لم أوقع على المحضر، واحتفظ بأحد الإخوان الذين كان قد صدر في حقهم حكم بالإعدام، احتفظ به للشهادة ضدنا وضد الشهيد عمر بنجلون على الخصوص، الذي كان، رغم ذلك الشاهد، يصر على عدم التسرع في توجيه رسائل العفو بعد صدور الأحكام بالإعدام.

س : هل الجث على عدم طلب العفو يستحق أن يكون تهمة يسأل عنها المعتقل قبل أن يحاكم بسببها؟

ج : لا، كانت تعتبر من القرائن، أي أن عمر بنجلون كان يدعو المعتقلين لعدم تقديم أي طلب للعفو، لأن هناك مخططا لإخراجهم من السجن، عبر تنظيم هروب جماعي، فهذه مرتبطة بتلك، فعدم تقديم ملتمس للعفو معناه أن هناك إعدادا لتنظيم هروب جماعي، فالشهادة التي أدلى بها ذلك الأخ، كانت ترمي التأكيد على وجود تدبير مسبق لتنظيم فرار من السجن، والغاية من هذا الهروب هي القيام باغتيال ولي العهد، أي أن هناك مخططا شاملا، ولقد احتفظ بهذا الأخ، ونفذ فيه الحكم بالإعدام بعد أن استمع لشهادته، وكان قد نبهه الشهيد عمر بنجلون أثناء المواجهة لدى قاضي التحقيق، بأن شهادته لن تفيده في التخفيف عنه، وأنه قد تم استعماله للشهادة ضد رفاقه، ونفذ فيه حكم بالإعدام في شهر غشت 1974. أما أنا فلقد مكثت في السجن من شهر فبراير إلى غاية 10 مايو 1974 وفي الساعة 11 ليلا تقريبا جاءني مدير السجن ودق في باب زنزانتي، ودعاني للاستعداد للخروج، لأن هناك قرارا للسراح المؤقت بالنسبة لي.

س : دون المثول أمام المحكمة؟

ج : كان الملف مازال لدى قاضي التحقيق، وبإمكانه أن يفرج عن المعتقل في سراح مؤقت، وأنا لم ألتمس السراح المؤقت، ولقد اخبرني المدير أن إدارة السجن توصلت ببرقية من وزارة العدل تفيد بأن هناك قرارا للسراح المؤقت بالنسبة لي ولعبد العزيز بناني، ورفضنا الخروج قبل الاطلاع على القرار، وفعلا أطلعنا مدير السجن على البرقية، التي كانت واردة عليه من وزارة العدل، والتي كان فيها أن قرار السراح المؤقت اتخذه قاضي التحقيق، الذي لم يوقع في حقيقة الأمر على القرار إلا بعد يومين، أي أنه لم يكن على علم بقرار الإفراج. وهكذا أفرج عني أنا والأخ عبد العزيز بناني، في حين أن عمر بنجلون وإسماعيل المومني وتوفيق الإدريسي ومصطفى القرشاوي، هؤلاء لم يفرج عنهم إلا في شهر غشت سنة 74 في سراح مؤقت، ولم نحاكم إلا في سنة 1976، في محكمة الجنايات بالرباط التي أصدرت أحكاما بالبراءة في حقنا.

س : الإنسان الذي قضى مدة طويلة في زنزانات الدولة وفي سجونها ومعتقلاتها السرية وتعرض للتعذيب والإهانة، ثم تحكم عليه محاكمها في النهاية بالبراءة، هل يخوله القانون حقا ما إزاء هذه الدولة، هل عليها واجب ما تجاهه؟

ج : من باب مبادئ العدل والإنصاف والقواعد التي أصبح جاريا بها العمل الآن والمعتمدة من طرف المجتمع الدولي، فإن الدولة ينبغي أن تتحمل مسؤوليتها إزاء هذا الشخص الذي كان بريئا تماما مما اتهم به، وذلك استنادا لحكم قضائي. فهذا الضرر ينبغي أن يقدم تعويض عنه، وأنا شخصيا لم أتقدم بطلب تعويض، لأنني لا أعتبر أن الدولة يمكنها أن تعوضني عن الأيام والساعات والدقائق التي حرمتني فيها من حريتي، التي هي أثمن شيء بالنسبة لي، وحرمتني من أسرتي وعملي ونشاطي السياسي والثقافي، فأنا لم أتقدم بطلب في هذا الصدد، ولكن القانون المغربي الحالي معقد من ناحية طلب التعويض، لأنه يميز بين إذا كانت الدولة هي التي قامت بارتكاب الضرر، أو شخص عادي هو الذي يقدم شكاية ضد آخر وصدر حكم بالبراءة لصالح الذي تم اتهامه بالباطل، ففي الحالة الثانية يمكن رفع شكاية من طرف المتضرر بالوشاية الكاذبة، في حين إذا كانت النيابة العامة هي التي حركت المتابعة، لا يمكنك تقديم شكاية بالوشاية الكاذبة ضد النيابة العامة.

س : وطلب التعويض عن الضرر؟

ج : هناك هذه الإمكانية، غير أن المسطرة معقدة جدا ...

سعد الله صالح

هكذا انتابنا الحنين إلى درب مولاي الشريف

س : الأخ سعد الله صالح نود أن نفتتح معك الحوار حول الظروف التي تم فيها اعتقالك بسبب نشاطك السياسي بالسؤال التالي،أولا إن كان بالإمكان تقديم نبذة ولو موجزة عن حياتك للقارئ. من هو سعد الله صالح الذي تعرض وعانى من الاعتقال السياسي؟

ج : اسمي سعد الله صالح، من مواليد 1934 بمدينة الكارة، بطبيعة الحال كانت دراستي الابتدائية بهذه المدينة، وفي سنتي 1948 – 1949 التحقت بأول مدرسة أنشأتها الحركة الوطنية بالكارة، ثم جئت إلى الدار البيضاء، وأنا ابن 16 سنة واشتغلت في مهنة الحلاقة، وكنت في نفس الوقت أتابع دراستي بمدارس حرة. ولقد جاءت كما هو معلوم أحداث 1952 التي استشهد فيها النقابي التونسي فرحات حشاد، فاندلعت المظاهرات في الدار البيضاء احتجاجا على اغتياله، وفي هذه المظاهرات وقع اعتقالي وأنا ما زلت شابا في مقتبل العمر، وبعد استنطاق وتعنيف قررت السلطات الاستعمارية إعادتي للكارة.

وفي سنة 1953 عدت مجددا للدار البيضاء، بكيفية سرية واتصلت بمجموعة من الإخوان كانوا أعضاء في المقاومة واشتغلنا جميعا إلى أن حصل المغرب على استقلاله، وبعد الاستقلال وقع حادث اختطاف الطائرة التي كانت تقل أحمد بن بلة والزعماء الجزائريين، الذين كانوا يرافقونه، فتقرر أن يتم تكويننا، نحن مجموعة من المقاومين ككموندو للقيام بعمليات مماثلة في فرنسا كرد فعل على القرصنة التي قامت بها الطائرات الفرنسية للطائرة التي كانت تقل أحمد بن بلة من المغرب.

س : أخذتم تفكرون في خطف طائرة فرنسية؟

ج : القيام بخطف طائرة فرنسية، أو عمليات مماثلة تكون بمثابة رد فعل على ما قامت به فرنسا.

س : أين كنتم تتدربون؟

ج : في مدينة بن سليمان، وكان التدريب تحت إشراف الجيش.

س : الجيش المغربي هو الذي كان يشرف على تدريبكم ؟

ج : الجيش في الواقع كان يشكل غطاء لنا، والذين كانوا يدربوننا هم ضباط مغاربة وسوريون، ولقد تم تدريبنا بشكل مكثف على أساس الذهاب إلى فرنسا للقيام بعملية مشابهة لما قامت به فرنسا في المغرب، ولكن في آخر لحظة اتخذ قرار يقضي بإلغاء السفر والعملية التي كنا نعتزم القيام بها.

س : هذا التدريب الذي كنتم تقومون به في بن سليمان هل كان في إطار رسمي، أي تحت إمرة الدولة ووصايتها أم أنه كان تحت إشراف الحزب؟

ج : كلاهما، فأنا أظن أن التدريب كان يتم باتفاق محمد الخامس رحمه الله وتحت إشراف الحكومة الوطنية وقتها، ولكن تم تأجيل ذهابنا لفرنسا، فنحن كنا نتدرب بأمر من قيادة المقاومة، فهي التي اختارتنا لهذه المهمة، ولما تم الاستغناء عن القيام بعمل ما في فرنسا شبيه بما قامت به في المغرب، تقرر أن أذهب للصحراء، في إطار جيش التحرير، وفعلا التحقت بالصحراء سنة1957، وكنت مع مجموعة من الشبان نمارس نشاطنا في إطار جيش التحرير إلى أن جاءت ثورة آيت باعمران التي شاركت فيها، وكنت على رأس فرقة شاركت في الثورة حيث اعتقلنا عددا مهما من الاسبانيين ثم سلمهم محمد الخامس لاسبانيا في إطار مفاوضات ثنائية، ولأن بعض العناصر لم تكن موافقة على استمرار جيش التحرير فقد تم حله، فعدت لممارسة التعليم.

س : عدت لممارسة التعليم بالدار البيضاء؟

ج : لا بمدينة برشيد، وكنت في نفس الوقت مسؤولا عن الجهاز الحزبي والنقابي بهذه المدينة، أي الاتحاد المغربي للشغل والاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

س : لننتقل الآن للاعتقال السياسي، أول اعتقال لك في أي يوم وفي أي شهر وفي أي سنة كان هذا الاعتقال؟

ج : أول اعتقال سياسي تعرضت له كان بتاريخ 13 يوليوز 1963 عندما كانت اللجنة الإدارية في اجتماعها بمقر الحزب بشارع علال بن عبد الله حاليا، لقد تم الهجوم علينا من طرف المدير العام للأمن الإقليمي الذي كان هو بلقاسم، وتم اعتقالنا كلنا، وكان يترأس الاجتماع الأستاذان عبد الرحمان

اليوسفي وعبد الرحيم بوعبيد رحمه الله، فبعد أن تبين لنا أن الاعتقال سيشملنا قررنا الاعتصام بمقر الكتابة الإقليمية للحزب، ففي تلك الفترة حوالي الساعة 9 ليلا كسر البوليس الباب واقتحم المقر، وقال أفراده لعبد الرحيم بوعبيد وعبد الرحمان اليوسفي، إن لنا أمرا باعتقالكم، والتفت إلينا المرحوم عبد الرحيم بوعبيد وقال لنا إن عميد الأمن الإقليمي أعرب عن رغبته في اعتقالنا، ونحن ليس لدينا أي مانع.

س : كنتم في اجتماع رسمي لحزب شرعي، ألم يخطر في بالكم رفض الامتثال لأوامر أفراد البوليس ومقاومتهم لكي لا يقع اعتقالكم؟ ألم تراود أي أحد منكم هذه الفكرة ليعلن عنها للحاضرين؟

ج : كانت الفكرة هي أن نحاول التسلل لمغادرة المقر، ولكننا كنا مطوقين من جميع المناطق بحيث كانت هناك حوالي 40 أو " 50 فاركونيت"، وكان كل درج من أدراج العمارة، التي كانت مكونة من ثلاثة طوابق، يوجد فيه رجلا أمن، فلم يكن لأي أحد منا أي مجال لمغادرة المقر أو لمقاومة الامتثال لقرار الاعتقال، لم تكن هناك أي إمكانية للإفلات أو الاحتجاج، لقد كان البوليس في مقر الحزب ومن حوله وأمام الباب بكثافة وغزارة، لقد كنا نخضع للتفتيش من شرطي لآخر إلى أن نجد أنفسنا أمام الباب حيث كانت تقف سيارة من نوع فاركونيط، ليقع حشرنا فيها.

س : كم كان عدد المناضلين الذين كانوا في ذلك الاجتماع؟

ج : لا أذكر العدد تحديدا، ولكن أظن أنه كان يتراوح مابين 40 و 50 مناضلا، لقد كان الاجتماع يضم ممثلي الفروع من جميع الأقاليم جاؤوا لتقديم الأجواء التي مرت فيها الانتخابات من أجل اتخاذ القرار الذي سنرد به على الكيفية التي جرت بها الانتخابات، ولذلك جاء الهجوم البوليسي بتلك الكثافة على أساس أننا في اجتماع نخطط للقيام بمؤامرة ضد النظام. ولقد فوجئ البوليس بحضور صحافيين أجانب معنا في الاجتماع، وأذكر أن أحد أفراد البوليس رد على صحافي، أراد أن يشعرهم بأنه كان يوجد معنا من أجل القيام بعمله، رد عليه الشرطي بالقول «ماتصضعش لي اسباطي آجيت تدير هنا إذا كنت صحافيا» ولقد كان وجود الصحافيين معنا لفائدتنا إذ لعب دورا حاسما في إفشال ما كان البوليس يخطط له، لقد كانوا يفكرون في تلفيق تهمة لنا بأن أسلحة كانت في حوزتنا، وأننا كنا نخطط للقيام بمؤامرة، ولكن وجود الصحافيين معنا أربكهم، فاقتادونا إلى كوميسارية المعاريف.

س : اقتادوكم جميعا إلى الكوميسارية بما في ذلك عبد الرحيم بوعبيد وعبد الرحمان اليوسفي؟

ج : اقتادونا جميعا، وفي الصباح أفرج عن عبد الرحيم بوعبيد، وبدأت الاستنطاقات الأولية حول المعلومات المتعلقة بكل شخص، وعقب ذلك بدأت في كل ليلة عملية نقلنا على أفواج مكونة من 5 أو 6 أشخاص في سيارات، ولم نكن نعرف ما هو مصيرنا. ولما جاء دورنا بعد حوالي أسبوع من بداية العملية تم نقلنا إلى درب مولاي الشريف، وفي هذا المكان بطبيعة الحال كان يغيب المنطق، ويحل محله الضرب والتعذيب، لقد كان الزبانية موجودين في انتظارنا، وبمجرد وصولنا انطلقت آلة التعذيب في طحننا.

س : على أي أساس كنتم تعذبون، عمَ كان يبحث الذين كانوا يشرفون على التعذيب؟

ج : كان التعذيب يمارس علينا أحيانا من دون أن نكون على علم حتى بالأسباب والدوافع، فأنا أذكر أن مناضلا من ناحية خريبكة، كان أحد الجلادين، ممن كنا نطلق عليه لقب «العافية» ، يضربه بالكرباج على وجهه، لقد كانوا يمارسون علينا إرهابا لا يصدق، فبعض المواطنين جاؤوا لمقر الحزب فقط من أجل الإطلاع على نتائج الإنتخابات فألقي عليهم القبض وزج بهم معنا من غير أن تكون لهم أي مسؤولية تنظيمية.

فبعد التعذيب جاءت عملية الفرز، وأعدت المحاضر للعناصر التي كانت ستحال على المحكمة في حين أخذوا في الإفراج على دفعات عن الباقي.. وفيما يتعلق بي فلقد أفرج عني ولم أقدم للمحاكمة وذلك بعد أن قضيت حوالي شهر ما بين المعاريف ودرب مولاي الشريف.

س : وكيف كانت أجواء محاكمة الذين عرضوا على أنظار المحكمة؟

ج : الأحكام الصادرة عن محاكمة 1963 معروفة، فمنهم من صدرت ضدهم أحكام بالإعدام، والمؤبد، لقد كان الغرض من هذه المحاكمة هو تصفية الحزب والحد من إشعاعه، و بالفعل كانت هذه الضربة قاضية بالنسبة للحزب خلال تلك الفترة، لقد أرغمته على تجميد نشاطه حوالي سنة أو سنة ونصف قبل أن يعود لاستئناف أنشطته.

س : هناك من يقول إن النظام في مثل هذه العمليات كان يقوم بعمليات استباقية للاتحاديين، فلقد كان يشعر بأنهم يخططون لضربه، فيكون هو السباق لتوجيه الضربة إليهم.

ج : بالفعل، فجوابا على تزوير نتائج الانتخابات كانت العديد من الأفكار واردة، فكان هناك من يقترح حل الحزب احتجاجا على التزوير لكي يتحمل النظام مسؤوليته فيما فعل، وكان من يطالب بأن يكون رد الفعل في مستوى التزوير، لأن الحاكمين لا يقبلون بالديمقراطية والاحتكام للشعب، فينبغي أن نترك الشعب يتحمل مسؤوليته، ومع ذلك لم يتم اتخاذ أي قرار من هذه القرارات، إلى أن فوجئنا بأفراد الشرطة يقتحمون علينا مقر الحزب.

لقد كان هناك حوار حول الأسلوب الأنجع للرد على تزوير نتائج الانتخابات، فكل الإخوان الذين جاؤوا من الفروع والأقاليم كانوا يأتون بنفس الصورة: التزوير، والضغط، والإرهاب لتزييف الإرادة الشعبية.

س : إلى أين كان يصب الاتجاه العام لمداولات اللجنة الإدارية، هل في اتجاه التهدئة والتمسك بالحزب، وعدم إتاحة فرصة للنظام لضربه، أم في اتجاه التصعيد والمواجهة مع النظام؟

ج: في الواقع الاتجاه الذي كان سائدا في ذلك الوقت كان اتجاها تصعيديا، فالمناضلون كانوا يقولون إما الديمقراطية الحقيقية، وإما التصعيد لكي يتحقق للشعب مبتغاه، وهذا هو الاتجاه العام، وبطبيعة الحال كانت هناك آراء أخرى يقول أصحابها العكس.

س: بعد الإفراج عنك ما هي المهام التي أحسست أنك مطوق بإنجازها؟

ج : انهمكت في ممارسة النشاط النقابي في قطاع التعليم داخل الاتحاد المغربي للشغل، رغم أنه كانت مفروضة علينا صيغة من الرقابة من طرف الجهاز البيروقراطي في الاتحاد المغربي للشغل، كما كنا نقوم بنشاط آخر في الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، وفي نفس الوقت كنا نهيئ للخروج بنقابة بديلة للنقابة التي أصبحت وسيلة لعرقلة العمل النقابي والنضالي، وهكذا أخذنا في الاشتغال إلى أن تهيأت الظروف لإنشاء النقابة الوطنية للتعليم، ثم أخذنا ننشط فيها، وبطبيعة الحال لم يكن يتقدم للانخراط في العمل النقابي إلا صاحب النزوع السياسي، وشيئا فشيئا بدأ ينتعش النشاط السياسي، فأخذنا نشتغل في الحزب وفي النقابة، وبدأت الأحداث تتوالد، ومن بينها اختطاف المهدي بن بركة واغتياله رحمه الله، ومحاكمة مراكش الشهيرة التي كنا نهيئ خلالها الشروط الملائمة للدفاع عن الإخوان الذين كانوا رهن الاعتقال، والمرحوم عمر بنجلون كان نشيطا جدا في هذا المجال.

س : بعد هذه المسافة الزمنية التي لنا اليوم مع أحداث الستينيات، يتبين للذي يقف عليها أنها كانت فترة غنية جدا من حيث نضالات وتضحيات الإتحاد الوطني للقوات الشعبية في مواجهة النظام. أنتم خلال تلك الفترة، هل كنتم على وعي تام بخطورتها، أم أن دوامة النضال كانت تستهلككم، ولا تترك لكم الوقت الكافي للتفكير ولتقييم طبيعة المرحلة؟

ج : الكل كان يشعر بخطورة المرحلة، وبأن الأزمة متفاقمة على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وأن خنق الديمقراطية كان سلوكا ممنهجا من طرف النظام على جميع الأصعدة وبجميع الوسائل، ولكن كل هذه العوائق ورغم القمع الشديد الذي كنا نواجهه به، فإن كل هذا لم يثننا عن عزمنا في النضال بكل الطرق من أجل مواجهة الحكم، لم نكن نترك أي فرصة تمر دون أن نحاول استغلالها لإبراز أهدافنا وما ينبغي أن يتحقق لفائدة هذا الشعب، الذي هو الديمقراطية الحقيقية.

لقد كنا نشعر باستمرار أن المسؤولين يتضايقون من حضورنا الجماهيري ومن الإشعاع الذي كان يتمتع به حزبنا، فنشاطنا كان دائما يهدف إلى مقاومة الاستبداد، فالحكم كان يخلق بانتظام أجواء إرهابية في البلاد لتمكنه من استغلال الشعب، وكان الاتحاد يشكل عرقلة بالنسبة للحكم، ولذلك كان ينظم من حين لآخر حملات قمعية لضرب قواعد الحزب وأطره ومناضليه.

س : بعض القراءات لتاريخ المغرب تقول إن النظام كان يجد نفسه مجبرا للجوء إلى العنف لحماية نفسه بالقمع من الحركة الاتحادية التي كانت تفكر في تغييره بالقوة وبالعنف، وأنها لم تكن في تاريخها حركة ديمقراطية.

ج : هذه هي الورقة التي كانت تستعمل من أجل قمعنا، ففي سلوكنا النضالي لم يكونوا يعثرون على أي حجة تثبت مزاعمهم. فلتقديمنا للمحاكمات من أجل اعتقالنا وحرماننا من حقنا في ممارسة حريتنا، كانوا يستعملون دائما هذه الورقة ويقولون عنا إننا ضد النظام والملك، ولكن نحن كنا دائما نعمل في إطار القانون المسموح به، وبطبيعة الحال من أجل التغيير لما هو أحسن وأفضل لدمقرطة الحياة السياسية والرفع من مستوى هذا الشعب الذي يستحق كل خير. فالشعب ضحى من أجل الاستقلال، وهو يضحي من أجل بناء البلاد، ولم تتح له أي إمكانية لينعم بمقابل لتضحياته...

س : وما هي المرة الثانية التي تم اعتقالك فيها؟

ج : حدث الاعتقال في كلميم، لقد كنت مسؤولا في النقابة الوطنية للتعليم، وكان المغرب موزعا بالنسبة لنا إلى الشمال والجنوب، وكان بعض الإخوان يتكلفون بالشمال وآخرون بالجنوب للاتصال بالمناضلين، وفي هذا الإطار كان مقررا أن أقوم بزيارة لمراكش وآكادير، وتزنيت وتارودانت، وإيفني، وكلميم، ولما شعرت بأن أعضاء من أجهزة الأمن يلاحقونني في هذه الجولة، قررت تغيير تواريخ الاجتماعات بحيث جعلت التاريخ المعلن سلفا لكل اجتماع يتقدم بيوم واحد، فإذا كان معلنا عن الاجتماع يوم الخميس مثلا، فأنا كنت أعقده يوم الأربعاء، ولذلك لم تستطع أجهزة الأمن إلقاء القبض علي، لا في مراكش، ولا في آكادير، ولا في تزنيت، ولاتارودانت أو إيفني، وإنما في الليلة الأخيرة بكلميم، وذلك بعد انتهاء الاجتماع. لقد طلب أفراد الشرطة مني أن أرافقهم لأن «المعلم يريدني».

س : من هو هذا «المعلم» الذي كان يريدك؟

ج : الكوميسير، وفعلا، رافقتهم، ولما وصلت لسيارتي لآخذ جلابيتي من داخلها أشهروا أسلحتهم في وجهي وأخذوا يصيحون: توقف انتبه، لقد تخيلوا أنني سأخرج مسدسا أو قنبلة وسأفجرها فيهم، ولما وصلنا للكوميسارية حوالي الساعة 11 و 30 دقيقة ليلا وجدت الباشا والكوميسير في انتظاري وانهمكوا في استنطاقي إلى حدود الواحدة صباحا ثم قرروا الإفراج عني، ولم أغادر مدينة كلميم إلا في الصباح لكي يلاحظ رجال التعليم ذلك وتظل معنوياتهم مرتفعة.

ويبدو لي أنهم لم يكونوا يريدون اعتقالي في تلك اللحظة، لأن اعتقالي في إطار نشاط نقابي لا يمكن أن يشكل تهمة كبيرة، لأزج من خلالها في السجن لمدة طويلة، ولذلك أفرج عني، فعدت من حيث أتيت، واستمر نشاطنا السياسي والنقابي إلى أن وقعت أحداث 3 مارس 1973، فلقد كنا في اجتماع في الكتابة الإقليمية في طريق مديونة، وكان الاجتماع برئاسة عمر بنجلون، ولأنه كانت له التزامات أخرى، فقد خرج من الاجتماع وذهب لإنجازها، وبعد حوالي ساعة من خروجه علمت أنه قد ألقي عليه القبض.

س : ألقي عليه القبض بتهمة المشاركة في أحداث 3 مارس 1973.

ج : بالفعل ألقي عليه القبض بتهمة المشاركة في أحداث مولاي بوعزة، ولم نتوقف عن نشاطنا سواء في الحزب أو في النقابة وكان لنا إحساس بأن الحملة في طريقها إلينا، وهذا ما وقع، فبعد حوالي 5 أو 7 أيام من اعتقال عمر كنت في منزلي حوالي الساعة الواحدة والنصف زوالا وإذا بالبوليس يأتي لاعتقالي.

س : و هل كانت لعمر، في رأيك، علاقة بأحداث مولاي بوعزة؟

ج : الذي في علمي هو أنه لم تكن له إطلاقا أي علاقة بهذه الأحداث.

س : ألقي عليه القبض بدون أي سبب؟

ج : النظام كان ينتظر الفرصة لاعتقاله، كنا نضايقه بأنشطتنا السياسية والحزبية، فالحكم كان يبحث عن الفرصة المواتية لاعتقالنا، ولقد قلت هذا الكلام خلال محاكمتنا، فلما سألني القاضي عن أحداث مولاي بوعزة كان جوابي هو، طاحت الصمعة علقوا الحجام، وقعت الأحداث في مولاي بوعزة، فألقي القبض علينا نحن في الدار البيضاء.

س : ولكن الذين شاركوا في أحداث مولاي بوعزة وأطروها وأشرفوا عليها كانوا كلهم اتحاديين، فلقد كان منتظرا أن تصلكم أنتم أيضا أصداء هذه الأحداث، لأن لكم، من منظور السلطة، صلة ما بها؟

ج : ما في ذلك شك، فأغلبية الذين شاركوا في أحداث مولاي بوعزة اتحاديون، وليس كلهم، والمؤكد أن السلطة كانت تنتظر أي فرصة لضرب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذي كان يضايقها ويزعجها، ولما جاءت أحداث مولاي بوعزة اعتبرتها فرصة مواتية لضرب الحزب بأكمله، لقد كان الهدف ربما استئصال الحزب من الجذور، من الممكن أنه كانت لبعض الاتحاديين علاقة ما بأحداث مولاي بوعزة، ولكن الواضح هو أنه كانت للنظام أيضا نية مبيتة وسابقة لتوظيف تلك الأحداث من أجل ضرب الحزب ضربة موجعة تؤدي إلى قتله، أو على الأقل، شل حركته لوقت غير يسير.

س : وكيف تم اعتقالك عقب هذه الأحداث؟

ج : حوالي الساعة الواحدة والنصف زوالا جاء أفراد الشرطة للمنزل، دقوا الباب ففتحت لهم ابنتي وسألوها عني وأخبرتهم بأنني موجود اعتقادا منها أنهم معلمون من أصدقائي جاؤوا لزيارتي.

س : كم كان عددهم؟

ج : اثنان، لقد دخلا إلى منزلي إلى أن وقفا في قلب الدار فسألتهما عن هويتهما، فأخبراني

أنهما رجلا شرطة جاءا لاعتقالي، لقد كنت أتوقع الاعتقال ولكنني لم أكن أتصور أن البوليس سيقتحم علي منزلي بتلك الطريقة، فأنا كنت أشتغل في إطار واضح وقانوني ولم يكن لدي ما أخاف عليه.

س : لو أن البوليس وجه إليك استدعاء للحضور هل كنت ستستجيب للاستدعاء؟

ج : بلا شك كنت سأستجيب، ففي إحدى المرات كنت في المستشفى، فمن السجن جئت إلى المستشفى للعلاج، وكان يحرسني رجل شرطة، وقد اقترح علي الفرار من المستشفى، كان يتكلم بجدية وصدق، فلقد تساءل أمامي، إذا سمحت لك بالفرار ماذا سيكون مصيري ؟ في أقصى الحالات الطرد من العمل، وهذا ما أبحث عنه، وكان جوابي أن لا، أنا لا يمكن لي أن أقبل الفرار، لأن الفرار معناه أنني أؤكد على نفسي كل التهم الموجهة لي، وأنا لا يمكن لي أن أقدم لهم الفرصة التي يثبتون من خلالها التهم الموجهة لي.

على أي، طلب مني الشرطيان أن أرافقهما لمدة 10 أو 15 دقيقة، وكان جوابي أنني سأرافقهما إلى حيث يشاؤون، سواء كانت المدة 10 دقائق، أو شهرا، أو سنة، أو أعواما. وانطلقت السيارة بنا، ولما اقتربنا من درب مولاي الشريف وضعا الأصفاد في يدي وقب الجلابة على عيني، ثم البانضا وأصبحت من السكان الرسميين لدرب مولاي الشريف.

س : ما هي التدابير التي اتخذت في شأنك بعد أن أصبحت من قاطني هذا المكان؟

ج : بعد حوالي ساعة ونصف نودي علي، وطلب مني أن أحكي لهم عن نشاطي السياسي فكان جوابي أنني عضو في الاتحاد الوطني، وعضو في النقابة الوطنية للتعليم، وعضو في الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، ولم يقتنعوا بأجوبتي على اعتبار أن لي، في نظرهم، أنشطة سرية وعلاقات مع عناصر خارج المغرب مثل الفقيه البصري، وغيره، ولم أنكر وجود هذه العلاقات ولكني أكدت أنني أعمل وأتحرك في إطار القانون والشرعية وأنني لست مسؤولا عما يصدر عن آخرين خارج المغرب، وانطلق مسلسل التعذيب، لقد بدأوا بآلة كهربائية وأخذوا يحرقونني بواسطتها في فمي وأذني والأماكن الحساسة من وجهي، ولقد شعرت من جراء ذلك أن وجهي قد اعوج... وكانت هذه البداية، ورميت في زنزانة مع بعض الإخوة الآخرين.

س : من هم الإخوة الذين كانوا معك في نفس الزنزانة؟

ج : شاب يدعى "يوس" ولقد أعدم، وأصله من فكيك، وكان معي محمد الحلوي، وعبد الرحمان بن الطيب الذي توفي مؤخرا، والأخ دردور.. مجموعة من المناضلين، وفي الغد نودي علي مجددا وشرع في استنطاقي بنفس الأسئلة ولكن بطريقة مغايرة.

س : ما هي الأسئلة التي كانت تطرح عليك؟

ج : أين يوجد السلاح؟ وماذا كنتم تعتزمون فعله؟ وأين توجد التنظيمات والخلايا السرية، والأموال التي تجمعونها للجيش، وأظن أنهم كانوا يقصدون أسر الضباط الذين ألقي عليهم القبض عقب المحاولة الانقلابية الثانية، وكانوا قد أعدموا، وكان جوابي أن المال الذي نجمعه الهدف منه هو مساعدة الشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل نيل استقلاله، وأن ليس لنا أي علاقة بالجيش.

س : لعلهم كانوا يشكون في أن الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني كانت غطاء لتحقيق أهداف أخرى؟

ج : على أي حال بدأ التعذيب بالجلد والكهرباء والشيفون إلى أن كان الإنسان يشعر أنه أوشك على الموت، لحظتها يتوقف التعذيب لبرهة من الزمن ثم يستأنف مجددا، وهكذا دواليك. وكان آخر يوم في التعذيب هو الذي استعملوا فيه «الطيارة»، لقد فقدت في هذه الجولة من التعذيب وعيي وأحاسيسي، فقبل الشروع في «الطيارة» نبهوني إلى أن الجميع اعترف باستثنائي، فعمر، والقرشاوي، والجميع قالوا كل شيء، وما علي إلا الاعتراف، واستمر إنكاري، لقد كانوا يريدون الحصول مني على اعترافات تفيد أننا كنا نعقد اجتماعات ونخطط للقيام بثورة، لقد رفعت في «الطيارة»، وكان سلك كهربائي مربوطا في يدي وقدمي، والماء يصب على أنفي وفمي، والضرب بالكرباج يقع على قدمي، ولقد فقدت الوعي ولم أعد أشعر بأي شيء تماما إلى أن استفقت وأنا مرمي في زنزانة، وأظن أنه تقرر في ذلك اليوم ألا أحال على المحكمة.

س : لماذا تقرر ألا تحال على المحكمة؟

ج : الذين قرروا إحالتهم على المحكمة نقلوا إلى القنيطرة، فالبعض منا قرروا إحالتهم على المحكمة والبعض الآخر على الكوربيس، المعتقل السري، فدرب مولاي الشريف كان معتقلا سريا ولكنه كان معروفا منذ 1962 بالنسبة للجميع، أما الكوربيس فإنه لم يكن قد عرف بعد، وهكذا نقلنا إلى الكوربيس.

س : كم قضيت في درب مولاي الشريف؟

ج : 17 يوما، لقد كنت أحسب الأيام لأنني لم يكن لدي ما أفعله، كنا نعتقد أننا عندما سنغادر درب مولاي الشريف فإننا سنقتاد لمكان كيفما كان نوعه، فإنه سيظل في جميع الأحوال أفضل منه، ولكن لما وصلنا إلى «الكوربيس» أصبح درب مولاي الشريف يبدو لنا أحسن بكثير من هذا المعتقل الجديد، وهكذا انتابنا الحنين إلى الأيام التي قضيناها في الدرب، فالكوربيس أسوأ بكثير من درب مولاي الشريف.

س : بماذا أسوأ منه؟

ج : في درب مولا ي الشريف كان المعتقل يجد نفسه في زنزانة واحدة مع 5 أو6 أفراد وكنت تتحاور وتتداول وتتناقش معهم، أما الكوربيس فهو عبارة عن «هنكار» كبير يتكون من 13مترا في الطول و6 أمتار من العرض، و12 مترا في علوه، وله باب مثل باب الثلاجة لكي لا يسمع صدى الأصوات الموجودة في داخله بالخارج، وفي داخل هذا «الهنكار» يوجد مدخل باب لغرفة تضم المراحيض، والغطاء لم يكن يتجاوز «كاشة» لسنتي 1936، و1940، وكانت تتضمن آثار الدم من الحرب العالمية الثانية، بالإضافة للأصفاد والبانضا. ولا يجوز للذي يكون معتقلا لا الكلام ولا الحركة ولا الوقوف، الشيء الوحيد الذي يسمح للإنسان به هو عندما يريد أن يذهب للمرحاض أن ينادي على «الحاج»، فكل الجلادين والحراس كانوا ينادون بعضهم البعض بالحاج فجميعهم حجاج، لكي لا نميز بينهم، ولكن مع مرور الأيام تمكنا من التمييز بينهم من خلال أصواتهم والأفواج التي يشتغلون في إطارها.

ففوج كنا نسميه بفوج «العافية» وآخر كنا نناديه بفوج «الدزربع» وهذا الحارس كان يرد على السجين الذي يعلن عن رغبته في الذهاب للمرحاض بالقول: «ادزربع» بمعنى تفرقع، أي اقض حاجتك في ثيابك. وكان هناك فوج نسميه ب «مرضي الوالدين» لأن حارسه كان يتعامل معنا بشكل عادي، فواجبه كان يقوم به من غير أن يعتدي على المعتقلين، وكنا نطلق على فوج آخر«مسخوط الوالدين». لماذا؟ لأن رئيسه بمجرد ما كان يلتقي صدفة مع أي شيخ، كان يضربه بعصا في الرأس دون أي سبب.

س : يضربه ضربا مبرحا؟

ج : نعم يضربه ضربا مبرحا وينهمك في الضحك بعد أن تنزل عصاه على رأس الشيخ، لقد كان إنسانا ساديا ومريضا.

س : ألم يكن بالإمكان تقديم شكاية ضده؟

ج : لمن ستقدم شكايتك، فالذي تشتكي إليه تجد أنه أقسى وأفظع، لقد تولد لدينا إحساس بأنهم جاؤوا بنا لهذا المكان من أجل قتلنا بشكل بطيء، لقد فقد بعض المعتقلين صوابهم، وآخرون توفوا، وذلك نتيجة الأمراض والجوع والبرد و الهم.

س : ماهي أنواع الأكل التي كانت تقدم لكم؟

ج : كانوا يعطوننا «باريزيانا» وكأس شاي في الصباح، وفي منتصف النهار كنا نحصل على إناء من المحمصة أو التشيشة، وفي المساء إما الشعرية أو المحمصة أي نفس الوجبة تقريبا نتناولها في كل الأوقات، وهذه التشيشة أو المحمصة أحيانا تعثر فيها على رائحة الكرزين وأحيانا أخرى تصدمك بطعم جافيل، وإذا بدت لهم الحصة غير كافية للجميع فإن أحدهم يتوجه لأنبوب الماء ويصبه فوق الكمية الموجودة ويوزعها على المعتقلين، فبعد قضاء فترة 6 أشهر بالكوربيس جاء الطبيب للإطلاع على أحوالنا بعد أن توفي بعضنا ولقد قال لحراسنا إنهم إذا لم يقدموا لنا اللحم في وجبات الطعام فإننا سنموت جميعا، وهكذا أخذوا يزودوننا مرة في الأسبوع بقدر بسيط من اللحم... وهكذا كنا نقضي كل الأيام والليالي ونحن جالسين في نفس المكان باستثناء اللحظات التي كنا نذهب فيها للمرحاض لقضاء حاجتنا الطبيعية، وحتى لهذه الغاية كان المعتقل تحت تصرف الحارس الذي يراقبه، فإذا لم يأذن له بالذهاب للمرحاض فإنه لن يذهب إليه.

س : وإذا أراد تجاوز الحارس للذهاب للمرحاض؟

ج : سيتعرض للضرب، فحتى الصلاة كانوا يمنعوننا من أدائها جماعة، وحتى الآن، أنا لا أعرف لماذا كانوا لا يسمحون لنا بأداء الصلاة بشكل جماعي، فلقد ضبطت في إحدى المرات وأنا أؤم بالمعتقلين صلاة الفجر فخضعت لضغط ولترهيب لكي أكف عن الصلاة بالمعتقلين جماعة، ولأنني ناقشتهم في الأمر فلقد مورست علي حصة من التعذيب، ففي إحدى المرات تمكن الحراس من ضبط بعض

المعتقلين الذي أفلحوا في فتح القيد من على اليدين، قاموا بذلك ليلا لكي يستريحوا من تعب الأصفاد، فكان مصيرهم الجلد المبرح ليلة بأكملها.

س : قضيتم كل المدة التي كنتم خلالها في الكوربيس بالأصفاد في أيديكم؟

ج : الأصفاد في الأيدي والبانضا في العينين، ومع مرور الأيام أخذت الأصفاد تتآكل وتتقادم وصارت تفتح بشكل آلي لوحدها، وأخذوا يأتون في الليل للتأكد إن كانت الأيادي مقيدة أم لا، وكل من عثر عليه غير مقيد كان يتم ربطه بأصفاد المعتقل الذي يوجد بجواره وهكذا أصبح الاثنان ملزمين بالذهاب للمرحاض إذا كان أحدهما يريد قضاء حاجته الطبيعية، كما أصبحا مجبرين على النوم والاستيقاظ معا.. وفي النهاية بدأ كل معتقل يتمنى أن تكون له أصفاد خاصة به لوحده وغير مشتركة مع معتقل آخر... لقد حدثت أشياء طريفة في الكوربيس، ففي أحد أيام شهر رمضان كان وقت الفطور مع السادسة والنصف أو السابعة إلا ربعا، ولم نتوصل بوجبة الفطور إلا حوالي الساعة الثامنة والنصف، وبدأت الاحتجاجات حيث أخذنا نردد: يا لطيف يالطيف، وحضر الحراس بسرعة وكانو حينما يدخلون لقاعتنا يصيح المعتقلون الموجودون في القاعة الأخرى يالطيف يالطيف ولما كان الحراس يقصدون القاعة الثانية كنا نحن نصيح: يالطيف يالطيف، وهكذا دواليك. وما هي وجبة الفطور هذه؟ إنها لا شيء تقريبا ولكن بسبب الجوع كنا في حاجة إلى ما نسد به رمقنا. لقد نودي علي من طرف الحراس لكي ألتحق بأحد المكاتب وانتابني خوف شديد، لأنني لم أكن أعرف سبب المناداة علي.

س : هل كل من كان ينادى عليه من طرف الحراس للاستفراد به معهم، كان يشعر بالخوف؟

ج : بطبيعة الحال لأن المعتقل لم يكن يعلم ماذا يريدون منه ولماذا نودي عليه هل لتعذيبه أم لقتله أم لتلفيق تهمة إضافية له، فكل شيء كان جائزا في الكوربيس، ولما استقبلت من طرفهم أخبروني بأني لم أوقع محضرا بدرب مولاي الشريف، فأرجعت إليه رفقة زيد وميدو من آيت حديدو، لقد كان مناضلا شهما شجاعا، لقد كان وطنيا معروفا، فعندما جيء به إلى الكوربيس قضى حوالي شهر دون أن ينطق بأية كلمة، لأنه عذب تعذيبا شديدا ووصل إلى الكوربيس مشلولا من يديه ورجليه، وكانوا يسألونه عن اسمه فكان يجيب زيد، واسم والده وكان جوابه أنه لا يعرف اسم أبيه..

س : لماذا كان يرفض ذكر اسم أبيه؟

ج : كان يرفض أن يقدم للجلادين أي اعتراف، عقد العزم مع نفسه على ألا يقول لهم أي كلمة ولو تعلق الأمر باسم والده، لقد كان من الوطنيين الذين كانت لهم علاقة خاصة بالمرحوم المهدي بنبركة، لقد عين شيخا في بداية الاستقلال، والمهدي بنبركة هو الذي أقنعه بقبول هذه المسؤولية، ولذلك كان يرفض أن يتسلم أجرته من عمله كشيخ للقبيلة، لقد كان يوزع راتبه على الفقراء والمعوزين، لقد ألقي القبض على الكثيرين من منطقة آيت حديدو، وبعض النساء وضعن في الكوربيس، لقد جيء بشيوخ تتجاوز أعمارهم 100 سنة، وكانوا دائما بالأصفاد والبانضا ت.

كانت الاعتقالات عشوائية بعد أحداث مولاي بوعزة، لدرجة أنه تم اعتقال حتى «الحياحة» أي أولئك الذين تطوعوا لمساعدة السلطة في اعتقال الذين كانوا وراء الأحداث، فما كان من أحد الذين اعتقلوا إلا أن اتهمهم بأنهم كانوا مشاركين في الأحداث فتم اعتقالهم، وكان في الكوربيس شخص اسمه «خويا احساين» لقد دهسوه بسيارة من نوع جيب، وكسرت أضلاعه، كان يخضع للعلاج من طرف ممرض، وكانت معنوياته مرتفعة، رغم التعذيب الشديد الذي تعرض له، وأنا أعتبر أن الذين صمدوا في الكوربيس هم أولئك الذين كانت لهم معنويات مرتفعة.

س : حتى في الكوربيس كان يوجد من بين المعتقلين من كانت لهم معنويات مرتفعة؟

ج : نعم، وكان الاعتقاد مستمرا بأننا سننتصر وسنخرج من هذا الجحيم.

س : لنعد إلى درب مولاي الشريف لقد أرجعت إليه للتوقيع على محضر ألم تكن قد وقعت عليه حين غادرته؟

ج : عندما رجعنا للتوقيع على هذا المحضر أنا وزيد وميدو وموحى ودوحو، فعلا وقعنا على المحضر دون الاطلاع عليه ودون مناقشة، وحين كانوا ينادون علينا للرجوع إلى الكوربيس كنا نتظاهر وكأننا لم نسمع أي شيء، لأننا فضلنا البقاء في درب مولاي الشريف لأن ظروف الأكل فيه ونوعية الطعام أفضل مما كان موجودا في الكوربيس، لقد قضينا بدرب مولاي الشريف حوالي 5 أو 6 أيام ونحن نراوغ الحراس لكي لا نعود إلى الكوربيس. لقد كنا في الواقع ننتظر الموت في الكوربيس قبل أي شيء آخر.

س : ألم تكن تصلكم الأخبار عما يجري خارج المعتقل؟

ج : أبدا، لقد كان السياج محكما حولنا، ففي الفترة التي قضيتها في الكوربيس لم أطلع على أي خبر وافد من خارجه، كان معنا واحد من أقارب أوفقير، ولقد سلمه الحارس الملقب من طرفنا ب «الدزريع» جلابية لتقيه من البرد، وصادف ذلك أن اللجنة جاءت للتفتيش، ولاحظت أن الجلابية جديدة، فسألت عن الذي قدمها للمعتقل، فلما علمت أنه الحارس «الدزربع» وضعوا له الأصفاد والبانضا وتركوه معتقلا، فمن حارس غليظ وظالم، إلى سجين ككل السجناء الذين كان يعتدي عليهم.

س : كان اعتقال أي كان ورميه في الكوربيس يتم بهذه البساطة الشديدة أي يكفي أن يقرر ذلك مسؤول كبير، وانتهى الأمر؟

ج : كان كل شيء يتم بالمزاج وبالعشوائية وحسب الشهوات، ففي بعض الأحيان كانوا يأمروننا بالنوم وبأن لا نرفع رؤوسنا، لأن مسؤولا كبيرا يقوم بزيارة للكوربيس، وكنا نشعر بأن هناك من يتجول في وسط القاعة التي كانت تحتوينا، وكنا نحس أن الذين يوجدون في الكوربيس شخصيات سامية ولهم سلطة كبيرة، نشعر بذلك من خلال تعامل الحراس مع هذه الشخصيات. لقد كان في الكوربيس 4 أنواع من الحراس، فمن جهة هناك أولائك الذين كانوا على اتصال معنا بحيث هم الذين كانوا يزودوننا بالطعام ويراقبوننا داخل القاعة، وكان هناك خارج الكوربيس حزام لرجال الدرك، يليه حزام لقوات التدخل السريع، ثم ربما الجيش، كانت كل جهة تراقب الجهة الأخرى ولا تثق فيها.

س : كم قضيتم في الكوربيس وأنتم على هذه الحالة؟

ج : سنة إلا 10 أيام فيما أظن، ثم جيء بنا في أحد أيام سنة 1974 إلى المحكمة الابتدائية بالدار البيضاء، لقد أزالوا البانضات عن أعيننا فاكتشفنا أننا في قلب المحكمة، ولقد اختفى الحراس وعوضوا بالبوليس، وعرضنا على قاضي التحقيق الذي فوجىء بالأوضاع الصحية التي كنا عليها، فقد كان أمام هياكل عظمية، وأظن أنه كان يستنطقنا وكأنه مرغم على ذلك، لم يكن لديه فيما يبدو أي حماس لاستنطاقنا. كان ينظر إلينا باستغراب، ولقد كنا ننفي التهم الموجهة لنا جملة وتفصيلا، ولقد أحالنا على سجن اغبيلة بالدار البيضاء، ولما استقبلنا المدير والجهاز المساعد له كانوا ينظرون إلينا بدهشة واستغراب.

لقد كنا نضحك، في حين كان الحراس ومعهم المدير يستغربون، فبالنسبة لنا، كنا نضحك لأن وجودنا في سجن اغبيلة، يعني أننا غادرنا الكوربيس، وأننا في سجن رسمي، وأن أوضاعنا ستتحسن، أما المدير والحراس، فقد كانوا ينظرون إلينا بشفقة، لأننا كنا بمثابة هياكل عظمية، كنا كأننا خرجنا من القبور. لقد تم توزيعنا على قاعات السجن، وبلغ خبر وجودنا في السجن إلى أسرنا التي أخذت تزورنا وتأتينا بالطعام، وشيئا فشيئا بدأت حالتنا الصحية ترمم وتتحسن، وقضينا في اغبيلة حوالي سنتين بدون محاكمة، إلى حدود سنة 1976 حيث تمت محاكمتنا.

س : ما هو الحكم الذي صدر ضدك؟

ج : البراءة.

س : هذا التعذيب الماراطوني كله لتحكم عليك المحكمة في النهاية بالبراءة؟

ج : هذا التعذيب كله، وكان الحكم الصادر في حقنا هو البراءة، ولهذا نطالب اليوم بأن يتم فتح تحقيق مع الأشخاص الذين كانوا وراء تعذيبنا طوال هذه المدة كلها، دون أي ذنب ارتكبناه، لماذا فعلوا فينا ما فعلوه؟ لماذا أهانونا؟ فنحن لا نتكلم عن أنفسنا، ولكن عن المغرب والمغاربة، فالتعذيب الذي طالنا والسجن الذي تعرضنا له كان تعذيبا وسجنا للعائلات وللأصدقاء وللأحباب وللشعب المغربي برمته، فالذي يطالب بمحاسبة الذين ارتكبوا هذه الفظاعات هو الشعب المغربي الذي ضاع في أبنائه وفي سنوات عديدة لم تتحقق فيها التنمية المنشودة لفائدة أفراده.

إسماعيل عبد المومني

كنا مكدسين في الغرف والممرات وفي المراحيض

س : السيد إسماعيل عبد المومني في إطار الحوارات التي نجريها مع الذين عاشوا تجربة الاعتقال السياسي نستضيفك اليوم باعتبارك واحدا ممن عاشوا هذه التجربة الأليمة. ونود أن تفتتح معك الحوار بتقديم تعريف موجز لشخصك، من هو السيد إسماعيل عبد المومني بالنسبة للقارئ الذي لا يعرفه؟

ج : اسماعيل عبد المومني من مواليد دبدو إقليم وجدة، بتاريخ 12 يوليوز 1936، من بني يزناسن بالمنطقة الشرقية، درست في نفس الثانوية مع المرحوم عمر بنجلون، وكنت معه في نفس الداخلية لمدة 4 سنوات، كنت مديرا سابقا لوزارة العدل لدى محكمة الاستئناف بالدار البيضاء، وتقاعدت بتاريخ 22 يونيو1996، وعضو سابق بالمجلس الوطني للمنظمة المغربية لحقوق الإنسان، وكنت مديرا عاما لدار النشر المغربية ما بين 74 و79، وعلى المستوى السياسي فأنا كنت من المشاركين في الانتفاضة الأولى لسنة 1959 التي أدت إلى بروز الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، لقد كنت نائب الكاتب المحلي لفرع حزب الاستقلال بتاوريرت بنواحي وجدة، فلم يكن مقبولا في تلك الفترة، وأنا لا أتجاوز العشرين سنة، أن أصبح مسؤولا في حزب الاستقلال، لاسيما وأنني لم أكن قد عشت تجربة السجن.

س: هل كان من الضروري المرور من السجن لتحمل المسؤولية داخل الحزب؟

ج : بعد الاستقلال كان المقياس الأساسي لتحمل المسؤولية في حزب الاستقلال هو أن يكون المرشح لتحملها قد عاش تجربة السجن، فلقد كنت موظفا بالمراقبة المدنية واتهمت بتحريض أعضاء القوات المساعدة على الفرار لقمم الجبال للانخراط في المقاومة، وتم توقيفي عن العمل إلى أن حصل المغرب على استقلاله، ولكن مع ذلك كان أعضاء من اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال حذرين من الشباب، فلقد جاء عضو قيادي من الحزب للإشراف على الانتخابات التي جرت لاختيار أعضاء مكتب الفرع بتاوريرت، وترشحت لها وفزت فيها، أصبحت نائبا للكاتب المحلي للفرع، ولكنني صرت شبه

مقصي من اجتماعات مكتب الفرع لأنني كنت عنصرا غير مرغوب فيه من طرف الكهول. لم أمكث طويلا في هذا المكتب إذ قدمت بعد 6 أشهر استقالتي منه، ولقد بعثت البرقية المتضمنة لاستقالتي للشهيد المهدي بنبركة الذي كان هو المعروف عندنا، لأنه كان كثير التحرك.

بعد أن تم نقلي في جهات متعددة للعمل بها لأنني كنت في نظر السلطة شخصا متنطعا، استقر بي الوضع للعمل في مدينة وجدة التي أسسنا فيها نقابة محلية تابعة للاتحاد المغربي للشغل لموظفي وزارة العدل، وكنت الكاتب العام للمكتب المحلي لوجدة، وطلب مني الاتحاد المغربي للشغل الالتحاق بالدار البيضاء للعمل من أجل تأسيس جامعة لموظفي وزارة العدل..

س: بعد هذه النبذة الموجزة عن حياتك ما هو اليوم والشهر والسنة التي تم اعتقالك فيها، اعتقالا سياسيا؟

ج : عشت اعتقالا واختطافا في نفس اليوم، لقد تم الاعتقال الأول الذي حدث يوم الاثنين 19 مارس 1973، على إثر الأحداث المعروفة بأحداث مولاي بوعزة، لقد خرجت كعادتي من محكمة الاستئناف، التي كنت أعمل بها كمدير جهوي لوزارة العدل، وذهبت على الساعة 12 زوالا للإعدادية حيث كانت ابنتاي تدرسان بها، لقد التحقت بهما لاصطحابهما إلى المنزل، وبمجرد ما وقفت بسيارتي أمام باب الإعدادية، وقف أمامي رجال الشرطة. كانوا يلاحقونني وكنت أتوقع أن يتم اعتقالي، فلقد اعتقل قبلي عدد من الإخوة على رأسهم المرحوم عمر بنجلون، ومصطفى القرشاوي، ومحمد الحلوي، وعبد العزيز بناني، لذلك كنت أنتظر أنهم سيأتون إلى لاعتقالي، لا سيما وأن الحزب كان يعيش حالات متلاحقة من القمع، فكل نشطاء الحزب وأعضاؤه وقادته كانوا معرضين للاعتقال في أي لحظة وأي حين، لذلك كنت أتوقع التعرض للاعتقال، لاعتباري كنت مسؤولا حزبيا على المستوى المحلي.

س: ما هي المسؤولية التي كانت على عاتقك؟

ج : كنت عضوا في الكتابة الإقليمية للحزب وعضوا في اللجنة الإدارية التي أصدرت قرارات يوليوز 1972 والتي انعقدت في فاس، لقد كنت عضوا في اللجنة الإدارية المؤقتة، فبعد مجيئي للدار البيضاء سنة 1971، طلب مني الأخ عمر بنجلون أنا والأخ صلاح سعد الله أن نبحثا عن مقر للحزب، وفي تلك الفترة، كان المواطنون يخافون من عواقب كراء منازلهم وعقاراتهم للحزب، فقمت بكراء

دار في اسمي على أساس أنني سأسكن فيها، وفي الحقيقة كان صاحب الدار مقاوما سابقا، وشعر بأننا سنحول الدار إلى مقر حزبي، ولكنه كان يبحث عن غطاء للموافقة، فاكترينا منه الدار التي تحولت إلى كتابة إقليمية، وأخذنا نشتغل فيها إلى أن جاءت سنة 1973.

س: كان المقر الخاص بالكتابة الإقليمية مكترى باسمك، وكنت تتوقع الاعتقال في سنة 1973، ما هي الاعتبارات التي جعلتك تشعر بأنك مهدد بالاعتقال، فلا يكفي أن يقع اعتقال إخوة لك في الحزب لكي يشملك الاعتقال بالضرورة ؟

ج : ليست هذه هي المرة الأولى التي اعتقلت فيها سنة 1973، لقد تعرضت لاعتقالات كثيرة ومتكررة، حيث شاركت في حملة مقاطعة الدستور سنة 1962، وتوبعت أمام قاضي التحقيق. لقد كنت وقتها في الكتابة الإقليمية لمدينة وجدة، وشاركت في حملة لمقاطعة الاستفتاء على الدستور، لأننا كنا نطالب بتكوين لجنة تأسيسية تشرف على وضع بنود الدستور، وكنا في مواجهة مع السلطة، أنا وبعض الإخوة في التعليم من مفتشين ونائب وزير التربية الوطنية في وجدة، فلقد تم نقلهم، أما أنا فلقد تم توقيفي عن العمل، وتوبعت جنائيا بتهمة المس بالمقدسات، والمس بالأمن العام.

س: وجهت إليك تهمة المس بالمقدسات والأمن العام فقط لأنك كنت تخوض حملة لمقاطعة الاستفتاء على الدستور؟

ج : كانت مدينة وجدة مقسمة فيما بيننا نحن أعضاء الاتحاد الوطني، وكان من نصيبي والأخ الدكتور النشناش بعض المناطق الحساسة، أي المناطق العمالية، جرادة، وتويسيت، وكنا نتجول في الأسواق لشرح عيوب النص الدستوري، وكنا في الحقيقة نستعمل أثناء الحملة ألفاظا قاسية وحادة في التصدي لفصول الدستور، ومن ضمن هذه الفصول وراثة العرش، ففي سنة 1962، كنا نقول إن الدستور لا يوفر الضمانات الضرورية لكي يكون ولي العهد أهلا لتحمل المسؤولية.

س : كان الحزب يطالب بتوفير مقاييس محددة في المرشح لولاية العهد؟

ج : كنا في المقام الأول نطالب باللجنة التأسيسية وأن تكون منتخبة لأنها ستضع دستورا سيكون هو مصدر السلطة ومنبعها، وحين طرح الدستور وفرض علينا بدأنا نقول هذه هي عيوب الدستور وهذه هي علاته، ومن ضمنها أن الحكومة ستكون غير مسؤولة، وولاية العهد قد تؤول لمن لا يستحقها، وكنا نقول مثل هذا الكلام في الأسواق، لقد عقدنا تجمعا في مقر الاتحاد المغربي

للشغل، وتناولت الكلمة في هذا التجمع، وانتقدت بحدة مشروع الدستور المقترح على الشعب ليوافق عليه، كما حدثت لي مشادة مع مولاي أحمد العلوي في إحدى القاعات السينمائية.

س : مولاي أحمد العلوي الذي كان وزيرا في عدو حكومات؟

ج : نعم مولاي أحمد العلوي ، لقد جاء إلى مدينة وجدة وعقد تجمعا بمساندة السلطة في إحدى القاعات السينمائية، لشرح فصول الدستور، ومن بين ما قاله هو أنه يتحدى أيا كان لم يعجبه الدستور أن يواجهني أمامكم لأبين له ميزات هذا الدستور وأفضاله، وكان بجانبه عامل وجدة، وكان معي صديق مقاوم الذي هو أحمد العربي المضرسي، فقلت له إن مولاي أحمد العلوي يتحدانا فهو في عقر دارنا بوجدة، فاقترح علي أن نواجهه فوافقت، فدخلنا إلى قاعة السينما، وأثار دخولنا ضجة وسط الحاضرين لأننا كنا معروفين بانتمائنا للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، فرفعت يدي وأعلنت عن استعدادي للتحاور والمواجهة مع مولاي أحمد العلوي حول فصول الدستور، بعد أن أنهى تدخله.

س : أعلنت عن ذلك، رغم حضور العامل ورجال السلطة؟

ج : كان العامل هو الجنرال عبد السلام الصفريوي رحمه الله، وكان وقتها في رتبة كولونيل، أردت تناول الكلمة للرد على مولاي أحمد العلوي، رغم حضوره، لقد كنا أصحاب كلمة حق ولا نهاب في قولها لومة لائم، وكانت قوتنا في صدقنا وصراحتنا.

س : ماذا قلت لمولاي أحمد العلوي لما تناولت الكلمة للرد عليه؟

ج : بمجرد ما أنهى تدخله، انسحب وتبعه العامل وباقي رجال السلطة، ولم تتح لي فرصة الرد عليه، وفي اليوم الموالي لما ذهبت لعملي بالمحكمة، وجدتها مطوقة بالقوات العمومية، واعتقدت أن الأمر يتعلق بحدث ما وقع بشكل فجائي، فإذا ببعض الأخوة يفيدونني بأن وجود القوات العمومية هو بسببي ولمنعي من الدخول إلى المحكمة، لقد حدث هذا سنة 1962، ومنعت من الدخول إلى مقر عملي من دون أن يلقى القبض علي.

س : لماذا لم يلق القبض عليك، ما الذي منع السلطة من اعتقالك؟

ج : لم يكن لحظتها ميزان القوى في صالحها، ولم يكن يوفر للسلطة إمكانية اعتقال كل من تود اعتقاله، ولكنها كانت تستعد وتمهد لاعتقالنا استقبالا، لقد مثلت أمام قاضي التحقيق، وتم توقيفي عن العمل، وهكذا بدل أن أخصص ساعة أو ساعتين للحزب في اليوم، أصبحت مداوما في مقر الحزب لأنني كنت بدون عمل، وتوقفت عن العمل لمدة 8 أشهر لأنني كنت متابعا، فلقد جاءت برقية من القصر الملكي وليس من وزارة العدل تأمر بتوقيفي عن العمل وتأمر بمتابعتي قضائيا، ولما أصبحت متفرغا بشكل كلي للحزب أخذت السلطة تشتكي من نشاطي ومن تفرغي للعمل الحزبي، فأخذت وزارة العدل تستدعيني لاستئناف العمل.

وبعد أخذ ورد اتخذ قرار بعدم متابعتي، واشترطت استئناف عملي بالانتقال إلى الدار البيضاء التي كنت قد نقلت منها بشكل تعسفي إلى وجدة عقب إضراب 1961، وعرض على الانتقال إلى فاس التي مكثت فيها إلى غاية 1971 حيث كنت عضوا في كتابتها الإقليمية، وبعد المحاولة الانقلابية الأولى التي جرى فيها حديث عن إمكانية الصلح والتسامح، اغتنمت هذه الفرصة، وطلبت العودة إلى الدار البيضاء ، وهذا ما وقع حيث عدت للعاصمة الاقتصادية بتاريخ 11 نونبر 1971.

س : لنعد إلى حدث الاعتقال سنة 1973، ما هي الأجواء التي سبقت ورافقت حدث الاعتقال؟

ج : كنت على علم بأنني مراقب وقد أعتقل، لأنني كنت أخضع لاستنطاقات مستمرة حول تحركاتي وتنقلاتي، لقد كنا محاصرين من طرف أجهزة الشرطة، وكانوا يلاحقوننا أمام الكتابة الإقليمية والمنازل وفي الأسواق، فأنا كنت مسؤولا في الحزب، والمقر في اسمي وأنا في اشتغال دائم، ورفاق لي وقع اعتقالهم، لقد كنت أتوقع أني سأعتقل في أي لحظة وحين، خصوصا بعد اندلاع أحداث مولاي بوعزة.

س : أحداث مولاي بوعزة وقعت في الأطلس، بعيدا عن الدار البيضاء، لماذا سيقع اعتقال مواطن ينشط في حزب سياسي معترف به، بسبب أحداث وقعت في مكان بعيد جدا عن مجال نشاطه؟

ج : السلطة كانت تبحث عن أي فرصة ممكنة لقمع الحزب والبطش بمناضليه، فالاتحاد الوطني للقوات الشعبية هو الذي كان يفضح تصرفات السلطة واستبدادها وكان يطالب بالديمقراطية وبتعديل الدستور، وكان يحرج الحكم، لدرجة أننا كنا نسميه الحكم الفردي والاستبدادي

والإقطاعي، فكل الألفاظ التي كانت تليق بالحكم كنا نستعملها في نعته بها، فالمغرب على امتداد تاريخه الحديث عاش وعرف اعتقالات كثيرة، فلقد اعتقل عبد الرحمان اليوسفي والفقيه البصري واتهما بأنهما تآمرا لاغتيال ولي العهد الحسن الثاني. فالجو السياسي في المغرب كان دائما محموما ويوحي بكل الاحتمالات، فأحداث مولاي بوعزة كانت فرصة بالنسبة للنظام لكي يشن حملة واسعة من الاعتقالات ضد جميع المناضلين الاتحاديين، فالنظام كان يعرف أننا نشتغل في إطار قانوني، بدليل أننا شاركنا في انتخابات سنة 1963، ولكنه كان يبحث عن الفرصة المواتية لضربنا، فاغتنم وقوع أحداث مولاي بوعزة للقيام بذلك.

س : هناك من يقول إن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية كان مكونا في واقع الأمر من جناحين: جناح يشتغل من أجل التغيير بهذه الطريقة التي تتحدث عنها، والتي كانت تتم في إطار القانون والشرعية، وجناح كان يحاول بجميع الوسائل تغيير النظام ولو اقتضى الأمر استعمال العنف، لقد كان الجناحان وجهين لعملة واحدة...

ج : هذا أمر لا ننكره، لقد كان حقيقة لا غبار عليها.

س: ما الذي يمنع السلطة من الاعتقاد بأنكم أنتم الذين كنتم تشتغلون في إطار الشرعية، كانت لكم بصيغة من الصيغ، علاقة أو صلة بالذين شاركوا في أحداث مولاي بوعزة، وأنكم أنتم أيضا، كنتم تفكرون في حمل السلاح لتغيير النظام؟

ج : كانت اجتماعاتنا علنية، وكانت مقراتنا معروفة، وكان البوليس على اطلاع على تحركات أي فرد منا، فكيف للبوليس، الذي كان يتابع ما يقع في الخارج، ألا يكون على معرفة بما يجري في الداخل، فالمثل يقول من يريد أن يقتل كلبه يتهمه بالسعار، لقد كنا نجند جماهير الشعب المغربي ونسعى لتوعيتها لخوض المعارك الجماهيرية، فهذه هي وسيلة الحزب الفعالة التي اعتمدها طوال تاريخه من أجل إقرار الديمقراطية، وإرجاع سيادة الشعب للشعب من أجل تنفيذ ميثاق كان قد وقع بين الحركة الوطنية وملك البلاد إذ ذاك محمد الخامس، فهذا كان هو إطار عملنا بصفة عامة.

س : هل يعني هذا أنك أنت شخصيا مثلا لم يكن لديك أدنى تعاطف في سنة 1973 مع الذين حملوا السلاح في مولاي بوعزة؟

ج : لا أخفيك أنه نظرا لأن النظام كان يحرمنا من جميع وسائل العمل، ولأنه كان يقمعنا ويكبتنا

كان من بيننا إخوان أرتأوا أنه ليس هناك من إمكانية للتعبير عن مطامح الجماهير سوى استعمال العنف، وفي هذا السياق كانت تقع مثل هذه الفلتات التي لا أخفي أنني كنت عاطفا عليها ومتعاطفا مع أصحابها، ولو كانت قد أتيحت لي فرصة الانخراط فيها لكنت قد قمت بذلك بدون تردد، لم يكن هناك أي خيار آخر، وفي إطار الهامش الضيق من الحرية كنا نحن نستغل هذا الهامش لفضح النظام ولتعريته.

كنا على علم بالاعتقالات، وكان بإمكاننا الإفلات منها، بل وقع الاتصال مباشرة بالأخ عمر بنجلون وطلب منه اللجوء للخارج تجنبا للاعتقال، وأذكر في اجتماع مشهود، قال عمر رحمه الله، بعد أن حاولنا إقناعه بمغادرة المغرب: قال لا يمكن لي اللجوء إلى فرنسا لكي أقضي أيامي في الشانزليزي أقرأ جريدة «لوموند»، لا، سأظل في بلادي، وإذا أرادوا قتلي أو اعتقالي فليكن ذلك في وطني، فعندما أرادوا قتل المهدي بنبركة، ألم يقتلوه في باريس، لذلك أرجوكم أن لا تطلبوا مني استقبالا مغادرة المغرب للجوء سياسيا في الخارج، لقد قال رحمه الله هذا الكلام فيما أظن ليلة اعتقاله.

س: إذا كان هذا يفيد أن عمر بنجلون كان في متناوله مغادرة المغرب لوحده، واللجوء إلى الخارج سنة 1973 تجنبا للاعتقال، ماذا عن باقي الاتحاديين؟

ج : جميعنا كان في متناولنا مغادرة المغرب ليس فقط عمر بنجلون لوحده، بل ساعدنا بعض الإخوان على اللجوء إلى الخارج ممن رغبوا في ذلك، فأنا شخصيا ساعدت الكثير من المناضلين على مغادرة المغرب، لقد كنت أنقلهم بسيارتي من فاس إلى وجدة، ثم منها كانوا ينتقلون إلى الجزائر.

س : البقاء في المغرب في لحظة يكون فيها محكوم على المناضل بالاعتقال وبالسجن لمدة طويلة، أليس من الأفضل له وللقضية التي يتبناها ويدافع عنها أن يغادر المغرب، ليعمل على تحقيق نفس الغاية من الخارج، أليس في بقائه داخل الوطن نوع من المغامرة بشخصه وبالتنظيم الذي ينتمي إليه؟

ج: كانت لنا رؤية أخرى للحزب وللنضال، لقد كان لنا انضباط للقرارات وللأهداف العليا للحزب عز نظيره، كنا نفتخر ونعتز بالموت والاستشهاد من أجل حركتنا الاتحادية، كانت كل جوارحنا مع الحزب، لا يمكن أن نقبل بعدم المواجهة، لم يكن واردا أن نغادر كلنا المغرب للجوء

للخارج، فالحزب كان في حاجة لمن يظل في الداخل ويناضل مع الجماهير في صفوفها ويتحمل أعباء وضريبة النضال.

س: لنعد إلى لحظة الاعتقال، عندما ألقي عليك القبض إلى أين وقع اقتيادك؟

ج : كما أشرت طلب مني رجال الأمن أن أرافقهم من أمام الإعدادية فرفضت ودعوتهم للسماح لي باصطحاب ابنتاي إلى المنزل، وبعد ذلك سأرافقهم إلى أين يشاؤون، واشترطوا أن يتكلفوا بقيادة السيارة فوافقت، لقد كانوا ثلاثة، واحد تبعنا بسيارتهم، والاثنان امتطيا معي السيارة التي قادها أحدهما، وركبت إلى جواره، في حين ركب الشرطي الآخر إلى جانب ابنتاي، وأمام منزلي توقفت السيارة التي كان يقودها الشرطي الثالث وركبناها، وطلبت من ابنتي أن تحضرا لي جلابيتي السوداء تحسبا للبرد، غير أن رجال الأمن لم ينتظروا عودتهما وانطلقوا بي لجهة ما، إلى أن وصلنا إلى كوميسارية المعاريف.

وأظن أنهم أشعروا رؤساءهم بأنني اعتقلت، ومنها أخذت السيارة وجهة معينة، لقد وضعوا البانضا على عيني والأصفاد في يدي، ولم تتوقف السيارة إلا بعد أن وصلت مكانا ما، ولما دخلته، وجدت نفسي وكأنني في سوق عكاظ، ضجيج كبير جدا، فهناك من كان يئن وهناك من يتألم، والبعض يبكي، وأصوات للأطفال وللنساء. لم أفهم في البداية أين أنا وماذا يقع، ولكن أدركت فيما بعد أنها قبائل وأسر بكاملها جيء بها لأنها اتهمت بالمشاركة في أحداث مولاي بوعزة.

س: هل أدركت المكان الذي كنت توجد فيه؟

ج : استنتجت أنني ربما في درب مولاي الشريف، ولكنني لم أكن متأكدا بشكل قطعي بأنني فعلا فيه، فالبانضا كانت على عيني، وكنت مازلت أعيش على الدهشة الأولى للاعتقال، ومع الضجيج وبكاء الأطفال لم أستطع التركيز، ولكن بعد قضاء حوالي ساعتين في هذا المكان سمعت أصواتا تعرفت على أصحابها مثل بوشعيب رياض رحمه الله، وعلي المانوزي وإقبال، وتوفيق الادريسي، والضابط لحسن امحراش... لقد كان الوضع مزريا، فالمكان ضيق والمعتقلون كثر، والازدحام شديد للغاية، كان يتهيأ لي وكأننا في القريعة.

س: بكم تقدر عدد الذين كانوا معتقلين في درب مولاي الشريف خلال هذه الفترة؟

ج : 5000 هو عدد الاتحاديين التي كانت التقديرات تقول بأنهم اعتقلوا في تلك الفترة بالمغرب، وفيما يخص درب مولاي الشريف، فلقد كنا مابين 300 إلى 400 اتحادي، أقولها بدون مبالغة، كنا

مكدسين في الغرف والممرات والزنازن وفي المراحيض.

س: كيف يكون النوم في مثل هذه الظروف؟

ج : كنا ننام بشكل معكوس، رأس كل معتقل بمحاذاة قدمي المعتقل الآخر، وهكذا دواليك بالنسبة للجميع، ولكن مع ذلك في ظل هذه الأجواء تُخْلق روح ونفس للمقاومة، بالرغم من كل هذا القهر، تأقلمنا مع هذا الوضع، وأخذنا نسايره ونحاول في ظله أن نرفه عن أنفسنا، لقد كنا نحكي من تحت البانضا النكت، ونروي المستملحات لبعضنا، ونتساند ونتآزر.

س: متى بدأ استنطاقك؟

ج: الاستنطاق كان يتم في الغالب خلال التعذيب، وبطبيعة الحال لا يمكن للجلاد أن يعذب الإنسان في النهار، ففي مجمل الأحوال آلة التعذيب لا تشتغل إلا في الليل، وبعد منتصف الليل، فتلك الممارسات الوحشية لم يكن الجلادون يقومون بها إلا بعد أن يكونوا في حالة سكر شديد، حيث يفتقدون الوعي والإحساس والضمير، لا أظن أن الجلاد يستطيع أن يمارس التعذيب وهو في كامل وعيه، لأن الذي يكون يخضع للتعذيب يزعجه بكل ما يصدر عنه حتى لو كان مجرد أنين ناجم عن ألم فظيع، ثم كيف يمكن للجلاد أن يتعامل مع امرأة لها رضيع بين يديها، كيف ينتزعه منها ليمارس عليها التعذيب، لا يمكن بل من المستحيل أن يقوم بذلك، إن لم يكن فاقدا للوعي وللإحساس، كيف يمكن للجلاد أن يهدد معتقلا بإمكانية اغتصاب زوجته أمام عينيه، إن لم يعترف، إذا كان في كامل وعيه؟!

أشياء غريبة وحالات وقعت في درب مولاي الشريف لا يمكن أن تصدر عن إنسان عادي سواء من الجلادين أو من المعتقلين، فلقد كنت في زنزانة مع أخ من الأطلس اسمه محمد القاسمي، ومع بلقاسم وزان الذي اختفى إلى اليوم، والذي جيء به من فكيك، لقد كان واحدا من أفراد القوات المساعدة، واتهم بأنه كان يقوم بتسهيل دخول المناضلين من الجزائر، لقد التقينا به في درب مولاي الشريف عن طريق الصدفة، وفي أحد الأيام لاحظت أن الأخ توفيق الادريسي يجرح أصبعه ليخرج الدم منه، فلما سألته لماذا يجرح أصبعه، كان رده ماذا تريد مني أن أفعل لتزجية الوقت، فأنا أجرح أصبعي لكي أجد شيئا ما أتلهى به، وجوابا على السؤال المتعلق بمتى بدأ استنطاقي، فلقد انطلق الاستنطاق في اليوم الموالي.

إذا كان الوعي بحقوق الإنسان من أهم شروط احترامها والتمتع بها، فإن وعيها في تاريخيتها ومسارها واستيعاب قضاياها والتشبع بثقافتها شروط وجوب للنهوض بها وممارستها ممارسة أكمل وأفضل.

من ثمة، فإن استكناه قضايا حقوق الإنسان بين ثنايا التاريخ والثقافة والمجتمع والاقتصاد، ومن خلال التجارب الفردية والجماعية، ودرسها وتحليلها بقصد التوثيق والمعرفة واستخلاص العبرة .... مجهودات تستحق الدعم والتشجيع مادامت تدخل في صميم نشر ثقافة حقوق الإنسان بشتى أبعادها ومجالاتها وتوسيع نطاق الشغف والاهتمام بمختلف قضاياها وأسئلتها.

ولئن كان نشر الأبحاث والدراسات ذات الصلة بحقوق الإنسان يجسد، في حد ذاته، تحفيزا لها وللاهتمام بمختلف قضاياها وإشكالاتها، فإنه يتوخى، في ذات الآن، إغناء المكتبة العلمية والتاريخية المغربية في هذا الباب وفتح النقاش وشحذ الذهن وإذكاء التفكير.

يضم هذا الكتاب سلسلة حوارات أجراها الصحفي عبد السلام بنعيسي مع معتقلين سياسيين سابقين حول ظروف اعتقالهم ومحاكماتهم ومعاناتهم خلال ستينات القرن الماضي وسبعيناته، ويتوخى الجمع بين التوثيق والأرشفة وحفظ الذاكرة، ويستوفي مزية التوليف بين الوصف والشهادة والبوح والرواية والتذكر والحوار... وتكمن أهميته في أنه يوثق صفحات من التاريخ السياسي للمغرب بقدر ما يوثق جغرافيا المعتقلات التي مر منها المستجوبون ويحفظ ذكراهم.